



# مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الأول

- ✿ نكاح المرأة من غير ولي.
- ✿ جدلية النص والعرض في المسرح.
- ✿ مفهوم الصانع عند أفلاطون.
- ✿ الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس.
- ✿ تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس.
- ✿ مصادر التوتر النفسي.
- ✿ الإتجاهات العددية والتنوعية للرسائل الجامعية.
- ✿ الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع.

العدد الثامن عشر - ديسمبر 2014م

مجلة كلية الآداب  
نصف سنوية علمية محكمة - جامعة الزاوية

الجزء الأول

العدد الثامن عشر - ديسمبر 2014م

## نكاح المرأة من غير ولي

محمد رنجب سويسي  
قسم الدراسات الإسلامية  
جامعة الزاوية

### المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه الطيبين وبعد:

فإن أمر الزواج هو أمر عظيم، فقد وصفه الله تعالى في كتابه بالميثاق الغليظ فقال: ﴿كَيْفَ تَأْتِيهِمْ تَأْتِيَهُمْ قَدْ أَهْوَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخْتَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(1)</sup>.

وقد اهتم الشرع الحكيم بأمر الزواج في آيات كثيرة تدل على ذلك قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي تِلْكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(2)</sup> وقوله أيضاً: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ سَوَّاهُ لِلدَّورِ بَاعٍ﴾<sup>(3)</sup>.

وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم- أكثر من أن تحصى في الحث على الزواج منها قوله: (أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)<sup>(4)</sup>.

لذلك فإن الزواج وأحكامه له أهمية كبيرة ينبغي لكل مسلم أن يتعلم ويفقه أحكامه؛ لأنه ما من إنسان من البشر إلى ويلامسه، وما من أحد إلا مقدم عليه لا محال. ومن أهم أمور الزواج هو الولي الذي يقوم بإنشاء هذا العقد بين موليته وولي الزوج، ولذلك كان اهتمامنا بهذا الأمر الذي بات ينتهك لا سيما في زمننا الحاضر حيث تمرت النساء على أولياتهن فنجد الواحدة منهن تتزوج دون إذن وليها بل ربما دون علمه.

## نكاح المرأة من غير ولي

قد قسمت البحث إلى ما يلي:

**أولاً: الولاية في الزواج وأقسامها.**

1- الولاية في الزواج.

• معنى الولاية لغة وشرعاً.

2- أقسام الولاية.

**ثانياً: شروط الولي عند الفقهاء.**

1- الشروط المتفق عليها.

2- الشروط المختلف فيها.

**ثالثاً: آراء الفقهاء في تولي المرأة عقد نكاحها.**

1- آراء المجيزين.

2- آراء المانعين.

3- المناقشة والترجيح.

**خاتمة.**

**الفهارس**

## أولاً: الولاية في الزواج وأقسامها.

### 1- الولاية في الزواج.

#### • معنى الولاية لغة وشرعاً:

- الولاية في اللغة تعني النصر<sup>(5)</sup>، وهي مصدر ولي، يقال: ولي الشيء يليه ولاية "بفتح الواو وكسرهما" إذا ملك أمره وقام به، والولاية تشعر بالتدبير والقدرة، والفعل<sup>(6)</sup>.
- وأما الولاية في الاصطلاح فهي: "القدرة على إنشاء العقود والتصرفات نافذة من غير توقف على إجازة أحد"<sup>(7)</sup>.
- والولي في النكاح هو "الذي يتوقف عليه صحة العقد فلا يصح بدونه، وهو الأب، أو وصيه..."<sup>(8)</sup>.

#### ثانياً: أقسام الولاية:

وهي قسمان: ولاية على النفس والمراد بها هنا: القدرة على إنشاء عقد الزواج نافذاً من غير توقف على إجازة أحد، وولاية على المال وهي القدرة والتصرفات المتعلقة بالأموال نافذة من غير توقف على إجازة أحد<sup>(9)</sup>. والولاية على النفس هي موضوع بحثنا وهي تتنوع إلى نوعين:

**النوع الأول:** الولاية القاصرة، وهي التي يملك فيها الشخص تزويج نفسه فثبت بالاتفاق للرجل العاقل البالغ، فيملك أن يزوج نفسه بأي امرأة سواء كانت مكافئة له أو أقل منه، بمهر المثل أو بأكثر منه دون أن يكون لأحد الاعتراض عليه في ذلك<sup>(10)</sup>.

وأما المرأة البالغة العاقلة بكرًا كانت أوثياً فقد اختلف الفقهاء في ثبوت هذه الولاية لها كما سيأتي مفصلاً.

**النوع الثاني:** الولاية المتعدية وهي: أن يكون للإنسان الحق في أن يزوج غيره بإنابة من الشارع<sup>(11)</sup>.

#### • أقسام الولاية المتعدية:

يقسم الفقهاء منهم الشافعية<sup>(12)</sup> والحنابلة<sup>(13)</sup>، الولاية المتعدية إلى قسمين:

## نكاح المرأة من غير ولي

**القسم الأول:** ولاية الإيجاب وهي التي يكون للولي الحق في أن يزوج غيره بمن يختاره الولي، رضي الغير بذلك أو أبي، وهذه الولاية هي التي تعتبر ولاية كاملة، ويقال لصاحبها: وليٌّ مُجْبِر.

**القسم الثاني:** ولاية الاختيار، وولاية الاختيار أو الشركة هي: التي لا يكون للولي الحق في أن يزوج الغير بدون رضاه، بل لابد من رضاه ورضا الولي واشتراكهما في الاختيار وبعد تحقق الرضا منهما يتولى الولي عقد الزواج وإنما سميت ولاية اختيار، لأن الولي لا يملك إجراء العقد إلا بعد اختيار المولي عليه ورضاه، وسميت ولاية اختيار لاشتراك المولي عليه مع الولي في الاختيار، ويقال لصاحب هذه الولاية ولي مخيّر<sup>(14)</sup> وهذه الولاية تثبت على المرأة الكبيرة الحرة العاقلة بكرةً كانت أو ثيباً عند الحنفية ويسمونها ولاية استحباب، لأن لها عندهم أن تتولى تزويج نفسها بمحض اختيارها وإرادتها لكن يستحب لها أن تكل أمر العقد إلى وليها، رعاية لمحاسن العادات والآداب التي يراعيها الإسلام وهذه في الحقيقة ليست ولاية، وإنما هي وكالة، وإنما سمي ولياً لما له من القرابة، ولهذا كانت الولاية المتعدية محصورة عند الحنفية في ولاية الإيجاب<sup>(15)</sup>.

### ثانياً: شروط الولي عند الفقهاء

اشترط الفقهاء في الولاية عدة شروط يجب توافرها، بعضها اتفق الفقهاء على اشتراطها واختلف في بعضها الآخر وسوف نذكر هذه الشروط باختصار:

#### 1- الشروط المتفق عليها:

أ- كمال الأهلية ويتحقق بالبلوغ والعقل والحريّة، فلا تثبت الولاية للصبي ولو كان مميزاً؛ لأنه لا يلي شؤون نفسه، ولا تزويج نفسه وحده، بل يتوقف نفاذ عقده على إجازة وليه. فلا تكون له ولاية على غيره من باب أولى<sup>(16)</sup>.

ب- اتحاد الدين مع المولي عليه، فلا تثبت الولاية لغير المسلم على المسلم، ولا للمسلم على غير المسلم، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(17)</sup> وقوله تعالى: ﴿لَا زِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(18)</sup> ولأن الولاية شرعت لتحقيق المصلحة للمولى عليه، وباتحاد الدين تتحد وجهة النظر في تحقيق المصلحة<sup>(19)</sup>.

## محمد رنجب سويسي

ويستثنى من ذلك صاحب الولاية العامة كالقاضي، لأن ولايته مستمدة من ولاية الحاكم "رئيس الدولة" وولايته عامة على المسلمين وغيرهم، وهو ولي من لا ولي له، وكذا السيد المسلم فإنه يملك تزويج أمته الكافرة بمقتضى الملكية لا الولاية<sup>(20)</sup>.

### 2- الشروط المختلف فيها:

أما الأمور التي اختلف الفقهاء في اشتراطها فهي:

- أ- الذكورة فهي شرط ثبوت الولاية عند المالكية والشافعية والحنابلة خلافاً للحنفية كما سيأتي مفصلاً.
  - ب- العدالة وهي الاستقامة في الدين، وتحقق بأداء الواجبات الدينية، وعدم ارتكاب كبيرة من الكبائر كالزنا وشرب الخمر وما أشبه ذلك.
- فذهب الحنفية<sup>(21)</sup>، والمالكية<sup>(22)</sup> في المشهور إلى أن العدالة ليست شرطاً في ثبوت الولاية.

فتثبت الولاية عند المسمى بالفاسق، وحجتهم في ذلك أن ثبوت الولاية مبني على وجود الشفقة بقريبه، ولا يحول دون رعاية المصلحة له؛ ولأن الأولياء كانوا يزوجون من في ولايتهم في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن بعده، ولم يسمع أن ولياً منع من التزويج لفسقه<sup>(23)</sup> وذهب الشافعية<sup>(24)</sup> ورواية عند أحمد<sup>(25)</sup> أن العدالة شرط في ثبوت الولاية، فلا تثبت الولاية لغير العدل وهو الفاسق وقد استدلوا على مذهبهم بما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"<sup>(26)</sup> والمرشد هو العدل، ولما كان الفاسق لا يعتبر مرشداً، فلا يجوز له أن يكون ولياً؛ لأنه لا يؤمن بعدم عدالته أن يحسن الاختيار، كما استدلوا بالمعقول فقالوا: إن الولاية في النكاح إنما تثبت للنظر، ولا نظر في التفويض إلى الفاسق؛ إذ هو بفسقه أهمل فلا ينظر في مصلحة نفسه، فكيف يعقل أن يكون منه نظر لغيره؟<sup>(27)</sup>

ونوقش هذا القول بأن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾<sup>(28)</sup> فإن الخطاب في الآية للأولياء من غير فصل بين عدل وفاسق، وبما روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (انكحوا إلى الأكفاء)<sup>(29)</sup> وهذا أمر للأولياء بتزويج بناتهم من الأكفاء من غير تفرقة بين عدل وفاسق.

## نكاح المرأة من غير ولي

وأما من المعقول: فقد قالوا: إن ولاية النكاح حق ثبت بالتعصيب فيجب أن لا يسقط هذا بالفسق كالإرث<sup>(30)</sup>.

وأما استدلالهم بحديث: (لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل) فإنه على فرض ثبوت هذه الزيادة، فالمعنى: أن الفاسق مرشد؛ لأنه يرشد غيره لوجود آلة الإرشاد معه وهي العقل، وبه يتمكن من النظر الذي من أجله قلنا بثبوت الولاية له.

وأما من العقل فيقال: إنه لا منافاة بين الفسق والنظر لمصلحة المولى عليه فإن الفسق لا يقدر في القدرة على تحصيل النظر، ولا في الداعي إليه، وهو الشفقة، فلا يقدر في الولاية كالعدل<sup>(31)</sup>.

ولعل القول الراجح هو جواز تولي الولي الفاسق تزويج أولاده وبناته. قال أبو زهرة: (وقد انعقد إجماع الناس منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم على عدم منع الفاسق العاقل من تزويج أولاده وبناته)<sup>(32)</sup>، ولأن الفسقة لم يمنعوا من التزويج في عصر الأولين<sup>(33)</sup>.

ج- الرشد، والمراد به حسن التصرف في المال وعدم السفه، وذلك بالأب لا يصرف المال في اللذات والشهوات ولو كانت مباحة، وهو ليس شرطاً في ثبوت الولاية عند الحنفية<sup>(34)</sup>، والمالكية<sup>(35)</sup>، إلا أن المالكية يقولون: إن السفه لا يعقد على من في ولايته إلا بإذن وليه، فإن عقد بدون إذنه صح العقد إن كان له رأي وفتنة أما إن كان ضعيف الرأي فللولي النظر فيه، فإن وجد فيه خيراً أمضاه وإن لم يجد فيه خيراً<sup>(36)</sup>.

وقال الشافعية<sup>(37)</sup>، والحنابلة<sup>(38)</sup>، إن الرشد شرط في ثبوت الولاية؛ لأن السفه لا ولاية له على تزويج نفسه فلا تكون له ولاية على تزويج غيره بالطريق الأولى. ولحديث جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل)<sup>(39)</sup>.

### ثالثاً: آراء الفقهاء في تولي المرأة عقد نكاحها

#### 1- آراء المجيزين:

اختلف الفقهاء في تولي المرأة عقد نكاحها بنفسها ولهم في ذلك آرايان:

الرأي الأول: يقول أصحاب هذا الرأي إن للمرأة أن تتولى عقد نكاحها وبغير إذن وليها وبه قال أبو حنيفة<sup>(40)</sup> وزفر، والشعبي والزهري<sup>(41)</sup>. وقد استدلت أصحاب هذا القول بالقرآن والسنة والمعقول:

#### أ- من القرآن:

- قال تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾<sup>(42)</sup>

**وجه الدلالة:** أن الله تعالى أضاف ذلك إلى المرأة كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾<sup>(43)</sup>. ولم يذكر في الآية الولي<sup>(44)</sup>.

- قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾<sup>(45)</sup>.  
**وجه الدلالة:** أيضاً في هذه الآية أضاف النكاح إليها، وهو ما يفيد تصور النكاح من المرأة ومن ثم جوازه<sup>(46)</sup>.

- قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(47)</sup>.  
**وجه الدلالة:** ففي هذه الآية التصريح في أنها هي التي تفعل في نفسها ما تشاء، ومن ذلك أن تباشر عقد نكاحها<sup>(48)</sup>.

#### ب- من السنة النبوية:

- عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (الأريم<sup>(49)</sup> أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها وإذنها صماتها)<sup>(50)</sup>.

**ووجه الدلالة:** من هذا الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- شارك بينها وبين الولي ثم قدمها عليه بقوله: (أحق بنفسها) وقد صح العقد من الولي فصحته منها أولى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الحديث بروايته يدل صراحة على توقف العقد على رضا المرأة، وليس من المعقول ولا من المعهود شرعاً أن يعتبر رضا شخص في صحة تصرف ثم يحكم عليه بالفساد إذا باشره بنفسه<sup>(51)</sup>.

- عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها لما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطبها قالت: ليس أحد من أوليائي شاهداً، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-



## نكاح المرأة من غير ولي

وسلم- : (ليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك) فقالت لابنها: يا عمر: قم فزوّج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قَرَوَّجَه<sup>(52)</sup>.  
**ووجه الدلالة:** من هذا الحديث أنه لم يحضر أحد من أولياء أم سلمة هذا العقد، وهي التي باشرته بنفسها، فدل ذلك على صحة النكاح بمباشرة المرأة العقد، وهو يدل من جهة أخرى على أنه ليس للأولياء، حق الاعتراض إذا كان الزوج كفئاً<sup>(53)</sup>.

### ج- من المعقول:

وأما المعقول فقالوا: إنها حين تزوج نفسها تتصرف في خالص حقها لأن نفسها مملوكة لها وهي عاقلة بالغة، وقد اتفق الفقهاء على أنها تتصرف في أموالها متى كانت كاملة الأهلية، فكذلك الزواج بل هو أولى؛ لأنها هي التي ستتزوج لا وليها، فمن حقها أن تختار الرجل الذي تسلمه نفسها وتلتزم بطاعته<sup>(54)</sup>.

فإن كان يترتب على فعلها في بعض صوره ضرر يلحق أسرتها كأن تزوج نفسها من غير كفء فيمكن تلافيه بإثبات حق الاعتراض للأولياء، فلهم أن يطلبوا فسخ ذلك العقد غير المتكافئ.

وأصحاب هذا الرأي مع إثباتهم للمرأة حق مباشرة زواج نفسها يقررون أنه يندب لها أن توكل وليها لمباشرة هذا العقد كيلا تخرج عن مألوف الناس وتوسم بقلة الحياء<sup>(55)</sup>.

### 2- آراء المانعين:

يقول أصحاب هذا الرأي بأنه لا يجوز للمرأة أن تتولى عقد نكاحها بنفسها وأنه لا يصح النكاح إلا به، وبهذا قال الجمهور من المالكية<sup>(56)</sup>، والشافعية<sup>(57)</sup> والحنابلة<sup>(58)</sup>، وقد استدلوا على قولهم بالقرآن والسنة، والعقل.

### أ- من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾<sup>(59)</sup>

### وجه الدلالة:

ووجه الاحتجاج من الآية أنه تعالى خاطب بإنكاح الرجال ولم يخاطب به النساء، فكأنه قال: لا تنكحوا أيها الأولياء مولاتكم للمشركين<sup>(60)</sup>.

محمد رنجب سويسي

قال القرطبي: (وفي هذه الآية دليل بالنص على أنه لا نكاح إلا بولي)<sup>(61)</sup>.  
- قوله تعالى ﴿طَلَّاقْتُمْ الدَّسَاءَ فَبَدَلْ عَنْ أَوْلَاهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ  
أَزْوَاجَهُنَّ﴾<sup>(62)</sup>.

وجه الدلالة: أن هذه الآية بينت أن الخطاب للأولياء، وأن الأمر إليهم في  
التزويج مع رضاهن<sup>(63)</sup>.

- قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَائِكُمْ  
وَأِمَائِكُمْ﴾<sup>(64)</sup>.

وجه الدلالة: ووجه الدلالة من الآية أن الإنكاح هو تولي إنشاء العقد، وقد  
خاطب الأولياء به وأضافه إليهم، وهو يدل على أنه حق لهم لا يتولاه  
غيرهم<sup>(65)</sup>.

ب- من السنة النبوية:

- قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا نكاح إلا بولي)<sup>(66)</sup>.  
- قوله -صلى الله عليه وسلم-: (أيما امرأة نكحت بغير إذن موليتها؛ فنكاحها  
باطل - ثلاث مرات - فإن دخل بها؛ فالمهر لها بما أصاب منها، فإن  
تشاجروا؛ فالسلطان ولي من لا ولي له)<sup>(67)</sup>.  
- قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة  
نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها)<sup>(68)</sup>.

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى  
المرأة عن أن تزوج نفسها، فدل ذلك على فساد نكاحها؛ لأن النهي إذا رجع إلى  
ذات الفعل يدل على الفساد، ويؤيده قوله في آخر الحديث: (فإن الزانية هي التي  
تزوج نفسها). كما حكم في إحدى الأحاديث أن نكاحها من غير ولي باطل وأكد  
ذلك ثلاثاً لتأكيد بطلانه<sup>(69)</sup>.

## 2- المناقشة والترجيح

### أ- مناقشة أدلة الحنفية:

استدل أصحاب هذا الرأي على جواز أن تعقد المرأة عقد نكاحها بنفسها بعدد  
من الآيات التي يفيد ظاهرها إضافة النكاح إلى المرأة، وقد نوقش بأن الإضافة  
فيها على طريق الإسناد المجازي، والعلاقة المحلية، وكذلك لم تنص على جواز

## نكاح المرأة من غير ولي

ذلك، وإنما هو نص في تحصيل العقد لكن بمباشرة من؟ هذا مسكوت عنه فبينت السنة ذلك بما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحا باطل باطل باطل)<sup>(70)</sup>.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: (...فيما فعلن في أنفسهن) فسياق الآية يقتضي بأن هذا في غير النكاح إذ الآية قبلها في عدة الوفاة، والمرأة فيها ممنوعة من الزينة والخروج، مأمورة بالإحداد، فرفع الله عنها هذه القيود التي ألزمتها في العدة بقوله: (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن)<sup>(71)</sup>.

ويقال في حديث الأيم: إنه يحتمل أن تكون أحق من وليها في الإذن والعقد ويحتمل أن تكون أحق منه في الإذن والرضا بأن لا تزوج حتى تنطق بالإذن بخلاف البكر، والمراد هنا الاحتمال الثاني، وهو أنه لا يعقد عليها إلا بإذنها ورضاها، ومما يؤيد الاحتمال الثاني قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا نكاح إلا بولي) مع غيره من الأحاديث الدالة على اشتراط الولي<sup>(72)</sup>.

أما حديث أم سلمة -رضي الله عنها- فيمكن أن يحمل على الخصوصية، فقد عُهد اختصاص النبي -صلى الله عليه وسلم- في باب النكاح بأمر كثيرة إذ أنها -أي المرأة- تحتاج للولي لرعاية المصلحة، كما أن المرأة لنقصان عقلها قد تخدع والنبي -صلى الله عليه وسلم- خير زوج فلا يصح لإنسان أن ينظر بعد نظره<sup>(73)</sup>.

إضافة إلى أن هذا الحديث ضعيف كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله<sup>(74)</sup>.

وأما المعقول: فيقال لهم فيه: لا نسلم أنها عند مباشرتها العقد تكون قد تصرفت في خالص حقها، بل تصرفت في أمر تعلق به حق الأولياء، وما من شك في أن مشروعية النكاح على الأصالة إنما هي بناء الأسر والمحافظة على الأعراض التي لا يصونها إلا ولي خاص يُؤمّن على العرض من تلوّيته<sup>(75)</sup>.

### ب- مناقشة أدلة الجمهور:

لم تسلم أيضاً أدلة الجمهور التي تنص على بطلان النكاح بغير ولي، فقد ناقش الحنفية ومن وافقهم الجمهور بأن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبِإِعْنِ أَجْلِهِنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أن الخطاب هنا لمن طلق لا للأولياء حتى لا يختل النظم

### محمد رنجب سويسي

الكريم، وإذا كان كذلك، كان معناه: لا تعضلوهن أيها الأزواج أي لا تمنعهن حساً بعد انقضاء العدة أن يتزوجن، أو لا تمنعهن بإطالة العدة عليهن كما قال في آية أخرى: ﴿لَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾<sup>(76)</sup>.

ويرد على هذه المناقشة بما ورد في سبب نزول هذه الآية فقد روى البخاري عن الحسن قال: (حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقها، ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ﴾ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله قال: فزوجها إياه)<sup>(77)</sup>.

ومعنى هذا أن العاضل هو معقل وهو ولي لا زوج، وليس في ذلك ما يخل بالنظم الكريم؛ لأن محل ذلك إذا خفي المراد وحصل الاشتباه، أما إذا ظهر المراد ولم يكن هناك اشتباه فلا بأس من تفكيك الضمائر وقد عهد في القرآن الكريم تحويل الخطاب، ولو كان منعه يدل على صحة النكاح بمباشرتها كما قيل لأباح لها النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تباشر النكاح بنفسها، ولما قال لمعقل: إن كنت مؤمناً فزوجها<sup>(78)</sup>.

وأما الأحاديث التي استدلت بها الجمهور فقد نوقشت بما يلي:

أما الحديث الأول والثاني فقد قال الحنفية فعارض بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الأيم أحق بنفسها من وليها)، والأيم من لا زوج لها بكراً أو لا فإنه ليس للولي إلا مباشرة العقد إذا رضيت وقد جعلها أحق منه به، ويترجح هذا بقوة السند والاتفاق على صحته... أو أن النفي للكمال، أو بأن يراد بالولي من يتوقف على إذنه، أي: لا نكاح إلا بمن له ولاية لينفي نكاح الكافر للمسلمة... والمراد بالبطل حقيقة على قول من لم يصح ما باشرته من غير كفاء، أو حكمه على قول من يصححه، أي للولي أن يبطله، وكل ذلك شائع في أطلاقات النصوص ويجب ارتكابه لدفع المعارضة<sup>(79)</sup>.

إضافة إلى أن حديث (لا نكاح إلا بولي) هو حديث ضعيف، وفيه اضطراب في إسناده، فقد روى موصولاً، ومنقطعاً، ومرسلاً، فلا تقوم به حجة، وعلى اعتبار تحسينه فإنه لا يعارض الحديث الصحيح وهو: (الأيم أحق بنفسها)<sup>(80)</sup>.

## نكاح المرأة من غير ولي

ويرد على هذا أن ابن حبان والحاكم والألباني صححوا هذا الحديث، وذكر له الحاكم طرقاً، وقال: صحت فيه الرواية عن أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عائشة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، ثم ذكر ثلاثين صحابياً، وقد قال المروزي: سألت أحمد ويحيى عن حديث: (لا نكاح إلا بولي) فقالا صحيحاً<sup>(81)</sup> ولا نسلم لهم معارضته بحديث: (الأيام أحق بنفسها) فإن معناه أنها لا تزوج حتى تستأمر كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حقها بل لا بد أن تستأمر ويبين لها الأمر على وجه واضح<sup>(82)</sup>.

وكذلك قال الحنفية إن حديث: (لا تزوج المرأة المرأة... فإن الزانية هي التي تزوج نفسها) أن ابن كثير قال فيه: الصحيح وقفه على أبي هريرة، وعلى تسليم رفعه فغايبته التنفير من استبداد المرأة بنفسها في النكاح<sup>(83)</sup>. ويرد على هذا بأن الحديث صحيح وهو مرفوع، وقد حكى رفعه يحيى بن معين، وليس المراد منه التنفير كما قيل؛ لأن النهي ظاهر في عدم الصحة<sup>(84)</sup>.

## ج- الترجيح:

بعد عرض آراء الفقهاء، والنظر في أدلتهم يترجح رأي الجمهور القائل بوجوب الولي واشتراطه في عقد النكاح وذلك لما يلي:

1. قوة أدلة الجمهور وصراحتها بوجوب اشتراط الولي كحديث: (لا نكاح إلا بولي).
2. إجماع الصحابة على وجوب اشتراط الولي كما هو ظاهر من قول ابن المنذر: (أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك)<sup>(85)</sup>.
3. الأدلة التي استدلت بها الأحناف ومن وافقهم والتي منها حديث: (الأيام أحق بنفسها). لا تدل على أن للمرأة إبرام عقد نكاحها بنفسها إنما يدل على أن الولي يستأذن المرأة في زواجها.
4. مما يدل على اشتراط الولي ما أخرجه البخاري وأبو داود من حديث عروة عن عائشة أنها أخبرته أن النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ثم قالت في آخره: فلما بُعث محمد -صلى الله عليه وسلم- بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم<sup>(86)</sup>.

## الخاتمة:

- بعد استعراض لهذا البحث يمكن أن نستخلص ما يلي:
- 1- الولاية: تعني النصر، والتدبير، والقدرة، والفعل على إنشاء العقود والتصرفات، وأنها نافذة من غير توقف على إجازة أحد.
  - 2- تنقسم الولاية إلى قسمين: ولاية على النفس، وولاية على المال.
  - 3- الولاية على النفس نوعان: ولاية قاصرة، وولاية متعدية: وهي إما ولاية إجبار، وإما ولاية اختيار.
  - 4- هناك شروط للولي منها ما هو متفق عليه ككمال الأهلية واتحاد الدين والرشد، ومنها ما هو مختلف فيه كالذكورة، والعدالة، والرشد.
  - 5- لا يجوز بحال أن تعقد المرأة عقد نكاحها بنفسها دون الرجوع لأي ولي.
  - 6- كما أنه لا يحق للولي أن يجبر موليته على الزواج من دون إذنها والرجوع إليها. إذ يستحسن اشتراكهما فيه بتحقيق رضائهما معاً.
  - 7- لا يخفي أن ترك الأمر للمرأة أن تزوج نفسها -مع الاعتراف بقدرتها على بعض شؤونها بنفسها- إلا أن ذلك يفتح الباب للواتي ينشؤون علاقات مشبوهة ثم يدعيان أو تدعى المرأة أنهما متزوجان، أو ربما يبادر العاشقان إلى أقرب مأذون لاحتفاء الصفة الشرعية على هذه العلاقة المشبوهة وذلك بغير علم أولياء الأمور!! ناهيك عن الكراهية التي ربما تنشأ بين الفتاة ووليها. كما أن ذلك سبباً في نشأة عصابات انتهازية تتاجر بالأعراض واستغلالاً للمرأة عندما تستأثر برأيها في هذا الميثاق الغليظ.

## نكاح المرأة من غير ولي

### الهوامش

- (1) سورة النساء، الآية: 21.
- (2) سورة الروم، الآية: 21.
- (3) سورة النساء، الآية: 3.
- (4) صحيح البخاري شرح فتح الباري، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، برقم 5063، 120/9، طبعة دار الحديث، القاهرة.
- (5) تاج العروس للزبيدي 399/10 مادة "ولي".
- (6) لسان العرب لابن منظور 4920/6. طبعة دار المعارف.
- (7) حاشية ابن عابدين ، مطبعة دار الفكر الطبعة الثانية 1966م، 55/3، الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية زكي الدين شعبان ، منشورات ، جامعة قار يونس، بنغازي ، ليبيا.
- (8) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري 26/4، دار الفكر بيروت.
- (9) الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية لزكي الدين شعبان، ص205، 206.
- (10) أحكام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة بين فقه المذاهب السنية والمذهب الجعفري، للأستاذ: محمد مصطفى شلبي، ص257، 258، دار النهضة العربية - بيروت، الطبعة الثانية، 1977م.
- (11) الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، ص/206، أحكام الأسرة في الإسلام، ص/266.
- (12) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لشمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، تحقيق على معوض، عادل عبدالموجود، 246/4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- (13) المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي 382/7، 383 وما بعدها طبعة 1992م، دار الفكر.
- (14) الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ص/211، المرأة في القرآن حقوقها والتزاماتها د. عبد السلام التونجي، ص/150 وما بعدها، الطبعة الأولى 1999م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية . ليبيا.

- (15) حاشية ابن عابدين 59/3.
- (16) حاشية ابن عابدين 54/3، المغني مع الشرح الكبير على متن المقتع، لابن قدامة، دار الفكر 1992، 355/7، 356، حاشية العدوي على الكفاية، مطبعة محمد عاطف 30/2، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت 2000م، 254/4. منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن ضويان، طبعة دار الحديث القاهرة، 2001م، 108/2.
- (17) سورة التوبة، الآية (71).
- (18) سورة الأنفال، الآية (73).
- (19) جواهر الإكليل على شرح خليل للأبي الأزهر، دار الفكر، 282/1، المحلي لابن حزم، طبع دار الجيل بيروت 473/9؛ أحكام الأسرة في الإسلام ص 255، والأحكام الشرعية للأحوال الشخصية، ص 213، المرأة في القرآن ص 157، الزواج والطلاق، وهبة الزحيلي، طبع كلية الدعوة الإسلامية، ص 90.
- (20) فتح القدير 412/42، حاشية ابن عابدين 55/4.
- (21) حاشية ابن عابدين 54/3.
- (22) حاشية العدوي على الكفاية، مطبعة محمد عاطف 30/2 كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيري، دار الفكر 53/4.
- (23) الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ص 214.
- (24) مغني المحتاج 255/4، الأم للشافعي، طبعة دار الفكر، 1990م، 14/3.
- (25) المغني 357/7، منار السبيل 108/2.
- (26) سنن الدارقطني، طبع دار إحياء التراث العربي، 1993م، كتاب النكاح برقم (11) 221/3، 222، نيل الأوطار للشوكاني، الطبعة الأولى، دار الحديث 2000م، كتاب النكاح، باب الشهادة في النكاح برقم (2673)، وقال ذكر أحمد ابن حنبل في رواية ابنه عبدالله 512/6، وقال الأبادي في التعليق المغني على الدارقطني: "الحديث نقل الزيلعي عن المؤلف أن هذا الحديث



## نكاح المرأة من غير ولي

- رجاله ثقات، إلا أن المحفوظ من قول ابن عباس، ولم يرفعه إلا عدى بن الفضل، 222/3.
- (27) منار السبيل 108/2، وانظر هامش مغني المحتاج 256/4.
- (28) سورة النور، الآية (32).
- (29) سنن الدارقطني، كتاب النكاح، برقم (197) وما بعده، 299/3، وفيه ضعف انظر التعليق المغني على الدارقطني للأبدي 299/3.
- (30) هامش مغني المحتاج 256/4.
- (31) جواهر الإكليل 282/1.
- (32) الأحوال الشخصية، ص 123.
- (33) مغني المحتاج 256/4.
- (34) حاشية ابن عابدين 54/3، 55.
- (35) جواهر الإكليل 282/1، حاشية العدوى 30/2.
- (36) كفاية الطالب لأبي الحسن مع حاشية العدوى 30/2، جواهر الإكليل 282/1، مختصر خليل 282/1.
- (37) مغني المحتاج 256/4، 257.
- (38) المغني 357/7، منار السبيل 108/2.
- (39) فتح الباري، كتاب النكاح، باب: السلطان ولي، 220/9. إرواء الغليل للألباني برقم (1844) 251/6.
- (40) حاشية ابن عابدين 55/3، 56، لسان الحكام في معرفة الأحكام لابن الشحنة الحنفي مطبوع مع معين الحكام، طبع دار الفكر، ص/318.
- (41) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الشام للتراث، بيروت، 74/3.
- (42) سورة البقرة، الآية (232).
- (43) سورة البقرة الآية (228).
- (44) الجامع لأحكام القرآن 159/3.
- (45) سورة البقرة، الآية (228).

- (46) الأحوال الشخصية لأبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1957م، ص/110.
- (47) سورة البقرة الآية (232).
- (48) هامش مغني المحتاج 240/4.
- (49) الأيم هي من لزوج له، رجلاً كان أو امرأة، بكرةً أو ثيباً.
- (50) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب النكاح، باب: استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، برقم (66) 189/9، 190، طبعة دار التقوى، الموطأ للإمام مالك، كتاب النكاح، باب: استئذان البكر والأيم أحق بنفسها برقم (4)، الطبعة الثالثة 1997م، طبع دار الحديث، ص/415.
- (51) حاشية ابن عابدين 56/3.
- (52) سنن النسائي بشرح السيوطي، وحاشية الإمام السندي، باب: عرض المرأة نفسها على من ترضى، مطبعة دار الكتب العلمية 81/6، 82.
- (53) هامش مغني المحتاج 240/4.
- (54) حاشية ابن عابدين 56/3.
- (55) حاشية ابن عابدين 56/3، أحكام الأسرة في الإسلام ص/260، 261.
- (56) جواهر الإكليل 277/1، حاشية العدوى 30/2.
- (57) مغني المحتاج 239/4، وما بعدها.
- (58) المغني لابن قدامة 337/7.
- (59) سورة البقرة آية: (221).
- (60) فتح الباري، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، 211/9.
- (61) الجامع لأحكام القرآن 72/3.
- (62) سورة البقرة، الآية: 230.
- (63) المرجع الأسبق 158/3، 159.
- (64) سورة النور، الآية: 32.
- (65) أحكام الأسرة في الإسلام ص/259.

## نكاح المرأة من غير ولي

- (66) صحيح سنن أبي داود للألباني، طبع مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الثانية 2000م؛ كتاب النكاح، باب: لا نكاح إلا بولي، برقم (2085) 584/1.
- (67) المرجع السابق نفسه، والحديث برقم (2083).
- (68) صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى 1997م، كتاب النكاح، باب: لا نكاح إلا بولي، برقم (1909) 130/2، وصححه الألباني كما في الإرواء برقم (1841).
- (69) هامش مغني المحتاج 241/4.
- (70) مغني المحتاج 240/4، والحديث أخرجه الترمذي، انظر صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني برقم (1102) 558/1، مكتبة دار المعارف الرياض، 2002م.
- (71) مغني المحتاج 240/4.
- (72) المرجع السابق نفسه.
- (73) المغني 339/7، 340.
- (74) ضعيف سنن النسائي للألباني طبع مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى 1998م، برقم (3254) ص 97، 98.
- (75) المرجع السابق نفسه.
- (76) مغني المحتاج 242/4.
- (77) صحيح البخاري شرح فتح الباري، كتاب النكاح، باب: من قال لا نكاح إلا بولي، برقم (5130) 214/9.
- (78) منار السبيل 108/2، الجامع لأحكام القرآن 158/3، 159 مغني المحتاج 242/4.
- (79) حاشية ابن عابدين 55/3، 56.
- (80) حاشية ابن عابدين 55/3.
- (81) سبل السلام للضعاني 268/3، طبعة دار البصيرة 2002م، نيل الأوطار 505/6.

**محمد رنجب سويسي**

- (82) الشرح الممتع 146/5، سبل السلام 277/3.
- (83) نيل الأوطار 505/6، الطبعة الأولى 2000م، طبعة دار الحديث، القاهرة.
- (84) مغني المحتاج 242/4.
- (85) نيل الأوطار 506/6
- (86) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب النكاح، باب: من قال: لا نكاح إلا بولي، برقم (5127) 211/9، وأبو داود برقم (2272).

## الأثر الدلالي للحروف المزبدة الأثر الدلالي للحروف المزبدة

د. عمارة امحمد الميساوي أبو زيد  
قسم اللغة العربية  
كلية الآداب بالزاوية

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
سيدنا ونبينا محمد أفصح الخلق وأبلغهم.

### أما بعد:

فمن القضايا اللغوية التي أثارت جدلاً واسعاً بين علماء اللغة القدماء  
والمحدثين زيادة الحروف وقد وقع اختياري في هذا البحث على الزيادة التي  
تطراً على حروف المعاني كحروف الجر مثلاً لما لها من أثر دلالي على سياق  
النص والجملة ولكثرة الجدل والنقاش حولها بين النحويين والمفسرين على وجه  
الخصوص بين مؤيد ورافض خاصة في ما يتعلق بورودها في كتاب الله تعالى  
القرآن الكريم، أما حروف المعاني التي زيدت على بنية الكلمة الأصلية وما  
تحمله من قيم دلالية كالألّف في فاعل والألف والنون في انفعال والهمزة والسين  
والتاء في استفعال وغيرها فليست من محاور هذا البحث لا تتّسع مادتها العلمية  
ولأن المقام لا يسمح بذلك فصفحات البحث المسموح بنشرها معدودة وملزمة  
لنا من هنا ارتأيت أن تكون محاور هذا البحث كالآتي:

### أولاً-بيان مفهوم زيادة الحروف لغةً واصطلاحاً

ثانياً- موقف علماء اللغة النحويين والمفسرين من قضية زيادة الحروف  
وبيان أثرها الدلالي على سياق الجملة والنص.

وسأردف هذين المحورين بخاتمة أذكر فيها أهم نتائج هذا البحث.

### أولاً- مفهوم الزيادة لغةً واصطلاحاً:

يقول ابن منظور: "الزيادة: النمو والزيادة خلاف النقصان وزاد الشيء يزيد  
زيداً وزيداً وزيادة ومزيداً أي ازداد والرّيد والرّيد الزيادة... وزدته أنا أزيده  
زيادة جعلت فيه الزيادة واستزدته طلبت فيه الزيادة... والمزيد الزيادة"<sup>(1)</sup>

#### د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

أمّا المعنى الاصطلاحي للحرف الزائد فلقد كان للعلماء فيه عدة مفاهيم من بينها:

يقولُ ابنُ يعيش فيشرحه: "الحرف الزائد هو الذي يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى"<sup>(2)</sup>.

ويضيف قائلاً: "ليس مرادنا بالزائد أنه دخل لغير معنى البتة بل زيد لضرب من التأكيد والتأكيد معنى صحيح"<sup>(3)</sup>.

ويقول ابن الحاجب في تعريفه للحرف الزائد: "الحروف الزائدة هي حروف الصلة التي يتوصل بها إلى زنة أو إعراب لم يكن عند حذفها"<sup>(4)</sup>.

وقيل في تعريفه أيضاً: "إنه حرف يُوصل به الكلام وليس بركن في الجملة ولا في استقلال المعنى"<sup>(5)</sup>.

وقال رضي الدين الاستربادي :

"سميت بالحروف الزائدة لأنها لا يتغير بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته"<sup>(6)</sup>.

ثانياً- موقف علماء اللغة النحويين والمفسرين من قضية زيادة الحروف وبيان أثرها الدلالي على سياق الجملة والنص.

المنتجع لآراء علماء اللغة النحويين البصريين والكوفيين وآراء المفسرين لكتاب الله العزيز كذلك من خلال مؤلفاتهم يلحظ أن آراءهم حول حروف المعاني تباينت واختلفت بين مؤيد لجواز مجيئها زائدة ورافض لذلك وخاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم وقد أدى هذا التباين والاختلاف في ما بينهم إلى تحفظ بعضهم في استعمال مصطلح الزيادة بحجة أنه لا يوجد في كتاب الله حرفٌ زائدٌ بينما بعضهم الآخر لا يرى مانعاً من ذلك طالما أنه يخدم المعنى الدلالي للنص وأنه نزل بلغة العرب، لذا نجد البصريين كما يقول ابن يعيش في شرحه- يأتون بعبارة زيادة ولغو أمّا الكوفيون فيأتون بعبارة حشو وصله"<sup>(7)</sup> وقد علّق الزركشي على ما قاله ابن يعيش قائلاً: "والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى"<sup>(8)</sup>.

وما قاله الزركشي لطيف لأن كل حرف من حروف المعاني له -حسب تحليلنا- وظيفتان لفظية ودلالية فاللفظية تكمن في الأثر الذي يحدثه الحرف

### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

(العامل) في اللفظ الذي بعده (المعمول) سواء أكان ظاهراً أم مقدرًا فإذا لم يكن لهذا الحرف أثرٌ في ما بعده فهو زائد من حيث الإعراب حسب رأي النحاة وقد يكون له أثر ويحكم بزيادته، أما الوظيفة الدلالية فهي متعلقة بالمعنى الذي يضيفه هذا الحرف على السياق وإن حكم بزيادته؛ لأن وظيفته وأثره الدلالي المتعلق بالمعنى باق وهو العلة من زيادته في سياق الجملة والنص.

من هنا علّل النحاة وبعض المفسرين لزيادة الحروف بالتوكيد والتوكيد معنى من المعاني لا يمكن تصوره دون الحرف الزائد وهذا لا يدركه إلا مَنْ فطن وعلم أسرار اللغة وبلاغتها.

وخير ما يُرفع به الخلافُ الذي دار بين علماء اللغة والمفسرين بين مؤيد ورافض لزيادة الحروف ومن إطلاق لفظ الزائد في القرآن الكريم هو ما ذكره ابن درستويه حين قال:

"والتحقيق أنه إن أُريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطلٌ لأنه عبث فتعين أن إلينا به حاجة لكنّ الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد فليست الحاجة إلى اللفظ الذي زيد عندها ولا زيادة كالحاجة إلى الألفاظ التي رأوها مزيدة عليه وبه يرتفع الخلاف"<sup>(9)</sup>.

وسأعرض فيما يلي أهم حروف المعاني التي كان لزيادتها أثر دلالي وأبين موقف النحاة والمفسرين منها، ومن هذه الحروف:

#### 1- الباء الجارة:

من الحروف التي وردت زيادتها توكيداً للباء الجارة وذلك في عدة مواضع: حيث زيدت مع الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِرِأْسِ اللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(10)</sup>. وقد أشاره سيبويه إلى هذا حيث أورد في باب "ما لا يحمل فيه الاسم على اسم بني عليه الفعل مرة، ويحمل مرة أخرى على اسم بني على الفعل، قائلاً: "وإذا قلت: مررت بزيد وعمراً مررت به نصبت وكان الوجه، لأنك بدأت بالفعل، ولم تبدئي اسماً تبنيه عليه ولكنك قلت: فعلتُ ثم بنيت عليه المفعول وإن كان الفعل لا يصل إليه إلا بحروف الإضافة فكأنك قلت: مررت بزيداً".... ونحو ذلك قولك: خشنت بصدره فالصدر في موضع نصب وقد عملت الباء ومثله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِرِأْسِ اللَّهِ شَهِيدًا﴾ إنما هي كفى الله ولكنك لما أدخلت الباء عملت والموضع موضع نصب وفي معنى النصب وهذا قول الخليل رحمه الله<sup>(11)</sup>.

#### د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

وهو أيضاً ما عناه المبرد بقوله: 'والباء إنما تزداد في غير الواجب توكيداً تقول: ما زيدٌ بقائم، وليس زيدٌ بمنطلق'" (12).

وقد ذكر سيبويه زيادة هذه الباء صراحة في موضع آخر من كتابه وتحديدًا في باب الفاعل، حيث قال: "ولو كانت الباء زائدة بمنزلتها في قوله عز وجل: ﴿كَفَىٰ بِرِئَاسَةِ اللَّهِ﴾ لم يجز السكوت عليها" (13).

وهو ما قاله الزجاج أيضاً إلا أن الباء عنده أفادت الأمر لا التوكيد حيث فسّر قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِرِئَاسَةِ اللَّهِ وَكَيْلًا﴾ (14) قائلاً: 'معناه وكفى الله وكيلًا دخلت الباء بمعنى الأمر وإن كان لفظه لفظ الخبر المعنى اكتف باله وكيلًا' (15). والباء في موضع رفع مع الاسم المعنى كفى الله شهيد (16). وهو ما قاله أبو جعفر النحاس أيضاً (17).

ويقول ابن هشام "إن الباء لا تزداد في فاعل "كفى" التي بمعنى أجزأ وأغنى ولا التي بمعنى وقى والأولى متعدية لواحد والثانية متعدية لاثنتين (18) كقوله تعالى: ﴿كَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (19) وقوله تعالى: ﴿رَسِيخُ كُفَيْبِهِمُ اللَّهُ﴾ (20). ويضيف ابن هشام قائلاً:

"... ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل كفى المتعدية لواحد (21) قال:

**كفى ثُعلاً فخرأ بأذك منهم**  
**ودهرٌ لأن أمسيت من أهله أهل (22)**

وينسب أبو حيان إلى ابن السراج أنه أجاز وجهاً آخر للباء الواردة في ﴿..كفى بالله شهيداً﴾ (23) وهي شبيهة في موضعها بالآية السابقة وهذا الوجه يقول فيه: "إن الباء ليست زائدة فكأنه قال: كفى هو أي الاكتفاء بالله (24).

وممن قالوا بزيادة الباء في الفاعل ابن جني حيث قال: "وأما زيادتها في الفاعل فنحو قولهم: كفى بالله وقوله: ﴿كَفَىٰ بِرِئَاسَةِ اللَّهِ﴾ (25) إنما هو كفى الله وكفينا واستشهد بقول الشاعر: كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهياً (26)، فالباء وما عملت فيه في موضع مرفوع بفعله كقولك: ما قام من أحد، فالجار والمجرور في موضع مرفوع بفعله (27) وقد ضعف ابن جني رأي أبي بكر محمد بن السري المخالف لهذا حيث قال: "وأجاز أبو بكر بن السري أن يكون قولهم: كفى بالله تقديره: كفى اكتفاؤك بالله أي اكتفاؤك بالله يكفيك وهذا يضعف عندي لأن الباء على هذا متعلقة بمصدر محذوف وهو الاكتفاء ومُحال حذف الموصول وتبقيه صلاته" (28).



### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

وقد أيدَ ابنُ جني سيبويه في هذه المسألة حيث قال:  
"والقول في هذا قول سيبويه أنه يريد كفى الله كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ  
الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾<sup>(29)</sup>، ويشهد بصحة هذا المذهب ما ورد<sup>(30)</sup> في بيت الأخطل  
وهو قوله:

**فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها      وحب بها مقتولة حين تقتل<sup>(31)</sup>**

فبها في موضع رفع بـ "حب" وهناك من العلماء من يرى زيادة الباء في الفاعل  
من الشنوذ كالمازني يقول ابن جني: "ونقل عن المازني قوله في قول الشاعر:

**فكفى بنا فضلاً على غيرنا      حب النبي محمد إيانا<sup>(32)</sup>**

وإنما تدخل الباء على الفاعل وهذا شاذ يريد أن معناه كفانا"<sup>(33)</sup>.  
وتزاد الباء في المفعول به كما في قوله تعالى: ﴿... تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ﴾<sup>(34)</sup> يقول ابن  
جني: "وأما قوله تعالى ﴿تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ﴾ فذهب كثير من الناس إلى أن الباء زائدة  
وأن تقديره: تنبت الدهن.. وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة  
وإنما تأويله عندهم -والله أعلم- تنبت ما تنبتة الدهن فيها كما تقول: خرج زيدٌ  
بثيابه أي وثيابه عليه، وركب الأمير بسيفه أي وسيفه معه"<sup>(35)</sup>.  
وقد قال بزيادتها هنا الأخفش<sup>(36)</sup> وأبو جعفر النحاس<sup>(37)</sup>.

أما المالقي فقد ذكر لهذه الباء الواردة في هذه الآية وجهين من الإعراب  
قائلاً: "يحتمل أن تكون الباء زائدة ويكون التقدير: تنبت الدهن أي تخرجه  
ويحتمل أن تكون الباء باء الحال كأنه قال: تنبت شجرتها والدهن فيها"<sup>(38)</sup>  
ومن قبيل الزيادة في المفعول به قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(39)</sup>  
إذ التقدير في هذه الآية حسب ما ذكره ابن جني<sup>(40)</sup> والأخفش<sup>(41)</sup> والنحاس<sup>(42)</sup>  
-والله أعلم- ولا تلفوا أيديكم فالباء زائدة نحو زيادتها في قوله "تنبت بالدهن"  
وقال بهذه الزيادة من المفسرين القرطبي<sup>(43)</sup> والزمخشري<sup>(44)</sup> وابن عاشور<sup>(45)</sup>.  
ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾<sup>(46)</sup> يقول القرطبي: "الباء في  
"بالحداد" زائدة كزيادتها في قوله تعالى: "تنبت بالدهن"<sup>(47)</sup>، وقد علل ابن  
عاشور لزيادة الباء هنا بأنها زائدة للتوكيد مثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا  
بِرُءُوسِكُمْ﴾<sup>(48)</sup> أي من يرد إلحاداً وبعداً عن الحق.. نذقه<sup>(49)</sup>.

وقد كان للفراء تأويل آخر لدخول الباء هنا قال: "دخلت الباء في "بالحداد"  
لأن تأويله من يُرد بأن يلحد فيه بظلم ودخول الباء في (أن) أسهل منه في

#### د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

الإلحاد وما أشبهه لأن (أن) تظهر الخوافظ معها كثيراً وتكون كالشرط، فاحتملت دخول الخافظ وخروجه لأن الإعراب لا يتبين فيها<sup>(50)</sup>.

ومنه قوله تعالى: **وَهَزِي إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ** <sup>(51)</sup> إذ التقدير - والله أعلم - وهزي إليك جذع النخلة، وقد قال بزيادة الباء هنا الأخفش<sup>(52)</sup> وتبعه في هذا من المتأخرين ابن عاشور<sup>(53)</sup> إلا أن الأخفش جوز للآية معنى آخر إذ قال: "ويجوز أن تكون على معنى هزي رطباً بجذع النخلة"<sup>(54)</sup>.

ومن قبيل زيادة الباء قوله تعالى: **فَلْيُمْدِدْ رَبِّسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ** <sup>(55)</sup> إذ التقدير - والله أعلم - فليمدد سبباً إلى السماء. كما تزداد الباء في الجملة الاسمية كالمبتدأ والخبر وما أصله كذلك ومن موضع زيادتها في المبتدأ قول العرب: بحسبك قولُ السوء<sup>(56)</sup>، وقولهم: بحسبك درهمٌ وخرجت فإذا بزید ومنه عند سيبويه<sup>(57)</sup> قوله تعالى: **إِنَّمَا يَكُمُ الْمَقْتُونُ** <sup>(58)</sup>.

ونسب ابن هشام إلى أبي الحسن الأخفش قوله في تفسير هذه الآية "بأيكم متعلق باستقرار محذوف مُخبر به عن المفتون ثم اختلف فقيل: المفتون مصدر بمعنى الفتنة وقيل الباء ظرفية أي في أي طائفة منكم المفتون"<sup>(59)</sup>. وهناك من العلماء من يرى أن الباء في قولهم: "بحسبك زيد" زائدة على الخبر المقدم لا على المبتدأ كابن مالك يقول ابن هشام: "قال ابن مالك في (بحسبك زيد) أن زيداً مبتدأ مؤخر لأنه معرفة وحسب نكرة"<sup>(60)</sup>.

وتزداد الباء في خبر المبتدأ كما في قوله تعالى: **جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا** <sup>(61)</sup> وقد جوز ذلك أبو الحسن الأخفش<sup>(62)</sup> وابن جني<sup>(63)</sup>، وقد علل هذا الأخير المبتدأ لمضارعه الفاعل فاحتاج المبتدأ إليه كما احتاج الفعل إلى فاعله"<sup>(64)</sup>.

وتزداد فيما أصله مبتدأ كاسم ليس بشرط أن يتأخر إلى موضع الخبر<sup>(65)</sup> كقراءة بعضهم: "ليس البربان تولوا" بنصب البر<sup>(66)</sup> وقد علل ابن عاشور لزيادة الباء في قوله تعالى **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا** <sup>(67)</sup> بقوله: "وجرّ (بأن تأتوا) بالباء الزائدة لتأكيد النفي بليس"<sup>(68)</sup>.

وتزداد الباء فيما أصله خبرٌ كخبر (ما) كما في قوله تعالى: **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ** <sup>(69)</sup>.

يقول أبو جعفر النحاس في تفسير هذه الآية قوله: "بغافل" في موضع نصب على لغة أهل الحجاز والباء توكيد"<sup>(70)</sup> أمّا ابن هشام فقد ذكر للمجرور هنا

### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

"بغافل" وجهين من الإعراب قال: "إن المجرور في موضع نصب أو رفع على الحجازية والتميمية والصواب الأولى لأن الخبر بعد "ما" لم يجئ في التنزيل موحداً من الباء إلا وهو منصوب"<sup>(71)</sup>.

وما ورد مشابهاً لهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(72)</sup> إذ التقدير – والله أعلم- "وما هم مؤمنين" وقوله تعالى: ﴿مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّعَبِيدٍ﴾<sup>(73)</sup> أي : وما ربك ظلاماً للعبيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا﴾<sup>(74)</sup> أي وما أنت مؤمناً لنا ومن باب زيادة الباء<sup>(75)</sup> أيضاً قول الشاعر:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل<sup>(76)</sup>  
كما تزداد الباء في خبر (ليس) المنفي كقوله تعالى: ﴿لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾<sup>(77)</sup>  
أي ألسْتُ رَبِّكُمْ، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾<sup>(78)</sup> أي أليس الله كافياً عبده.

وإذا كان خبر ليس موجباً أي مثبتاً لم تدخل نحو ليس زيدا إلا قائماً وما زيد إلا قائماً<sup>(79)</sup>، ومعنى هذا أنها تختص بالخبر المنفي.

وفي هذا يقول أبو حيان: "ولا يطرد زيادة الباء على قول لجمهور إلا في خبر (ليس) و (ما) مما أجمعوا عليه إذا كان منفياً ليس في باب الاستثناء وعلى ما وقع فيه الاختلاف، وأما الخبر المنفي بعد (ما) في لغة بني تميم فذهب ابن السراج والفارسي في أحد قوليه وتبعهما الزمخشري إلا أنه لا يجوز دخول الباء عليه والصحيح جواز ذلك وهو كثيراً جداً في نثرهم ونظمهم ونص على ذلك سيبويه والفراء على أن أهل نجد يجرون الخبر بالباء كثيراً فإذا اسقطوا الباء وفقوا"<sup>(80)</sup>

ويرى السيوطي أن فائدة الزيادة في خبر ليس وما المنفي دفع توهم أن الكلام موجب لاحتتمال أن السامع لم يسمع النفي أول الكلام فيتوهمه موجباً فإذا جيء بالباء ارتفع التوهم<sup>(81)</sup>.

### 2-زيادة (من) الجارة:

تزداد (من) بكسر الميم وسكون النون في الكلام أحياناً لإضفاء معنى جديد عليه وهو التوكيد؛ إلا إن هذا الحرف لم يفقد وظيفته اللفظية وهي الجر وهو ما ذكره سيبويه ومن جاء بعده من العلماء، يقول سيبويه:

#### د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

"وقد تدخل (من) في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً ولكنها توكيداً بمنزلة (ما) إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة وذلك قولك ما أنتي من رجل وما رأيت من أحدٍ لو أخرجت (من) كان الكلام حسناً ولكنه أكد بـ (من)"<sup>(82)</sup>، في حين نجد المبرد يضطرب رأيه فيها فمرة يراها زائدة ومرة غير ذلك يقول المبرد: "وأما قولهم: إنها زائدة فليست أرى هذا كما قالوا وذلك أن كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى فإنما حدثت لذلك المعنى وليست زائدة فذلك قولك: ما جاءني من أحدٍ، وما رأيت من رجلٍ فذكروا أنها زائدة وإن المعنى: ما رأيت رجلاً وما جاءني أحدٌ، وليس كما قالوا وذلك لأنها إذا لم تدخل جاز أن يقع النفي بواحدٍ دون سائر جنسه تقولك ما جاءني رجلٌ وما جاءني عبد الله إنما نفيت مجيء واحدٍ وإذا قلت ما جاءني من رجلٍ فقد نفيت الجنس كله ألا ترى أنك لو قلت: ما جاءني من عبد الله لم يجز لأن عبد الله معرفة فإنما موضعه موضع واحدٍ"<sup>(83)</sup>.

في حين نرى المبرد في موضعين آخرين من كتابه يصرح بزيادتها إذ يقول: "وأما الزائدة التي دخولها في الكلام كسقوطها قولك: ما جاءني من أحدٍ، وما كلمت من أحدٍ فهذا موضع زيادتها إلا أنه دلّلت فيه على أنه للنكرات دون المعارف"<sup>(84)</sup>.

وقال في موضع آخر من كتابه وفي باب مالا يكون الاستثناء فيه إذا أبدل إلا على الموضع لامتناع اللفظ فيه: "وذلك قولك: ما جاءني من أحدٍ إلا زيدٌ على البديل لأن (من) زائدة وإنما تزداد في النفي ولا تقع في الإيجاب زائدة لأن المنفي المنكور يقع واحده في معنى الجميع، فتدخل (من) لإبانة هذا المعنى وذلك قولك: ما جاءني رجلٌ فيجوز أن تعني رجلاً واحداً وتقع المعرفة في هذا الموضع تقول: ما جاءني عبد الله فإذا قلت: ما جاءني من رجلٍ لم يقع ذلك إلا للجنس كله ولو وضعت في موضع هذا المنكور معروفاً لم يجز لو قلت: ما جاءني من عبد الله كان محالاً لأنه معروفٌ بعينه فلا يشيع في الجنس"<sup>(85)</sup>.

وقد استدل المبرد في موضع آخر على زيادة (من) بقوله تعالى: ﴿أَنْ يُزَلَّ عَلَیْكُمْ مِنْ خَیْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(86)</sup> وعلاق بعد هذه الآية بقوله: "إنما هو خبرٌ ولكنها توكيدٌ"<sup>(87)</sup> وهي مختصة بالنكرات لا المعارف وأن (من) لم تغير المعنى وإن غيرت اللفظ<sup>(88)</sup>.

### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

وحسب ما ذكره المبرد فإنه يشترط لزيادتها أن يتقدمها نفي وإن يكون ما بعدها نكرة.

وقد استحسّن أبو حيان هذا التقدير الذي ذكره المبرد بحجة أنّ له نظائر في لسان العرب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمْ يَرْوَاهُ اللَّهُ الْبَاءُ﴾<sup>(90)</sup> فلما تقدم النفي حسن دخول الباء<sup>(90)</sup> وممن قالوا زيادة (من) لتأكيد النفي وأن دخولها كخروجها ابن السراج وقد مثل لها بقوله: "ومن ذلك ما من رجل في الدار دخلت (من) لتبيين أن الجنس كله منفي" وأنه لم يرد القائل أن ينفي رجلاً واحداً وحق أنه لا يكون عاملاً ولا معمولاً حتى يلغى من الجميع وأن يكون دخوله كخروجه لا يحدث معنى غير التأكيد<sup>(91)</sup> وهو أيضاً ما ذكره ابن جني<sup>(92)</sup>.

ومن قبيل زيادة (من) قوله تعالى: ﴿خَرَجْنَا مِمَّا نَتَّبِثُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾<sup>(93)</sup> إذ التقدير - والله أعلم - يخرج لنا ما تنبت الأرض ولكن بعض علماء اللغة كالأخفش مثلاً يرى في هذه الآية وجهين من الإعراب إذ يقول: "وأما قوله "يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقْلِها وقثائها" فدخلت فيه (من) كنحو ما تقول في الكلام أهل البصرة يأكلون من البُر والشعير وتقول: ذهبت فأصبت من الطعام، تريد (شيئاً) ولم تذكر (الشيء) كذلك "يحدد لنا مما تنبت الأرض" شيئاً ولم يذكر (الشيء) وإن شئت جعلته على قولك: ما رأيث من أحدٍ تريد: ما رأيث أحداً وهل جاءك من رجلٍ، تريد: هل جاءك رجلٌ"<sup>(94)</sup> والقول في زيادة (من) فيه تفصيل كثير حيث ذكر ابن هشام أنها تزداد لتوكيد العموم واشترط لزيادتها ثلاثة أمور: إحداهما: تقدم النفي أو النهي أو الاستفهام بهل نحو قوله تعالى: ﴿مَا تَسْقُطُ مَنُورَةٌ إِلَّا يُعَلِّمُهَا﴾<sup>(95)</sup> وقوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾<sup>(96)</sup> والثاني: تنكير مجرورها والثالث كونه فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ<sup>(97)</sup>.

إذ التقدير - والله أعلم - حسب ما ورد في الآيات السابقة وما تسقط ورقة إلا يعلمها، وقد وردت (من) مزبدة في الفاعل. وما ترى في خلق الرحمن تفاوتاً وقد وردت مزبدة في المفعول به. فارجع البصر هل ترى فطوراً وقد زيدت في المفعول به كذلك.

### د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

ومن قبيل زيادتها في المبتدأ قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾<sup>(98)</sup> إذ التقدير -والله أعلم- هل خالق غير الله.

وعلى رأي مَنْ لا يشترط لزيادة (من) وقوعها بعد نفي أو نهى فإن (من) الواردة في قوله تعالى: ﴿... نُبِّئَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(99)</sup> مزيدة إما للتوكيد وإما مزيدة للتبويض أي نذقه عذاباً من عذابٍ عظيم<sup>(100)</sup>.

### 3-زيادة (ما):

أورد سيبويه في باب الذي جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى قائلاً: "وإما قوله عز وجل: ﴿فَبِمَا نَفْسِهِمْ مَيِّتًا فَاقْتُلِهِمْ﴾<sup>(101)</sup> فإنما جاء لأنه ليس لـ (ما) معنى سوى ما كان قبل أن تجيء إلا التوكيد"<sup>(102)</sup> والمبرد لم يخرج عن هذا المعنى الذي ذكره سيبويه عندما تكلم عن (ما) الواردة في هذه الآية حيث قال: "هي زائدة مؤكدة لا يخل طرحها بالمعنى"<sup>(103)</sup>، وقال في موضع آخر: "إن (ما) تكون زائدة للتوكيد فلا يتغير الكلام بها في عمل ولا معنى"<sup>(104)</sup>.

أما أبو إسحاق الزجاج فيقول: "إن (ما) تكون زائدة في موضعين أحد الموضعين لا تخل فيه بإعراب ولا بمعنى كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(105)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَفْسِهِمْ مَيِّتًا فَاقْتُلِهِمْ﴾<sup>(106)</sup>.

والموضع الآخر: تغير الإعراب كقولك: إن زيداً قائمٌ ثم تقول: إنما زيدٌ قائمٌ فتغير الإعراب بدخولها<sup>(107)</sup>، ومن هذا الموضع قوله تعالى: ﴿ثَمَّ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(108)</sup> وقوله تعالى: ﴿ثَمَّ يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(109)</sup> ومما وردت فيه (ما) زائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَوْقَهَا﴾<sup>(110)</sup> وللعلماء في إعرابها عدة وجوه: يقول الزجاج: "إن أوجه الإعراب فيها أن تكون (ما) زائدة مؤكدة كأنه قال: "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة، وما زائدة مؤكدة... ويجوز أن تكون (ما) نكرة فيكون المعنى: إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضة فما فوقها"<sup>(111)</sup>

وممن قاله زيادتها أيضاً أبو الحسن الأخفش ويضيف لها وجهاً إعرابياً آخر يقول: "وناسٌ من بني تميم يقولون (مثلاً ما بعوضة) يجعلون (ما) بمنزلة الذي ويضمرون (هو) كأنهم قالوا: لا يستحي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضة"<sup>(112)</sup>

### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

وقد قال بزيادتها أيضاً المفسرون كالقرطبي<sup>(113)</sup> وابن عاشور<sup>(114)</sup> وذهب بعض العلماء إلى تفصيل القول فيها كابن هشام حيث يقول<sup>(115)</sup>:

"إن (ما) الزائدة نوعان كافة وغير كافة فالكافة ثلاثة أنواع أحدهما: الكافة عن محل الرفع ولا تتصل إلا بثلاثة أفعال: قلّ- كثر- طالما والثانية الكافة عن عمل النصب والرفع وهي المتصلة بإنّ وأخواتها نحو (إنما الله آله واحد) "كأنما يساقون إلى الموت" والثالثة: الكافة عن عمل الجر وتتصل بأحرف وظروف فالأحرف أحدها: رَبُّ وأكثر ما تدخل حينئذ على الماضي وغير الكافة تزداد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾<sup>(116)</sup> وأيضاً ﴿وَمَا تَخَافَنَّ﴾<sup>(117)</sup> أو غير جازمة نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ آتَا مَا جَاءُوهَا﴾<sup>(118)</sup> وبين المتبوع وتابعه في نحو قوله تعالى: ﴿مَدَّأَلَا مَا بَعُوضَةٌ﴾<sup>(119)</sup>.

4-زيادة (أَنْ) بفتح الهمزة وتخفيف النون:

تزداد (أَنْ) كسائر الحروف السابقة توكيداً وهو ما ذكره لنا علماء اللغة كالمبرد ومن جاء بعده من المتأخرين كابن هشام يقول المبرد: "وتقع أَنْ زائدة توكيداً كقوله: لَمَّا أَنْ جَاءَ وَذَهَبْتُ وَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ فَعَلْتُ لَفَعَلْتُ فَإِنْ حَذَفْتَ لَمْ تَخْلُ بِالْمَعْنَى"<sup>(120)</sup>.

ويقول ابن هشام إنه لا معنى لأَنْ الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد<sup>(121)</sup> وقد حدّد مواضع زيادتها في أربعة<sup>(122)</sup> وهي:

أن تقع بعد (لَمَّا) التوقيتية نحو قوله تعالى: ﴿لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾<sup>(123)</sup> وقوله تعالى: ﴿لَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾<sup>(124)</sup> وأن تقع بعد (لَوْ) مثل قوله تعالى: ﴿أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾<sup>(125)</sup>، وأن تقع بعد الكاف ومخفوظها كقول الشاعر:

ويوماً تُوافينا بوجهٍ مقسّم  
السَّلْم<sup>(126)</sup>

وأن تقع بعد (إذا) كقول الشاعر:

فأمهله حتى إذا أَنْ كآته  
مُعَاطَى يد في لجة الماء غاير<sup>(127)</sup>

### 5-زيادة الكاف:

الكاف قد تقع زائدة توكيداً ومن موقع هذه الزيادة يقول المبرد في باب ما يقع في الاستثناء من غير نوع المذكور قبله: "الكاف زائدة مؤكدة كتوكيدها في قول

#### د . عمارة احمد الميساوي أبوزيد

الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(128)</sup> ويضيف قائلاً: "وأما الكاف الزائدة فمعناها التشبيه نحو: عبد الله كزيد وإنما معناه: مثل زيد وما أنت كخالد"<sup>(129)</sup> ويرى ابن جني في هذه الآية أنّ الكاف الزائدة المؤكدة هي بمنزلة الباء في خبر ليس وما ومنه قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(130)</sup> وقد قدر الآية بـ (ليس مثله شيء) فلا بُدَّ من زيادة الكاف عنده هنا ليصح المعنى لأدّك إن لم تقتصد ذلك أثبتت له عز اسمه مثلاً فزعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيء فيفسد هذا المعنى عنده من وجهين: أحدهما بما فيه من إثبات المثل له عز اسمه وعلا علواً عظيماً والآخر: أن الشيء إذا أثبتت له مثلاً فهو مثل مثله لأن الشيء إذا ماثله شيء فهو أيضاً مماثل لما ماثله وهذا كله يؤكد أن الكاف في (كمثله) لا بد أن تكون زائدة"<sup>(131)</sup>.

وقد قال بهذه الزيادة أيضاً المالقي وقد علل لهذه الزيادة بقوله: "لاستغناء الكلام عنها للتأكيد لأن معناها معنى مثل وهي عنده لا تعلق بشيء وإدّما خفضت بالتشبيه بغير الزائدة"<sup>(132)</sup>.

وهو أيضاً ما ذكره لنا ابن هشام عن أكثر العلماء ممن قالوا بزيادتها في هذه الآية حيث قال: "قال الأكثرون: التقدير ليس شيء مثله فيلزم المحال وهو إثبات المثل، وإنما زيدت لتوكيد المثل لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً"<sup>(133)</sup>.

ولابن عاشور تعليل لطيف لزيادة الكاف هنا حيث قال: "إن كاف التشبيه أقحمت على (مثل) وهي بمعناه لأن معنى المثل هو التشبيه فالكاف هذه تأكيد لمعنى مثل وهو من التأكيد اللفظي باللفظ المراد من غير جنسه"<sup>(134)</sup> والكاف في كل موضع تقع فيه زائدة لا تكون إلاّ جارة شأنها شأن بقية حروف الجر الزوائد"<sup>(135)</sup>.

أمّا الزمخشري فقد جعل للكاف في هذه الآية وجهاً آخر وهو عدم الزيادة وأن التقدير عنده ليس شبيهه مثله شيء والمراد ليس شبه ذاته شيء فأثبت لذات الله تعالى مثلاً ثم نفى عن ذلك المثل أن يكون له مماثل كناية عن نفي المماثل لذاته تعالى أي بطريق لازم اللازم لأنه إذا نفى المثل عن مثله فقد انتفى المثل عنه إذ لو كان له مثل لما استقام قولك: ليس شيء مثل مثله"<sup>(136)</sup>.



### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

ويرى بعض العلماء أن الزائد هنا هو (مئ) وقد زيدت لتفصل بين الكاف والضمير قياساً على زيادتها في قوله تعالى: ﴿بِإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ (137) أي بما آمنتم به (138).

### النتائج :

من خلال رحلتي في هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج من أهمها:

1. إن قضية الزيادة في الحروف أثارت جدلاً كبيراً وواسعاً بين العلماء النحويين والمفسرين بين مؤيد ورافض وبخاصة في ما يتعلق بكتاب الله العزيز.

1. إن الحكم بزيادة بعض الحروف له أثر دلالي كبير على سياق النص كالتوكيد مثلاً إضافة إلى ما فيه من لطائف بلاغية أخرى لا يدرك كنهها وحقيقتها إلا من كانت له دراية بأسرار اللغة. ومن الحروف المزبدة: الباء الجارة ومن الجارة وما وكاف التشبيه وأن المصدرية الناصبة.

2. إن زيادة الحروف قد تطرأ على الجملة الفعلية فتطال الفاعل والمفعول به وقد تطرأ على الجملة الاسمية فتطال المبتدأ والخبر وغير ذلك كما ظهر من خلال البحث.

3. إن النحاة والمفسرين هم أدرى الناس بأسرار اللغة وكنهها فعندما قضاوا بزيادة بعض الحروف في لغة العرب شعراً ونثراً وفي ما نزل بها فإنهم يقصدون - كما ظهر من خلال آرائهم وتحليلاتهم - الزيادة من حيث الإعراب فقط ولا يقصدون بهذا التقليل من قيمة كتاب الله العزيز والانتقاص من قدره فهو محفوظ من كل تغيير وتبديل لأنهم يدركون ما في هذه الزيادة من معانٍ إضافية لا تتوافر بدون زيادة هذه الحروف وما وجدت هذه الحروف المزبدة إلا لخدمة المعنى.

4. إن نزول القرآن مطابقاً للغة العرب وللأساليب العربية لهو تشريف عظيم حظيت به هذه اللغة لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ فدقة لغته وسلامة تراكيبه ودقة معانيه ودلالاته وبلاغة عباراته هي ما أكسبته خاصية الإعجاز.

هوامش البحث:

- (1) لسان العرب لابن منظور، 445/4 مادة (زيد).
- (2) شرح المفصل لابن يعيش، 128/8
- (3) المصدر السابق والصفحة نفسها.
- (4) الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، 220/1.
- (5) المصدر السابق نفسه، 220/1.
- (6) شرح الرضي على الكافية، 357/2.
- (7) شرح المفصل لابن يعيش، 128/8.
- (8) البرهان في علوم القرآن للزركشي، 270/3.
- (9) البرهان في علوم القرآن للزركشي، 271-270/3.
- (10) سورة الرعد 43/13؛ وسورة النساء، 79/4؛ وسورة الفتح، 48/48.
- (11) كتاب سيويه، 92/1؛ وينظر الأشباه والنظائر للسيوطي، 245/2.
- (12) المقتضب للمبرد، 4/.
- (13) كتاب سيويه، 92/1
- (14) سورة النساء، 81/4.
- (15) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 217/4.
- (16) المرجع السابق نفسه، 151/3.
- (17) إعراب القرآن للنحاس، 226/2.
- (18) مغني اللبيب، 180/1-181؛ وينظر: رصف المباني للمالقي، ص 225، 226.
- (19) سورة الأحزاب، 25/33.
- (20) سورة البقرة، 137/2.
- (21) مغني اللبيب، المرجع السابق، 180/1-181.
- (22) ديوان المتنبي، ص 284.
- (23) سورة النساء، 79/4.
- (24) ارتشاف الضرب لأبي حيان، 113/2.
- (25) سورة الأنبياء، 47/21.

## الأثر الدلالي للحروف المزبدة

- (26) لم أعر له على قائل
- (27) سر صناعة الإعراب لابن جني، 142/1.
- (28) المصدر نفسه، 142/1.
- (29) سورة الأحزاب، 25/33.
- (30) سر صناعة الإعراب، 142-198/1.
- (31) البيت من شواهد ابن عقيل، 79/3.
- (32) لم أعر على ديوانه.
- (33) سر صناعة الإعراب، 138/1.
- (34) سورة المؤمنون، 20/23.
- (35) سر صناعة الإعراب، 134/1.
- (36) معاني القرآن للأخفش، 172/1.
- (37) إعراب القرآن للنحاس، 97/1.
- (38) رصف المباني للمالقي، ص 228-229.
- (39) سورة البقرة، 195/2.
- (40) سر صناعة الإعراب لابن جني، 136/1.
- (41) معاني القرآن للأخفش، 172/1.
- (42) إعراب القرآن للنحاس، 97/1.
- (43) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 16.
- (44) تفسير الكشاف للزمخشري، 216/1.
- (45) تفسير التحرير والتنوير، 214-213/2.
- (46) سورة الحج، 25/22.
- (47) تفسير القرطبي، 36-35/16.
- (48) سورة المائدة، 6/5.
- (49) تفسير التحرير والتنوير، 239/8.
- (50) معاني القرآن للفراء، 223/2.
- (51) سورة مريم، 25/19.

د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

- (52) معاني القرآن للأخفش 440/2 .  
(53) تفسير التحرير والتنوير، 213/2-214 .  
(54) معاني القرآن للأخفش، 440/2 .  
(55) سورة الحج، 15/22  
(56) معاني القرآن للأخفش، 372/1  
(57) كتاب سيبويه، 293/2؛ وينظر: مغني اللبيب، 186/1؛ ارتشاف الضرب لأبي حيان، 113/2؛ وشرح ابن عقيل، 95/1 .  
(58) سورة القلم، 6/68 .  
(59) مغني اللبيب، 186/1-187  
(60) المصدر السابق نفسه، 187/1 .  
(61) سورة يونس، 27/10  
(62) معاني القرآن للأخفش، 372/1 .  
(63) سر صناعة الإعراب، 143/1 .  
(64) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها .  
(65) حاشية الدسوقي، 298/1 .  
(66) سورة البقرة، 177/2 .  
(67) سورة البقرة، 189/2 .  
(68) تفسير التحرير والتنوير، 198/2 .  
(69) سورة البقرة، 74/2، 85، 140 .  
(70) إعراب القرآن للنحاس، 62/1 .  
(71) حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، 323/3 .  
(72) سورة البقرة، 8/2 .  
(73) سورة آل عمران، ص 182 .  
(74) سورة يوسف، 17/12 .  
(75) سر صناعة الإعراب لابن جني، 136/1 .  
(76) هذا البيت من الشواهد التي لا يُعرف قائلها .

## الأثر الدلالي للحروف المزبدة

- (77) سورة الأعراف، 172/7.
- (78) سورة الزمر، 36/39.
- (79) ارتشاف الضرب لأبي حيان، 113/2.
- (80) المصدر السابق نفسه، 117/2.
- (81) همع الهوامع للسيوطي، 127/1.
- (82) كتاب سيبويه، 307/2.
- (83) المقتضب للمبرد، 45/1.
- (84) المصدر السابق نفسه، 452/4.
- (85) المصدر نفسه، 420/4.
- (86) سورة البقرة، 105/2.
- (87) المقتضب، للمبرد، 138-137/4.
- (88) المصدر السابق نفسه، والصفحات نفسها.
- (89) سورة الأحقاف، 33/46.
- (90) البحر المحيط لأبي حيان، 340/1.
- (91) الأصول في النحو لابن السراج، 260-258/1.
- (92) اللمع لابن جني، 73/1.
- (93) سورة البقرة، 61/2.
- (94) معاني القرآن للأخفش، 61/1.
- (95) سورة الأنعام، 59/6.
- (96) سورة الملك، 3/67.
- (97) مغني اللبيب، 524-522/1.
- (98) سورة فاطر، 3/35.
- (99) سورة الحج، 23/22.
- (100) تفسير التحرير والتنوير، 239/8.
- (101) سورة النساء، 155/45، وسورة المائدة، 13/5.
- (102) كتاب سيبويه، 239/3 – 83/1.

د . عمارة امحمد الميساوي أبوزيد

- (103) المقضب للمبرد، 383/2  
(104) المصدر السابق نفسه، 48/2.  
(105) سورة آل عمران، 159/3.  
(106) سورة النساء، 155/4.  
(107) حروف المعاني للزجاج، 54/1، وينظر شرح ملحة الإعراب  
للحريري، ص 216.  
(108) سورة الحجرات 10/49  
(109) سورة فاطر، 28/35.  
(110) سورة البقرة، 26/2.  
(111) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 104-103/1.  
(112) معاني القرآن للأخفش، 95/1.  
(113) الجامع لأحكام القرآن وإعرابه للزجاج، 104-103/1.  
(114) تفسير التحرير والتنوير، 362/1.  
(115) مغني اللبيب لابن هشام، 509-498/1 بتصريف قليل.  
(116) سورة النساء، 78/4.  
(117) سورة الأنفال، 58/8.  
(118) سورة فصلت، 20/41.  
(119) سورة البقرة، 26/2.  
(120) المقتضب المبرد، 49/1، 362/2.  
(121) مغني اللبيب، 66/1.  
(122) المصدر السابق نفسه، 65/1.  
(123) سورة العنكبوت، 33/29.  
(124) سورة يوسف، 96/12.  
(125) سورة الجن، 104/20.  
(126) هذا البيت من شواهد ابن هشام الانصاري في مغني اللبيب، 64/1. ولم  
أعثر له على قائل.

### الأثر الدلالي للحروف المزبدة

- (127) البيت من شواهد ابن هشام الانصاري في مغني اللبيب، 64/1. ولم ينسبه إلى قائل معين ولم نعثر له على قائل.
- (128) سورة الشورى، 11/421
- (129) المقتضب للمبرد، 418/4 - 140/4
- (130) سورة الشورى، 11/42.
- (131) سر صناعة الإعراب لابن جني، 291/1، واللمع لابن جني، 75/1؛ وينظر حاشية الصبّان، 337/2.
- (132) رصف المباني للمالقي، ص 159-260.
- (133) مغني اللبيب، 304/1.
- (134) تفسير التحرير والتنوير، 46/12.
- (135) سر صناعة الإعراب لابن جني، 295/1-296.
- (136) الكشاف للزمخشري، 127/4، وينظر: التحرير والتنوير، 46/12.
- (137) سورة البقرة، 137/2.
- (138) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، 304/1.

## المضامين النقدية في حماستي أبي تمام

د. شعبان حسن غالي

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - الزاوية

تفتخر الأمم بتجربها الشعرية الأولى التي يكسبها الزمن نكهة أدبية ويمنحها ديمومة البقاء، بوصفها التجربة العريقة فناً في حياة الأمة، والوجه الأصيل لفكرها الأدبي، ورصيدها الحضاري في حقبة مهمة من وجودها الشعري حيث تصير تلك التجربة مع احتفاظها بخصوصيتها وسماتها الأدبية والفنية روح التراث القومي فكراً وموقفاً يجسده الاعتزاز والإعجاب بها مظهراً حضارياً يغني تجارب الشعوب الأخرى بما له من أصالة وجودة، وبعد قومي إنساني يتجلى في مضمون التجربة الشعرية، وفي واقعيتها، وصدق مشاعرها ومن هنا صارت القصيدة العربية القديمة في العصر الجاهلي مصدر التراث الشعري في الفكر الأدبي والنقدي عند العرب، وصار الاهتمام بها رواية وتدويناً وشرحاً وتحليلاً وتقويماً نقدياً وفنياً من أبرز السمات الحضارية التي تميزت بها العصور الأدبية التي تلت انبلاج الإسلام وصولاً إلى العصر الحديث بوصف القصيدة الأنموذج الأدبي الذي يمثل الاستعداد العقلي والجمالي للشعر العربي كياناً عربياً وإنسانياً، (( فالعناصر الجمالية والتاريخية والاتساع الرائع في معارفنا المادية وأقوالنا... لا يكون جوهر الحضارة<sup>(1)</sup> )) وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد، تلك الظواهر التي تمثل التجربة الشعرية ركناً أساسياً من أركانها من خلال قدرتها الأدبية التي تحدث بالضرورة تطوراً مهماً في مشاعر العصر وأحاسيسه الذي تعيش فيها تلك التجربة التي تسمو في بعض مضامينها الأدبية والنقدية لتعانق تجارب الشعوب الأخرى، ومن حيث البعد المكاني فإنك لا تستطيع (( أن تفهم تاريخ بلد ما إذا أنت فصلت أراضيها عن خريطة العالم، وضربت صفحاً عن كل ما نشأ خارج حدود هذا البلد بعينه<sup>(2)</sup> )).



#### د. شعبان حسن غالي

وهذا ما يفسر عالمية الأدب في الدراسات الأدبية في العصر الحديث، تلك الدراسات التي تذهب إلى أن فكرة الدراسة الأدبية يجب أن تقوم على سماع الأثر الأدبي لكل شعب من الشعوب في هذه الساحة الأدبية الشاملة المتفتحة. فكلمات الشاعر وقوافيه هي حركة دائبة لا تعرف الاستقرار، إن كانت مرتبطة ببعدها الزماني والمكاني، بيد أنها تبقى حرة في مضمونها (( تحلق دائماً... قارعة أبواب الفردوس بهمس وهدهوء، ناشدة لنفسها حياة خالدة<sup>(3)</sup>)).

فالفكرة العميقة لا يتوصل إليها إل ناقد نو عاطفة عميقة كما يرى بعض الأدباء<sup>(4)</sup> والشاعر في قصيدته هو صاحب الفكرة العميقة ومن هنا، برز الاهتمام بفكرة رواية الشعر وتدوينه وجمعه والتفنن في اختياره وتبويب في الأدب العربي خاصة والآداب العالمية الأخرى عامة، وبرز مع هذه الظاهرة مصطلح أدبي نقدي جديد يُعرف بالانثولوجيا، وقد تُرجم إلى العربية بالمقتطفات، وهي تعني مجموعة من أجمل القطع الشعرية، ويقصد بها ((مجموعة من المختارات الأدبية شعرية كانت أو نثرية<sup>(5)</sup>)) وتُرجم أيضاً بالمنتخبات، وهي تعني قطعاً مختارة من الدواوين الشعرية والمصنفات النثرية كما هو الشأن في " جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري<sup>(6)</sup>، وتُرجمت أيضاً بالمنتقيات لتعني مجموعة من آثار أحد المؤلفين (( تبرز أفضل ما كتبه أو تعبر عن الاتجاه الفكري أو الفني الذي انتحاه في إنتاجه<sup>(7)</sup> )) لذلك يجدها الناقد تمثل أجمل ما في صفحات الأدب القديم أو الحديث وتبرز بجلاء تياً فنياً معيناً.

وتعد المختارات الأدبية اليونانية أو الانثولوجيا الإغريقية أقدم نموذج للاختيارات الشعرية والنثرية في الآداب الأوربية في حين عرف الأدب العربي هذا المصطلح الأدبي منذ عهد مبكر في حياته الحضارية والفكرية، فالشاعر أبو تمام تـ 231 هـ من خلال اختياراته الشعرية المتمثلة في حماسيته الكبرى والصغرى أي ديوان الحماسة والوحشيات، يعد رائداً في هذا الفن الحضاري من فنون النقد والأدب، ولكن ريادته لا تعني أنه أول من صنع الاختيارات الشعرية في الأدب العربي فقد سبقته إلى ذلك محاولات أخرى نهض بأعبائها علماء أفاذ ورواة ثقافت في جمع الشعر العربي القديم، وصنع الاختيارات

## المضامين النقدية في حماستي أبي تمام

الشعرية أو الدواوين منه، لكن أبا تمام يُعد بحقّ – الشاعر الناقد الذي استطاع بحسه النقدي المرفه تبويب معان أظهرت قدرته النقدية وصفاء ذوقه العربي فأسهم بدور واضح في إثراء حركة تطور نقد الشعر ودلالاته المنهجية عند العرب لقد تبنى العلماء في روايتهم للشعر العربي القديم مناهج سليمة تحرص على تسلسل الرواية وصحة الإسناد، فبلغت هذه المناهج العلمية درجة من النضج والاستواء في العصر العباسي وخاصة من القرنين الثاني والثالث الهجريين فظهر تدوين أشعار القبائل وصناعة دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والأمويين، وتصنيف المجموعات لشعرية المختارة التي اعتنى بها النقاد والأدباء واللغويون والنحاة لأنها تضم بين طياتها أكثر من عصر أدبي واحد ولأنها قائمة على مبدأ الانتقاء والجودة والذوق النقدي في حسن الاختيار والتبويب فضلاً عن قيمتها العلمية والتاريخية، فهذه المجموعات الشعرية (( لم تكن في الواقع إلا المدرسة الكبرى التي تخرج فيها الشعراء المحدثون في الشعر العباسي<sup>(8)</sup>)).

ومن خلال الاستقصاء والتقصي لحماستي أبي تمام نجدهما تحتويان على بعض الخصائص والسمات النقدية العامة، لأن تلك الاختيارات الشعرية (( تقوم في الأصل على تحكيم الذوق في العناصر الفنية التي تسرى في داخل قصائدها، إذا ليس مدار الأمر فيها على التتبع والتقصي والاكتفاء بالرصد والتسجيل، بل على اصطفاء الأجل، وانتقاء الأفضل، واختيار الأمثل، وهذا منطلق النقد وأساس الحكم الأدبي<sup>(9)</sup>)).

لقد عرف أبو تمام الشاعر المرفه الحس مذاق هذه الاختيارات التي سبقته زمناً أو تعاصرت معه في بعض الأحيان، فقرأ وحفظ ودون كثيراً من أشعار الشعراء والقبائل، وكتب الاختيارات التي ألقت بدورها حركة علمية ونقدية متميزة في الفكر الأدبي العربي ولعلمنا باستفادة أبي تمام في مضامينه النقدية من كتب الاختيارات التي ألقت فلا بد لنا من إفراد مساحة متواضعة لها في هذا البحث حتى تتضح أهميتها الأدبية والنقدية لكل متأمل فيها، فحماد الرواية المتوفي سنة 158 هـ يُعد من أبرز المدركين لأهمية الشعر وروايته، وقد اشتهر بالمشهورات السبع، وهي قصائد مشهورة لسبعة فحول من الشعراء العرب قبل

#### د. شعبان حسن غالي

الإسلام، وقد غرقت بتسميات مختلفة، فهي المعلقات، والسبع الطوال، وغير ذلك<sup>(10)</sup>، وتعد هذه القصائد على اختلاف تسمياتها من روائع الشعر العربي القديم، ويبدو أن حماداً الراوية قد راعى في اختيار تلك المنتقيات الشعرية أموراً نقدية مهمة منها:

أ- جودتها الشعرية التي تمثل بجلاء البناء الفني العام للقصيدة العربية القديمة.

ب- الانتماءات القبلية، فتلك القصائد المختارة ليست لشعراء ينتمون إلى قبيلة واحدة بل إلى قبائل متنوعة، فامرؤ القيس مثلاً من قبيلة كندة، وزهير بن أبي سلمى من مزينة، وليبيد من بني عامر، وطرفة من بكر، وعنتر من بني عبس وعمرو وابن كلثوم من بني تغلب، والحارث بن جلزة من بني يشكر.

وقد أضاف إليهما ابن النحاس تـ338هـ قصيدتين إحداهما للنابغة الذبياني والأخرى للأعشى، وزاد التبريزي تـ502هـ قصيدة عاشرة لعبيد بن الأبرص ولأهمية هذه المنتقيات من المضمون النقدي فقد أقبل على شرحها بعض علماء اللغة والنحو والأدب؛ لأنها أسهمت في تحقيق شيء من التآلف القبلي الأمر الذي جعلها شائعة أكثر من غيرها في المناظرات وحلقات الدرس ومجالات النقاش والتذوق الأدبي لكونها مثلاً واضحاً لأصالة الشعر العربي القديم، فهي تمثل بجلاء نقاء اللغة العربية وصفاءها قبل أن يدب إليها اللحن، وتتسرب في أوصالها شوائب العجمة والغرابية، فضلاً عن أنها تمثل من خلال شعرائها المشهورين شخصيات أسلوبية مرموقة، فلكل قصيدة مشهورة أو معلقة منها أسلوبها المتميز الذي تنفرد به من حيث الدلالة والتعبير والمضمون النقدي والصورة الشعرية، ومن حيث فضاؤها الشعري ومناخها الفني<sup>(11)</sup>، مع أنها تشترك في الأعم بخصائص موسيقية شعرية عامة، تتجلى بنضج نظامها العروضي المتقن، الملتزم بالقافية الموحدة، والوزن الواحد.

فإذا كانت المعلقات أو المشهورات على الاختلاف في عددها تُعد من عيون الشعر العربي الجاهلي فإن المفضليات لا تقل عنها أهمية أدبية ونقدية، وقد اختارها المفضل الضبي تـ164هـ، وهو عالم كوفي راوية ثقة، وأعلم من ورد على البصريين من غير أهل البصرة كما وصفه ابن سلام الجمحي<sup>(12)</sup>، وتُعد

### المضامين النقدية في حماستي أبي تمام

المفضليات من المجاميع الشعرية الأولى، وتضم بين طياتها قصائد شعرية مختلفة في أطوالها من عيون الشعر العربي، الجاهلي بالدرجة الأولى ثم المخضرم للإسلامي، كما يعدّ شعراؤها من الشعراء الفحول الذين يُشهد لهم بالكفاءة والتميز.

ومن النوحى النقدية القيمة للمفضليات أن قصائدها أثبتت كاملة، فقد أوردها المفضل الضبي كما هي حسب ورودها مسندة وموثقة، معتمداً في اختيارها على ذوقه الأدبي، وحسه النقدي، وحرصه الشديد على الاحتفاظ بهذا التراث الشعري العريق صوتاً له من التثنت والضياع، وقد نشأت المفضليات متميزة بالاختيار الرائد للقصائد الطويلة، أما حماسات أبي تمام فلكونها اختياراً رائداً للمقطعات، يقول المرزوقي تـ421هـ: (( وقضيت العجب كيف وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام، ولا في اختيار المقصّدات أو في مما دونه المفضل<sup>(13)</sup>)).

ومما يعزز رأي المرزوقي السابق ما أشار إليه التبريزي في مقدمة شرح حماسة أبي تمام الكبرى، حيث يقول: (( وأشعارهم كثيرة، والمختار منها ما اختاره أمراء الكلام، وعلماء النظام، ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات، ومن المقطعات الحماسة<sup>(14)</sup>)).

ثم ينتقل بنا الزمن فنجد الأصمعي تـ216هـ يعقد حلقة في سلسلة كتب الاختيارات الشعرية من خلال كتابه الأصمعيات، الذي يُعد مثلاً آخر على هذا النوع من مؤلفات اختيار الشعر العربي القديم، والأمر نفسه ينطبق على جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، وهي اختيار من المجاميع الشعرية لقصائد جاهلية ومخضرمة وإسلامية وأموية، والمتأمل لهذا المجموع الشعري يرى أنه حلقة متطورة في التأليف الاختياري، حيث قسم القرشي جمهرته على أقسام محكمة هي:

المعلقات، والمجمهرات أي القصائد المتينة السبك، والمنتقيات والمذهبات أي القصائد التي تمتاز بجودتها الشعرية، والمراثي، والمشوبات أي القصائد التي شابها الكفر والإسلام وأن شعراءها من المخضرمين، وأخيراً الملحقات أي القصائد المتلاحمة الأجزاء.

#### د. شعبان حسن غالي

ومن المضامين النقدية المتميزة التي تكشف عنها جمهرة أشعار العرب ظهور مسميات جديدة للقصيدة العربية القديمة كالمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والشوبات والملحقات، تضاف إلى تسميات أخرى أشار إليها الأديب الجاحظ<sup>(15)</sup> تـ255هـ، كالمنصفات وهي القصائد((التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم، فيما اصطلوه من حرّ اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم<sup>(16)</sup>)). والحواليات، والمقلدات والمحكمات والموثبات، وهي القصائد التي((تدعو إلى استنهاض الهمم، وإثارة النفوس انتصاراً لحقّ مغتصب، أو شرف مهان، أو كرامة مهدورة<sup>(17)</sup>)) ومن أمثلة الموثبات قول عديّ بن زيد<sup>(18)</sup>:

وسائسُ أمر لم ييسسه أبُّ له

ورائمُ أسبابَ الذي لم يُعوّدَ

فلا تُقصّرَن عن سعي من قد ورثته

وما استطعت من خير لنفسك فأزدد.

إنّ هذه التسميات قريبة من كونها مصطلحات نقدية أغنت اللغة النقدية للشعر العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، حيث سلطت الضوء على دراسة ظواهر شعرية كثيرة كالطبع والصنعة والطبقة والمذهب الشعري، وعمود الشعر، وتبويب كتب الاختيار حسب المعاني والمضامين وهي ظواهر نقدية تمثل تطور الفكر النقدي العربي حضارياً في تلك الحقبة من الزمن.

فإذا كانت المعلقات والمفضليات والاصمعيات وجمهرة أشعار العرب هي كتب اختيارات لقصائد طويلة ومتوسطة وقصيرة قائمة على أساس الذوق الأدبي والجزالة اللغوية والحرص على جمع التراث الشعري العربي على تتابع العصور الأدبية لتدوين اللغة والاستشهاد به على مسائل النحو فإن ظهور حماسة أبي تمام الكبرى والصغرى أي الوحشيات<sup>(19)</sup>، قد أرسيت نهجاً جديداً للاختيار يقوم على تبويب المعاني والأغراض أو الموضوعات الشعرية التي تمثلها المقطوعات أو المقطوعات المحضنة وليست القصائد لشعراء معروفين ومغمورين أو مقلين، وبذلك عدها نقاد ذلك العصر أنقى اختيار للمقطعات، وقد مهد أبو تمام الرائد في هذا الميدان الأدبي السبيل إلى ظهور اختيارات شعرية

## المضامين النقدية في حماستي أبي تمام

أخرى بعدها كحماسة البحثري تـ284هـ، وحماسة الخالدين تـ371هـ، 380هـ، وتسمى بالأشباه والنظائر، والحماسة الشجرية لابن الشجري تـ542هـ وجمهرة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري تـ622هـ، والحماسة البصرية للبصري تـ658هـ، وحماسة العبيدي من أعيان القرن الثامن الهجري، وتُعرف حماسته بالتذكرة السعدية في الأشعار العربية، وحماسة القرشي النجفي تـ1280هـ.

إن البحث والتأمل في اختيارات أبي تمام الشعرية يفضي إلى أن أسباب الاختيار وشرائطه ومذاهب نقاد الكلام فيه مختلفة ومتعددة الاتجاه والغاية نظراً لاتساع الأفق النقدي، وعمق مداه في تحقيق عملية الاختيار التي تعدُّ بحد ذاتها تجربة نقدية لا تقف عند حدود التمييز للأساليب الشعرية فحسب بل تتعداها إلى ماهية الاختيار ذاته، وخاصة إذا اختص الاختيار بشعراء متقدمين، يختلفون في طرائقهم الشعرية، ومذاهبهم الفنية التي تمثلها قصائدهم الكثيرة والمتباينة في أغراضها، فهناك الاختيار القائم على البحث عن الشاهد الإعرابي والنحوي وذلك غاية النحويين، أو الاختيار القائم على البحث عن الشاهد والمثل وذلك غاية راوية الأخبار كما يقول الأديب الجاحظ<sup>(20)</sup>، والاختيار القائم على تصيد الغريب والمهجور من الألفاظ، والفصيح والصحيح، وذلك غاية اللغويين والمعجميين، والاختيار القائم على الذوق الأدبي والجودة والشهرة الأدبية وذلك غاية النقاد والأدباء كما يظهر في حماسة أبي تمام، والاختيار القائم على تخير الألفاظ الرقيقة والسليمة، (( وجاء ما حرر منها مصفى من كدر العي والخلط ومقوماً من أود اللحن والخطأ، فهذه مناسب المعاني لطلابها، وتلك مناصب الألفاظ لأربابها<sup>(21)</sup> ))، وذلك غاية البلغاء من أصحاب رونق الألفاظ والاختيار القائم على الانسجام بين الشكل والمضمون، المتمثل (( بتتيم المقطع وتلطيف المطلع، وعطف الأواخر على الأوائل، ودلالة الموارد على المصادر، وتناسب الفصول والوصول، وتعادل الأقسام والأوزان، والكشف عن قناع المعنى بلفظٍ هو في الاختيار أولى حتى يطابق المعنى، ويسابق فيه الفهم السمع<sup>(22)</sup> )) وذلك غاية بعض الداعين إلى توافر الوحدة الموضوعية في النص الشعري من النقاد والبلاغيين والاختيار القائم على طلب البديع من الترصيع والتسجيع والطباق والجناس وغيرها من المحسنات البديعية، وذلك غاية أصحاب البديع، والاختيار

#### د. شعبان حسن غالي

القائم على طلب المعاني المعجبة، والجزلة والرائعة المتمثلة بالتشبيه والكتابة والرمز والاستعارة، وذلك غاية أصحاب المعاني من النقاد ومثلهم الأعلى أن الشعر ثلاثة أقسام: (( مثل سائر، وتشبيه نادر، واستعارة قريبة<sup>(23)</sup>)).

إن الاختيار في ضوء هذه الغايات والمقاصد والدلالات نوع من التأليف الأدبي والنقدي لا يستطيع القيام بأعبائه والانتهاه إليه – بوصفه فنا من فنون الأدب – إلا من أدرك الصورة الشعرية البارعة بمعانيها المستترة والبارزة وأمعن التأمل بينائها اللفظي البعيد عن العجمة والاستغلاق وعرف البديع طبقا من طباع خلق تلك الصورة الأدبية ((ونظر وتبحر في أساليب الأدب فتحير<sup>(24)</sup>)).

فإذا توافرت لذلك المتخير الناقد عدته وشحذت قريحته نجده (( لا ينظر إلا بعين البصيرة، ولا يسمع إلا بذنّ النضفة، ولا ينتقد إلا بعين المعدلة، فحكمه الحكم الذي لا يبديل، ونقده النقد الذي لا يُغير<sup>(25)</sup>)).

ذلكم هو الباحث الناقد في الاختيار الذي يعتمد على بصيرة ثاقبة، عميقة الرؤية، يعرف مذاقات القصائد والمقطعات الشعرية، يختار منها ما يختار بعدالة وإنصاف، ومن هنا كان أبو تمام في حماسيته نافداً منصفاً وعادلاً، استطاع بحسه النقدي المرهف من خلال هذه المختارات الشعرية التوكيد على مبدأ الجودة الفنية والذوق الشعري الصافي معياراً نقدياً في الاختيار، فهو شاعر متميز قبل أن يكون لغوياً أو نحوياً أو راوية أو إخبارياً، فجاءت حماسته مبوبتين ومرتبنتين على معاني الشعر قبل شهرة شاعرها، فكان ((يختار ما يختار لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهرته<sup>(26)</sup>)).

فجودة الاختيار عند أبي تمام سمت على قصيدته، فلا غرابة إذا ما قيل فيه ((إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره<sup>(27)</sup>))، وقد أشار إلى براعة أبي تمام وعدالته وإنصافه مع الاختيار القائم على الجودة الفنية والتنكر للغريب، والابتعاد عن الابتذال الباقلاطي تـ403هـ بقوله: (( والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام... تتكب المستنكر الوحشي والمبتذل العامي وأتى بالواسطة، وهذه طريقة من ينصف في الاختيار، و لا يعدل به غرض يخص لأن الذي اختاروا الغريب اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبه على غيرهم

## المضامين النقدية في حماسني أبي تمام

وإظهار التقدم في معرفته وعجز غيرهم عنه، ولم يكن قصدهم جيد الأشعار كشيء يرجع إليها في أنفسها<sup>(28)</sup>). وحين اختار أبو تمام الجودة - حسب قيمتها المعروفة في عصره - معياراً للانتقاء لم يقصرها على عصر شعري دون آخر، بل جعلها مقياساً تتساوى فيه العصور الشعرية العربية كلها، مادامت الجودة قيمة نقدية لا تعرف الحدود الزمنية والمكانية، (( فلم يعتمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه المجيب لكل داعٍ، فكان أمره أقرب، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرميهم وإسلاميهم ومولدهم، واختطف منها الأرواح دون الإشباح واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه<sup>(29)</sup>)).

ويبدو أن حرص أبي تمام على مبدأ الجودة في الاختيار نابع من اقتناع ذاتي عميق بها، فقد قال فيه الحسن بن رعاء: ((ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمة وحديثة من أبي تمام<sup>(30)</sup>))، فحرص أبي تمام على الجودة في شعره كحرصه عليها في مختاراته، وهو المعروف بدأبه الشديد، ورغبته المطلقة في البحث عن الأصل الجيد، كما أشار إلى ذلك المبرد تـ285هـ، بقوله: ((وما أشبه أبا تمام إلا بغائص يخرج الدر<sup>(31)</sup>)).

ومع أن أبا تمام يُعد من الشعراء الخارجين على عمود الشعر حسب رأي الأمدي<sup>(32)</sup> تـ370هـ، لأنه انفرد بمذهب خاص يقوم على العناية بالبديع واختراع المعاني والاستقصاء فيها، والغموض وشدة التكلف، واستكراه الألفاظ، إلا أن معيار الجودة في اختياراته قد تجاوز مذهب الشعري الخاص وطريقته في بناء القصيدة، إذ لا فرق عنده بين الجيد المطبوع والجيد المصنوع، أو الجيد الملتزم بعمود الشعر والجيد الخارج عليه، ومن الأدلة على ذلك ما رواه أبو بكر الصولي تـ335هـ، من أن أبا تمام وهو ينتخب أشعار المحدثين، فمر به شعر محمد بن أبي عيينة المطبوع، فنظر فيه ورمى به، وقال هذا كله مختار<sup>(33)</sup>، وهذا دليل على علم أبي تمام بالشعر، لأن ابن أبي عيينة أبعد الناس شبيهاً به، وذلك لأنه يتكلم بطبعه، ولا يكذب فكره، ويخرج ألفاظه مخرج نفسه، وأبو تمام يتعب نفسه، ويكذب بطبعه، ويطيل فكره ويعمل المعاني



#### د. شعبان حسن غالي

ويستنبطها، ومبدأ الجودة في حماستي أبي تمام لم يولد من حبه وإعجابه وحفظه<sup>(34)</sup>، للشعر العربي القديم فحسب، بل تعداه إلى المحدثين في العصر العباسي لأنه يتذوق الجودة الشعرية ويعشقها، وقد بلغ من إعجاب أبي تمام الشاعر الناقد بالشعر الجيد الرائق إلى أن ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها وهذا يتبين لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها<sup>(35)</sup>.

إن هذا القول لا يدل على أن أبا تمام ليس بثقة في اختياراته بقدر ما يدل على سمو ذوقه ورهافة حسه، وذوق عقله في أنه كان يعرف (( كيف يستخرج من القصيدة أروع ما فيها، فإذا اصطدم حسه بلفظة قلقة، استبدل بها غيرها، حتى يستوفي الكلام عناصر الحسن اللائقة به<sup>(36)</sup>)).

فعمل أبي تمام في التعبير والتبديل ضمان للأجود حيث تتوافر القيمة الفنية الصرفة لا يختلف عن الأجود الذي دعا إليه خلف الأحمر تـ180هـ، وأخذ به الأصمعي وهو الراوية والناقد الذي اعترف بفراسته، وأثبته محمد بن سلام الجمحي تـ231هـ، حين وصف خلفاً بقوله: (( كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدق لساناً<sup>(37)</sup>)).

أما المعيار النقدي الآخر الذي تبناه أبو تمام في حماسيته فهو التصنيف أو التبويب الموضوعي، وهو يُعد رائداً في هذا التبويب القائم على المعاني والأغراض الشعرية، كالمدح والهجاء والنسيب وغيرها، وقد التزم أبو تمام بهذا المبدأ الموضوعي في تبويب حماسيته وقد تبوأ باب الحماسة في هذين الاختيارين الصدارة من حيث عدد الحماسيات أو المقطعات مقارنة مع بقية الأبواب الأخرى، ومن هنا جاءت تسمية هذه الاختيارات الشعرية بالحماسة ويبدو من واقع هذه النصوص الشعرية أن الحماسة فن شعري أصيل في الأدب العربي منحه بعداً واسع المدى ضم أكثر من معنى وغرض ودلالة، فالحماسة عند أبي تمام لا تحصر بمعناها الضيق المحسوس من الكر والفر والحرب ولكنها عنده فن ذو معنى عام يشمل الخصال الحميدة والقيم الأخلاقية التي تقتضيها الفروسية كالنخوة والصبر على المحن والنجدة، والحث على الإقدام وحماية الجار وذكر أيام العرب ووقائعهم والفخر بالنسب فالحماسة عند الناقد

## المضامين النقدية في حماستي أبي تمام

أبي تمام هي ضرب من الأخلاق الرفيعة بكل ما تحمله هذه اللفظة من دلالات تذكر قارئها بمعنى الزهو والتفرد والتميز في المناقب والمفاخر والصفات الحميدة التي مثلتها العصور الشعرية العربية العريقة بأصالتها، والتي صورت فارسها العربي صادحاً بقصائد الفخر في ساحات البطولة وميادين المروءة يتغنى بشرف الأصل والمحتد، ومكارم البذل والعطاء، حتى يخيل للمرء أن العرب ((كانوا شعباً من الشعراء والمقاتلين امتزج عندهم صراع السيف والرمح بصراع الشعر والفكر<sup>(38)</sup>))، فضلاً عن أن أبا تمام يعد رائداً في اختياره لنماذج من شعر النساء، أمثال الخنساء، وصفية الباهلية، وصفية بنت عبد المطلب، وعاتكة بنت عبد المطلب، وفاطمة الخزاعية وغيرهن، وتعد هذه النماذج المختارة ظاهرة جديدة في موضوع الاختيارات حتى عصر أبي تمام. فأبو تمام في اختياراته شاعر ناقد، اختار الجيد الأصيل الذي دلّ على غزارة علمه، وصفاء ذوقه الشعري، وهو رائد في تويب حماسيته تويباً موضوعياً حسب معاني الشعر وأغراضه، وسع من آفاق أغراضه، فطوّر بذلك مصطلح الاختيار شعرياً ونقدياً في الأدب العربي، فلا غرابة إذا ما وقع إجماع معظم النقاد على أن انثولوجيا الحماسة هي أنقى ما جمع من مقطعات، وأنها (( دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره<sup>(39)</sup>)).

وفيما يلي نماذج لبعض المقطعات المختارة التي تدل حقيقة ما سبق ذكره عن أبي تمام الناقد، وهي أمثلة شعرية تبدو بين ثناياها روح الزمان والتراث الشعري العربي الأصيل، فهي قديمة بزمانها، عصرية بلغتها الشعرية الصافية كما أنها جانب تطبيقي عن مبدأ الجودة الفنية الذي تبناه أبو تمام في اختياراته الشعرية

قال الفند الزماني في حرب البوس(40):

مشيناً مشية الليث

غدا والليث غضبان

بضرب فيه توهين

وتخصيص وإقران

وقال جعفر الحارثي<sup>(41)</sup>:

د. شعبان حسن غالي

عجبتُ لمسراها وأني تخلصت  
إلى وباب السجن دوني مغلقُ  
ألمت فحيّت ثم قامت فودّعت  
فلما تولت كادت النفس تزهقُ  
وقال قطري بن الفجاءة<sup>(42)</sup>:  
أقول لها وقد طارت شعاعاً  
من الأبطال ويحك أن تراعي  
فإنك لو سألت بقاء يومٍ  
على الأجل الذي لك لن تطاعي  
فصبراً في مجال الموت صبراً  
فما نيل الخلود بمستطاع

## المضامين النقدية في حماسني أبي تمام

### المصادر:

- 1- فلسفة الحضارة، البرت شفيتز، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة مصر، القاهرة، 1960م ص 3-4.
- 2- الحضارة في الميزان، أرنولد توينبي، ترجمة أمين الشريف، القاهرة، د. ت ص 157.
- 3- الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، يوهان فلفانج، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة، 1944 ص 69.
- 4- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، محمد غنيمي هلال، الطبعة الثانية، القاهرة 1960م ص 232.
- 5- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة مكتبة لبنان، بيروت، 1974 ص 20.
- 6- مسلم بن محمود الشيزري، نسبة إلى قلعة شيزر بالشام وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 525/2، والأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992م، 223/7.
- 7- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت 1979م ص 268.
- 8- مصادر التراث العربي، عمر الدقاق، مكتبة دار الشرق، الطبعة الثالثة، بيروت 1972م، ص 35.
- 9- المصدر نفسه، ص 37.
- 10- يُراجع: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مصدر سابق 46.
- 11- مكانة القصيدة العربية بين النقاد والرواة العرب، عناد غزوان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1967م، ص 97.
- 12- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي شرح محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1974م 23/1.
- 13- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، شرح غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 2002م، 24/1.

**د. شعبان حسن غالي**

- 14- شرح ديوان الحماسة، للتبريزي، شرح غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 2000م، 4/1.
- 15- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1985م، 9/2.
- 16- المنصفات جمع وتحقيق، عبد المعين الملوحي، دمشق، 1967م، ص16.
- 17- الموثبات في الشعر العربي قبل الإسلام، جمع محمد فتاح، كلية الآداب، جامعة بغداد 1981م ص 17.
- 18- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القُرشي، شرح عمر الطباع، دار العلم، بيروت، ص 153.
- 19- تراجع: الموازنة بين الطائيين، للأمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية 1961م، 55/1.
- 20- البيان والتبيين مصدر سابق 34/4.
- 21- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، مصدر سابق 10/1 وفي أدب الإسلام محمد عثمان على 20.
- 22- المصدر نفسه 9/1.
- 23- نفسه 11/1.
- 24- نفسه 14/1.
- 25- نفسه 15/1.
- 26- إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر 1963م، 117.
- 27- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، مصدر سابق 13/1، 14 وكتب الحماسة وقيمها الأدبية والنقدية، شعبان غالي 35.
- 28- أخبار أبي تمام، للصولي، تحقيق خليل محمود شاكر، بغداد، 1983م، 118.
- 29- أخبار البحتري، للصولي، تحقيق صالح الأشر، الطبعة الثانية، دار الفكر دمشق، 1964م، 165.
- 30- يُنظر: الموازنة بين الطائيين، للأمدي مصدر سابق 6/1.
- 31- يُنظر: شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، مصدر سابق، 14/1.

### المضامين النقدية في حماسني أبي تمام

- 32- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي شرح محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1952م 27/1.
- 33- الحماسة في شعر الشريف الرضي محمد جميل، وزارة الإعلام، دار الحرية، بغداد 1974م، 119.
- 34- وفيات الأعيان، لابن خلكان تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت 1969م، 12/2.
- 35- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، مصدر سابق 29/1.
- 36- مصدر سابق 42/1.
- 37- مصدر سابق 101/1.
- 38- نفسه 103/1.
- 39- نفسه 126/1.
- 40- نفسه 130/1.
- 41- نفسه 133/1.
- 42- نفسه 160/1.

د . عبد العالم محمد القريدي

## الفصل والاعتراض في الجملة العربية من خلال شعر الخنساء

د. عبد العالم محمد القريدي  
قسم اللغة العربية  
كلية الآداب - زواره

### مقدمة:

يتناول هذا البحث (الفصل والاعتراض في الجملة العربية من خلال شعر الخنساء) دراسة أنواع المتضامات في الجملة العربية التي يعترضها الفصل والاعتراض فيكون بيباً في إطلالتها ولشاع. الهوة بين عنصريها، أما عن أنواع المتضامات التي اعترها الفصل من شعر الخنساء، فهي: الفصل بين المبتدأ وخبره وبين الفعل الناسخ واسمه، وبين اسم للناسخ الفعلي وخبره، وبين اسم الناسخ الحرفي وخبره، وبين الفعل وفاعله، وبين الفعل ومفعوله، وبين الفعل ومعلقه شبه الجملة، وبين النعت ومنعوتيه، وبين التوكيد ومؤكده، وبين المعطوف والمعطوف عليه.

أما أنواع المتضامات التي اعترها الاعتراض في شعرها، فهي: الاعتراض بين المبتدأ وخبره، وبين اسم الحرف الناصح وخبره، وبين الفعل ومفعوله، وبين الفعل وشعلاقه الجار والمجرور، وبين النعت ومنعوتيه، وبين القول ومقوله وبين الحال وعامله، وبين المعطوف والمعطوف عليه.

وقد استقصى البحث جميع ما وقع فيه الفصل والاعتراض من المتضامات في لغة العرب مما ذكره النحاة في مصفقاتهم، رغم عدم هوع ذلك في شعرها وقولاً على هذه الظاهرة وتعارنتها بما وقع في شعر الخنساء.

والتراكيب التي تسهم في إطالة الجملة العربية تتنوع إلى أشكال متعددة حيث ترجع الإطالة فيها تارة إلى عناصر الجملة المؤسسية، فتكون الإطالة بواسطة مركب إضافي أو اسم عامل أو موصول أو مميّز أو مصدر مؤول، وتارة ترجع الإطالة في الجملة إلى عناصر فيها غير إسنادية، كالتى تتعلق بعنصريها الأساسيين تقيداً وتبعيةً وتعاقباً وتعدداً وتوثباً وفطلاً واعتراضاً<sup>(1)</sup>.

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

ويُعدُّ الفصلُ أو الاعتراضُ من عناصر الإطالة في الجملة غير المؤسسة فهما يردان في السياق فيقطعان الاتصال بين عُنصري الجملة قبل أن تبيّن فائدتها.

ومُصطلحُ الفصلِ النَّحْوِيِّ يَخْتَلِفُ عن مُصطلحِ الفصلِ البَلَاغِيِّ، حيثُ يُحَدُّ الفصلُ بلاغةً بتركِ العطفِ، وبهذا المفهوم قِيَابِلُ ما يُعرَفُ في ذلك العِلْمِ بالوصلِ، وهو عطفُ جملةٍ على أُخرى<sup>(2)</sup>.

ويَقْتَرِقُ الفصلُ عن الاعتراضِ مَفهوماً رَعَمَ اشتراكهما في قَهْرِ الاتصالِ بين عُنصري الجملة، حيثُ يَدُلُّ الفصلُ على التَّركيبِ إذا جاءَ مُقرِّداً، في حين يَدُلُّ الاعتراضُ عليه إذا جاءَ ذلك التَّركيبُ جملةً<sup>(3)</sup>.

أما المَجَالُ النَّظْمِيُّ لهذه الدراسة فكانَ شِعْرُ الخَنساءِ؛ لِمكانتها الشَّعْرِيَّةِ العالِيَّةِ، فقد أجمع العلماء على أنَّها أشعرُ نساءٍ عَصْرَها<sup>(4)</sup>، فَوَرَدَ أنَّها من شعراءِ الطبقة الثانية، لاسيَّما في شِعْرِ الرِّثاءِ، فقد " قيل: اتَّفَقَ أهلُ العِلْمِ أنَّه لم تُكُنْ امرأةً قبلَها ولا بعدها أشعرَ منها"<sup>(5)</sup>، وقد استطاعت بِفضلِهِ أن تَأثِرَ بِتراكيبِ عَجيبَةٍ بَهَرَتِ الأبناءَ والنُّقادَ.

والخَنساءُ هي ثَماضُ بنتُ عمرو بن السَّرِيدِ إحدى الشَّواعِرِ المُخَضَّرَماتِ<sup>(6)</sup>، فقد عاشت الخَنساءُ جُزءاً من حياتها في الجاهليةِ وجُزءاً ما الباقي في الإسلامِ، حيثُ أسلمتْ وُعِدَّتْ من الصَّحابياتِ، وقد نُوفِّيتْ عام 42 هـ وقيل 50 هـ<sup>(7)</sup>.

أما ديوانُ شِعْرِها فَمَعْرُوفٌ ومَجْمُوعٌ منذُ القَدِيمِ فقد ذَكَرَهُ ابنُ خَير(ت 575هـ) في فهرستِهِ قائلاً: " وشِعْرُ الخَنساءِ تامٌّ في جُزءٍ"<sup>(8)</sup> وقد طُبِعَ ديوانُها عدَّةَ مرَّاتٍ، منها ما كانَ على يَدِ الأبِ لُؤيسِ شَيْخو، فقد نَشَرَهُ مرَّتين، أوْلاهُما سنة 1895م، وظهرتِ الأخيرةُ مِنْهُما، عام 1896م بِعنوان: أنيسُ الجُلُساءِ في شَرحِ ديوانِ الخَنساءِ، كما حَقَّقَهُ الأستاذ: أنورُ أبو سُوَيْلِمٍ، ونَشَرَتْهُ جامِعَةُ مُوتَةَ الأردنِيَّةِ عام 1988م، إلا أنَّ اعتمادنا في هذا البحثِ كانَ على طَبْعَةِ ديوانِها الذي صَدَرَ عن مَكْتَبَةِ المَعارِفِ اللبْنانِيَّةِ عام 2012م، الذي اعْتَنَى بِشَرحِهِ وَضَبَطَهُ الأستاذ: هَيْثَمُ جَمعة هلال؛ وذلك لِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ هذه الطَبْعَةُ من ضَبْطِ لألفاظِ شِعْرِ الخَنساءِ وَشَرحِهِ، وإيرادِ رواياتِهِ.



## أولاً - الفصل:

وسمّي هذا التّكيب فصلاً؛ لأنّه يَفْصِلُ بين عُنصرين مُتلازمين، هُما جُزءٌ من أجزاء الجملة<sup>(9)</sup>، رَدَطَتْ بينهما قواعدُ اللّغةِ وعاداتُها<sup>(10)</sup>، وهذه المُدْصَماتُ كثيرةٌ، منها: الفاعلُ ومَعولُهُ، والفِعْلُ وفاقِلُهُ، والعاطِفُ ومَعطوفُهُ، والمُضَافُ والمُضَافُ إليه، والتَّمييزُ ومُويِّهُ، والجارُّ ومَجْرورُهُ، والتَّابِعُ ومَبْذُوعُهُ، والقَوْلُ ومَقولُهُ، وكمٌ ومَجْزورُها، ولانٌ ومَصوبُها، ولَمْ ومَجْزومُها، وأداةُ الشَّرْطِ ومَجْزومُها<sup>(11)</sup>.

ويَتَطَلَّبُ الفَصْلُ عَناصِرَ يَقَعُ بها، منها: القَسَمُ، والظَّرْفُ، والجارُّ والمَجْرورُ، والتَّعْتُ، والمَصْرُ، والدَّاءُ، والفِعْلُ المَلْغِيُّ<sup>(12)</sup>.

إلا أنّ البحثَ اسْتَنَتِي من هذه العنصرِ الظرفِ والجارِّ والمَجْرورِ؛ ذلك لِمَا يَتَميِّزان به من حُرِيَّةٍ مَوْعِيَّةٍ، حيثُ لم يُشْتَرَطْ لهما مَوْعٍ مُعَيَّنٌ، فَيَأْتِيان مَعَ مُتَعَلِّقِها سابِقين أو لاحِقين له، "وقد عَرَّوا بأنّه يَتوسَّعُ في الظرفِ والجارِّ والمَجْرورِ ما لا يَتوسَّعُ في غيرِهما، ولا تُنْأَخُ مثلُ هذه الحريَّةِ لِعُنصرِ ما في بناءِ الجملةِ إلا إذا كانت عَلاقَتُهُ بغيره واضِحَةً وارتباطُهما يَبْغِي أنْ وَتَبَطُّ به لا يُصَيِّبُها عُموضٌ أو لُبْسٌ من تَقديمِها إذا كانت رُتْبَتُهُ أنْ يَ تَأخَّرَ، أو تأخيره إذا كانت رُتْبَتُهُ أنْ يَتَقَدَّمَ"<sup>(13)</sup>،

وللفصلِ أحكامٌ عامَّةٌ وخاصَّةٌ تُنظِّمُهُ، فَمِنَ الأحكامِ العامَّةِ: عَدَمُ الفَصْلِ بالأجنبيِّ، يقولُ صاحبُ اللِّبابِ: "الفصلُ بينَ العاِمِلِ والمُعْمولِ بالأجنبيِّ لا يَجوزُ"<sup>(14)</sup>، ومِنَ تلكِ الأحكامِ فُتْحُ الفَصْلِ إذا قَوِيَ الاتِّصالُ بينَ جُزْأَيِ الجملةِ يقولُ ابنُ جنِي: "وعلى الجملةِ فكلِّما ازدادَ الجُوءانُ اتِّصالاً قَوِيَ فُتْحُ الفَصْلِ بينهما"<sup>(15)</sup>.

أمَّا أحكامُهُ الخاصَّةُ فهي ما وَرَدَتْ بِمَواضِعِها مِنَ الأبوابِ النِّحويَّةِ التي يَقَعُ فيها الفَصْلُ، كأبوابِ الإضافةِ<sup>(16)</sup>، والتَّابِعِ<sup>(17)</sup>.

وتَطَوَّرَ لِمَا يَقْتَضِيهِ الفَصْلُ من رُجوعِ عَلى قانونِ التَّلَازُمِ والتَّضامِ بينَ أجزاءِ الجملةِ فإنَّ نُحائِنا الفُدَامِيَّ عَدُوهُ ضِمْنَ دائِرَةِ التَّقديمِ والتَّأخِيرِ، فابنُ جَنِّي يَرى في ظاهِرِهِ (أي: الفَصْلِ) تَقديماً وتَأخيراً<sup>(18)</sup>، وهو ما رآه ابنُ عَصْفورٍ أيضاً فقال: "وأما تَقديمُ بَعْضِ الكلامِ عَلى بَعْضٍ، فَمِنْهُ: الفَصْلُ بينَ المُضَافِ والمُضَافِ إليه"<sup>(19)</sup>.

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

### مواضع الفصل في الجملة العربية:

تَنَوَّعَتْ مَوَاضِعُ الْفَصْلِ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَجَاءَتْ كَالآتِي:  
أ. **الفصل بين المبتدأ وخبره:** ويُفصل بينهما - كما يفهم من كلام ابن جدي - بشرط أن يكون الفاعل قصيراً، ولم يكن أجنبياً<sup>(20)</sup>، كالمنادى في قول الشاعر:

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطْرُ عَلَيْهَا      وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطْرُ السَّلَامُ  
فَإِنْ كَانَ الْفَاصِلُ أَجْنَبِيًّا فَغَيْرُ جَائِزٍ، هَوَّلَ الشَّاعِرُ<sup>(21)</sup>:

تَطَّرْتُ وَشَخَّصِي مَطَعَ الشَّمْسِ ظِلُّهُ      إِلَى الْعَرَبِ حَتَّى ظَلَّهُ الشَّمْسُ قَدْ عَدَلُ  
وقد جاء الفصل بين المبتدأ وخبره بالماندى في موضعين من شعر الخنساء، أحدهما<sup>(22)</sup>:

فَذَلِكَ، يَا هُنَّ الرَّزِيَّةُ فاعلمي      وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُوْدُهَا  
وقد دلَّ الفصل هنا على اللأم والجمع .

ب. **الفصل بين الفعل الناسخ واسمه:**  
وقد جاء الفصل بينهما بالخبر، وذلك في وضعٍ وحيدٍ من شعرها، قالت الخنساء<sup>(23)</sup>:

لَا وَ إِنَّ الدَّهْرَ مُجْدًا خَلِيلاً      لَكَانَ خَلِيلَهُ صَحْرُ بِنِ عَمْرُو  
ولم يكن لهذا الفصل لالة فيما يبدو سوى مراعاة القافية.

ج. **الفصل بين اسم الناسخ الفعلي وخبره:**  
جاء هذا الفصل بينهما بموضعٍ وحيدٍ في شعرها، تقول الخنساء<sup>(24)</sup>:

لَا تَحْدُلْنِي عِنْدَ جَدِّ الْبُكَاءِ      فَلَيْسَ ذَا، يَا عَيْنُ، وَقَتِ الْخُنُولِ  
وقد دلَّ الفصل في البيت على اللوم والتلبيب وحدها على البكاء.

د. **الفصل بين اسم الناسخ الحرفي وخبره:** نحو قوله تعالى ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة 145]، ومما ورد فيه الفصل<sup>(25)</sup> قول الشاعر<sup>(26)</sup>:

فَأَصْبَحْتُ بَعَجْتَهَا قَوَّاءً      كَأَنَّ قَلَمًا خَطَّ رُسُومَهَا  
أي: فأصبحت بعجتتها قوَّاءً كأنَّ قَلَمًا خَطَّ رُسُومَهَا.

ومن الفصل بين اسم الناسخ الحرفي وخبره قول عنترة<sup>(27)</sup>:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ، يَا عُذَيْلَةَ دَوْحَةٌ      وَأَنَا وَرُمَحِي أَصْلَاهَا وَفُرُوعُهَا

د . عبد العالم محمد القريدي

وقد وردَ هذا الفصلُ بينهما بالحال بموضعٍ وحيدٍ في شعرها، تقولُ الخنساءُ<sup>(28)</sup>:

إليه كأني، حوبةً وتخشعاً، أحو الخمر يسمو تارةً ثم يصرعُ

وقد أريدتُ بالفصلِ لفتَ السَّاحِجِ إلى استحضارِ حالِها الحزينةِ.

هـ. الفصلُ بينَ الفعلِ وفاعِلهِ: نظراً للعلاقة اللقْظية والمعنوية بينَ الفعلِ وفاعِلهِ،

فالفاعلُ هو المُسندُ لِوَجْهِهِ، وهو مرفوعٌ به؛ فإنَّ الفصلَ بينهما بأجنبيٍّ لا

يجوزُ<sup>(29)</sup>، إلا إذا كانَ الفاصِلُ مَعْمُولاً لأحدهما فيجوزُ، كقولِ عمرو بن

شَدَسٍ<sup>(30)</sup>:

تسيلُ على حدِّ الظُّبَاتِ نُفوسُنَا وليسَ على غيرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ

وقد جاءَ الفصلُ بينَ الفاعِلِ وفاعِلهِ بالمفعولِ به بشعرِ الخنساءِ في تسعةٍ

وعشرين مَوْضِعاً، منها قولُها<sup>(31)</sup>:

أهاجَ لكِ الدُّمُوعُ على ابنِ عمرو مَصائِبُ قد رُزَّتْ بها فُجُودي

وقد دلَّ على إظهارِ حالتِها بكثرةِ الدُّمُوعِ وتواصلِها.

كما فُصِّلَ بينهما بالحال في مَوْضِعَيْنِ من شعرها، أحدهما<sup>(32)</sup>:

نِعَمَ الفَنَى كُنْتَ إِذَا حَدَّثْتُ، مُرَقَّرَةً، هُوَجُ الرِّياحِ حَنِينِ الوِلاهِ الحُورِ

وقد دلَّ الفصلُ بالحال على صِفةِ الاستنْجَادِ والاحتواءِ عند أخِيها في الشدائدِ.

و. الفصلُ بينَ الفعلِ ومفعولِهِ: يَرَى أَكْثَرَ التَّحْوِينِ أَنَّ ناصِبَ المفعولِ هو

الفِعْلُ أو شِبْهُهُ<sup>(33)</sup>؛ والعامِلُ الإعرابيُّ عُضْرٌ من عناصرِ النَّضامِ؛ ومنَ ثَمَّ

لا يَكُونُ الفصلُ جائِزاً بينهما لاسيَّما إذا كانَ بالأجنبيِّ، أمَّا بغيرِ الأجنبيِّ

فمُسْتَساعٍ، كالفأدى، وقد فُصِّلَ بينَ القولِ ومَقولِهِ بالذِّداءِ في شعرها، تقولُ

الخنساءُ<sup>(34)</sup>:

أقولُ: أبا حَسانَ لا العَيْشُ طَيِّبٌ وكيفَ وقد أُفردتُ مِنْكَ، يَطيبُ!

وقد دلَّ الفصلُ بالمنادى هنا على حُضوره في نَفْسِها والتَّألُّذُ بمُناداةِ اسمِهِ، فلم

يَحُلُ المَوْتُ من مُشاهدتِهِ ومُخاطبتِهِ، فهو الحَيُّ الكَلِمُ لديها.

ز. الفصلُ بينَ الفعلِ ومُتعلِّقِهِ شِبْهُ الجُمْلَةِ:

جاءَ الفصلُ بينهما بالذِّداءِ في خمسةٍ مَواضِعَ من شعرها، في ثلاثةٍ منها كانَ

المُتعلِّقُ فيهِ جاراٌ ومَجْروراٌ، كقولِها<sup>(35)</sup>:

فقومِي، يا صَفِيَّةُ، في نِساءِ بِحَرِّ الشَّمْسِ لا يَبْغِينِ ظِلًّا

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

وكان المتعلق في موضعين ظرفاً، فكان الفصل في الموضع الأول بالنداء أحدهما قولها<sup>(36)</sup>:

فبكي، أحم عمرو، كل يوم أختاقه، محياه جميل  
وقد دل هنا على التفعّل والتألم على فقدان أخيها، وكان الفصل بالقسَم في  
الموضع الآخر، وهو قولها<sup>(37)</sup>:

سأبكيهما، والله، ما حنّ واليه وما أثبت الله الجبال الرواسيا

وقد دل على عزمها في تثبيت نفسها وإدامتها على هذه الحال.

ح. الفصل بين النعت ومفعوليه: نظراً لقوة التضم بين النعت ومنعوتيه، قال  
النحاة: " لا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف؛ لأدبهما كشيء واحد"<sup>(38)</sup>؛  
لذا عدّ النحويون الفصل بينهما ضرورةً في قول الشاعر<sup>(39)</sup>:

أمرت من الكنان خيطاً وأرسلت رسولاً إلى أخرى جرياً يعيدها  
أما إذا كان الفصل بينهما بمعمول أحدهما فذلك جائز شعراً ونثراً، نحو قوله  
تعالى ﴿ذلك حسرتنا يسير﴾ [ق 44]، حيث جاء الفصل بمعمول الصفة،  
ونحو قوله تعالى ﴿في الله شك فاطر السموات والأرض﴾ [إبراهيم 10]؛  
لاشتمال خبر المبتدأ على الموصوف، وقوله تعالى ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم  
عظيم﴾ [البقرة 49].

جاء الفصل بينهما بالنداء في موضعٍ وحيد، وهو قولها<sup>(40)</sup>:

على فرع، رزئت به، خناس طويل الباع فياض حميد  
وقد دل الفصل بالنداء على أدبها في تحسّر وتألم دائمين مستمرين حتى عندما  
تخلو بنفسها، وقد حذف حرف النداء كنايةً على هذه الخلوة الحزينة.

ط. الفصل بين التوكيد ومؤكده:

وقد تكرّر في موضعين من شعرها، ففصلاً بالمنادي، أحدهما<sup>(41)</sup>:  
توسعت للحاجات، يا صحر، كلاًها فحام إلى معروفك المتنسم  
فدل النداء على الاستغاثة والاستنجاد به في قضاء الحاجات كلاًها، فشمل  
معروفة الجميع.

ي. الفصل بين المتضايقين: لم يُجز النحاة الأقدمون الفصل بينهما إلا في  
ضرورة شاعر، يقول سيبويه: "ولا يجوز يا سارق الليلة أهل الدار إلا في

#### د . عبد العالم محمد القريدي

شِعْر؛ غَرَاهِيَةٌ أَنْ يَفْصَلُوا بَيْنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ"<sup>(42)</sup>، ومُرَادُ سَيَبِيوِيهِ مِنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ فِي هَذَا النَّصِّ هُوَ الْمُضَافُ وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ، وَعَدَمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُتَضَافَيْنِ أَكْثَرُ الْمُبْرَدُ أَيْضاً، حَيْثُ قَالَ: "لَا يُفْصَلُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَضْطَرَّ شَاعِرٌ"<sup>(43)</sup>، وَقَدْ تَبِعَهُمَا ابْنُ جَدِّي فَوَصَفَ هَذَا الْفَصْلَ قَائِلاً: "لَكِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ الشَّاعِرِ"<sup>(44)</sup>، وَلَا تَتَجَاوَزُ الضَّرُورَةُ عِنْدَهُمْ فِي الْفَصْلِ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ وَالظَّرْفَ وَمَا يُلْحَقُ بِهِمَا كَالْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّ الظَّرْفَ وَحَرْفَ الْجَرِّ يُسَعُّ فِيهِمَا مَا لَا يُسَعُّ فِي غَيْرِهِمَا<sup>(45)</sup>، وَيَقُولُ الْمُبْرَدُ: "فِيضُ بِالظَّرْفِ وَمَا أَشْبَهَهَا، لِأَنَّ الظَّرْفَ لَا يُفْصَلُ بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ فِيهِ"<sup>(46)</sup>، وَعَنِ الْفَصْلِ بِالْمَصْدَرِ يَقُولُ: "وَنَظِيرُ الظَّرْفِ فِي ذَلِكَ الْمَصْدَرُ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ:

أَسْمُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ عَبُوسٌ مُعَاوِدُجُرْأَةً وَقَتِ الْهَوَادِي

أَرَادَ وَقَتِ الْهَوَادِي جُرْأَةً"<sup>(47)</sup>.

وَرَغَمَ وُرُودِ هَذَا الْفَصْلِ عَنِ الْعَرَبِ بكَثْرَةٍ إِلَّا أَنَّ سَيَبِيوِيهِ وَابْنَ جَدِّي وَصَفَاهُ بِالْفَتْحِ، يَقُولُ سَيَبِيوِيهِ: "وَهَذَا يَجُوزُ فِي الشُّعْرِ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا اضْطَرَّ فَصَلَ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ"<sup>(48)</sup>، وَيَقُولُ ابْنُ جَدِّي: "وَالْفَصْلُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالظَّرْفِ وَحَرْفِ الْجَرِّ قَبِيحٌ كَثِيرٌ"<sup>(49)</sup>، بَلْ هُوَ نَادٍ الْوَقُوعِ. كَمَا دَكَرَ صَاحِبُ الْخِزَانَةِ<sup>(50)</sup>، وَرَغَمَ اسْتِقْرَارِ هَذَا الرَّأْيِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُقْتَنِعْ أَهْلَ الْكُوفَةِ الَّذِينَ أَجَازُوا الْفَصْلَ بِهِمَا شِعْراً وَقَرَأُوا، وَدُونِهَا ضَرُورَةٌ؛ بَلْ وَبَعِيرَ الظَّرْفِ وَصِنُوهُ، فَقَدْ حَكَى الْكِسَائِيُّ الْفَصْلَ بِالْقَسَمِ عَنِ بَعْضِ الْعَرَبِ (هَذَا غُلَامٌ وَاللَّهُ زَيْدٌ)، وَكَذَلِكَ حَكَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ عَنِ بَعْضِهِمْ (فَسَمِعَ صَوْتَ وَاللَّهُ رَبُّهَا)<sup>(51)</sup>، وَقَدْ وَرَدَ الْفَصْلُ بِغَيْرِهِمَا أَيْضاً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ قَرَأَ ابْنُ عَابِرٍ السَّلْمِيُّ وَهُوَ مِنَ السَّبْعَةِ<sup>(52)</sup> قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكثِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام 137]، وَقَدْ وَافَقَهُمْ ابْنُ مَالِكٍ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ؛ لَوُرُودِ هَذَا الْفَصْلِ فِي الْحَدِيثِ أَيْضاً، فَقَدْ جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ قَوْلُهُ ﷺ: "هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي"<sup>(53)</sup>، وَقَدْ جَاءَ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا بِالْجَمَلَةِ الشَّرْطِيَّةِ، فَقَالُوا: "هُوَ غُلَامٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَخِيكَ"<sup>(54)</sup>، وَلَمْ يَرَ الْكُوفِيُّونَ فِي الْفَصْلِ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَالظَّرْفِ ضَرُورَةً فِي الشُّعْرِ إِلَّا إِذَا كَانَ الْفَصْلُ بِغَيْرِهِمَا، كَالْمَفْعُولِ، نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(55)</sup>:

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

فَرَجَّجْتُهَا بِرِمَجَّةٍ رَجَّ الْقَلْوَصَ أَبِي مَرَادَةَ  
وإن استطاع البصريون ردّ مثل هذا البيت وإنكاره فإنهم لا يستطيعون ردّ  
قراءة ابن عامر، فهي قراءة مُؤاترة سَبْعِيَّة<sup>(56)</sup>، ومن ثمّ فهي حُجَّةٌ من حُجَجِ  
النَّحْوِ القاطعة.

هذا ولم يرد الفصل بين المتضايين في شعر الخنساء.  
ك. **الفصل بين التَّمْيِيزِ ومُمَيِّزِهِ:** لم يختلف نحاة العربية في أنّ فصل التَّمْيِيزِ عن  
مُمَيِّزِهِ ممنوعٌ إلا في ضرورة الشعر، يقول صاحبُ الكتاب: "ولو قال أتاك  
ثلاثون اليومَ رِدهما كان قَبِيحاً في الكلام"<sup>(57)</sup>، ويقول المُبرِّدُ: "وأما عشرون  
ونحوها فلا يجوزُ أن تقولَ فيها: عشرون لك جاريةً، ولا خمسة عشر لك  
غلاماً، إلا أن يضطرَّ شاعرٌ"<sup>(58)</sup>، وهو ما أكده تَعَلُّبُ بقولِهِ: "فَرَقُّ بين  
التفسير وبين ما فسره، وهذا يجوزُ في الشعر لا في الكلام"<sup>(59)</sup>، قال  
الشاعرُ<sup>(60)</sup>:

على أذني بَعْدَ ما قد مَضَى ثلاثون للهجر حَولاً كميلاً

ولم يرد الفصل بين التَّمْيِيزِ ومُمَيِّزِهِ في شعر الخنساء.  
ل. **الفصل بين الجارِّ والمَجْرورِ:** هذا الفصل يبرُّ النُّحاهُ قَبِيحاً، يقول ابنُ جَدِّي: "و  
الفصل بين الجارِّ ومَجْروره لا يجوزُ، وهو أقبحُ منه بين المضافِ  
والمضافِ إليه ورُبَّما فرَدَ الحرفُ منه فِجاءً مَقوراً عنه، قال:  
لَوْ كُنْتُ فِي حَلْفَاءٍ أَوْ رَأْسِ شَاهِقٍ وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنْهَا الذُّرُولُ سَبِيلٌ"<sup>(61)</sup>

ويقول الأشموني: "لا يجوزُ الفصل بين حرفِ الجرِّ ومَجْروره في الاختيار،  
وقد يُفصلُ بينهما في الاضطرار بظرفٍ أو مَجْرور، كقولِهِ:

إنَّ عَمراً لا خَيْرَ في اليَوْمِ عَمَرُو

وقولِهِ:

وليسَ إلى مِنْهَا الذُّرُولُ سَبِيلٌ"<sup>(62)</sup>

وقد سُمِعَ الفصلُ بالقَسَمِ في النَّثْرِ، نحو: اشترَيْتُهُ بِوَاللَّهِ دِرْهَمٍ<sup>(63)</sup>.  
هذا ولم يرد هذا الفصلُ في شعرها.

د . عبد العالم محمد القريدي

م. **الفصل بين (قَدْ) والفعل:** والفصل بين (قَدْ) والفعل - كما ذكر ابن جني - 'قبيح؛ لقوة اتصال (قَدْ) بما تدخل عليه من الأفعال' (64)، ومن الفصل قول الشاعر (65):

فقد والشكُّ بينَ لي عناءُ    بوشكِّ فراقهم صرَّدَ يصيحُ  
هذا ولم يسجل هذا الفصل في شعرها رضي الله عنها.  
ن. **الفصل بين سوف والفعل:** ومنه قول الشاعر (66):

عليك سلامٌ سوف دونَ لقاءكم    تمرُّ سنونٌ بعدهنَّ شهورُ  
ولم يرد هذا الفصل في شعرها.

س. **الفصل بين كم ومجرورها:** والفصل بينها وبين مجرورها عند اختياره ممنوع في النثر، جائز في الشعر، يقول سيبويه: "وقد يجوز في الشعر أن تجرَّ وبينها وبين الاسم حاجرٌ، على قول الشاعر:

كم يجودُ مفرِّفِ نالِ العلى    وكريمٍ بخلُهُ قدَّ وضعه" (67)

وقد وافق صاحب التسهيل على هذا الفصل في الشعر، فقال: "ولو كان الفاصل ظرفاً أو جاراً ومجوراً لجاز الدصب والجر، إلا أن الجر مخصوص بالشعر" (68).

ولم يرد هذا الفصل في شعر الخنساء.

ع. **الفصل بين المعطوف والمعطوف:** يقول ابن مالك: "وقد يفصل بين المعطوف والمعطوف - إن لم يكن فعلاً - بظرف أو جارٍ ومجرور، ولا يختص بالشعر" (69)، ويرى السيوطي من بعد أن جواز الفصل يختلف طبقاً لنوع الحرف المعطوف، فيقول: "وفصل الواو والفاء من المعطوف بهما ضرورة، كقوله:

مورثه مالا وفي الحميرفة    لِمَا ضاعَ فيها من قُرُوءِ نساكَا  
وفصل غيرهما من حروف العطف سائغ بقسم أو ظرف" (70) مثل: قام زيدٌ ثمَّ واللهِ عمرو، ومثل: قام زيدٌ ثمَّ في الدارِ قعداً (71).

هذا ولم يرد هذا النوع من الفصل في شعر الخنساء.

ف. **الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه:** يرى الدحاة تلازماً وترابطاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وعلى الرغم من هذا التلازم أجازوا الفصل بينهما بما ليس بأجنبي، فنقول: قام زيدٌ اليوم وعمرو، فتفصل بين زيد وعمرو

### الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

بالظرف؛ لأنه ليس بأجنبي من الكلام<sup>(72)</sup>، ومن هذا الفصل بغير الظرف والمجرور قول البعيث<sup>(73)</sup>:

وَجَدْتُ أَبَاهَا رَاضِيًا بِي وَأَمَهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحُكْمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا  
وقد فصل بينهما بالنداء في وضع واحد من شعرها، تقول الخنساء<sup>(74)</sup>:

فَسَوْفَ أُبْكِيكَ، يَا بِنَ الشَّرِيدِ، وَأُسْهِرُ عَيْنِي مَعَ السَّاهِرِينَ

وقد أفاد الفصل هنا الإشارة إلى عراقية وتعظيم الذي تُرثيه، فهو سيّد ابن سيّد.  
ص. الفصل بين (م) ومجزومها: ويُفصل بينهما بالمجرور والظرف في ضرورة الشعر<sup>(75)</sup>، ومنه قول ذي الرمة:

فَأَضَحَّتْ مَغَانِيهَا قَفَارًا رُسُومَهَا كَأَنَّ لَمْ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ تُؤْهَلْ  
على أن (لم) قد فصلت في الضرورة من مجزومها، فإن الأصل: كأن لم تؤهل  
سوى أهل من الوحش<sup>(76)</sup>.

هذا ولم يرد هذا الفصل في شعرها.

ق. الفصل بين أداة الشرط ومجزومها: قد خصّ النحاة الفصل بالأداة (إن) "لأنها أصل الجزاء"<sup>(77)</sup>، واشترطوا لهذا الفصل عدم انضمام فعلها، يقول سيبويه: "ويجوز الفرق في الكلام في (إن) إذا لم تجزم في اللفظ"<sup>(78)</sup>، فإن جزم الفعل بعدها مع الفصل لم يجر إلا في الشعر<sup>(79)</sup>، وهو ما عناه المبرد بقوله: "فإن اضطرر شاعر جاز فيهنّ الفصل، جزم أو لم يجزم"<sup>(80)</sup> ويجوز الفصل في الشعر مع غيرها من الأدوات، قال الشاعر<sup>(81)</sup>:

فَمَنْ نَحْنُ دَوْمُهُ يَبِثُّ وَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ لَا نُجْرَهُ يُمَسُّ مَدًّا مُفَرَّعًا  
وقول الشاعر<sup>(82)</sup>:

فَلَمَّا لِلصَّلَاةِ دَعَا الْمُنَابِي نَهَضْتُ وَكُنْتُ مِنْهَا فِي عُرُورِ

فقد فصل بين (مًا) والفعل بالمجرور.

هذا ولم يرد هذا النوع من الفصل في شعرها.

### ثانياً – الاعتراض:

وسمي هذا التركيب اعتراضاً؛ لأنه يعترض جزأي الجملة المتلازمين ويختلف عن الفصل في كونه جملة لا مؤدأ، ولا فرق في أن تكون جملة الاعتراض خبرية أو إنشائية<sup>(83)</sup>، والجملة الاعتراضية من حيث التحليل



#### د . عبد العالم محمد القريدي

التَّخَوُّيُّ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، أَيُّ: لَهَا لَا تُمَثَّلُ عُنْصَرًا إِسْنَادِيًّا وَلَا غَيْرَ إِسْنَادِيًّا فِي بِنَاءِ الْجُمْلَةِ وَلَكِنَّهَا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ لَا تَتَفَكَّرُ عَنِ الْجُمْلَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَا تَزُولُ عَنْهَا مِنْ حَيْثُ مَعْنَاهَا<sup>(84)</sup>؛ أَيُّ أَنَّ الْإِرْتِبَاطَ عَنِّي لَا يَسْتَلْزِمُ مَحَلِّيَّةَ الْإِعْرَابِ<sup>(85)</sup>.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ فَلَهَا فَائِدَةٌ، بِحَيْثُ لَوْ حُفِنَ الْإِعْتِرَاضُ لِأَدَّى إِلَى تَقْصُصٍ فِي الْمَعْنَى، يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: "وَمِنْ سَنَنِ الْعَرَبِ أَنْ يُعْتَرِضُ بَيْنَ الْكَلَامِ وَتَمَامِهِ كَلَامًا، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْمُعْتَرِضُ إِلَّا مُفِيدًا"<sup>(86)</sup>، وَتَكُونُ فَائِدَتُهُ - كَمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ - تَوْيَّةَ الْكَلَامِ وَتَسُدُّيهِ أَوْ تَحْسِينِهِ<sup>(87)</sup>، أَوْ كَمَا نَصَّ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ فِي الذَّعْرِيَّاتِ بِأَنَّهَا (أَيُّ: الْجُمْلَةُ الْمُعْتَرِضَةُ) "لِتَقْرِيرِ هُنَى يَتَعَلَّقُ بِهَا أَوْ بِأَحَدِ أَجْزَائِهَا"<sup>(88)</sup>؛ كَأَنَّ تَكُونَ جُمْلَةً إِنْشَائِيَّةً تَدُلُّ عَلَى الْأَمْرِ أَوْ الدُّعَاءِ أَوْ الْقَسَمِ أَوْ الذَّنْزِيهِ أَوْ الْاسْتِفْهَامِ<sup>(89)</sup>، وَبِهَذِهِ الدَّلَالَاتِ تَكُونُ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ إِطَالَةِ الْجُمْلَةِ فِي عُنْصُرِهَا غَيْرِ الْمَوْسَسَةِ.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ مَوْقِعُهَا فَهِيَ تَقَعُ بَيْنَ مُتْلَازِمَاتٍ كَثِيرَةٍ بِالْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ أَوْ صَلَاهَا صَاحِبُ الْمَغْنِيِّ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا<sup>(90)</sup>، مِنْهَا: بَيْنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَمَفْعُولِهِ، وَبَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَخَبَرِهِ، وَبَيْنَ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ، وَبَيْنَ الْقَسَمِ وَجَوَابِهِ وَبَيْنَ الصِّفَةِ وَمَوْصُوفِهَا، وَبَيْنَ الْمَوْصُولِ وَصَلْتِهِ، وَبَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِيَّيْنِ، وَبَيْنَ الْحُرُوفِ وَمَدْخُولَاتِهَا<sup>(91)</sup>.

أَمَّا أَحْكَامُ الْإِعْتِرَاضِ فَقَدْ اشْتَرَطَ لِلْجُمْلَةِ الْإِعْتِرَاضِيَّةِ شُرُوطًا، هِيَ<sup>(92)</sup>:

1. مُنَاسِبَتُهَا لِلْجُمْلَةِ الَّتِي نَخَلَّهَا الْإِعْتِرَاضُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، كَأَنَّ تَكُونَ مُؤَكَّدَةً أَوْ مُبْهَمَةً عَلَى حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهَا، فَيَتَّبَعِي أَنْ تُفِيدَ "الْكَلَامَ تَوْيَّةً وَتَسُدِّدًا أَوْ تَحْسِينًا"<sup>(93)</sup>.

2. أَلَّا تَكُونَ مُعْمُولَةً لِشَيْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ الَّتِي نَخَلَّهَا الْإِعْتِرَاضُ؛ "ذَلِكَ أَنَّ الْإِعْتِرَاضَ لَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ، وَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ الْمُعْتَرِضِ بِهِ بَيْنَ بَعْضِهِ وَبَعْضٍ"<sup>(94)</sup>.

3. أَلَّا يَكُونَ الْفَصْلُ بِهَا إِلَّا بَيْنَ الْأَجْزَاءِ الْمُنْفَصِلَةِ بِذَاتِهَا، فَيَمْتَنِعُ الْفَصْلُ بَيْنَ (أَل) التَّعْرِيفِ وَمَخْوَلِهَا، وَبَيْنَ سِينِ الْاسْتِقْبَالِ وَالْفِعْلِ الْمُقْتَرَنَةِ بِهِ، وَبَيْنَ حُرُوفِ الْجَرِّ الْأَحَادِيَّةِ وَمَجْرُورَاتِهَا.

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

ولعلَّ عَوَابَةَ الجملةِ الاعتراضيةِ في مَوَضعِها مِنَ الكلامِ يُثِيرُ – كما يقولُ الأستاذُ الدكتورُ: محمَّدُ حَمَاسةُ عبد اللطيفِ – الانتباهَ وَيَلْفَتُ التَّفَكِيرَ<sup>(95)</sup>، حيثُ يَدُلُّ – كما تَكَرَّرَ ابنُ جَنِّي – "على فَصاحَةِ المُتكلِّمِ وَقوَّةِ نَفْسِهِ وامتدادِ نَفْسِهِ"<sup>(96)</sup>، حيثُ كانَ يَجري عندَ العَرَبِ مَجري التَّأكيِدِ<sup>(97)</sup>.

### مَوَاضِعُ الاعتراضِ في الجُملةِ العَرَبيةِ:

تَنوَّعتْ مَوَاضِعُ الاعتراضِ في الجُملةِ العَرَبيةِ فجاءتْ كالآتي:

أ. الاعتراضُ بينَ المُبتدأِ وَخَبرِهِ: أوردَ صاجِبُ المُغذِي أنَّ من مَوَاقِعِ الجُملةِ المُعتَرَضَةِ أنْ تَكُونَ بينَ المُبتدأِ وَخبرِهِ<sup>(98)</sup>، ومنه قولُهُ تَعَالَى ﴿هَذَا قَلِيلٌ قُوَّةٌ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص 57]، وَقولُ مَعنِ بنِ أَوْسٍ<sup>(99)</sup>:

وفيهنَّ والأيامُ يَغَرَّنَ بالفتى  
نوابٍ لا يَمَلُّنَّهُ ونوايحُ

جاءَ الاعتراضُ بينهما بِالجملةِ الفعليةِ في مَوَضعٍ وَحيدٍ مِنْ شِعْرِها<sup>(100)</sup>:

وابكي أذاكِ لِدَهْرٍ صارَ مُؤَلِّفًا      والدَّهْرُ، وَيُحِكُ، ذُو فَجٍّ وَتَجْلِيفٍ

فقد جاءتْ الخنساءُ بِجملةِ الاعتراضِ (ويحك) دُعَاءً؛ حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَها على الاستمرارِ بالِجاءِ، فَكانَ الدَّهْرَ لم يَكُنْ إِلا للفَجاعِ، ومن ثَمَّ طالتْ بِهِ الجُملةُ بعناصرها غيرِ المؤسَّسةِ.

ب. الاعتراضُ بينَ الحَرفِ الناسِخِ واسمِهِ: نحو قولِ الشاعِرِ<sup>(101)</sup>:

كَأَنَّ وَقَدْ أَتَى حَوْلَ كَمِيلٍ      أَتَافِيها حَمَاماتٌ مُنَوَّلُ

هذا ولم أَعثرْ على مِثْلِ هذا الاعتراضِ في شِعْرِ الخنساءِ.

ج. الاعتراضُ بينَ اسمِ الحَرفِ النَّاسِخِ وَخَبرِهِ: نحو قولِهِ تَعَالَى ﴿وَإِذَا إِنَّ شَاءَ اللهُ لُمُهَتَدُونَ﴾ [البقرة 70]، ومنه قولُ أَبِي مَلاحِمِ الشَّيبانيِّ<sup>(102)</sup>:

إِنَّ الذَّمانينَ وَبِلا عُدُّها      قَدْ أَحوجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمانِ

وقد جاءَ هذا الاعتراضُ في شِعْرِها مرَّةً واحدةً وكانَ بِالجملةِ الفعليةِ، تقولُ الخنساءُ<sup>(103)</sup>:

إِنَّ الرِّمانَ، وما يَقى لَهُ عَجَبٌ      أَبَقى لَنَا تَنبأً واسنُوصِلِ الرِّاسُ

وقد أَرادَتْ بِالاعتراضِ أنْ تُوجيَ لَسامِعِها أنْ مَوَتْ الأخييارَ مِثْلَ أخيها وَحياةِ الأشرارِ مِنْ عَجائبِ الرِّمانِ المُتتاليةِ.

د . عبد العالم محمد القريدي

د. الاعتراض بين الفعل ومفعوله: وقد اعترض بينهما في القرآن بالشروط، نحو قوله تعالى ﴿إِنِ اتَّبَعْتُ لَأُتَّبَعَنَّ بِمَا أُسْوَءْتُ بِكَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام 15]، واعترض بينهما بالجملة الاسمية، نحو قول أبي الذَّجَمِ العجلي (104):

وَبَدَّلَتْ وَالذَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ هَيْفًا نُورًا بِالصَّبَا وَالشَّمَالِ

وقد ورد هذا الاعتراض بالجملة الفعلية في شعر الخنساء مرة واحدة بقولها (105):

وَقَدْ سَمِعْتُ غَلْمًا أَبْهَجَ بِهِ خَبْرَهُ مُخْبِرًا قَامَ بِئِمِّي رَجَعَ أَخْبَارُ

وقد دلَّ الاعتراض هنا على عدم الاهتمام بالمفعول.

ه. الاعتراض بين الفعل وفاعله: وقد اعترض بينهما بجملة الحال، كقول الشاعر (106):

وَقَدْ أَذْرَكْتِي وَالْحَوَائِثُ جَمَّةً أَيْدِيَهُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلُ

ولم اعترض عن مثل هذا الاعتراض بشعرها.

و. الاعتراض بين الجار والمجرور: نحو قوله (107):

اشْتَرَيْتُهُ بَ - أَرَى - أَلْفَ دِرْهَمٍ.

ولم اعترض عن مثل هذا الاعتراض بشعرها.

ز. الاعتراض بين الفعل ومُتَعَلِّقِهِ الجار والمجرور:

وقد اعترض بينهما بالجملة الفعلية في شعرها مرتين، أحدهما في قولها (108):

أَتُكْرَهُنِي - هُبَيْتَ - عَلَى دُرَيْدٍ وَقَدْ أَصْفَحْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ

وقد جاء الاعتراض لتنبية أخيها ملوية على فيلته الرغناء، فهي لم تعترف إلا بصخر أمراً عليها.

ح. الاعتراض بين الذمت ومنعوتيه:

وقد اعترض بينهما في القرآن الكريم بجواب القسم، نحو قوله تعالى ﴿إِن بَلَى وَرَبِّي نَأْتِيَنَّكَمُ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [سبا 3]، وبالشرط كما في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة 76].

أمَّا في شعر الخنساء فقد جاء الاعتراض بينهما بالجملة الفعلية سبع مرات، منها في قولها (109):

وَصَاحِبِي قَالَتْ لَهَا خَائِفٍ: إِذْكَ لِلْحَيْلِ بِمُسْتَنْظَرِ

وقد دلَّ الاعتراض على التنبية والتضخ.

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

ط. الاعتراض بين الشرط وجوابه: ويُعترض بينهما بالآتي:

1. الاعتراض بالجملة الفعلية، نحو قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَادْفَعُوا النَّارَ﴾ [البقرة 24]،

2. الاعتراض بالجملة الاسمية، نحو قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُبَدِّلُ قَالُوا إِذْ مَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل 101]، وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيئَةٌ مَرِيْمٌ﴾ [آل عمران 36].

3. الاعتراض بالجملة المقيدة، نحو قوله تعالى ﴿هَلْ أَدْعُوا لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة 70]، ومنه قول زهير (110):

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عَامًا لَا بُأ لِكَيْسَاءِمْ

هذا ولم يرد هذا النوع من الاعتراض في شعر الخنساء.

ي. الاعتراض بين القسم وجوابه، ومنه قول النابغة (111):

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيَّيْنِ لَفَدَّ نَطَقَتْ بُطْلًا عَلَيَّ الْأَفَارُغُ

ولم أعتز عن مثل هذا الاعتراض في شعر الخنساء.

ك. الاعتراض بين حرف التنفيس والفعل: كقول زهير بن أبي سلمى (112):

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمٌ أَلْ جِصْنُ أَمْ نِسَاءُ

ولم أعتز على مثل هذا الاعتراض في شعرها.

ل. الاعتراض بين (نن) ومضويها: ولم يفصل بينهما إلا في ضرورة الشعر، كقول الشاعر (113):

لِنَهَا رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ مُقَاتِلًا أَدَعَّ الْقِتَالَ وَأَشْهَدَ الْهَيْجَاءَ

ولم أجد مثل هذا الاعتراض في شعرها.

م. الاعتراض بين (نم) ومجزؤها: ولم يصح الفصل إلا بالشعر، ولا يكون الفاصل سوى ظرف أو جار، يقول صاحب المعنى: "وقد تُفصل من مجزومها في الضورة بالظرف، كقوله:

فَذَاكَ وَلَمْ إِذَا نَحْنُ امْتَرِينَا نَكُنْ فِي النَّاسِ يُدْرِكُكَ الْمِرَاءُ" (114)

وقول الآخر (115):

د . عبد العالم محمد القريدي

نَوَائِبُ مِنْ لَدُنْ ابْنِ آدَمَ لَمْ تَزَلْ      تُبَاكِرُ مَنْ لَمْ بِالْحَوَادِثِ تَطْرُقْ  
ولم يرد هذا النوع من الاعتراض في شعرها.

ن. الاعتراض بين حرف النقي ومفقيه: كقوليه (116):

ولا أراها تَرَالِ ظَالِمَةٌ      تُحَدِّثُ لِي نَكَبَةً وَتَنكُؤُهَا.

ولم أعتز على مثل هذا الاعتراض في شعرها.

س. الاعتراض بين الحرف وتوكيده، كقول الشاعر (117):

لَيْتَ وَهَلْ يَفْعُ شَيْئًا لَيْتَ      لَيْتَ شَبَابًا بُوعَ فَاشْتَرَيْتَ

ولم أعتز على مثل هذا الاعتراض في شعرها.

ع. الاعتراض بين (كم) ومجرورها: الاعتراض بغير المفرد غير جائز، يقول صاحب الهمع: "فإن كان الفصل بجملة لم يجز الجر في كلام، ولا في شعر عند البصريين؛ لأن الفصل بالجملة بين المتضايقتين لا يجوز أليته، وجوزه الكوفيون فيهما بناء على أن الجر (من) لا بالإضافة، وجوزه المبرد في الشعر فقط، وروى قوله:

كَمْ نَالَنِي مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَى عَدَمِ

بالجر" (118)، هذا ولم أعتز على هذا النوع من الاعتراض في شعرها.

ف. الاعتراض بين القول ومقوله (119): نحو قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام 23].

وقد جاء هذا الاعتراض مرتين في شعرها، أحدهما بقولها (120):

قَالَ ابْنُ أَمِّكَ ثَاوٍ بِالضَّرِيحِ      سَوَّوْا عَلَيْهِ بِالْوَاحِ وَأُحْجَارِ:

فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدَنَّكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ      مَنَاعِ ضِيمِ طَلَّابٍ بِأَوْتَارِ

وقد ساعد الاعتراض على رسم صورة تقي أخيها؛ استظهاراً لدرر دموعها.

ص. الاعتراض بين المتضايقتين: وقد حكى عن بعض العرب: "إن الشاة تسمع صوت - قد علم الله - ربها، فتقبل إليه وتتعو" (121)، هذا ولم يرد هذا الاعتراض في شعرها.

ق. الاعتراض بين الحال وعامله: وقد اعترض بينهما في شعرها بالجملة الفعلية مرتين، أحدهما بقولها (122):

فَأَبْجِي - وَلَا تَسْأَمِي نَوْحاً - مُسَلِّبَةً      عَلَى أَخِيكَ رَفِيعِ الْهَمِّ وَالْبَاعِ

وقد أفاد الاعتراض على حث نفسها على الاستمرار بالنوح والحزن.

## الفصل والاعتراض في الجملة العربي ...

ر. الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه:  
وقد جاءت الجملة الفعلية مُعْتَرِضَةً بينهما في شِعْر الخنساء خمس مرات، منها قولها(123):

وَأَبْكُوا فَتَى الْبَأْسِ وَأَفْتَهُ مَنِيئُهُ      فِي كُلِّ نَدْبَةٍ نَابِثٍ وَأَقْدَارِ  
وقد أفاد كثرة الذوائب بعد موته.

وجاءت علي هذا الاعتراض الجملة المُقَيِّدَةُ مرّةً في قولها(124):

أُولُو عِرٍّ، كَأَذْهُمُ غَضَابٍ،      وَمَجْدٍ مَنَّهُ الْحَسْبُ الطَّوِيلُ  
وقد دلّ على تجسيد صورة عرّهم.

### تأثير البحث:

1. تَعَيَّنَ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مُصْطَلَحِي الْفَصْلِ وَالاعْتِرَاضِ مِنْ حَيْثُ الْمَقْهُومُ، فَالْفَصْلُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالتَّرْكِيبِ الْمُقَرَّدِ، خِلَافًا لِلاعْتِرَاضِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَّرْكِيبِ الْجُمْلَةِ فِعْلِيَّةٍ كَانَتْ أَوْ اسْمِيَّةً.
2. يُعَدُّ الْفَصْلُ وَالاعْتِرَاضُ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ عُنَاوَرِ إِطَالَتِهَا وَأَمْتِدَادِهَا؛ حَيْثُ إِنَّ كِلَيْهِمَا يُسَاهِمَانِ فِي إِطَالَتِهَا، وَهُمَا مِنْ الْعُنَاوَرِ غَيْرِ الْمَوْسَّسَةِ؛ لِقَطْعِهَا الْإِتِّصَالَ بَيْنَ عُنُورِيْهِمَا قَبْلَ أَنْ تَبُوْحَ الْجُمْلَةُ بِالْفَائِدَةِ.
3. يَخْتَلِفُ مُصْطَلَحُ الْفَصْلِ فِي عِلْمِ التَّحْوِ مِنْ حَيْثُ مَفْهُومُهُ عَنِ الْمُصْطَلَحِ نَفْسِهِ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ، حَيْثُ يَدُلُّ الْمُصْطَلَحُ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَرَكِ الْعَطْفِ، وَهُوَ مَا يُقَابَلُ فِيهَا مُصْطَلَحًا آخَرَ، هُوَ الْوَصْلُ، وَهُوَ الْعَطْفُ بِالْحُرُوفِ.
4. يَرْجِعُ سَبَبُ نَوْحِ الْخَنَسَاءِ إِلَى إِطَالَةِ جُمْلَتِهَا بِالْفَصْلِ وَالاعْتِرَاضِ إِلَى حَاجَتِهَا لِأَمْتِدَادِ نَفْسِهَا الْحَزِينِ، وَهُوَ مَا يُنَاسِبُ شِعْرَهَا فِي رثاءِ أَخِيهَا.
5. لَيْسَ فِي شِعْرِ الْخَنَسَاءِ فَصْلٌ بِأَجْنَبِيٍّ، بَلْ جَاءَ عُنُورُ الْفَصْلِ مُتَّصِلًا بِمَعْنَى الْجُمْلَةِ، كَالْفَصْلِ بِالْمُنَادَى الَّذِي تَرَدَّدَ كَثِيرًا فِي شِعْرِهَا، وَالْفَصْلُ بِالْقَاسِمِ مِمَّا كَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي دَلَالَةِ الْجُمْلَةِ، وَكَذَلِكَ جُمْلَةُ الْاعْتِرَاضِ فَقَدْ كَانَتْ ذَاتَ صِلَةٍ قَوِيَّةٍ بِالْجُمْلَةِ الْأَصْلِيَّةِ.

د . عبد العالم محمد القريدي

6. يَشَابَهُ الْفَصْلُ وَالْاعْتِرَاضُ مَعَ بَابٍ آخَرَ، هُوَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ؛ لِأَنَّ كَلِمَةً مِنْهُمَا يَخْرُقَانِ قَانُونَ التَّضَامِ وَالتَّلَازُمِ الَّذِي يَقْتَضِي طَلَبَ كُلِّ عِنَصَرٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ؛ لِذَا عَدَّ الْفُضَالِيُّ الْفَصْلَ وَالْاعْتِرَاضَ شَكْلًا مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ.
7. يَتَدْرَأُ أَنْ يَقَعَ الْفَصْلُ وَالْاعْتِرَاضُ بَيْنَ ضَمِيمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا حَرْفًا؛ لِعَدَمِ دَلَالَةِ الْحَرْفِ عَلَى مَعْنَى إِلَّا بِإِضْمَامِهِ لغيره؛ لِذَا لَمْ يَرِدِ الْفَصْلُ أَوْ الْاعْتِرَاضُ فِي شِعْرِ الْخِنَسَاءِ بَيْنَ: قَدْ، أَوْ لَنْ، أَوْ لَمْ، أَوْ كَمْ، أَوْ سَوْفَ وَمَدْخُولَاتِهَا، كَذَلِكَ يَتَدْرَأُ أَنْ يَقَعَ الْفَصْلُ أَوْ الْاعْتِرَاضُ بَيْنَ اسْمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِذَا كَانَتْ وَظِيفَتُهُمَا وَظِيفَةُ الْاسْمِ الْوَاحِدِ، كَالْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَوْ التَّمْيِيزِ وَمُمَيِّزِهِ.
8. تَنَوَّعَتْ دَلَالَةُ الْفَصْلِ وَالْاعْتِرَاضِ فِي شِعْرِ الْخِنَسَاءِ بَيْنَ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، كَاللَّوْمِ وَالتَّنَابُهِ، وَإِظْهَارِ الْحُزْنِ وَالتَّوَعُّعِ، وَالتَّنْبِيهِ، وَالتَّأْمُلِ، وَرِعَايَةِ الْقَافِيَةِ، وَغَيْرِهَا.
9. يَرْتَبِطُ وُجُودُ الْفَصْلِ وَالْاعْتِرَاضِ فِي شِعْرِهَا بِالتَّعْبِيرِ الْقَوِي عَنِ مَشَاعِرِهَا، كَدَوَامِ الْحُزْنِ وَالتَّوَعُّعِ وَالتَّجَعُّبِ.

الهوامش:

- (<sup>1</sup>) يُنظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة: 2003 م، ص 59 - 60
- (<sup>2</sup>) يُنظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، للجرجاني: محمد بن علي(ت 729 هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة: 1997 م، ص 104
- (<sup>3</sup>) يُنظر: شعر حسن كامل الصيرفي(دراسة نحوية دلالية)، صالح الشاعر، دار طيبة، القاهرة: 2007 م، ص 189
- (<sup>4</sup>) يُنظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة: أبي محمد عبد الله بن مسلم(ت 276 هـ)، الدار العربية للكتاب ودار الثقافة، ط 3، بيروت: 1983 م 261/1 - وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي: عبد القادر بن عمر(ت 1093 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 3، القاهرة: 1989 م 434/1
- (<sup>5</sup>) معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، عزيزة فوال بابتي، دار صادر، وجروس برس، لبنان: ط 1: 1998 م، ص 134
- (<sup>6</sup>) يُنظر: الشعراء المخضرمون بين الجاهلية والإسلام، هنية علي الكاديكي، منشورات: جامعة قاريونس - ليبيا: 1989 م، ص 147
- (<sup>7</sup>) يُنظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، عزيزة فوال بابتي، ص 134
- (<sup>8</sup>) فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبي بكر محمد بن خير الأموي(ت 575 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998 م 353/1
- (<sup>9</sup>) يُنظر: علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم، محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: 2001 م، ص 46
- (<sup>10</sup>) يُنظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 8، القاهرة: 2003 م، ص 277



- (<sup>11</sup>) يُنظر: لغة الشعر (دراسة في الضرورة الشعرية)، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط 1، القاهرة: 1996 م، ص 234
- (<sup>12</sup>) يُنظر: الفصل بين المضاف والمضاف إليه، طه محسن، دار الينابيع، ط 1، دمشق: 2009 م، ص 69 ← 85
- (<sup>13</sup>) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص 153
- (<sup>14</sup>) اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري: تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر: دمشق: 1995 م / 1 155
- (<sup>15</sup>) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، مصر: 1987 م / 2 392
- (<sup>16</sup>) من أحكام الفصل الجائزة في باب الإضافة: أن يكون المضاف مصدراً والمضاف إليه فاعله والفاصل معمول المضاف أو متعلقه، وكذلك إذا كان المضاف اسم فاعل والمضاف إليه مفعوله والفاصل معمول المضاف أو متعلقه، وكذلك إذا جاء الفصل بالقسم أو بالشرط أو بما الزائدة [ يُنظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 12، مصر: 1996 م / 3 53 – 59 ]
- (<sup>17</sup>) من أحكام الفصل في باب التوابع: جواز الفصل بينها وبين متبوعها بغير الأجنبي كالقسم والشرط، كما يجوز أن تكون (كان) الزائدة فاصلاً بينها، ومن أحكام الفصل فيها أيضاً: عدم جواز أن يكون التابع فاصلاً بين الموصول وصلته أو بين المنعوت المبهم ونعته [ يُنظر: النحو الوافي، عباس حسن / 3 435 – 436 ]
- (<sup>18</sup>) يُنظر: الخصائص / 2 406
- (<sup>19</sup>) ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت: د. ت، ص 191
- (<sup>20</sup>) يُنظر: الخصائص، لابن جني 402/2
- (<sup>21</sup>) الخصائص، لابن جني 402/2
- (<sup>22</sup>) ديوان الخنساء، هيثم جمعة هلال، دار مكتبة المعارف، ط 1، بيروت: 2012 م، ص 64
- (<sup>23</sup>) السابق، ص 68

- (<sup>24</sup>) السابق، ص 158
- (<sup>25</sup>) الخصائص، لابن جني 395/2
- (<sup>26</sup>) لم أعثر له على قائلٍ.
- (<sup>27</sup>) شرح ديوان عنتره، للخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت: 1992م، ص 92
- (<sup>28</sup>) ديوان الخنساء، ص 133
- (<sup>29</sup>) يُنظر: الباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري 155 /1
- (<sup>30</sup>) كتاب الأمالي، لأبي علي القالي: إسماعيل بن القاسم، دار الفكر، بيروت: د. ت 269 /1
- (<sup>31</sup>) ديوان الخنساء، ص 57
- (<sup>32</sup>) السابق، ص 104
- (<sup>33</sup>) يُنظر: شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات: جامعة قاريونس – ليبيا: 1973م 335/1
- (<sup>34</sup>) ديوان الخنساء، ص 27
- (<sup>35</sup>) السابق، ص 155
- (<sup>36</sup>) السابق، ص 157
- (<sup>37</sup>) السابق، ص 205
- (<sup>38</sup>) الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت: 2006م 277 /2
- (<sup>39</sup>) يُنظر: المُقرَّب، لابن عصفور: علي بن مؤمن (ت 669 هـ)، تحقيق: أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، منشورات: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، بغداد: 1986م، ص 250
- (<sup>40</sup>) ديوان الخنساء، ص 58
- (<sup>41</sup>) السابق، ص 187

- (42) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة: 1966م 1/ 176-  
177
- (43) المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت: د. ت 4/  
376
- (44) الخصائص 2/ 406
- (45) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،  
لأبي البركات الأنباري: عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ)، تحقيق: محمد  
محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د. م، د. ت (مسألة 60) 2/ 435
- (46) المقتضب 4/ 376
- (47) المقتضب 4/ 377
- (48) الكتاب 2/ 280
- (49) الخصائص 2/ 406
- (50) يُنظر: خزانة الأدب، للبغدادي 4/ 413
- (51) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، للأنباري (مسألة 60) 2/ 435
- (52) يُنظر: حجة القراءات، لابن زنجلة: أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد (من  
رجال القرن الرابع)، تحقيق: سعيد الأفغاني، منشورات: جامعة بنغازي، ط 1،  
ليبيا: 1974 م، ص 273
- (53) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ)، تحقيق:  
محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، ط 1، القاهرة: 2010م، ص 560 برقم  
4640
- (54) يُنظر: خزانة الأدب، للبغدادي 4/ 422
- (55) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، للأنباري (مسألة 60) 2/ 427
- (56) يُنظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، ص 273
- (57) الكتاب، سيبويه 1/ 191
- (58) المقتضب 3/ 55
- (59) مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ)، تحقيق: عبد  
السلام هارون، دار المعارف، ط 4، مصر: 1980م، ص 425

- (60) المقتضب، للمبرد 3/ 55 ، ومجالس ثعلب، ص 424
- (61) الخصائص 2/ 397
- (62) شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة: دت 2/ 436 - 437
- (63) يُنظر: السابق 2/ 437
- (64) الخصائص 2/ 393
- (65) السابق 2/ 392
- (66) مجالس ثعلب، ص 41
- (67) يُنظر: الكتاب 2/ 166- 167،
- (68) شرح التسهيل، لابن مالك: محمد بن عبد الله (ت 672 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للطباعة، ط 1، القاهرة: 1990م 2/ 421
- (69) السابق 3/ 379
- (70) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي: جلال الدين (ت 911 هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت: 1979م 5/ 277
- (71) السابق 5/ 277
- (72) يُنظر: شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998م 1/ 224
- (73) يُنظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص 206
- (74) ديوان الخنساء، ص 196
- (75) يُنظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي 9/ 5
- (76) يُنظر: السابق 9/ 5
- (77) الكتاب، لسبويه 3/ 112
- (78) السابق 3/ 112
- (79) يُنظر: السابق 3/ 112
- (80) المقتضب 2/ 75

- (81) يُنظر: السابق 75 /2
- (82) يُنظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص 202
- (83) يُنظر: شعر حسن كامل الصيرفي(دراسة نحوية دلالية)، صالح الشاعر، ص 189
- (84) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص 82
- (85) يُنظر: مغني اللبيب(وبهامشه: حاشية الشيخ محمد الأمير)، لابن هشام الأنصاري، دار إحياء الكتب العربية البابي الحلبي، مصر: د. ت 56/2
- (86) (الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مط: عيسى الحلبي، القاهرة : 1977م، ص 414
- (87) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، دار السلام، ط 2، القاهرة: 2005م 823/2
- (88) كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة: 1991م، ص 89
- (89) يُنظر: مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب) 839/2 - 841
- (90) يُنظر: السابق 823 /2 ← 834
- (91) يُنظر: الخصائص، لابن جني 336 /2 ، 392 – وشرح التسهيل، لابن مالك 375 /2
- (92) يُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي 51 /4
- (93) مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، 823 /2
- (94) الخصائص، لابن جني 338 /1
- (95) يُنظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص 82
- (96) الخصائص 342 /1
- (97) يُنظر: السابق 336 /1
- (98) مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، لابن هشام 824 /2

- (<sup>99</sup>) السابق 824 /2  
(<sup>100</sup>) ديوان الخنساء، ص 143  
(<sup>101</sup>) يُنظر: مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، ص 833  
(<sup>102</sup>) مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب) 826 /2  
(<sup>103</sup>) ديوان الخنساء، ص 129  
(<sup>104</sup>) مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب) 824 /2  
(<sup>105</sup>) ديوان الخنساء، ص 88  
(<sup>106</sup>) يُنظر: مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب) 823 /2  
(<sup>107</sup>) يُنظر: السابق، ص 833 - وهمع الهوامع، للسيوطي 248/1  
(<sup>108</sup>) ديوان الخنساء، ص 94  
(<sup>109</sup>) السابق، ص 79  
(<sup>110</sup>) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، للأنباري: أبي بكر محمد بن القاسم(ت 328 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط 5، مصر: 1993م، ص 278  
(<sup>111</sup>) يُنظر: مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، ص 828  
(<sup>112</sup>) يُنظر: السابق، ص 833  
(<sup>113</sup>) يُنظر: السابق 616/1  
(<sup>114</sup>) السابق 607 /1  
(<sup>115</sup>) يُنظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص 203  
(<sup>116</sup>) يُنظر: مغني اللبيب(بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، ص 834

(<sup>117</sup>) يُنظر: السابق 833/2

(<sup>118</sup>) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي 83/4

(<sup>119</sup>) يُنظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 277 - 278

(<sup>120</sup>) ديوان الخنساء، ص 88

(<sup>121</sup>) ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص 199

(<sup>122</sup>) ديوان الخنساء، ص 138

(<sup>123</sup>) ديوان الخنساء، ص 91

(<sup>124</sup>) السابق، ص 157

#### مَصَائِرُ الْبَحْثِ وَمَرَاجِعُهُ

1. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، للرجاني: محمد بن علي(ت 729هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة: 1997 م.
2. الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911 هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت: 2006 م.
3. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري: عبد الرحمن بن محمد(ت 577 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.م، د.ت.
4. بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة: 2003 م.
5. حجة القراءات، لابن زنجلة: أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد(من رجال المائة الرابعة)، تحقيق: سعيد الأفغاني، منشورات: جامعة بنغازي، ط 1، ليبيا: 1974 م.
6. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي: عبد القادر بن عمر(ت 1093هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 3، القاهرة: 1989 م.

7. الخصائص، لابن جني: أبي الفتح عثمان بن جني(ت 392 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، مصر: 1987 م.
8. ديوان الخنساء، هيثم جمعة هلال، دار مكتبة المعارف، ط 1، بيروت: 2012م.
9. شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة: د.ت.
10. شرح التسهيل، لابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله(ت 672 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للطباعة، ط 1، القاهرة: 1990 م.
11. شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات: جامعة قارونس - ليبيا: 1973م.
12. شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات، للأنباري: أبي بكر محمد بن القاسم(ت 328 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط 5، مصر: 1993م.
13. شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998م.
14. شرح ديوان عنتره، للخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت: 1992م.
15. شعر حسن كامل الصيرفي(دراسة نحوية دلالية)، صالح الشاعر، دار طيبة، القاهرة: 2007 م.
16. الشعر والشعراء، لابن قتيبة: أبي محمد عبد الله بن مسلم(ت 276هـ)، الدار العربية للكتاب ودار الثقافة، ط 3، بيروت: 1983م.
17. الشعراء المخضرمون بين الجاهلية والإسلام، هنية علي الكاديكي، منشورات: جامعة قارونس - ليبيا: 1989م.



18. الصاحبى فى فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مط: عيسى الحلبى، القاهرة : 1977م.
19. صحیح البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، ط 1، القاهرة: 2010م.
20. ضرائر الشعر، لابن عصفور الإشبيلي: أبو الحسن علي بن مؤمن (ت 669 هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت: د. ت.
21. علاقة الظواهر النحوية بالمعنى فى القرآن الكريم، محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: 2001 م.
22. الفصل بين المضاف والمضاف إليه، طه محسن، دار الينابيع، ط 1، دمشق: 2009م.
23. فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبى بكر محمد بن خير الأموي (ت 575هـ)، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998م.
24. كتاب الأمالي، لأبى علي القالي: إسماعيل بن القاسم، دار الفكر، بيروت: د. ت.
25. كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفنى، دار الرشاد، القاهرة: 1991م.
26. الكتاب، لسيبويه: أبى بشر عمرو بن عثمان (ت 180 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة: 1966م.
27. اللباب فى علل البناء والإعراب، لأبى البقاء العكبرى: تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر: دمشق: 1995 م.
28. لغة الشعر (دراسة فى الضرورة الشعرية)، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط 1، القاهرة: 1996 م.
29. مجالس ثعلب: لأبى العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط 4، مصر: 1980م.
30. معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، عزيزة فوال بابتى، دار صادر: بيروت، جروس برس: طرابلس: ط 1: 1998م.

31. مغني اللبيب عن كتب الأعراب (بهامشه: حاشية الدسوقي، والسبك العجيب في نظم مغني اللبيب)، لابن هشام: جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت 761 هـ)، دار السلام، ط2، القاهرة: 2005 م.
32. مغني اللبيب (وبهامشه: حاشية الشيخ محمد الأمير)، لابن هشام الأنصاري، دار إحياء الكتب العربية البابي الحلبي، مصر: د. ت.
33. المقتضب، للمبرد: أبي العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت: د. ت.
34. المقرَّب، لابن عصفور: علي بن مؤمن (ت 669 هـ)، تحقيق: أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، منشورات: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، بغداد: 1986 م.
35. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 8، القاهرة: 2003 م.
36. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 12، مصر: 1996 م.
37. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي: جلال الدين (ت 911 هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرَّم، دار البحوث العلمية، الكويت: 1979 م.

أ. عفاف الطاهر شلغوم

## المجاورة الصوتية في السياق

أ. عفاف الطاهر شلغوم  
قسم اللغة العربية  
كلية الآداب - الزاوية

### المقدمة:

على الرغم من أنّ لكلّ صوت مخرجه وصفاته الأساسية، فإنّ للصوت عوامل أخرى تضيف عليه صفات أخرى ثانوية، وهي مؤثرات تفرض نفسها عند النطق بالصوت في سياقه، ولكنها تبقى صفات ثانوية، من هذه العوامل طبيعة جهاز النطق التي تختلف من شخص لآخر، فقد يكون للشخص حنجرة ضيقة أو فم صغير أو العكس. كذلك يختلف النطق بين الفتاة والرجل أو الطفل أو الشيخ. كذلك العامل النفسي لدى الشخص الواحد؛ إذ نطقه للصوت حال الغضب يختلف عنه في حال الرضا أو الحزن أو غير ذلك. بالإضافة إلى العامل الأهمّ وهو مجاورة الصوت ذي الصفات المعيّنة لصوت آخر يختلف عنه في هذه الصفات أو يقاربه فيها ما يؤدي إلى تأثير أحد الصوتين المتجاورين في الآخر وبالأحرى، فمثلاً صوت الباء شفوي انفجاري مجهور مرقّق، فإذا نُطق ساكناً، فإنّه يمكن أن نسمع صوت الباء فور إطباق الشفتين الذي يعززه انفراجهما فجائياً من غير مبالغة في سعة الانفراج؛ لئلا تغلب عليه الحركة. وإذا جاوره صوت حركة الضمة /ب و/ فإنّ شكل الشفتين يكون مستديراً، وإذا جاوره صوت الكسرة /بـ/ يكون شكل الشفتين مكسوراً، وإذا جاوره صوت الفتحة /ب- / يكون شكل الشفتين مفتوحاً.

قسّمت هذه الدراسة إلى عدة محاور تضمّنت الأصوات العربية مرتّبة بحسب مخرجها ودراستها في وضعها التركيبي أو السياقي؛ لنرى مدى تأثير المجاورة الصوتية وتأثيرها في بعضها، بالاستناد إلى المعاجم اللغوية في الألفاظ المتمثل بها.

## المجاورة الصوتية في السياق

### صوت الباء:

هو صوت شفوي شديد مجهور مرقّق<sup>(1)</sup>. فإن كان متحرّكاً أو سبقته حركة يجعله محافظاً - إلى حدّ ما - على صفاته، ويمكن بذلك أن تصاحبه كلّ الأصوات العربية الأخرى ويصاحبها بمختلف مخارجها وصفاتها، فيتجاوزا من دون تأثير يُذكر في خصائصها الصوتية؛ إذ صوت الحركة المجعولة لصوت الباء أو للصوت الذي يسبقه تبقيه في مأمن من الاتصال المباشر بالأصوات الأخرى سواء أكانت سابقة له أم لاحقة، ما عدا صوتي الفاء والميم. والأصوات التي يمكن أن تتجاوز مع الباء فنحوياً<sup>نس</sup>، بَبْغَاء، بَبْر، بَبْدَق، بَبْل بَخْر، بَخْس، بَدَأ، بَدَل، بَرَق، بَرَق، بَسَط، بَشْر، بَصَق، بَضَع، بَطَّح، بَطَّر، بَعَث بَعَى، بَقَاء، بَكى، بَلَّح، بَنَى، بَهَج، بَوْن، بَيِّن)، أما الفاء؛ فلشدة التقارب بين مخرجيهما، وأما الميم، فلائهما من نفس المخرج، غير أننا نلاحظ أنّ صوتي الفاء والميم جاورا الباء من غير أصل الكلمة؛ ألا ترى في نحو قولك (قَبْرَق) (مبالغة) كثيراً ما يرد استخدامه في اللغة. وإذا جاور صوت الباء ساكناً أو متحرّكاً من غير كسر إحدى أصوات الاستعلاء، وهي (ص، ض، ظ، ط، ق، غ، ر)، فإن صوت الباء يكسبه اللسان غير المتمرّس صفة التفخيم بعد أن كان مرقّقاً في الأصل، نحو (صَبْر، صَبْح، صُبْح، ضَبَاب، ضَبْع، ظَبْي، طَبَع قَبْضَ رَبَطَ)، ذلك أنّ قوة هذه الأصوات المجعولة في التفخيم تجعل الناطق يسمح لنفسه بطغيان هذه الصفة على جميع الأصوات سواء التي من مخرجها أم التي تجاورها أم حتى التي تبعتها مخرجاً وصفة، كما هو في الأمثلة السابقة مع صوت الباء الذي جاور أصوات التفخيم في التركيب لا في المخرج والصفة فانسحبت عليه هذه الصفة على غير الأصل، وهو ما يُعدّ من عيوب النطق وإن كان لا يبدّ من أن يشمّه بعض منه، وليس السبب المباشر هنا الصوامت المذكورة؛ بل الصائتان (الفتحة أو الضمة) اللذان اكتسبا بدورهما صفة التفخيم. وهما على استعداد لذلك من مجاورتهما هذه الأصوات. وإذا كانت أصوات الاستعلاء ساكنة، فتأثيرها في صوت الباء يكون مباشراً، فيشمه التفخيم؛ لأن مؤخّرة اللسان في أصوات التفخيم يكون مرتفعاً للأعلى ليلتصق بالطبق العلوي، ما يصعب عليه النزول للأسفل بشكل فجائي عند النطق بالأصوات

## أ. عفاف الطاهر شلغوم

المرفّقة، فيصحبها شيء من التفخيم عند مجاورتها لها في المخرج. وإذا كانت أصوات التفخيم يصاحبها الكسر، فإنّ صوت الباء يبقى محافظاً على صفة الترقيق، نحو (ظباء) لأنّ الكسرة التي سبقته صوت أمامي فصلت بينه وبين سبب التفخيم، ما يدلّ على أنّ الصوت المجاور هو الصائت القصير (فتحة، ضمة أو كسرة) وليس الصامت كما يتخيل بعضهم. وإذا كان صوت الباء به كسر، فإنّه يبقى على صفة الترقيق أيضاً، نحو (ضُبط)؛ وذلك أنّ صوت الكسرة أمامي مرفّق<sup>(2)</sup> يبعد الباء المرفّقة في الأصل عن موضع التفخيم في المجاورة التركيبية للأصوات فاجتماع سببي الترقيق عزّز موقفه، خلافاً لصوتي الفتحة والضمة، فهما خلفيتان ما يوجب الاحتراس.

وعند سكون صوت الباء ومجاورته صوت ساكن في حال تماثلهما نحو (لبَيْك)، أو (لم يلعِبْ به) فإنّهما يُدغمان حتماً سواء أكان ذلك من كلمة واحدة أم من كلمتين، فيصيران صوتاً واحداً أكثر شدةً وجهاً وأطول زمناً من الصوت الواحد، ولا يتأتّى ذلك عندما يكون صوت الباء الأوّل متحرّكاً، والثاني ساكناً، نحو (أحبّبته)؛ لوجود الصوت الصائت الفاصل بين التماثلين، وهو صوت قائم بذاته كما بيّنا؛ فيمنع الإدغام. أمّا في حال عدم وجود حركة سابقة له بأن كان الصوت الأوّل ساكناً من غير تماثل، فإنّ ذلك يجعله مستأنفاً؛ لوجود فاصل في النطق فيضعف تأثيره به أو فيه، نحو قولك (مطبعة، مقبر). أمّا عند مجاورته صوت النون الساكن، كما في (سئُلبه) فإنّها تقلب ميماً وتُخفى الميم المقلوبة عند الباء<sup>(3)</sup>؛ لأنّ النون الساكنة خيشومية، أي مخرّجها من الأنف، ولا دخل للسان في صنعها، وهي خفيفة، وعند الانتقال من صوت الغدّة، تنهياً الشفتان لصوت الباء، وفي أثناء ذلك تمتدّ الغدّة فيصعب فصلها قبل انطباق الشفتين فتتزامن الغدّة مع إطباق الشفتين ما ينجم عنه صوت الميم، إذ تتوفر في الميم غدّة النون ومخرّج الباء وجهه، أو بصورة أخرى فإنّ النون الخيشومية الخفيفة لها أكثر من مخرّج بحسب قرب أو بعد ما يجاورها<sup>(4)</sup>، وعند مجاورة الغدّة لصوت الباء، كانت شفوية المخرّج فصارت ميماً، إذ لا فرق بين الباء والميم إلاّ الغدّة، وإدما تُخفى الميم في الباء وليس العكس؛ لأنّ الباء أقوى من الميم؛ لشدّته.

## المجاورة الصوتية في السياق

وصوت الباء صوت شديد انفجاري ما يجعله ساحة مناسبة للزبر، وانفجاره يجعله قصيراً زمنياً مقارنة بالأصوات الأخرى فلا يتيح له أن يكون موضعاً للتنعيم؛ لأنّ صفة الانفجار ماصّة للتنعيم، إلا إذا جاوره صوت لين، كما في (بَيْت) وعند النطق به ساكناً في حال الوقف، فإنّه أوكستيكياً (أي من الناحية السمعية) قد لا يكون واضحاً في السمع، كما في (غراب)؛ لأنّ الوقف يكاد يفقده صفتي الانفجار والجهر أحياناً؛ لذا عمد علماء التجويد إلى قفلته في حال الوقف عليه؛ للمحافظة على صفاته وإلا تغيّرت إلى الهمس والرخاوة.

### صوت الميم:

هو صوت شفوي متوسط بين الشدّة والرخاوة مجهور أنفي. يمكن أن يجاور سبعة وعشرين صوتاً بعد إسقاط الباء والفاء، نحو (مؤونة، متي، مثل، مجن محق، مخض، مدى، مكر، مرق، مزج، مسخ، مشى، مصر، مضغ، مطر مظع، معز، معط، مقت، مكر، ملك، منح، مهذ، موت، ميل)، فيظهر بوضوح صوت الميم محافظاً على مخرجه وصفاته؛ لبعده تلك الأصوات عنه من حيث المخرج؛ إذ كلّما تباعدت المخارج الصوتية عن بعضها، كان ذلك أدعى بأن تحافظ على سماتها، قال ابن جني: إن "الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما، قبح اجتماعهما ولا سيما حروف الحلق، ألا ترى إلى قلاتها بحيث يكثر غيرها، وذلك نحو الضغيفة والمهه والفهه، وليس هذا ونحوه في كثرة حديد وحديد وسديد وشديد وصديد وعديد وفديد وقديد"<sup>(5)</sup>

وإذا جاور صوت الميم الساكن صوت الباء - ولا يكون ذلك إلا من كلمتين كما في (لم يعلم بالأمر) - فإنّ صوت الميم يختفي اختفاءً شفوياً في صوت الباء؛ لأنّه أقوى من الميم؛ لشدّته. مع بقاء صفة الغنة التي تدلّ على الميم قدر حركتين، من دون مبالغة في إطباق الشفتين؛ لتفادي التشديد<sup>(6)</sup>، وسبب الإخفاء التجانس الذي بين الصوتين؛ إذ يتحدان في المخرج، ويشتركان في الجهر، ما يؤدي إلى سهولة النطق عند الإخفاء. ويلاحظ أوكستيكياً في المثال السابق تبعيض صوت الميم، وليس إخفاء كاملاً؛ لأنّ الصوت المندمج عبارة عن ميم ذي المخرج الشفوي المتوسط مع صفة الغنة المعروفة، غير أنّ مجاورته

### أ. عفاف الطائر شلغوم

صوت الباء مباشرة من دون فاصل بصائت أضعف عليه صفة الشدة والانفجار من دون مبالغة بدلاً من صفة التوسط فأخفى بعضه في صوت الباء الساكن الذي يجاوره. بدليل السماع الواضح لغنة الميم.

ويراعى التأكيد على إظهار صوت الميم عند مجاورته صوتي الفاء من كلمة أخرى - ولا يكون إلا كذلك - نحو (هُم فيها)؛ لقرب مخرجه منه، وصوت الواو، نحو (افهم واحفظ)؛ لاتحاده معه في المخرج؛ دفعا لتوهم إخفائهما فيه كما في صوت الباء<sup>(7)</sup>. فلا يصح لهما ما يصح للباء؛ لضعفهما.

وإذا جاور صوت الميم الساكن ميماً، كما في (لكم ما تريدون) من كلمتين أو يكون ذلك من كلمة واحدة، كما في (دمر)، وهما صوتان متماثلان في المخرج والصفات، فيُدغم صوت الميم الأوّل في الثاني، فيصيران صوتاً واحداً أطول زمنياً، وأقوى أوكستيكياً، وإذا كان هذا التجاور بين صوت الميم وصوت آخر ساكن يخالفه من كلمتين، كما في (ذلكم الحق)، فإنّ ميم الجمع الساكن يحرك بالضم؛ لأنّ العربية لا تجيز المقطع (ص ح ص ص) في غير الوقف إلا نادراً؛ ذلك لأنّه ينقل على جهاز النطق أن ينتقل من صامت إلى آخر؛ فيحرك لتكون الحركة وسيلة للانتقال من مقطع ثقيل والتخلّص منه إلى مقطعين أكثر استساغة وسهولة في العربية وهما (ص ح + ص ح ص)؛ إذ عند النطق بصامت ما نحسّ أنّ جهاز النطق في حال شدّ على وضع معين فيحتاج إلى أن يرتخي؛ ليستأنف في النطق من جديد، فكان المقطع (ص ح ص) هو الوسيلة للتخلّص من ذلك، وكانت الضمة؛ لأنّها الأنسب لحالة الجمع.

يلاحظ أنّ صوت الميم يشبه شيء من التفخيم بشكل مباشر أو غير مباشر إذا جاورته أصوات التفخيم - كما بيّنا في صوت الباء سابقاً - وهي (ص، ض، ظ، ط)، نحو (مصل، مضغ، مطر، مظع)؛ إلا أن يكون مع الكسر، نحو (مصر). أمّا مع باقي الأصوات المرقّقة، فإنّها تكسبه ترقيقاً.

### صوت الواو الصامت:

هو صوت شفوي متوسط مجهور شبه حركة، ويعدّ صوت الواو مدّاً إذا ضمّ ما قبله أو صوت حركة طويلة، أو صوتاً صائناً، نحو (عمود)، وقد يكون صوت لين إذا كان ساكناً مسبقاً بفتح، كما في (موت) وسيرد ذكره في

## المجاورة الصوتية في السياق

أصوات المدّ واللين. أما هنا، فهو صوت صامت عندما يكون متحركاً، كما في (عَوَجٌ، أَسْوَدٌ) وهو أوضح الأصوات أوكستيكياً، ما يخوّله أن يكون موضعاً للتنغيم، ويمكن أن تجاوره كلّ الأصوات العربية من دون تكلف، نحو (وَأَدَّ وَبَقَ، وَتَرَ، وَتَبَّ، وَجَدَّ، وَحَشَّ، وَخَزَّ، وَدَّ، وَتَرَ، وَرَعَّ، وَزَنَّ، وَسَمَّ، وَشَمَّ وَصَلَّ، وَضَعَّ، وَطَأَّ، وَظَفَّ، وَعَدَّ، وَعُدَّ، وَفَدَّ، وَقَفَّ، وَكَبَّ، وَلَجَّ، وَمَضَّ، وَنَى وَهَبَّ، وَيَحَّ).

وإذا كان متحركاً وسبقه صوت ساكن يماثله، فإنّهما يُدغمان حتماً، نحو (عَوَّضَ) ولا يتأتى ذلك من كلمتين منفصلتين إذا كان أولهما واو الجماعة لأنّ واو الجماعة يكون صائناً وليس صامتاً، ولا يُدغم الصائنت في الصامت وأنّ تماثلاً، نحو (اعملوا واجتهدوا) كذلك إذا فصل بينهما بحركة، كما في (مواويل). وإذا سبق واو الجمع فتح وتلته سكون، فإنّّه يحرك بالضمّ، كما في (تمنّوا الهدايا)؛ لأنّّه لا يجوز في العربية المقطع (ص ح ح ص) من غير وقف، فيتخلّص منه بتحريك واو الجماعة بحركة تناسب الجمع وهي الضمة فيتجزأ إلى المقطعين (ص ح + ص ح ص)؛ ليكون أكثر استساغة.

ولا يجاور صوت الواو الذي هو فاء الفعل صوت الياء الذي يسبقه، كما في (يضع) من وضع، فالأصل (يوضع)، فحذف الواو لضعفه؛ ولأنّ الياء من السوابق الصرفية الثابتة فلا يمكن حذفها، ومثله (يعي، ويفي)؛ وصوتياً لأنّ الواو صوت خلفي والياء أمامي، ما يصعب الانسجام بينهما عند مجاورتهما. وكذلك إذا جاور صوت الواو الذي هو للجمع وملحق صرفي ثابت لا يمكن حذفه صوت الواو أو الياء اللذين هما لام الفعل، يحذفان؛ لأنّ اللام موضع الحذف والإعلال<sup>(8)</sup> لضعفهما وثقلهما على الجهاز الصوتي مع واو الجمع، كما في (يدعون ويمشون)، فالأصل (يدعوون، ويمشيون).

كذلك يُبدل الواو الذي هو فاء الفعل ياء، كما في (ميزان وميعاد) من أصل (موزان وموعداد)؛ لاستئصال الكسر مع الواو الساكن؛ لما فيه من إجهاد على جهاز النطق، كما استئصل ذلك في (سيّد) والأصل فيها (سيود). على أنّه صوت صائنت أو شبيهة بالصائنت. وخلاصته أنّ الصائنت صوت ضعيف يقوّيه الصامت الذي يسبقه، إذ الصامت أقوى من الحركة<sup>(9)</sup>، نحو (عمود)، أمّا إذا سبقه صائنت



## أ. عفاف الطائر شلغوم

آخر أو شبهه، نحو (يوضع، يمشيون)، تجاور صوتان ضعيفان يثقل الإتيان بهما جميعاً، فيبقى اللاصق الصرفي؛ لأنّه ثابت لأهميته في الدلالة، ويحذف الآخر؛ لأنّه موضع حذف، فيكون (يضع، يمشون). ومن وجهة نظر صوتية فمرده إلى النظام المقطعي الذي تخضع له اللغة العربية، وذلك لاستئصال اللسان العربي اللفظ (يمشيون، موعاد) ومثيلتهما؛ فاللفظ يمشيون، مقطوعاً يكون (يم+ شيو+ن) أي (ص ح + ص ح ح + ح ح) أو (يم+ شيون) في حال الوقف، أي (ص ح + ص ح ح + ح ح ص) والحالتان غير جائزتين في قوانين نظام المقطع الصوتي العربي؛ لذا فإنّه يتخلّص منها بالحذف، كما في (يمشيون) تصير (يمشون) بالتخلّص من تلاحق الحركات، أي (ص ح+ ص ح ح+ ص ح) أو (ص ح+ ص ح ح ص) في حال الوقف، وبهذا يصير الأمر مستساغاً. كذلك اللفظ (موعاد) الميم مكسورة والكسرة صوت أمامي، والواو صوت خلفي،<sup>(10)</sup> ما يجعل من الصعب على جهاز النطق الإتيان بهما متجاورين؛ وتسهيلاً للأمر تُقلب الواو ياء؛ مجانسة للكسرة، فيصير الأمر (ميعاد) بدلاً من (موعاد)، فيتحوّل المقطع (ص ح ص) إلى المقطع (ص ح ح).

### صوت الفاء:

هو صوت شفويّ أسنانيّ رخو مهموس مرّقق، يمكن أن تجاوره كلّ الأصوات العربية من دون أن تؤثر في صفاته ماعدا صوتي الباء والثاء؛ أمّا الباء، فلأنّها تكاد أن تكون من نفس المخرج، فهي قريبة جداً منها، إذ الباء شفوية، وأمّا الثاء، فلأنّها قريبة جداً منها في المخرج، إذ هي أسنانية، بالإضافة إلى اتّفاقها معها في الاحتكاك والهمس والترقيق، فلا يختلفان إلاّ في المخرج الذي هو قريب جداً منه. أمّا الأصوات التي يمكن مجاورتها، فنحو (فأس، فَنَح، فَجْر، فَحْل، فَخِذ، فَدَع، فَدَّ، فَرَع، فَرَعَسَق، فَصَح، فَضَح، فَطَن، فَظَّ، فَعَل، فَعَر، فَقَع، فِكْر، فَلَق، فَم، فَن، فَهْم، فَوْق، فَيْلَق). ونلاحظ في الكلمات السابقة أنّ الفاء جاور صوت الميم في (فم) على الرغم من قربهما في المخرج كالباء، إذ الميم صوت شفويّ أيضاً، لكنّه من غير أصل الكلمة، وإنّما هو صوت عارض

### المجاورة الصوتية في السياق

والأصل فيها (قَوْه) حُذِفَ الهاء، فكَرِهوا أَنْ تكون الواو محلَّ الإعراب فأضافوا الميم<sup>(11)</sup>؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الفم إِذْ كَانَ مَخْرَجَهُ مِنْهُ. أَمَّا صِفَةُ التَّرْقِيمِ، فَهِيَ الْأَصْلُ وَلَا يَجُوزُ تَفْخِيمُهُ؛ لِبَعْدِهِ عَنِ أَسْبَابِهِ، وَلَكِنْ قَدْ يَشْمُهُ شَيْءٌ مِنَ التَّفْخِيمِ مَا لَمْ يَحْتَرَسِ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ هَلْكَ عِنْدَ مَجَاوَرَتِهِ صَوْتًا تَفْخِيمِيًّا، نَحْوِ (فَطْرَ، فَظْفَرَ، فَضَاعَ، فَصْبَرَ)، وَإِذَا كَانَ صَوْتُ الْفَاءِ بِهِ كَسْرٌ كَمَا فِي (فِطَارَ)، فَهِيَ بِذَلِكَ فِي مَأْمَنٍ مِنْهُ. وَإِذَا كَانَ سَاكِنًا وَجَاوَرَهُ صَوْتُ سَاكِنٍ يَمِائِلُهُ، فَإِنَّهُمَا يَدْغَمَانِ، كَمَا فِي (لَفَّ). وَهُوَ صَوْتُ قَدْ يَكُونُ مَوْضِعًا لِلتَّفْخِيمِ؛ لِأَنَّ لَهُ صِفَةَ الرِّخَاوَةِ.

### أصوات الذال، والطاء، والثاء:

هِيَ أَصْوَاتُ أَسْنَانِيَّةِ رِخْوَةٍ، فَلِذَلِكَ مَجْهُورٌ مَرْقُوقٌ، وَالطَّاءُ مَجْهُورٌ مَفْخَمٌ وَالثَّاءُ مَهْمُوسٌ مَرْقُوقٌ. أَمَّا صَوْتُ الذَّالِ، فَإِنَّهُ يَتَجَاوَرُ مَعَ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ، نَحْوِ (يَبَّ، تَبَّجَ، كَحَلَّ، كَحَرَ، كَرَأَ، دَعِنَ، دَقَرَ، تَقِنَ، تَكَرَّ، تَلَّ، تَمَّ، تَسَّبَ، دَهَبَ تَوَّقَ، تَيْلَ)، وَيَمْتَنِعُ عَنْ بَعْضِهَا الْآخَرَ، وَهِيَ (الثَّاءُ، التَّاءُ، الجِيمُ، الدَّالُ، الزَّايُ السِّينُ، الصَّادُ، الضَّادُ، الطَّاءُ، الظَّاءُ، الْغَيْنُ)، الثَّاءُ وَالثَّاءُ وَالدَّالُ وَالزَّايُ وَالسِّينُ وَالصَّادُ وَالطَّاءُ وَالظَّاءُ؛ لِقُرْبِهَا مِنْ مَخْرَجِ الثَّاءِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الثَّاءَ النُّظِيرَ الْمَهْمُوسَ لِلذَّالِ، وَالطَّاءَ النُّظِيرَ الْمَفْخَمَ لَهُ، وَتَطَابِقِ الزَّايِ مَعَهَا فِي الرِّخَاوَةِ وَالجَهْرِ وَالتَّرْقِيقِ، وَهَذَا التَّقَارُبُ الشَّدِيدُ بَيْنَ الذَّالِ وَالزَّايِ يَجْعَلُ الْمَصْرُوبِينَ يَنْطَقُونَ الذَّالَ زَايًّا. وَمَجَاوَرَةُ الذَّالِ لِأَصْوَاتِ التَّفْخِيمِ يَكْسِبُهَا تَفْخِيمًا فَتَتَحَوَّلُ إِلَى طَّاءٍ. وَالجِيمُ حَتَّى لَا تَنْتَقِلَ إِلَى مَخْرَجِ الدَّالِ بَعْدَ النُّطْقِ بِالذَّالِ؛ لِأَشْتِرَاكِهِمَا - أَيِ الْجِيمِ الْقَدِيمَةِ وَالدَّالِ - فِي الشَّدَّةِ وَالجَهْرِ، كَمَا حَدَّثَ فِي بَعْضِ اللَّهْجَاتِ الْحَدِيثَةِ<sup>(12)</sup>، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَطَابِقِ الْجِيمِ مَعَ الذَّالِ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، أَمَّا الْغَيْنُ فَلِقُرْبِهِ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَالْغَيْنُ أَدْخَلَ مِنَ الذَّالِ.

وَعِنْدَ مَجَاوَرَةِ صَوْتِ الذَّالِ السَّاكِنِ صَوْتًا يَمِائِلُهُ فَإِنَّهُمَا يَدْغَمَانِ، كَمَا فِي (شَدَّ)، وَإِذَا جَاوَرَ صَوْتُ الطَّاءِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا يَدْغَمَانِ، كَمَا فِي (إِدْظَلَمَ) أَوْ (لَا حِظَّ ذَلِكَ)؛ لِأَنَّ الذَّالَ بِسَبَبِ التَّفْخِيمِ تَحَوَّلَ إِلَى طَّاءٍ، فَيَتَسَوَّى إِدْغَامُهُ فِي الطَّاءِ الْآخَرِ. وَيُدْغَمُ فِي الثَّاءِ إِذَا جَاوَرَهُ، نَحْوِ (لَمْ يَنْفَعْ ثَلَاثُهُ) لِأَنَّهُ النُّظِيرَ الْمَهْمُوسَ

## أ. عفاف الطائر شلغوم

فتحوّل إلى ثاء متأثراً بهمسه، وكذلك إذا جاوره صوت الثاء كذلك في (لم يرث تلك).

ويكتسب صفة التفخيم إذا جاوره صوت مفحّم، كما في (مذ صار، مذ ظهر مذ طار)، وهي أصوات يستقلها جهاز النطق، لذا فإنّه في اللهجات الحديثة تعدد للتخلّص منها بإبدالها أصواتاً أكثر سهولة؛ إذ قلب الذال دالاً والطاء ثاء والظاء ضاداً في أغلب اللهجات الليبية، نحو ثلاثة أي ثلاثة، ضلم أي ظلم ذهب أي ذهب، فانتقلت مخرجها من أسنانية إلى أسنانية لثوية؛ طلباً للخفة. كذلك في الفصحى فقد يُستقل على اللسان مجاورتها بعض الأصوات، كمجاورتها صوت تاء الاقتعال، كما في (اذتكر) فذُبل التاء ذالاً وتُدغم في الذال الأولى (اتكر) لقرب مخرجيهما فتأثرت التاء بجهر الذال المجاورة فصارت ذالاً.

أمّا صوت الثاء، فإنّه يجاور بعض الأصوات، نحو ثلر، ثبيط، ثج، ثحف ثخن، ثذي، ثري، ثعلب، ثعر، ثونة، ثقب، ثكل، ثلاث، ثمرة، ثنى، تهمد، ثوب ثيب) وقد جاور الثاء الجيم؛ لأنّ الجيم مجهور، ولا يجاور الذال؛ لأنّهما من نفس المخرج، ولا الزاي؛ لقرب مخرجيهما، ولا السين؛ لقربه منه في المخرج وتطابقهما في الصفات؛ لذا يُطق الثاء في اللهجة المصرية سيناً، ولا الصاد والضاد والطاء؛ لقربها منها في المخرج؛ ولا الظاء؛ لأنه من نفس المخرج وهو النظير المجهور للثاء.

وأمّا الظاء، فيجاور بعض الأصوات، نحو طئر، ظبي، ظج، ظرف ظعن، ظفر، ظلّ، ظمأ، ظنّ، ظهّر، نلحظ أنّ الظاء لا يجاور معظم الأصوات كالحاء، والحاء، والغين، القاف، الكاف، الواو، والياء؛ لثقلها معها ومع غيرها في العموم، ويُفحّم كلّ من يجاوره، بالإضافة إلى أنّ الدال لقربها منه في المخرج، ويُخشى تفخيم الدال فتتحوّل إلى ضاد. والطاء والذال إلى ظاء؛ لأنّهما من نفس المخرج، والذال لأنّهما من نفس المخرج وهو النظير المفحّم له؛ لأنّ التفخيم مع هذه الأصوات يُعدّ تغييراً فونيمياً من شأنه أن يغيّر المعنى، نحو تفخيم الدال في (ذلّ) فتصير (ظلّ)، والطاء والزاي والسين والصاد والضاد والطاء؛ لقربها منها في المخرج. وتدغم الذال والطاء في بعضها، نحو ابظّ الماء، ابعتلك، خداود، ابعتلك، وفي جاراتها الصاد والسين والزاي؛ لقربها

## المجاورة الصوتية في السياق

منها، نحو اِبْعَسَلْمَة، اِحْسَلْمَة، المرّهرة، مساعة. خصّابرا. وتُدغم أكثر في الضاد والشين؛ لأنّ الضاد قريبة من هذه الأصوات باستطالقتها، فتلازمها ولا تتجافى عنها، نحو ائقَضْريرا، ابيضّرمة، كذلك الشين قريبة منها لتفسيها نحو اِبْعَشِيَاء، اِحْفَشِيَاء، لكنّها تتجافى عنها ولا تلازمها؛ لذا فإدغامها في الضاد أقوى من الشين، بالإضافة إلى قوة إطباقها.<sup>(13)</sup>

### صوت الدال، والضاد، والتاء، والطاء، والزاي، والسين، والصاد:

هي أصوات أسنانية لثوية، فالدال شديد مجهور مرّقق، والضاد شديد مجهور مفخّم، والتاء شديد مهموس مرّقق، والطاء شديد مهموس مفخّم، والزاي رخو مجهور مرّقق. والسين رخو مهموس مرّقق، والصاد رخو مهموس مفخّم فالدال يجاور بعض الأصوات، نحو ( دأب، دبّ، دثر، دَجَل، دَحَر، دخل، درب، دَسَم دَش، دعم، دَعَل، دفع، دَق، دَكّ، دلس، دمر، دنا، دهس، دواء، دَيْن)، وتمتنع عن بعضها الآخر، وهي التاء؛ لأنّهما من نفس المخرج وشديدان، والزاي من نفس المخرج ومجهوران، والتاء؛ لقربها منها في المخرج، والصاد والضاد والطاء من نفس المخرج، والطاء، ولقربها منه.

أمّا الضاد، فالأصوات التي تجاورها، نحو (ضأن، ضبع، ضجر، ضحك ضخم، ضدّ، ضرب، ضعف، ضغينة، ضفّة، ضكضكة، ضلّ، ضمن، ضنك ضوء، ضيّم)، ولا يتجاور مع التاء والتاء والذال والزاي والسين والصاد؛ لأنّها من نفس المخرج، والقاف؛ لأنّها مستعلية، والشين؛ لقربها منها. ويجوز (ضد) ولا يجوز (دض) لأنّ الضاد أقوى من الدال.

وأمّا الطاء، فالأصوات التي تجاورها، هي (طأطأ، طبخ، طجن، طحن، طخّ، طرب، طازج، طسم، طشّ، طعام، طغى، طفر، طقّ، طلب، طمع، طنطنة، طهر، طوّق، طيّر)، والأصوات التي لا تجاورها، هي التاء والتاء والذال والذال والكاف؛ لأنّها من نفس المخرج أو قريبة منها.

وأمّا التاء، فالأصوات التي تجاورها، هي (تأأ، تيّر، تُجَار، تُحفة، تخت تربية، تسع، تعس، تغب، تفيّه، تيقن، تكة، تلّ، تمر، تنخ، تهم، توأم، تيم) والأصوات التي لا تجاورها، التاء والذال والذال والزاي والشين والصاد والضاد والطاء والطاء؛ لأنّها من نفس المخرج أو لقربها منها.

## أ. عفاف الطائر شلغوم

وأما الزاي، فالأصوات التي لا تجاورها، هي التاء والتاء والذال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء؛ لأنّ بعضها من نفس المخرج وبعضها قريبة منها، وقد جاور صوت الدال وهما من نفس المخرج.

وأما السين، فالأصوات التي لا تجاورها هي التاء والظاء؛ لقربهما منها في المخرج، ولا الزاي والشين والصاد والضاد؛ لأنّهم من نفس المخرج ولا الشين؛ لقربها وتطابق صفاتهما.

وأما الصاد، فالأصوات التي لا تجاورها، هي الذال والتاء والظاء؛ لقربها منها في المخرج، ولا الزاي والسين والشين والضاد والتاء؛ لأنّهم من نفس المخرج، ولا الجيم؛ حتّى لا تتحوّل إلى دال مفخّمة.

إذا جاورت الأصوات المرقّقة المفخّمة، فإنّها تكتسب منها التفخيم، فالتاء تصير طاء، كما في (تُطَلّ، تُظْهر، تُصْبِر، تُضْمَن)، وإذا تجاور صوت الدال الساكن صوت الضاد، كما في (لم يعدْ ضريراً)، فإنّ الدال اكتسب صفة التفخيم من الضاد فتصير ضاداً إذ اتّحدا مخرجاً وصفة، فأُدغم الدال في الضاد؛ إذ لم يفرّق بينهما قبلاً إلاّ التفخيم. ونلاحظ أنّ صوت التاء يُدغم في صوت الطاء الساكن؛ لأنّ الطاء أقوى بسبب التفخيم من التاء، كما في (اطْرَب) والأصل فيه (اطْتَرَب) عند دخول تاء الافتعال. نلاحظ أنّ بعض اللهجات في المغرب العربي كتونس تقلب التاء طاء في مثل قولهم (طربية، طونس) والأصل تربية وتونس، والذي دفعهم إلى ذلك أنّ الراء المفتوحة في العربية تُفخّم<sup>(14)</sup>؛ ما أدرّ ذلك في تفخيم صوت التاء الذي يجاوره؛ لأنّ التفخيم أقوى من الترقيق، بدليل أنّ جميع الأصوات عندما تجاور أحرف التفخيم لا يمكن إلاّ أن يصيبها شيء منه، فصار التاء طاء؛ إذ هما صوتان لا يفرّق بينهما إلاّ الترقيق والتفخيم. أمّا كلمة (طونس) التي من أصل (تونس)، فعندما نظرنا إلى واو المدّ التي تجاور التاء وكيفية النطق به، وجدنا ارتفاع أقصى اللسان إلى أقصى الحنك بالقدر الذي لا يُسمع له حفيف، وهو بذلك يقترب إلى أصوات التفخيم في المخرج فأصاب حرفَ التاء نصيبٌ منه فصار مفخّماً، فأصبحت التاء طاءً، إذ هو النظير المفخّم للتاء. وقد يُقلب صوت التاء دالاً كما في (ازدهر) والأصل فيه (ازتهر)؛ لشدة التقارب بينهما فلا يفرّق بينهما إلاّ الجهر والهمس. وعند

## المجاورة الصوتية في السياق

مجاورة صوت التاء ذي صفة الشدة والهمس والترقيق صوت الزاي ذي صفة الرخاوة والجهر والترقيق أُبدل التاء دالاً؛ إذ الدال أكثر تقارباً إلى الزاي من التاء، فلا يختلف عنه إلا في الشدة. ويُقلب صوت الواو تاء؛ لضعف الواو إذا كان قبله كسر عند مجاورته تاء الافتعال، كما في (اتَّقَد) والأصل (اوْتَقَد)، أو سبقه ميم مضموم، كما في (مُتَّقَد) والأصل (مُوتَقَد). وقد يصير السين مفحماً فيُبدل صاداً إذا جاور صوتاً مفحماً كما في (صَطَّر) والأصل فيه (سَطَّر) وكذلك الأمر إذا جاور السين صوت التاء الذي اكتسب التفخيم من مجاورته صوتاً مفحماً، كما في (يصتطيع) والأصل (يستطيع)، من قبل أن السين فُحِّمَتْ لمجاورته صوتاً اكتسب هو الآخر صفة التفخيم ممّا بعده، أو من الصوت المفحّم مباشرة إذا حُذِف الصوت الوسيط وهو التاء فيصير (يصطيع)؛ إذ التفخيم أفسى أو كسنيكياً من الترقيق في الأصوات؛ لذا فإنّه يغلب الأصوات المرقّقة. ومثله إذا جاور صوت التاء صوت القاف، كما في (مستقيم) فالسين يكتسب التفخيم فيصير صاداً (مصتقيم). وعند الوقف على صوت التاء، كما في (مدرسة) فإننا نسمع صوت الهاء بدلاً من صوت التاء. وبعض هذه الأصوات يُدغم في بعض ولا يُدغم البعض فيها؛ فالطاء والدال والتاء تُدغم في الصاد والسين والزاي والشين والضاد إذا جاورتها، ولا يكون العكس؛ أمّا الأصوات الثلاثة الأول؛ فلأنّها من نفس المخرج، وصغيرها زيادة تقويها فتبطل إدغامها والشين لاقتربها منها بالتفشي، والضاد لاستطالتها إلى موضع هذه الأصوات. وفي هذا قوّة وزيادة.<sup>(15)</sup>

### صوت اللام، والراء، والنون:

هي أصوات لثوية متوسطة مجهورة، فاللام جانبي، والراء تكراري، والنون أنفي. فاللام الذي للتعريف يظهر مع بعض الأصوات، كما في (الأمّ، الباب، الجبل، الحبر، الخوخ، العلم، الغرفة، الفقر، القرية، الكتاب، اللعب، المحراب، الهادي، الولد، اليد). وتدغم في الأصوات الباقية، كما في (التمر، الثلث، الدار، الترة، الرّأي، الرّهرة، السهر، الشجرة، الصّدق، الضّرب، الظّهر، الطّير لدّسر). أمّا ظهورها مع تلك الأصوات؛ فلأنّها بعيدة عنها في المخرج، وأمّا إدغامها مع الأصوات الأخرى؛ فلأنّها قريبة منها في المخرج. أمّا الإدغام

## أ. عفاف الطائر شلغوم

فلشدة قربه منه، وأما إدغام اللام في الراء وليس العكس؛ فلأن الراء أقوى وأبين من ليونة اللام.<sup>(16)</sup>

فكلّ الأصوات تتجاوز مع اللام، ما عدا الراء؛ لأنّهما من نفس المخرج. وتتجاوز كلّ الأصوات مع الراء ما عدا الظاء، واللام؛ لأنّهما من نفس مخرج الراء، والون أيضاً تتجاوز مع كلّ الأصوات، ويكتسب صفة التفخيم إذا سبقه فتح، كما في (يَلْعَب) أو ضمّ، كما في (يُلْفِظ)، كذلك يُفَحّم إذا جاوره صوت مفحّم، كما في (خُلُص) فإنّه فحّم استعداداً لنطق الصوت المفحّم الذي بعده. ويكتسب صفة الترقيق إذا سبقه كسر، كما في (بِلَال). أما صوت الراء، فيكتسب صفة التفخيم والترقيق بحسب حركته، فهو مفحّم إذا كان مفتوحاً، كما في (رَفَع) أو مضموماً كما (رُزِق). أما إذا كان ساكناً، فإنّه يرقّق إذا كان مكسوراً أو سبقه كسر، كما في (فِرْس). ويفحّم إذا سبقه فتح أو ضمّ، كما في (شَرَق وشَرِب) ويدغم صوت الراء ساكناً مع مثله الذي يجاوره، كما في (أَقْر) ويدغم فيه ما يخالفه وهو صوت اللام إذا كان ساكناً، كما في (قُل رَّبِّي). وبعض اللغات في العربية تمنع إدغام اللام في الراء بإيجاد سكتة على اللام الساكن قبل الشروع في صوت الراء تفادياً إدغام اللام المحتوم في الراء في حال الوصل. كما في قوله تعالى: "بل ران" [المطففين: 14]؛ لأنّ إدغامها يوحى بأنّ الكلمتين واحدة، فيكون السكت ههنا لدفع هذا التوهم في حال الوصل<sup>(17)</sup>. أما النون الساكن، فإنّه إذا جاوره صوت من الأصوات التي تبعد عنه في المخرج، فإنّه يظهر إظهاراً شديداً، وهو أوكستيكياً أوضح ما يكون؛ لعدم تأثرها فيه. وإذا جاوره أحد الأصوات المتقاربة للنون، فلها تأثر فيه تأثراً شديداً، إذ يدغم النون في مثله، كما في (يترتج)، ويدغم في صوت الياء، كما في (لن يعمل)، كذلك دغم في الميم، كما في (من ما)، والواو كما في (إن ورد شيء)؛ وذلك لشدة التقارب بين هذه الأصوات وصوت النون، مع بقاء شيء منه بعد الإدغام وهو صفة الغنة بشكل واضح في السمع؛ لتقارب المخرج بينها. ويدغم في صوت اللام، كما في (من لعب)، وصوت الراء، كما في (من رأى) وهو إدغام يفقد فيه صوت النون غنّته؛ لأنّ وجودها مع هذين الحرفين يسبّب ثقلاً؛ للتجانس في المخرج بينهما وبينه. وإذا جاورته الأصوات الحلقية، فإنّه

## المجاورة الصوتية في السياق

يظهر في السمع بشكل واضح؛ لأنّ شدّة البعد بين تلك الأصوات وصوت النون يجعله محافظاً على جميع صفاته؛ لعدم تأثرها فيه، كما في (مَنْ أسلم، مَنْ همس، مَنْ علم، مَنْ حفر، مَنْ غدر، مَنْ خلق). أمّا الأصوات التي هي بين صوت النون وأصوات الحلق، فإنّ لها تأثير إخفاء النون الساكن فيها، كما في (مَنْ ذلّ، مَنْ ظهر، مَنْ ثابر، مَنْ دلّ، مَنْ ضبط، مَنْ ترك، مَنْ طلب، مَنْ زمر، مَنْ سرق، مَنْ صبر، مَنْ كتب، مَنْ جبر، مَنْ شرف، مَنْ فكر، مَنْ قال)؛ لعدم وجود القرب بينهما الموجب للإدغام، ولا البعد الموجب للإظهار.

### أصوات الشين، والياء الصامتة، والجيم:

هي أصوات غارية، فلشين صوت رخو مهموس مرّقق، والياء متوسط مجهور شبه حركة، فالشين صوت مرّقق لكذّه يكتسب صفة التفخيم إذا جاوره صوت مفخّم، كما في (عطش، والشطيّة)، وهو صوت يمكن مجاورته كلّ الأصوات من دون أي تغيير في صفاته إلاّ صوت الضاد إذ لم أجدهما متجاورين في كلمة واحدة؛ لتفشي الشين واستطالة الضاد، وهو ذات السبب الذي جعل كثيراً من الأصوات تدغم فيها، وهي التاء والتاء والذال والذال والطاء والطاء. وصوت الجيم مزدوج مجهور مرّقق، والمزدوج بمعنى أنّه يجمع بين الشدّة والرخاوة. ويكتسب صفة التفخيم إذا جاوره صوت مفخّم، كما في (الضجّر) ولم يجتمع صوتا الجيم والطاء إلاّ في كلمة واحدة في الاستعمال العربي، وهي مادة (جطح)، وكذلك لم يجتمع صوتا الجيم والتاء إلاّ في مادة واحدة وهي (جتت)؛ لأنّهما شديداً كالجيم القديمة، وإذا اجتمعا من كلمتين فإنّ التاء تدغم في الجيم؛ لأنّ الجيم أقوى من التاء؛ بسبب الجهر وفي هذا زيادة تمنع العكس<sup>(18)</sup>، نحو قوله تعالى: "وجبت جنوبها" [الحج 36]، وكذلك لم يجتمع صوت الجيم مع الغين إلاّ في كلمة (جغب) وكذلك مع القاف إلاّ في مادة (جقق)؛ لقربهما منه في المخرج. أمّا حرف الياء الصامت، فهو يقلّ اجتماعه مع غيره في بناء واحداً إلاّ أن يكون صائناً أو شبه صائناً

### أصوات الكاف والغين والحاء:

هي أصوات طبقية، فللكاف شديد مهموس مرّقق، والغين رخو مجهور مرّقق، والحاء رخو مهموس مرّقق. أمّا الكاف، فصوت يمكن أن يجاور معظم



## أ. عفاف الطاهر شلغوم

الأصوات في العربية. ويقال مع بعضها كالجيم إذ لم أجدهما مجتمعين إلا في كلمة (كجّة)؛ لقربهما في المخرج، ولأنّ صوت الجيم مجهور فقد يحوّل الكاف إلى مجهور، والكاف المجهور ليس له وجود إلا في بعض اللهجات العامية كاليمينية. وامتنع اجتماع صوت الكاف مع صوت القاف لشدة قربهما، وتطابقهما في الصفات.

أمّا الغين، فالأصوات التي لا تجاورها، هي الخاء والكاف؛ لأنّها من نفس مخرجها، كذلك الهمزة والعين والحاء والجيم؛ لأنّها قريبة من مخرجها، وكذلك الظاء لثقلها. وهي من أحرف الاستعلاء.

أمّا الخاء، فالأصوات التي لا تجاورها، هي الهمزة والهاء والحاء والقاف والكاف؛ لقربها من مخرجها، ولا الظاء لثقلها مع جميع الأصوات، لذا فهي - أي الظاء - أقلّ استخداماً، وهي من أصوات الاستعلاء.

والأصوات التي تجاورها الغين والحاء يصبها التفخيم، ما لم يحترس المتكلّم، نحو (غسق) فالسين تنطق صانداً وكذلك مع باقي الأصوات المرقّقة. والحاء نحو (خَمّ)، إذ تصير الميم مفخّمة، وهكذا مع الأصوات الأخرى المرقّقة. ولا يجوز ذلك لبعدها عنها في المخرج.

### صوت القاف:

هو صوت لهوي شديد مجهور مرقّق، وقد يُفخّم إذا جاوره مفخّم، كما في (قطا، قصر، انقضّ)، ولا يجتمع مع صوت الظاء في كلمة واحدة؛ لثقل الظاء، ولا يجاور صوت القاف الجيم والغين والكاف؛ لقربها من مخرجها، ويُدغم الساكن في مثله كما في (شقّ).

### صوتا العين والحاء:

هما صوتان حلقيان رخوان مرقّقان، العين مجهور والحاء مهموس. يمكن إدغامهما ساكنين في مثليهما، كما في (سعره، لحام)، ويفخّمان إذا جاورهما مفخّم ما لم يُحترس من ذلك، كما في (عصر، حصد، عضد، حضن، عطب، حطب، عظيم، حظوة). ولا يجاورهما بعض الأصوات في كلمة واحدة، فالعين لا يجاورها أصوات الهمزة والحاء والياء والغين. والحاء لا يجاورها أصوات والهاء والعين، والغين والحاء، ومجاورة الحاء للهمزة قليل وذلك في مادة

## المجاورة الصوتية في السياق

(حأب) وعند استعمالها تكون (حوأب وحوأبة) بفصل الحاء عن الهمزة بالواو في جميع شروح المادة؛ لثقل مجاورتهما؛ لأنّهما من مخرج واحد، وكذلك جُمعا في مادة (حأحأ) وهي لمدعاة الحيوان أو زجره. أمّا الحاء والعين، فهما من نفس المخرج، وإذا تجاورا من كلمتين، نحو (لا تبرح عالماً) أو (لا تطع عالماً)، فإنّ الحاء تدغم في العين وليس العكس؛ لأنّ العين بسبب جهرها أقوى من الحاء. والباقيات قريبات جدّاً منهما في المخرج. والتقارب بين أصوات الحلق أثقل من التقارب بين المخارج الأخرى؛ لأنّها أصوات صتم. (19).

### صوتا الهمزة والهاء:

هما صوتان حنجريّان، مرقّقان، وصوت الهمزة مجهور شديد، والهاء مهموس رخو. يمكن مجاورة الهمزة كلّ الأصوات؛ لأنّها أدخلت الأصوات والأقوى مع أخواتها في المخرج، ما عدا الغين، والطاء. ويشمه صفة التفخيم إذا جاوره مفخّم، كما في (أصفر، أضلع، أظرف، أطلق)؛ ولأنّها بعيدة عن موضع التفخيم لزم الاحتراز من ذلك. وكذلك صوت الهاء، كما في (هصر، هضم، هطل، ظهر)، ولا تجاور الهاء صوت الهمزة في نحو (ها) إلاّ على الحكاية (هاها)؛ لأنّهما من نفس المخرج، ولضعف الهاء، ولا تجاور الحاء، ولا الخاء إلاّ (هخ) "حكاية المثنّخ ولا يصرف منه فعل لثقله على اللسان وقبحه في المنطق إلاّ أن يضطر شاعر" (20)؛ لأنّهما من نفس المخرج، والغين، والقاف؛ لقربها منها في المخرج، وهي من أضعفهن، ولا الطاء لثقلها. وإذا تجاوزت أصوات الحلق فُدّم الأقوى على الأضعف، نحو (أهل وأحد وأخ وعهد وعهن)؛ لأنّ رتبة الأقوى سلبق، والمتكلّم يكون في البداية أقوى نفساً وأكثر نشاطاً. (21)

### أصوات اللين والمد:

صوتا اللين هما حرفا الواو الساكن المفتوح ما قبله، كما في (خوف)، والياء الساكن المفتوح ما قبله، كما في (بیت). واللين صفة الصوت الذي يخرج بمرونة كبيرة فلا يحدث كلفة على اللسان. ويتجاوز عند النطق به منطقة أصوات المدّ محدثة حفيفاً خفيفاً بتضييق مجرى الهواء قليلاً؛ لذا فإنّها تسمّى نصف صائت أو الشبيهة بالصائت، وهي أقلّ وضوحاً في السمع من أصوات

### أ. عفاف الطائر شلغوم

المدّ، وأكثر وضوحاً من الأصوات الصامتة. وهي تقوم بدور الأصوات الصامتة، كما في (ثغر: ثور، بخت: بيت)؛ لذا فهي أيضاً نصف صامت أو الشبيهة بالصامت. أمّا أصوات المدّ، فهي الألف ولا يكون ما قبله إلاً مفتوحاً، كما في (باب)، والياء المكسور ما قبله، كما في (كبير)، والواو المضموم ما قبله، كما في (حوت). ويُعدّ صوت المدّ حركة طويلة للصوت السابق له، وليس هو بامتداد حركة الصوت السابق، وإلاً فسيكون هناك تعاقب لثلاث حركات حركة الصوت وصوت المد الذي يعادل حركتين. ولأنّ الهواء لا يعترضه شيء عند النطق بها من الحلقوم إلى الفم فهي أوضح الأصوات سمعاً من الأصوات الأخرى معتمدة في ذلك على صفة الجهر من جرّاء احتباس الهواء أسفل الحنجرة واهتزاز الأوتار الصوتية. وتسمّى الأصوات الصائتة. وتقاربها في الوضوح السمعي أصوات اللام والنون والميم للسبب ذاته. وتتماز أصوات المدّ بكثرة دورانها في الكلام، وموضع دوران التنغيم والنغم؛ لأنّها محل مد ومطل.

أمّا أصوات اللين، فيمكن أن تجاور كلّ الأصوات العربية، كما في (بيّت، بون) وهي تجعل صوت الباء الذي يتّصف بالشدة التي منعت أن يكون موضعاً للتنغيم أكثر ليونة وأقلّ شدة، ما يجوّزه أن يكون موضعاً للتنغيم، فكلمة (بيّت) يكون المقطع (بيّ) هو موضع التنغيم ويوافقه موضع النبر، وكذلك الأمر في (بون). وهذا الأمر يكون مع أصوات الشدة الأخرى. وأصوات اللين يمكن أن تجاور كلّ الأصوات العربية، كما في (أبهم، أوّشك النّيه، نؤم، ديب، ثور، جيب، جور، حيرة، حوض، خيمة، خوخ، دين، دور، نيل، نود، ريب، روض، زبغ، زورق، سبيل، سوء، شيب، شوق، صيد، صوم، ضيم، ضوء، أحظيته طيف، طوق، عين، عون، غيم، غور، فيض، فوز، قيس، قوم، كيل، كون، ليل، لوم، ميل، موت، نيل، نوم، هيات، هول، ويل، يبيس، يوم) ولم أجد كلمة يجاور فيها صوت اللين (الواو) صوت الظاء أو الواو. ويقالّ التجاور بين صوتي الياء والواو، للتناقض بينهما في حركة اللسان ما ينجم عنه جهد عضلي عند النطق بهما متجاورين.

## المجاورة الصوتية في السياق

وأما أصوات المدّ، فكلّ الأصوات العربية يمكن أن تُمدّ، كما في (أمال، أُولو، إيمان، باب، لبون، نبيل، تاج، توت، تيم، ثالث، ذوم، مثيل، جال، جوع، جيل، حاد، حور، حين، خال، خوص، نخيل، دار، ديك، دود، ذاق، نُو، نذيب، راح، روح، ريح، زال، زور، زير، سالم، سوس، وسيم، شاق، مشوب، مشين، صافي، صوف، مصير، ضامن، رضوض، مضيق، طائر، طُوب، مطير، ظالم، منظُور، نظير، عابد، عود، عيد، غاب، يغوث، مغيب، فاق، فول، فيل، قال، قوت، قيس، كاد، كوع، كيس، لاذ، يلوح، لين، مال، يموج، يميل، ناقة، نور، نيف، هال، هود، مهين، والد، طاووس، طويل. يافع، سيوف، حيينا). فأصوات المدّ هي الأوضح في لسمع، والأكثر دوراناً في الكلام من الأصوات الأخرى، كما ورد في الأمثلة السابقة.

والأصوات التي لم تجاور بعضها في التركيب نستثني منه ما اتّصل بالكلمة من ملحقات؛ "لأنّها ذات حروف ثابتة لا تتغيّر بتغير الموقع، ومن ثمّ فهي بحكم ثبوتها تجاور كلّ ما يأتي معها من حروف الكلمة."<sup>(22)</sup> بالإضافة إلى أنّ هذه الملحقات لها مدلولات صرفية ونحوية، تستدعي اتّصالها باللفظ ذي الدلالة المعجمية<sup>(23)</sup> كمجاورة الظاء لصوت الواو في نحو (ظواهر) وبين الحالتين فرق.

### نتائج الدراسة:

توصّلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1. التأثير والتأثير محمود في الأخوة وذوي القربى الصوتية، ومذموم في ما دون ذلك، مثل أن يُذمّ تفخيم الباء، في نحو (بصيرة) ويحدّر منه؛ لأنّ تفخيمه لا مبرر له، ويُعدّ من العيوب النطقية.
2. الإدغام في العربية ناجم من ذوي المخرج الواحد، أو التقارب بينها في المخرج والصفة، ولا يتأتى ذلك في ما دون ذلك.
3. توجد أصوات لم يرد في كتب اللغة تجاورها لبعض الأصوات الأخرى، مثل صوت الظاء، فهو لا يجاور بعض الأصوات، كالحاء، والحاء، والغين، القاف، الكاف، والواو، والياء؛ لثقلها معها ومع غيرها في العموم؛ ولقوّة طغيانها على الرغم من بعدها عنه في المخرج، كما بيّنا في موضعه.

#### أ. عفاف الطاهر شلغوم

4. إذا صاحب أصوات التفخيم الكسر، فإنّ الأصوات المرقّقة التي تجاورها تبقى محافظة على صفة الترفيق، نحو السين في (رسالة) لأنّ الكسرة التي سبقته فصلت بينه وبين تفخيم الراء، على خلاف (رسول) فإنّ الفتحة لم تمنع من أن يشمّ السين شيئاً من التفخيم، ما يدلّ على أنّ الصوت المجاور هو الصائت القصير (فتحة، ضمة أو كسرة) وليس الصامت كما يتخيل بعض الباحثين في التأثير المباشر.

5. عدم جواز نحو (يمشيون) في العربية مرده صوتياً إلى أنّها لا تجيز المقطع (يم + شيو + ن) أي (ص ح + ص ح ح + ح ح) أو (يم + شيون) في حال الوقف، أي (ص ح + ص ح ح + ح ح ص) والحالتان غير جائزتين في قوانين نظام المقطع الصوتي العربي؛ لذا فإنّه يتخلّص منها بالحذف.

6. أصوات اللين هي أكثر دورانا في اللغة من غيرها، فيجوز مجاورتها كل الأصوات العربية؛ لليونتها وخفتها، ولا يتقلان إلاّ عند تجاورهما.

## المجاورة الصوتية في السياق

### مصادر الدراسة ومراجعتها:

1. ينظر مخارج جميع الأصوات وصفاتها كتاب سيوييه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيوييه، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، 4: 433 وما بعدها.
2. ينظر علم الأصوات اللغوية، مناف محمّد الموسوي، منشورات جامعة السابع من أبريل، الزاوية - ليبيا، ط: 1، 1993م: 100.
3. ينظر النشر في القراءات العشر، في القراءات العشر، أبو الخير محمّد بن محمّد الدمشقي ابن الجزري، تص: علي محمّد الضبّاع، دار الفكر، من دون طبعة، 2: 26.
4. ينظر علم الأصوات اللغوية: 72.
5. سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جدّي، تح: محمّد حسن محمّد إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2، 2007م، 1: 79.
6. ينظر النشر، 1: 28.
7. ينظر هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة - السعودية، ط: 2، 1: 200.
8. ينظر الخصائص، ابن جدّي، تح: محمّد علي النجّار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 3، 1986م، 2: 157.
9. ينظر شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمّد بن الحسن الاسترأبادي، تق: إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1998م، 1: 80.
10. ينظر علم الأصوات اللغوية: 100، 101.
11. ينظر لسان العرب، ابن منظور، تح: عبدالله علي الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم محمّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط: 3، مادة (فمم).

- 12 ينظر علم الأصوات اللغوية، 76.
13. ينظر الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: 1، 1985م، 3: 427. وشرح شافية ابن الحاجب، في علم الصرف، أبو الفضل رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزقراف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة - مصر، 3: 283.
14. ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 2007م: 65.
15. ينظر شرح شافية ابن الحاجب، 3: 279.
16. ينظر المزهر في علم اللغة، 1: 192.
17. ينظر التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: 2، 1984م: 62.
18. ينظر شرح شافية ابن الحاجب، 3: 283.
19. وسميت الصتم؛ لاعتصاها لأنّ فيها صعوبة في النطق عن أحرف الذلق؛ وصمت عنها في البناء الرباعي والخماسي؛ لذا لا بدّ أن تمزج هذه الأبنية بأحرف الذلق لتسهيلها. وأحرف الذلق ستّه، وهي اللام والراء والنون والفاء والباء والميم؛ لأنّه يُعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه، وحروف الصتم هي باقي الحروف. ينظر السابق، 3: 258. وتاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط: 4، 1987م، مادة (صتم).
20. ينظر لسان العرب، مادة (هخ).
21. ينظر الخصائص، 1: 56.

## المجاورة الصوتية في السياق

- 
22. مناهج البحث في اللغة، تَمّام حَسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب،  
1986م: 163.
23. ينظر السابق: 163.



## جدلية النص والعرض في المسرح وآراء النقاد حولها " بحث في النظرية والتطبيق "

د. سمية البشير مصطفى ضوء  
قسم اللغة العربية  
كلية الآداب - الزاوية

### تقديم:

ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات من بعض المخرجين العالميين أمثال (أرتو) و(جوليان بك) تقلل من أهمية النص المسرحي والاعتماد على التأثيرات البصرية والسمعية والحركية في المسرحية، رغم أن المسرح بني أساساً على الكلمة، فالمسرح -منذ بداياته- معتمد على الفكرة التي يريد المؤلف إيصالها وعلى اللغة التي يبدعها لإيصال هذه الفكرة، وعلى تصويره المواقف والشخصيات، فمن دون النص المسرحي الذي يحمل قيماً فكرية وفنية رفيعة لا يمكن أن تقوم لفن المسرح قائمة.

وأغلب النصوص المسرحية التي كتبت، لم تكتب من أجل القراءة وحسب ولكن لغرض عرضها. وهذا ما أشار إليه الدكتور (محمد الكغاط\*) عندما قال: "لا نتصور طقاً مسرحياً يكتب نصاً نيته أن يقدمه للقراءة فقط، هذا مع العلم أن كل النصوص قابلة للمسرح"<sup>(1)</sup>.

والجدل الحاصل بين النص والعرض في المسرح قائم منذ فترة طويلة وكان عرضة لهجوم شديد من قبل عدد من المنظرين والمخرجين المسرحيين أمثال أرتو.

وإن ما يميز الجنس المسرحي عن باقي الأجناس الأدبية هو أنه نص مكتوب لعمل مسرحي مجسد مادي وحركي على خشبة المسرح. والنص الدرامي يخضع بشكل جذري لقابليته للعرض، وبتعبير آخر يتحدد النص المكتوب في حاجته الحقيقية لتفعيل السياق المسرحي، ويشير في كل مكان خضوعه لشروط العرض المادية، ولاسيما في جسد الممثل وقدرته على تجسيد الخطاب داخل

#### د . سميرة البشير مصطفى ضوء

الفضاء المسرحي؛ لأن علاقة النص الدرامي بالنص المسرحي هي علاقة مركب من الضوابط المتبادلة التي تظهر على شكل علامات لغوية ومادية.

#### ازدواجية النص الدرامي:

يقصد بالنص الدرامي نص المؤلف المكتوب وهو ذلك النوع من التخيل المصمم خصيصاً للتمثيل المسرحي والمبني على أعراف درامية خاصة. ويعرف النص الدرامي بأنه نص العرض والمعنى هنا مركب وهو ظاهرة مشاركة بين الممثل والمتفرجين لإنتاج معنى وإيصاله بواسطة العرض نفسه والأنساق التي تشكل أساساً له.

وفي النص المسرحي ازدواجية بين النص والعرض على عكس الفنون الأخرى، كالرسم والموسيقي والرقص.

تواجه الباحث في سيمياء المسرح مشكلة أساسية لا تواجهها تلك الفنون وهي مشكلة ازدواجية الخطاب المسرحي، ففي فن المسرح هناك نصان متداخلان ومتمايزان إلى حد ما، نص المؤلف ونص المخرج، وقد أشار (كير إيلام) إلى "هذا التركيز بالقوة المزدوج، والمثير للانتباه السيمائي، بنص العرض المسرحي ونص الدراما "المكتوب" (2).

والجدل بين النص والعرض مايزال قائماً منذ فترة طويلة، وكان عرضة لهجوم شديد من قبل عدد من المنظرين والمخرجين والمسرحيين، أمثال (أرتو) و(جيرري غروتوفسكي) و(جوليان بك) وآخرين، وكذلك العلاقة بين النص والتمثيل المسرحي على ضوء السيميائية لم تتضح بعد بشكل واف.

ويزداد هذا الجدل حدة، ويبرز بشكل كبير - كلما طرحت مسألة تحديد الأولوية النسبية التي يكتسبها النص الدرامي أو النص المسرحي، والمكانة التي تعطى لهذا أو ذاك تبذلت بشكل ملحوظ على امتداد تاريخ المسرح، ففي المسرح الكلاسيكي القديم وكذلك في مسرح (الفردوموسية) و(راسين) و(كورني) و(برنادشو) كانت تعطى للنص الدرامي أهمية صغرى، وأحياناً يتم تقليص دور النص إلى درجة الصفر كما عند (أرتو) مثلاً(3).

### جدلية النص والعرض في المسرح ...

وكان الإخراج في بداياته مقصوراً على تنظيم عناصر العرض المسرحي في إطار الترجمة الحية للنص المسرحي، مع الاستعانة بالموسيقى والغناء والرقص والأزياء والأفئعة، كان هذا في التراجم الإغريقية. والمخرج لم يكن له وجود فعلي، ولم يظهر دور الإخراج إلا من خلال الأزياء الفخمة للشخصيات الثرية والأزياء الأقل شأنًا للشخصيات الفقيرة. ومع التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث ظهرت مهنة المخرج المسرحي وهو فنان ثان لعمل المؤلف المسرحي، حيث يفصل النص عند تجسيده عن المؤلف الذي كان ينظم العرض المسرحي بدءاً من توزيع الأدوار على نفسه وعلى غيره من الممثلين، ومن ثم تباينت أساليب المخرجين، وتفرعت أساليبهم في العديد من المدارس الأدبية الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والبرناسية والسيرالية والملحمية والعبيئية والتسجيلية.

#### إضاءة تاريخية:

في القرن التاسع عشر كانت للمخرج اليد العليا؛ ولهذا هجر الكتاب المسرحيون الانجليز المسرح. وأصبح فن الإخراج منهج وأسلوب على يد (جورج الثاني)، وبرع فن الإخراج المسرحي على يد (لويجي بيراند بللو)، ثم (أرتو)، وتبعهم (أندريه أنطوان) تبعاً لسلفه (دوق ساكس ميننجن). إذ اكتشف كل منهما "أن المناظر المسرحية يمكن أن تسهم بجدارة في تأسيس الجو النفسي" (4).

ثم تبلورت وظيفة المخرج في المسرح المعاصر وأصبح هو المبدع لتفاصيل العرض المسرحي، وهو الذي يختار النص أو يوافق عليه، وعلى متطلبات العرض المسرحي: مكان العرض، والفنانين من ممثلين وراقصين وموسيقيين (5).

إن سيميائية النص الدرامي، هي قطعة ثابتة وجامدة ومركزية بالنسبة للعرض، لا يجوز المساس بها. فوجد النص الدرامي المسرحي نفسه مهملًا كنسق تعبير بين أنساق أخرى عديدة دون الاهتمام بوضعه المميز في تشكيل المعنى.

#### د . سمية البشير مصطفى ضوء

كانت بنيوية (براغ) أول من طرح هذا الإشكال في محاولة لوضع سيميائية خاصة للنص المسرحي، تخلصه من تبعية النص الدرامي، بينما (أوتكارزيش) في مؤلفه (علم جمال الفن والدراما) 1931م قد رفض أن يسلم بغلبة آلية النص الدرامي المكتوب، فهو عنده يحتل مكانه في نسق الأنساق الذي يقوم بالتمثيل الدرامي كله<sup>(6)</sup>.

في حين خطأ (يان موكاروفسكي) خطوة أكثر حسماً في كتابه ((محاولة تحليل بنيوي لظاهرة الممثل)) 1931، إذ استفاد من التحاليل البنيوية للانتقال باتجاه سيميائية خاصة بالعرض، ولاسيما في تصنيفه مجموعة العلامات الإيمائية في إيماءات شارلي شابلن<sup>(7)</sup>.

وعدّ (غريماس) حسب منظوره في ميدان علم السيميائية، أن السيمياء "ليست مؤهلة بعد لدراسة كل انساق العلامات الظاهرية والمختبئة"<sup>(8)</sup>.

#### علاقة النص بالعرض:

يبقى النص المسرحي عملاً أدبياً مستقلاً مالم تتناوله يد المخرج، فيتحول حينئذ إلى واحد من عناصر العرض المسرحي، ثم يفقد استقلاليته، ويصبح شريكاً مع العناصر الأخرى في صنع العرض المسرحي (الفرجة)؛ لذلك انقلبت العلاقة بين النص والعرض، "فبدلاً من أن يكون النص هو المحدد الأوّل والأخير لملامح العرض ونظام الفرجة فيه، أصبح الفضاء المسرحي ضابطاً للنص وتشكيلاته؛ الأمر الذي تولّد عنه ظهور أسس مغايرة للكتابة الدرامية ويمكن إجمالها فيما يلي:

1) جعل الكتابة المسرحية تتلاءم مع أمكنتها وأزمنتها تنسجم مع جمهورها وما يعيشه من قضايا واهتمامات مختلفة.

2) جعل المسرح تظاهرة شعبية تشبه الاحتفالات، والطقوس الدينية والاجتماعية.

3) جعل الكتابة المسرحية تتجاوز مستوى الكلمة إلى الاهتمام بالجسد، وبالممثل وبكل الأشياء المادية في المسرح"<sup>(9)</sup>.

وهذا مادعا (برشت) إلى التجديد في أساليب الكتابة الدرامية، إذ جعل النص مفردة من مفردات العرض المسرحي، ودعا إلى مسرح مركب من مجموع

### جدلية النص والعرض في المسرح ...

العناصر التي تكونه ومن الكلمات التي تشكل جسد النص المسرحي، والخطوط والألوان التي تجسد الوجود نفسه بالنسبة إلى الديكور، والحركة التي هي روح اللعب، والإيقاع الذي هو جوهر الرقص ومع هذا لا نستطيع إلغاء النص من العملية المسرحية، وإلا فقد استقلاليته وخصوصيته لدى (انتوتان أرتوز) التي تظل أول موجه للمعنى داخل العملية المسرحية، فهي ترفض سطوة المؤلف باعتبارها مالكا للمعنى؛ لأن كل تجربة مسرحية لا يمكنها أن تنطلق إلا من خلال نص، ولو كان مجرد فكرة، فهي ترفض سلطة الأدب على العرض، كما ترفض أن يكون العرض المسرحي مجرد إيضاح فكرة، كما ترفض أن يكون العرض المسرحي مجرد إيضاح حسي لنص مكتوب، وتتحكم في تشكيله الركحي مدة طويلة.

وعندما ظهر المخرج رفض التقيد بالتجسيد الحرفي للنص وبدأت مرحلة التقريب "بين وجهتي نظر المؤلف والمخرج، غير أن هذا الأخير كان يعمل على توسيع دائرة مملكته ومأ بعد يوم، الشيء الذي أدى إلى خلق صراعات فنية بين مبدع الكلمة وصانع العرض ومع اتساع دائرة اختصاص المخرج أخذ المؤلف يقدم تنازلاً تلو الآخر" (10).

وبذلك يعد المؤلف المسرحي أديبا ومبدعا للكلمة، في حين صُنّف المخرج في خانة الحركة والتشكيل الركحي، فالنص المسرحي بالنسبة إلى المخرج نقطة انطلاق إلى ما يسمى بنص العرض المسرحي.

والنص الدرامي مرتبط بالخشبة، ولا يأخذ دلالاته إلا حين يندمج في العرض وبالمقابل يصعب تصور عرض من دون نص، حتى ولو غاب الكلام اللفظي فيه (11).

### كيفية تحويل النص الدرامي إلى مشروع عرض:

قد يتساءل الشخص على كيفية تحويل النص الدرامي المكتوب إلى مشروع عرض، أي نص ركحي من خلال النص (الإرشادات المسرحية)؟

**تستند عملية التحويل إلى ثلاثة عناصر أساسية هي :**

**أولاً:** القيمة الفكرية والأدبية للنص والمتمثلة في البنية الحكائية والصياغة الحوارية، وسمو الموضوع.

#### د . سميرة البشير مصطفى ضوء

**ثانياً:** الرؤية الجمالية في كيفية معالجة الموضوع والنظر إلى النص الدرامي من حيث الإيقاع وعناصر الصراع و الفعل.  
**ثالثاً:** الاعتبارات الإنتاجية، وهو أن تنظر إلى تكلفة الإنتاج العامة من حيث المناظر والأزياء، وعدد الشخصيات الدرامية وهذا مسؤول عنه شركات الإنتاج. وتلعب هذه العناصر دوراً مهماً في اختيار النص المطلوب، وتحويله إلى مشروع عرض، ولكن هذا الاختيار في حد ذاته له مجموعة من الدلالات عند المخرج الذي يعد هو مؤسس العرض. و(للبوصيري) رأي يحلو له أن يردده دائماً حول هذا الجانب إذ يقول في محاورته لي معه : ((أرني ما تختار من النصوص، أقول لك أي مخرج أنت))؛ ذلك لأن اختيار النص- في رأيه - يعكس لنا ثلاثة جوانب يقف عندها كل مخرج، وهذه الجوانب هي :

1. يعكس اختيار النص الموقف الفكري عند المخرج.
  2. يعكس رؤيته الجمالية والثقافية.
  3. يعكس موقفه من الصراع السياسي والاجتماعي القائم من حوله.
- والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يتم تجسيد الشخصيات على الركح؟ وما الاقتراحات الدراما توريجه التي يقدمها المؤلف لتجاوز عائق الانتقال؟ أي كيفية انتقال الشخصية من مستوى الاستهلال القرائي إلى مستوى التحقيق الركحي.

#### 1- فكرة العمل وطريقته ويتم ذلك عن طريق:

- 1) عملية اختيار النص؛ لأن عملية الاختيار تعكس الخلفية الثقافية للمخرج.
- 2) تعكس موقفه الجمالي على أساس اللغة الجمالية فيحدد المذهب الذي يسير عليه في مسرحيته، كلاسيكي أو رومانسي أو واقعي.
- 3) تعكس موقفه السياسي والفكري.

#### كيفية اختيار النص:

- 1) على أساس الفكرة الأساسية، هل توافق اختياراته الجمالية والسياسية أو لا؟
- 2) العناصر التقنية التي يعتمد عليها، هل يعتمد على العلامات السمعية، إيماء حركة، تحريك نبرة، التعبير الجسدي، والعلامات البصرية: ماكياج-

## جدلية النص والعرض في المسرح ...

تسريحة- لباس، فضاء، ديكور وإضاءة، ومؤثرات سمعية غير منطوقة  
موسيقى، ومؤثرات صوتية؟

3) عناصر الإنتاج فهو الذي يحدد إمكانيات المسرحية، هل تحتاج إلى تكلفة مالية أو لا؟ فمسرحية (القاتلات\*) للبوصيري عبدالله، لا تحتاج إلى مصاريف كثيرة؛ لأنها تعتمد على ثلاث شخصيات نسائية تسرد كل شخصية قصتها في (مونولوج) طويل غني بالعناصر التشخيصية، ومفعم بالأحداث، وبروح الدراما، إذ كل شخصية واقعة تحت تأنيب الضمير لا اعتقادها بارتكاب الجريمة.

### 2 - الإرشادات المسرحية التي يكتبها المؤلف وتساعد المخرج في عملية الإخراج والكاتب في الإرشادات المسرحية هو الذي :

1- "يعين الشخصيات، ويحدد لكل واحدة منها مكان وزمان حديثها، وخطابها الخاص بها.

2- يعين حركات الشخصيات وأفعالها بعيداً عن كل خطاب"<sup>(11)</sup>، والإرشادات المسرحية، بوصفها نصاً مقروءاً مملوفاً تتحول إلى علامات بصرية عند العرض، فهي لا تظهر إلا في أثناء قراءة المسرحية حيث تمارس وظيفة العرض.

وتقدم هذه الإرشادات معلومات عن الشخصية وحركاتها ونبرات صوتها وملابسها، وعن الديكور، والأكسسورات، والموسيقى، والمؤثرات الصوتية. ويتضح أن مهمة الإرشادات المسرحية التعليق عن النص، وتفسيره وتقديم المساعدات للمخرج والتقنيين، أو الممثلين؛ لتيسير إنجاز العرض؛ لهذا السبب كانت الإرشادات المسرحية هي غاية الكاتب الدرامي، وإلى المعنى نفسه يشير كوردن كريج بقوله: "فن المسرح ليس هو لعب الممثلين، ولا المسرحية ولا الإخراج ولا الرقص، لكنه يتشكل من العناصر التي تكونه من الحركة التي هي روح اللعب، ومن الكلمات التي هي جسد المسرحية، ومن الخطوط والألوان التي هي الوجود نفسه بالنسبة إلى الديكور، ومن الإيقاع الذي هو جوهر الرقص"<sup>(12)</sup>.

#### د . سميرة البشير مصطفى ضوء

وهذه بعض الاقتباسات للإرشادات المسرحية من مسرحية (بضربة قتل عشرة) للبوصيري عبدالله.

"فيما يأتي من بيانات يتبعها ظهور بعض اللقطات المناسبة لشخصية عاشور، وهي بمثابة وسيلة إيضاح ووسيلة إقناع على صحة ما جاء في التقرير، ويمكن أن تظهر هذه اللقطات كشريط (سينمائي) متحرك، ويمكن أن تظهر كشرائح. غير أنني أفضل الرسومات الساخرة (كاريكاتور) على أن تتميز بالدقة والتركيز كرسومات الفنان الزواوي، وتعرض أمامنا كقطعات ثابتة" (13).

"أثرث أن أترك تعليقات المتفرجين، ونكتهم مفتوحة أمام إبداع الممثلين لتضيف إلى النص - في حالة تقديمه على المسرح- أبعاداً مستوحاه من رؤية الفنان الذاتية" (14).

"بكاء عاشور يتحول إلى نحيب، ويبدأ في لطم الخدود الشد على شعيرات رأسه" (15).

السارد في هذه الإرشادات الكاتب، وليس الشخصية، والهدف من هذه الإرشادات مساعدة المخرج في عمله.

### 3- الحوار:

عن طريق الحوار تحدد الأوصاف، الطول، القصر، البدانة، النحافة وغيرها من الأوصاف، ثم يحدد الممثل الذي يلائم النص من جميع النواحي. والكاتب الدرامي يتخذ الحوار وسيلة لإيصال أفكاره بوضوح إلى الجمهور (قراء كانوا أم مشاهدين)، ففي مسرحية (بضربة قتل عشرة) كان الحوار خير معبر عن الفكرة الأساسية، والمتمثلة في انخراط أغلب الشخصيات في الحديث المتفاوت عن شخصية (عاشور)، التي كانت معادة موضوعياً عن شخصية السادات، ويتضح الربط من خلال أسم الفيلم (البحث عن الذات)، وهو اسم كتاب السادات إذ أراد السادات أن يكتب مذكراته الشخصية، وهذا ما لاحظناه في بداية المسرحية، إذ بدأ عاشور بتحويل مذكرة البحث عن الذات، فبين الكاتب أن بطولة السادات شبيهة بشخصية (عاشور) الذي قتل الثُباب بضربة واحدة فحفروا في دماغه بأنه بطل وأنه حقق المعجزة، فأراد أن يظهر على



### جدلية النص والعرض في المسرح ...

شاشات التلفزيون كما ظهر السادات ((عاشور : نعم وأظنه الراعي... عاشور هل رأيت أحداً تحت الشجرة؟

**الخواجه المساعد:** ليس شخصاً واحداً

**الخواجه المساعد :** بل شخصان يا عاشور

**عاشور:** لا يجوز .... أنا في الواقع لا أرى أبعد من أنفي.

**كبير الخواجهات :** أمر الرجلين ما يهمنا الآن .

**الخواجه المساعد :** أجل يا عاشور العظيم، أمر الرجلين قبل أمر الشجرة.

**عاشور :** لعدم الاستيعاب لم أفهم))<sup>(16)</sup>.

فهذا الحوار في الحكاية يحمل دلالات ومضامين.

(عاشور) محدود الأفق ليست له نظرة متعمقة، فهو لا يرى أبعد من أنفه وقدميه، وهذا الحوار يكشف عن قضية سياسية مطروحة على الساحة العربية فقدم الكاتب من خلال الدراما تعليقات سياسية واجتماعية تناقش قضايا هامة ويكشف عن السخرية التي حظيت باهتمام البوصيري، إذ وضع يده من خلالها على كل تشوهات المجتمع ونواقصه بما فيه من سخرية تبنى على العقل والفتنة، فهي تخاطب لذة العقل ولذة السمع والبصر، فتبدأ السخرية بفكرة ظهور عاشور الخارق الذي يقتل عشر ثيابات بضربة واحدة، فيدخل التاريخ وينشر صيته من خلال الإذاعة، فيصبح (عاشور) البسيط محل اهتمام الآخرين، ويستخدم كوسيلة لبث الفرقة، فالسخرية ليست بهدف السخرية، وإنما هدفها النقد والتغيير.

ويتضح من خلال تلك الحوارات امتلاكها لإمكانات إخراجية متعددة، تغري بالانتقال من القضاء النصي إلى القضاء الحركي، هذه الإمكانيات تساعد مهام المخرج.

4- الاهتمام بالملابس والمناظر المسرحية، ويتم على أسس ثلاثة :

- **الرؤية الإخراجية:** وفيه يحدد المذهب الذي سيسير عليه في رؤيته الإخراجية.

- **الالتزام بما جاء في النص:** في حالة توافق الرؤية الإخراجية مع رؤية المؤلف.

#### د . سميرة البشير مصطفى ضوء

- تصور شكل خاص للأزياء والمناظر: في حالة عدم وجود إشارات تدل عليه داخل النص.

#### خلاصة وتركيب:

يتضح مما سبق أن كتاب الدراما يجدون صعوبة في الكتابة الدرامية؛ لأن الكاتب لا يقتصر على معرفة العناصر الدرامية من صراع وشخصيات وحوار، وإنما عليه أن يكون ملماً بالخشبة وتقنياتها، لذلك كان أنجح الكتاب الذي يستطيع أن يكتب نصاً ويملك مؤهلات (دراما توريجه) تغري المخرج بالإقبال على مسرحياته.

كذلك نستخلص من البحث أن نظرتنا للمسرح يجب أن تكون مزدوجة وموحدة في الآن نفسه، مزدوجة؛ لأننا نرى بعين المؤلف والمخرج، وموحدة لأن كل نص درامي لا بد أن يحمل في طياته تصور إخراجيه بكل ما يمنحه هذا الإخراج من إمكانات.

النص المسرحي يقيد العرض المسرحي بنواح مختلفة، ليس من الناحية اللسانية الملفوظية وإنشاء بنية الفعل وحسب. بل كذلك من ناحية تعيين الحركة والديكورات وغير ذلك بنسب متفاوتة، ولكن يجب الإشارة إلى أن قارئ النصوص الدرامية لا يبني العالم الدرامي ولا الفضاء الدرامي بالطريقة نفسها التي يبنيها المتفرج، فالمتفرج يتلقى الملفوظات في تتابعها المستمر، أما القارئ فيستطيع معالجة النصوص كفضاء، ودراسة جوانبه كالقفز فوق مشاهد معينة والعودة إلى الوراء وإجراء مقارنات بين المشاهد.

يعد المؤلف المسرحي أديباً ومبدعاً للكلمة، والمخرج يعد نقطة انطلاق ما يسمى بنص العرض المسرحي.

إن أفضل المناهج التي تتناسب مثل هذا النوع من الدراسة هو التحليل الدراماتيوري\*\*\*؛ لأنه منهج قادر على احتواء النص والعرض من خلال مشروع العرض داخل النص الدرامي، مع الاهتمام بالحوار الدرامي، وأهمية الوظائف التي لعبتها داخل المسرحية، ويسعى هذا المنهج إلى إضاءة الانتقال من الكتابة الدرامية إلى الكتابة الركحية ودراسة العناصر الفرجوية.

### جدلية النص والعرض في المسرح ...

رغم كثرة الاهتمامات والدراسات بقيت البنيوية والسيمائية على محاولتهما من أجل وضع نظرية متكاملة للفن المسرحي، تربط بين النص الدرامي والنص المسرحي. والسؤال لا يزال من دون إجابة، فإذا كانت دراستنا للنص المسرحي والنص الدرامي تنتميان إلى حقل الاستقصاء نفسه، أو أنه من الممكن اعتبار سيمياء المسرح والدراما مشروعاً واحداً متكاملًا، أو أنهما بالضرورة فرعاً دراسة منفصلان؟

وحتى الآن، ما يزال البحث السيميائي يتناول النص المسرحي كونه جنساً أدبياً مشابه للرواية أو القصة، في حين يتم التعامل مع العرض المسرحي من منظار سيميائي آخر.

النص الدرامي المقروء يستند إلى عنصر من عناصره، وهو عنصر لا يصل إلى المشاهد، ونقصد بذلك الملاحظات الإخراجية، أي كافة المعلومات التي يقدمها المؤلف للإخراج أو بهدف تحقيق نصه مادياً.

أما نص العرض المسرحي، فهو مقيد بإشارات النص الدرامي المساعد أو تعليمات المؤلف إلى حد ما، والعكس غير صحيح.

إن الحدود بين المسرح والأدب لا تظهر بجلاء على مستوى النص الدرامي بل تظهر أساساً على مستوى الوسائل التعبيرية التي تصاحب هذا النص، فلا وجود لأدب من دون لفظ، وهو ما يمكن أن يستغنى عنه العرض المسرحي، إذ لا وجود لعرض من دون مؤثرات بصرية توظف المكان والزمان في تبليغها.

### الهوامش:

(\*) باحث أكاديمي، ومؤلف مخرج مسرحي، من أهم مسرحياته (النواعير) و(بشار الخير) و(منزلة بين الهزيمتين) و(أبوالهول الجديد) و(ذكريات معاصرة) و(بروميثيوس 91) و(جحا المحامي) ومن أبرز كتاباته الأكاديمية والتنظيرية (بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البدايات إلى الثمانينات) و(المسرح وفضاءاته).

ينظر: يونس الوليدي، النص الدرامي وصيغ قراءته، ط1، 2006.

(1) محمد الكعاز، المسرح وفضاءاته، ط1، 1996، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع، ص 186.

لأهمية الموضوع فقد تم تقسيمه إلى مبحثين، تحدث في المبحث الأول عن ازدواجية النص الدرامي، وعلاقة النص بالعرض.

وتحدث في المبحث الثاني عن تحويل النص الدرامي إلى مشروع عرض، وعن كيفية الانتقال من مستوى الاستهلال القرائي إلى مستوى التحقيق الركي عن طريق الفكرة، والإرشادات المسرحية، والحوار.

(2) كير ايلام، سيمياء المسرح والدراما، تر: رتيق كرم، ط1، 1992، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص8.

(3) أنطوان آرتو، المسرح وقرينه، تر: سامية أسعد، ط1، 1973، دار النهضة العربية، القاهرة، ص59.

(4) سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، ع19، يوليو، 1979، عالم المعرفة، الكويت، ص 14.

(5) ينظر: أحمد زكي، عبقرية الإخراج المسرحي، المدارس والمناهج، 1989، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 29-30.

(6) كير ايلام، سيمياء المسرح والدراما، ص 12.

(7) المصدر نفسه، ص 8.

(8) روبرت سي هول، نظرية الاستقبال (مقدمة نقدية)، تر: عبد الجليل جواد، ط1، 1992، دار الحوار، اللاذقية، ص 98.

### جدلية النص والعرض في المسرح ...

- (9) كسى نزهة، تمضهرات التجريب في المسرح العربي، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف د. يونس الوليدي، 2006-2007، جامعة سيدي محمد عبد الله، فاس، ص 31.
- (10) محمد الكعاط، المسرح وفضاءاته، ص 86.
- (\*\*) هذه المسرحية من حكايات ألف ليلة وليلة عن (حكاية الأحذب) التي حكته شهرزاد إلى شهريار، وتضم المسرحية ثلاث شخصيات الأولى طاهية شهندر التجار، والثانية حكيمة القرية، والثالثة عفراء زوجة أحد التجار، وكل شخصية واقعة تحت تأثير الضمير لاعتقادها بارتكاب الجريمة وتندفع كل واحدة بسرد قصة قتلها (الأحذب) والأدوات التي استعملتها.
- (11) يونس الوليدي، الميثولوجيا الإغريقية في المسرح العربي المعاصر، ط1، 1998، مطبعة انفربرانت، فاس، ص 195.
- (12) يونس الوليدي، الميثولوجيا الإغريقية في المسرح العربي المعاصر، ص 197.
- (13) البوصيري عبدالله، بضربة قتل عشر، ط1، 1987، الدار العربية للبيبة للنشر والتوزيع والإعلان، ص 46.
- (14) المصدر السابق، ص 57.
- (15) المصدر نفسه، ص 70.
- (16) المصدر نفسه، ص 28.
- (17) (\*\*\*) "يفحص التحليل الدراماتوري الحقيقة المعروضة في المسرحية، ويطرح الأسئلة الآتية: أي زمنية، أي فضاء؟ أي نوع للشخصية؟ كيف تقرأ الحكاية؟ ماهي العلاقة بين العمل والعصر الذي أبداع فيه والعصر الذي يمثله" كما يساعد هذا المنهج إلى تناول النص كمشروع للعرض من خلال الإرشادات المسرحية والحوار.
- (18) عطا الله الأزمي، قراءة في مسرحية طوق الحمامة، تقديم: يونس لوليدي، ط1، 2004، مؤسسة إديسوفت، ص 80.

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

د. مريم الصادق محمد المحجوب

قسم الفلسفة

كلية الآداب - الزاوية

### المقدمة:

يحتل أفلاطون (427\_ 347 ق. م) بين فلاسفة العالم مكانة خاصة لم يرق إليها أحد من قبله ولا من بعده، فهو الذي رسم للتفلسف منهجه الحق، وكان خير مَنْ طبق هذا المنهج. وما ذلك المنهج إلا أن أفلاطون قد رأى أنه لا يمكن القطع بأي رأي حول أي موضوع من موضوعات الفكر البشري ببساطة ودوجماطية. وقد اتضح ذلك من محاوراته، فهي خير تعبير عن تطبيقه لذلك الرأي.

ولعل ذلك المنهج هو الذي حيرَ الباحثين في فلسفته منذ القدم، إذ أنه قد أدى إلى فتح الطريق أمام الاجتهادات كل منهم ليفهم أفلاطون كما يحلوه، بالتركيز على بعض المحاورات دون بعضها وتلك الاجتهادات قد أدت إلى اختلاف التفسيرات حول فلسفته. ومنها نشأت صعوبة البحث المعاصر في فلسفة أفلاطون. ولا يمكن لأي باحث أن يستقصي كل ما كتب حول أفلاطون بلغات الدنيا كلها. ومن ناحية أخرى لا يمكن لأي باحث القطع بأنه رأيه هو الصائب في دراسته لأفلاطون وإلا خالف أساساً من أسس الفلسفة الأفلاطونية<sup>(1)</sup>.

وإذا كان ذلك كذلك في كل مجالات الفلسفة الأفلاطونية فإنها تبدو بوجه خاص في البحث حول الإلهية عنده، مما حدا بالباحثين منذ القدم إلى عدم إفراد فصول مستقلة لدراسة فهم أفلاطون للإلهية إمامهروباً من صعوبة بحثها لديه، إذ أنها مرتبطة بكل أجزاء فلسفته أو اغفالاً منهم لأهم جانب من

جوانب تلك الفلسفة، التي إن بحث في أي جزء منهما وجدت ذروته مرتبطة بالإلوهية.

وهذا يرجع فيه إلى عالم المثَل الذي افترضه أفلاطون وجعله موطن الحقيقة المطلقة هي المعرفة الحقيقية المطلقة وما عداها ظن ووهم. فإذا حاول احد البحث في الأخلاق وجد نفسه منساقاً إلى مثال الخير، وإذا حاول البحث في الإلوهية وجد نفسه منساقاً إلى الصّانع الأفلاطوني وهل هو الإله أم أنه مجرد مساعد لمثال الخير الذي يرى البعض أنه هو الإله عند أفلاطون<sup>(2)</sup>.

تهدف الباحثة من هذا البحث إلى توضيح أهمية الصّانع عند أفلاطون في تكوينه لنشأة العالم، وذلك من خلال الحديث عن معنى الصّانع لغة واصطلاحاً، ومفهوم الصانع وصفاته وعلاقته بالخير الاسمي، ومن ثم نشأة العالم، وتصور أفلاطون لدور العقل والضرورة في كيفية إحداث العالم، وكيفية إحداث الصّانع لجسم العالم، وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي والمقارن لتوضيح الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع..

وقبل البدء في مناقشة الأفكار الفلسفية المتعلقة "بمفهوم الصّانع عند أفلاطون " لابد لنا أن نعرف بهذا المصطلح، فلا يمكن الشروع في هذا الموضوع بدون أن نشير إلى معناه. في حين سنستعرض في خاتمة البحث أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

### أولاً: الصّانع في اللغة:

يعود أصل كلمة الصانع ومدلوله إلى عهد الحضارة اليونانية القديمة (Demiourg0s)، وهو مركب من (ديميوس) (Demios) الجمهور وأرغون (Ergon) العمل، ومعناه: العامل في سبيل الجمهور، أو الصانع الذي يمارس مهنة يدوية<sup>(3)</sup>.

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

### ثانياً: الصانع في الاصطلاح:

وهو لفظ أطلقه أفلاطون في محاوره (طيمائوس) على صانع العالم أي على الله، وفرق بين الصانع الأعلى أي الإله الذي خلق نفس العالم، وبين الثواني التي خلقها بنفسه وفوض إليها خلق الموجودات الفانية. وفي (النواميس): "هناك أشياء لا ينبغي للإنسان أن يجهلها منها أن له صانعاً، وإن صانعه يعلم أفعاله"<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: مفهوم الصانع وصفاته:

لقد وحد بعض مؤرخي الفلسفة بين الصانع ومثال الخير أو عالم المثل ككل على أساس إن الصانع هو ما يضيف على الموجودات المحسوسة شكلها وماهيتها ووجودها، وهو نفس ما تقوم به المثل بالنسبة للمحسوسات<sup>(5)</sup>. ولكن هذا الرأي مردود عليه، إذ أن أفلاطون لم يتحدث بالتفصيل عن فكرة الصانع كإله شخص يطبع الصور على المادة القابلة لها ليشكل منها الموجودات المحسوسة إلا في محاوره (طيمائوس) والتي تعد من محاوراته المتأخرة التي سبقتها بالطبع فترة زمنية طويلة تحدث فيها عن عالم المثل الخاص به. نقده وأعاد تشكيله ثانية بعد محاوره "طيمائوس"، لا يمكن أن يكون أفلاطون قد قصد أن يطلق على عالمه هذا اسم آخر هو الصانع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إن للمثل دوراً سياسياً في وجود العالم المحسوس في "طيمائوس" ذاتها فهي النموذج الذي يحتديه الصانع في تشكيل العالم المحسوس بما فيه من موجودات. فكيف يمكن إن نوحده بين النموذج والصانع الذي يحاكيها ليوحد على غرار مصنوعاته؟ وهذا يعني كلاهما متميزان ولا يمكن أن نجعلهما وجهان لواحد<sup>(6)</sup>.

ومن المتعارف عليه إن كل شيء في فلسفة أفلاطون إله أو الهي: كالمثل ومثال الخير، والصانع، والنموذج الحي بالذات، ونفس العالم، والهة الكواكب والنجوم، والجزء العاقل من النفس الإنسانية. وانخداعاً بظواهر هذه الاطلاقات زعم قوم أن كلام أفلاطون عن الله أو الصانع لا يدعو أن يكون قصة رمزية لا يعني أن الله موجود قائم بذاته، وإنما يمثل فقط ما للمثل من قدرة على التأثير في المادة أو عليه لها. وإذ جاز في لغة أفلاطون اشتراك لفظ (الله) ولفظ



(الإلهي) في الإطلاق على كل مجرد من المادة صالح أن يكون مبدأً للتدبير والنظام، فإنه يكون من اليسير تفسير هذه الاطلاقات المتقدمة دون القول بأن ذلك يؤذن بتعدد الإلهة عند أفلاطون. فكلما وجد النظام والتدبير كان العقل وكانت الإلهوية أو الروحية ولكن بدرجات متفاوتة في الوجود كما بينا (7).

فالنفس الكلية والهة الكواكب مدينون للصانع بوجودهم وخلودهم، فهم آلهة باشتراك الاسم فقط، إما الصانع والخير والجمال والنموذج فتوحيدهم لا يكلف كبير عناء، فهم من جهة وضعوا على قدم المساواة، كل في قمة نوع أو مقولة. فالصانع الفاعل الأول، والخير غاية العقل القصوى، والجمال المطمح الاسمي للإرادة، والنموذج أول المثل وحاويها جميعاً. وهم من جهة أخرى موصوفون بعضهم ببعض: الصانع خير، ومثال الخير مصدر المثل، والنموذج محلها وكلهم جميل، وكلهم أجمل الموجودات. فالإله هو الصانع من حيث هو علة فاعلة تطبع صور المثل في المادة، وهو النموذج من حيث هو علة نموذجية تحتذي، وهو الجمال والخير من حيث هو علة غائية تحب وتطلب. صفات لواحد ميزها أفلاطون بحسب المناسبات، وكان همه موجهاً لوضع المذهب الروحي ضد الطبيعيين والفسطائيين. ولم تكن لمسألة الشرك والتوحيد في أيامه مثل ما صار لها من الأهمية فيما بعد. فلما احل الأعداد محل المثل في دروسه الأخيرة عبر عن الإله بالواحد – الواحد بالذات (8).

والواضح أن أفلاطون في "طيماوس" يتحدث – كما يتبين من نصه، ومن تحليلات الشراح عن عدة آلهة، فهناك الإله الصانع نفسه، وهناك خدامه المنحدرين منه أو ما يسمون بالآلهة الثانوية، والهة الكواكب الثابتة، والأرض والكواكب السيارة وأخيراً آلهة الأسطورة الشعبية. والتساؤل هنا يتلخص حول ماهية كل تلك القوى الإلهية وعلاقتها بعضها ببعض الآخر وأخيراً علاقتها بعالم المثل؟ (9).

#### رابعاً: الصانع وعلاقته بالخير الاسمي:

رداً عن التساؤل السابق يقول ألبير ريفو: بما إن "الحي بذاته" يحوي بضرورة نموذج كل الحقائق الواقعية، ألا ينبغي عليه في هذه الحالة إن يحوي

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

نموذجاً للإلهية نفسها؟ وهل يكون لدينا في هذه الحالة نوعان من الآلهة نوع مثالي ونوع محسوس؟.

الحق إنني لا أجد مكاناً محدداً في "طيمائوس" يخبرنا به أفلاطون، ولكنه في مقطع غريب يميز بين الآلهة المرئية أي الكواكب وبين الآلهة الذين يستطيعون عندما يطيب لهم إن يظهروا للعيان مع أنهم في الغالب يلبثون محتجبين عن الأبصار، فهل يزدوج العالم هكذا فيكون هناك عالم تعمل فيه الآلهة المنظورة وعالم تسود فيه القوى غير المنظورة؟<sup>(10)</sup>.

إنه حل غريب يصعب علينا تصوره، وإن كان الصانع يختلف عن مثال الخير وعالم المثل وإن لم يكن هناك إلهان أعلى من الواحد فوق الآخر، فهل يمكن إن يكون الصانع هو مثال الخير نفسه؟ وفي هذه الحالة ألا يخرج المثل عن عزلته الفائقة عن الحس ليتدخل في التحول بالذات في صورة الصانع؟. إن الشراح قد أفاضوا في معالجة هذه المشاكل، أضف إلى ما قدمنا من تحليلاتهم، نجد أنه بينما يدمج أغلبهم ولا سيما زيللر zeller الصانع بمثال الخير، يؤكد غيرهم، وبروشار Brochard في طليعتهم، أن الصانع نفسه مركب من المثل وأنه من ثم لا يعود إلى مثال الخير ولن النموذج يبقى دوماً متميزاً عن الواقع التي يصوغه الصانع على شبهه<sup>(11)</sup>.

والحق أنه يستحيل إن يستخلص لمرء من النصوص حلاً متماسكاً، ففي مواضع كثيرة لا يتميز الصانع إلا بصعوبة عن مثال الخير، وفي مواضع أخرى يبدو مثال الخير أسمى من الإله نفسه الذي لا ينقطع عن تأمله وعن الاقتداء به في أفعاله<sup>(12)</sup>.

ولا يستطيع أي باحث في الفلسفة الأفلاطونية أن ينكر مدى الأهمية التي أولها أفلاطون لـ "الخير" سواء كان الخير الأخلاقي أم الخير كمثال من المثل أو مثال المثل، فقد تحدث أفلاطون عن المثل بكل هذه المعاني، ولقد كان من الطبيعي تبعاً لهذا أن يختلف الشراح في تحديد ماهية ذلك الخير الذي جعله أفلاطون قمة المذهب الأخلاقي والميتافيزيقي في آن واحد. فهل هو القيمة العليا فحسب أم انه المبدأ الميتافيزيقي الأعلى؟ وهل الخير خالق بالمعنى الحرفي أم المجازي؟. وهل يمكن المضي إلى النهاية في تشبيهه علاقة الخير بالكون بعلاقة

الشمس بعالمه الأرضي ( وهو التشبيه المشهور في "أسطورة الكهف " ) فنقول أنه لا يزيد من وضوح رؤيتنا للأشياء فحسب، وإنما هو سبب وجود هذه الأشياء أيضاً، مثلما إن الشمس سبب وجود كل ما في العالم الأرضي ؟<sup>(13)</sup> . إن أوصاف الخير في الكتاب السادس من " الجمهورية " تكاد تنقطع بأنه جعل منه مبدأ كونياً إلى جانب كونه قيمة، أو نظر إليه على أنه ارفع موضوعات المعرفة والعلم لا الأخلاق فحسب<sup>(14)</sup> . إلا أن (فتك) يرى: أن الخير الذي يدعوه أفلاطون "الأكثر قابلية لأن يعرف " والذي تتم بموجبه في "الجمهورية " تربيته الفلاسفة، ليس من شك أنه ليس قيمة ، بل أنه العنصر الأساسي في جميع المثل، أي مثال المثل. فالخير يعطى جميع المثل إمكانية إن تدرك، ويعطيها استقرارها ووجودها. ومن تم فهو يوصفه ما يسمح بالوجود واقع خلف حدود الموجودية، ولذا فهو ليس موجوداً يفوق المثل الدائمة وحسب بل يمثل "الخير" المفهوم الأعلى في الفلسفة الأفلاطونية. فجميع الأشياء تصبح واضحة في ضياء "الخير" وكل شيء متناهٍ بالتالي يصبح إلى حد ما خيراً بما أنه واقع في انعكاس ضيائه ويصبح الوجود بوصفه خيراً متعالياً على الوجود<sup>(15)</sup> .

وبهذا المعنى يكون أفلاطون أول الباحثين الأخلاقيين الذين حاولوا إن يتجاوزوا نطاق الغايات المباشرة، كاللذة والشرف والتكريم والمال، ليصلوا إلى المبدأ الكامن من ورائها – وراء مبدأ عقلي يعلو على كل الأمثلة الجزئية للخير – إذا كانت كل الغايات المباشرة تستمد قيمتها من هذا المبدأ الواحد، فإنه لا يستمد قيمته إلا من ذاته. وبعبارة أخرى، فإن أفلاطون كان أول من أدرك إن فلسفة الأخلاق في صورتها النهائية، ينبغي إن تتجاوز ذاتها لكي تتخذ لنفسها أساساً من مثل أعلى نهائي، تستمد منه الغايات الأخلاقية قيمتها، بل تستمد منه المفاهيم الأخلاقية معناها. ولا جدال في إن مبدأ كهذا لا يفهم إلا بعد تدريب طويل للعقل على التفكير المجرد، وعلى ممارسة ملكاته الاستدلالية. ومع ذلك لو أخذنا نصوص أفلاطون بمعناها الحرفي ولاسيما في الجزء الخيّر من الكتاب السادس، لكان هذا المبدأ غير كاف. فالخير يبدو عندئذ مبدأً تطوالياً خالفاً لا مجرد قانون أسمى أو قيمة عليا تكتسب بها الفضائل العملية طابعاً عقلياً أو

### مفهوم الصانع عند أفلاطون

عملياً، وتتجاوز بفضلها مجال الشعور الذاتي أو التفضيل الشخصي وإنما مبدأ ينتمي إلى مجال الميتافيزيقيا أكثر مما ينتمي إلى مجال الأخلاق<sup>(16)</sup>. وحين يصبح الخير مبدأ انطولوجياً، يكون معنى ذلك إن مسار الكون بأسره يتجه بالضرورة نحو الخير. وفكرة الضرورة هذه – حتى ولو كانت ضرورة تحقيق الخير – تتنافى مع حرية الإرادة البشرية، فلن يكون للإرادة عندئذ دور في توجيه الإنسان إلى أتباع الخير ومقاومة الشر، مادام المبدأ الكوني هو الذي يتكفل بتحقيق هذه الغاية<sup>(17)</sup>.

والحق أن هذا لا يجعلنا ننساق وراء من يعتبرون " طيماوس " مجرد أسطورة، أو من يعتبرون " الصانع " فرض زايد، بل إننا ونحن نبحث عن التصور الأفلاطوني للإلهية، لا نستطيع إن نقلل من الأهمية القصوى لتلك " الأسطورة " وذلك " الصانع " لأنهما يكملان صورة فهم أفلاطون للإلهية يوضحان شغفه الشديد بفكرة التآليه، حتى أنه أنزلها من عليائها في " الجمهورية " متمثلة في " مثال الخير " وجعلها تغوص في جنبات العالم المختلفة ومراتبه المتعددة كل حسب ترتيبها وعلو شأنها، ولعل خروج أفلاطون عن الإطار المنطقي في هذه المحاوره يعد ابلغ دليل على هذا. فكأنه أشبه بالصوفي الذي يغلب عليه التنزيه أحياناً، ويرى أحياناً أنه كل ما يراه في هذا العالم ما هو إلا فيض عن الإله أو صورة منه فيحاول إن يخلع على تصوره للإله شيئاً مما يرى في تلك الأحيان، فيبدو مرة موحداً، وأخرى قائلاً بوحدة الوجود\*، وأخرى أشبه بالفائلين بالاتحاد<sup>(18)</sup>.

### خامساً: نشأة العالم:

إلى جانب مثال الخير يضع أفلاطون قوة أخرى في هذا العالم هي قوة الضرورة المادية. فلم يكن الإله لديه خالقاً من العدم للعالم، بل كانت توجد إلى جوار الإله منذ الأزل المادة في حركة فوضوية، فاقنع الإله الصانع المادة بأن تستجيب للنظام فأذعنت له قدر الإمكان، فنشأ العالم ووصف أفلاطون هذه المادة بأنها " الضرورة العشوائية " التي تستجيب من خلال الإقناع لقيادة العقل النهائي ونظامه، فتخلي عن فوضويتها وتتنظم في هذه الحركة المنتظمة التي

تسود الوجود الآن، وذكر إن خيرية الإله وصلاحه هما اللذان دفعاه إلى إدخال النظام على الفوضى<sup>(19)</sup>.

وينسب أفلاطون مهمة صنع العالم إلى الإله الصانع حيث يعرض القضية في محاورته السفسطائي قائلاً: " هل يمكن أن نقول عن كل الحيوانات والنباتات التي تنمو من الأرض من بذور وجذور وعن كل الموجودات غير الحية التي تكونت في باطن الأرض أنهم جاءوا للوجود بطريق آخر مختلف عن فاعلية الإله الصانع<sup>(20)</sup>. ولكن أفلاطون إذا كان يعرض قضية نشأة العالم هنا في هذه المحاورته إلا أنه لم يقدم بطريقة أو بأخرى أي تفصيل حول تلك النشأة وهذا ما فعله أيضاً في محاورته "فليبوس" حيث يلفت الأنظار إلى أن " ما في السماء من نظم الأفلاك والكواكب يجب أن يكون من صنع العقل الإلهي المنظم لكل شيء " <sup>(21)</sup>، وهذا يعنى أن كل ما في الوجود من صنع العقل الإلهي.

وفى تطور آخر لقضية نشأة العالم يعرض أفلاطون في محاورته "السياسي" أسطوره عن تلك النشأة لعل أهم ما في هذه الأسطورة أنه " ينسب للإله كرونوس مهمة صنع العالم إذ يعتبره صانع الكون وأبيه وقائده وهو الذي كلف فيما بعد الإلهة المحدثه بصنع ما في عالمنا الإنساني " <sup>(22)</sup>.

كانت هذه مقدمات بسيطة أوردتها أفلاطون في المحاورات السابقة الذكر لكنه على أية حال كان يمهد لعرض هذه القضية بإسهاب في محاورته أخرى ألا وهي محاورته " طيماوس" التي تعد من المحاورات الفريدة التي عالج فيها أفلاطون قضية نشأة العالم والإنسان معالجة تفصيلية واضحة، وتعد أيضاً قصيدة تهتم بالمقام الأول بتوجيهنا نحو العالم ومدى استفادتنا من حياتنا واستعدادنا للموت.

كان أفلاطون مهتماً في محاورته " طيماوس " بعرض الكون المنظم على أنه عمل من أعمال العقل، وأن الإنسان يشارك في العالمين معاً: عالم المعقول وعالم المحسوس وأن "العقل ينظم الأشياء جميعاً" <sup>(23)</sup>، فأفلاطون يعرض علينا في محاورته " طيماوس " صورة نظام عقلي للأشياء جميعاً يقول بها العقل كما يعرض الأصل الإلهي لخلود النفس الإنسانية " مثلما أن الكون

### مفهوم الصّانع عند أفلاطون

بأسره يشتمل على ثنائية العقلي والأزلي من ناحية، والحسي والعابر من ناحية أخرى، فذلك الإنسان – العالم الصغير – يشتمل على ثنائية الأزلي أو النفس – التي تنتمي إلى دائرة الحقيقة والبدن الذي يفنى ويزول". وهذا العرض للعالم على أنه من أعمال العقل الذي يشكل العالم المادي وفقاً للنموذج المثالي، يؤلف مقدمة ممكنة للمعالجة الممتدة المقترحة للدولة، التي ينبغي أن تتشكل على نحو عقلي وتنظيم للنموذج المثالي بحيث لا يترك لعبة في يد " الصدفة " أو الأسباب اللاعقلية (24).

إذن الذي صنّع العالم هو الإله الصّانع الذي صنعه على مثاله على غرار ما هو أزلي. ولما كان الإله يخلو من الحسد والغيرة. صنعه على مثاله وأراد أن تكون جميع الأشياء خيرة وألا يكون للشيء نصيب من الشر ما كان ذلك في حدود المستطاع. وما دافع الصّانع ليخلق ذلك كله ؟ لقد كان الصّانع خيراً. فأعتقد أفلاطون بأن إحداث العالم ككل وما فيه من موجودات محسوسة راجع إلى خيريّة الإله، فالصانع حيث أنه خير تدخل فيما بين المثل والقابل والعناصر من التحرك العشوائي إلى التحرك المنتظم الخاضع للغاية والسالك وفقاً للعقل (25).

وبالإضافة إلى ذلك قد استطاع الصّانع تحقيق هذا بمحاكاته للمثل حيث أنها هي النماذج التي استطاع بالرجوع إليها أن يحدث من القابل أو المكان أو الضرورة أولاً ، والعناصر تم جسم الكون ككل ، ثم الموجودات المحسوسة المتنوعة (26)، ومعنى ذلك أنه بمحاكاته للمثل استطاع أن يحدث العالم وما فيه من موجودات مرئية.

فالأحداث في " طيماوس " كما في " فييلوس " نوع من فرض للمحدود (\*) على اللامحدود (\*) (27)، وقد أكد أفلاطون على أن الصّانع عاقل في كلا المحاورتين (28).

تلکم هي الرموز التي يحجب أفلاطون ورآها فكرة شفافة ما. فالصانع الذي كوّن العالم المرئي على غرر المثل ووفقاً لكماله الخاص، هو مثال الخير، أي المصدر الأبدي للعالم الذي تصدر عنه جميع الكائنات التي تربط بينها قوانين التناسق (29).

سادساً: تصور أفلاطون لدور العقل والضرورة في كيفية إحداث العالم: أما عن كيفية حدوث العالم فيرى أفلاطون أنه نتيجة لاختلاط نماذج فعل الضرورة والعقل فالعقل سيطر على الضرورة لكي تقود معظم الأشياء المحدثه تجاه ما هو أفضل وطبقاً لهذا تركيب الكل<sup>(30)</sup>، ولذلك فإن أفلاطون شخّص كلاً من العقل والقابل " الضرورة " وتصور وجود صراع بينهما انتصر فيه العقل بإقناعه للضرورة.

لعل موقفه هنا في الطبيعة يذكرنا بموقفه في المجتمع المثالي والأخلاقي حيث الصراع الدائم بين القوة العاقلة المنظمة التي ينبغي أن يكون لها السيادة والسيطرة من ناحية، والقوة غير العاقلة الميالة للفوضى وعدم النظام من ناحية أخرى. وربما هذا الموقف هو الذي أملى عليه الاتجاه السائد في فلسفته الطبيعية.

وعلى ذلك فإن أفلاطون يميز بين نوعين من العلل. العلة الضرورية والعلة الإلهية أي العلل التي تعمل لتنتج ما هو خير من تلك المجردة من العقل والتي تنتج أثارها المتعددة عشوائياً وبدون نظام<sup>(31)</sup>.

وإذا ما أخذنا وجهة نظر ديمقريطس (460 \_ 404 ق.م ) أو أبيقور (341 \_ 270 ق.م ) عن الكون الذي بني العالم بناءً عليها من ذرات دون مساعدة العقل. ولدينا مثال لما كان يعنيه أفلاطون بالضرورة وهو "اللاعتراض" الذي لم يشكله العقل ، ولو أننا وضعنا في ذهننا أن العالم – في المذهب الذري مدين بأصله " للصدفة " ، صدفة تصادم الذرات، استطعنا أن نفهم بسهولة أكثر كيف استطاع أفلاطون أن يربط بين الضرورة والصدفة أو " السبب الشارد " وربما بدأ لنا ذلك على أنهما لفظان متضادان ، إلا أنهما كانا عند أفلاطون لفظين متقاربين ومتشابهين طالما أنهما معاً يدلان على شيء لا يشارك فيه العقل والفرص الواعي. ومن هنا استطاع أفلاطون أن يتحدث عن أولئك الذين يعلنون أن العالم نشأ " لا من العقل أو أي إله ولا من الفن ، بل من الطبيعة والصدفة " أو من الضرورة<sup>(32)</sup>.

وقبل أن ننهي حديثنا عن تصور أفلاطون عن الضرورة ودورها في إحداث العالم نود أن نشير إلى أن اعتراف أفلاطون بدور الضرورة وتأثيرها على

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

فاعلية العقل يعد تسليمًا منه بأنه ليس كل عملية من عمليات الطبيعة يمكن أن تفسر تفسيراً غائباً<sup>(33)</sup>.

### سابعاً: كيفية إحداث الصانع لجسم العالم:

#### أ- جسم العالم:

حينما كان العالم جسم مرئي ولموس فلا بد أن يدخل في تركيبه التراب الذي يجعله ملموساً ، والنار التي تجعله مرئياً والماء الذي يجعله شيئاً حياً والهواء كائناً متنفساً. " لهذا اعتقد أفلاطون أن جسم العالم قد ركب من اتحاد العناصر الأربعة. حيث أن هذا الذي يأتي للوجود يجب أن يكون جسماً وبالتالي مرئياً أو ملموساً ولا شيء يمكن أن يكون مرئياً بدون نار أو ملموساً بدون شيء صلب ، ولا شيء صلب بدون الأرض ، ولهذا السبب عندما بدأ الإله يؤلف جسم العالم صنعه من نار أو أرض. ولكن شيئين فقط لا يمكن أن يتحدوا على نحو مرضي بدون ثالث وهذا طبقاً لطبيعة التناسب الهندسي المتصل<sup>(\*)</sup>. ولكن حيث العالم مجسم في الشكل والمجسمات دائماً توجد ليس بوسط واحد ولكن باثنين. وفقاً لذلك وضع الماء والهواء بين النار والأرض وجعلها متناسبة للماء، وكما للهواء بالنسبة إلى الماء. كذلك الماء بالنسبة للأرض<sup>(34)</sup>. نفهم من ذلك أنه لكي يكون العالم مرئياً ولموساً لا بد أن يتكون من العناصر الأربعة السالفة الذكر.

وقد نفى أفلاطون وجود حواس في جسم العالم. فهذا العالم يكفي ذاته ولا حاجة له إلى أعضاء وقد ولد عن قصد ليتأثر بذاته في ذاته ، ويصنع كل شيء بذاته في ذاته. لأن الذي ركب عناصره اعتقد أنه خير له أن يكتفي بذاته من أن يحتاج إلى الأشياء الأخرى. وقد حسب الله أو إله الخير أنه لا ضرورة أن يركب له أيادي.. ولا أرجلاً أو أعضاء أخرى<sup>(35)</sup>. أي بمعنى أن العالم مكتفي بذاته ولا حاجة له إلى شيء آخر يوجد.

#### ب - نفس العالم:

إذا كنا تحدثنا عن نفس العالم بعد الحديث عن جسمه فهذا لا يعني أنه وجدت بعده ، بل هي سابقة عليه فبالرجوع إلى محاوره " طيماسوس" وجدناه يقول: " إن الله أنشأ النفس وجعلها بمولدها ومناقبها متقدمة على



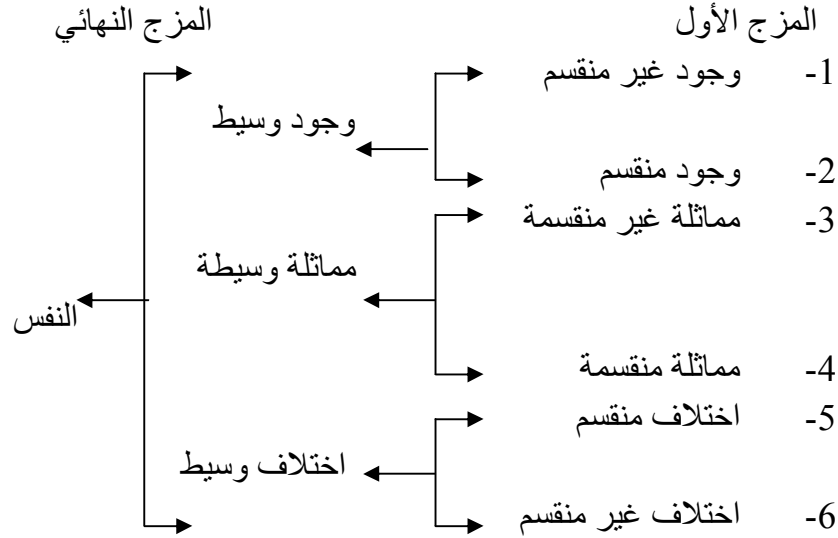
الجسد ، وأقدم منه عهداً وسيدة وأمرة ، وهو خاضع لها " (36) ، فالنفس إذن سابقه على الجسد ومتغلغلة فيه كله وتحيط به حتى من ظاهره . قد يتساءل البعض مما تتركب النفس ؟ أو كيفية إحداث أو تشكيل الصانع لها ؟ .

### 1- بنية نفس العالم:

رداً على التساؤل السابق.. يري أفلاطون إنها تتركب مما هو عين ذاته من الآخر ، ومن الجوهر الممزوج الناتج عنهما: " الدائم الثبات على حال واحدة " وغير القابل للانقسام ، ثم من الجوهر المنقسم المحدث في الأجسام . ومزجها وصنع منهما صنفاً ثالثاً من الجوهر متوسط بين الاثنين ، له طبيعة ما هو عين ذاته وطبيعة الآخر.. ثم عاد وأخذ هذه الجواهر وهي ثلاثة ، ومزجها وعمل منها كلها صورة واحدة " (37) . هذا هو تركيب النفس الجوهر الناتج عن مزج ثلاثة جواهر كما رأينا .

وقد استمر الصانع على نفس المبدأ بالنسبة للمماثلة والاختلاف . فكما أن هناك نوعان من الوجود . منقسم وغير منقسم – فإن المماثلة والاختلاف نوعان متلازمان يوصفان بأنهما: " ذلك النوع القابل للانقسام والنوع المنقسم في أجسام وتبعاً لذلك فإن الصانع قد وضع نوعاً بسيطاً ثالثاً من المماثلة " وكذلك من الاختلاف " مؤلف من نوعي المماثلة المنقسم وغير المنقسم " وكذلك من الاختلاف " ، هذان النوعان الوسيطان من المماثلة والاختلاف يمثلان المكونين الثاني والثالث من المزيج النهائي (\*). وفي النهاية يقوم الصانع أخذاً المكونات الثلاثة لمزجها في وحدة واحدة . وبوسعنا وضع النسق الكامل لبنية النفس كما يلي:

## مفهوم الصانع عند أفلاطون



إذن النفس تتكون من مزيج من الوجود الوسيط والمماثلة الوسيطة والاختلاف الوسيط وهي لذلك تشارك في صفات الصور من جهة، وفي صفات الأثياء الأخرى وتحتل مكاناً وسطاً بين العالم المعقول والعالم المحسوس<sup>(38)</sup>. بعد أن مزج الصانع المكونات الثلاثة معاً شطر الصانع كل هذه البنية بعد ذلك بالطول إلى نصفين جاعلاً الاثنين يطالب أحدهما الآخر عند مركزيهما في صورة الحرف ×، ولقد ثني الصانع كل منهما عند نقطة مضادة لتلك الحركة التي نقلت دائرياً بانتظام في نفس المكان، وجعل أحدهما الدائرة الخارجية والأخرى الدائرة الداخلية، وقد سمي الحركة الخارجية حركة التماثل والحركة الداخلية حركة الاختلاف، وتدور حركة التماثل إلى اليمين في المحيط وحركة الاختلاف إلى اليسار عبر خط قطري<sup>(39)</sup>.

أي بمعنى أن نفس العالم تتحرك دائرياً وتمتد في كل مكان من اليمين إلى الشمال أي من المركز إلى محيط الدائرة.

أن القول بأن النفس تعلق جسد العالم من الخارج لا يعني أن النفس تمتد إلى ما يتجاوز الجسد، بل أنها تصل إلى محيطه تماماً كأن يقال أن اللون الأصفر لبرتقالة يقطعها كلها من الخارج<sup>(40)</sup>، وهنا نلتبس أثر أفلاطون واضحاً

في رأي أرسطو عندما تحدث عن أجزاء الحيوانات من الخارج ، وكذلك امتد أثره إلى أفلوطين (205 – 270 ق.م) عندما تحدث عن المحيط من الخارج للدائرة على أنه قد يظهر اقتراح يقول: "بأن حضور نفس عقلانية ظاهرياً بأوضح صورة على المحيط ، حيث تتضح الثورة اليومية للعالم ككل بشكل مرئي عن طريق النجوم ، والتي لها التفوق على كافة الحركات الداخلية (41) . وبالرجوع إلى محاوره " فيدون " – وجدنا أفلاطون يتخذ النفس أداة لتفسير حركة الأشياء المحسوسة وتغيرها لأنه إذا كانت الصور أشياء ثابتة فإنها تكون عاجزة عن إحداث التغيير في العالم وفقاً للقاعدة القائلة (أنه لا يخرج شيء من لا شيء )، فجعل أفلاطون الروح أو النفس مبدأ الحركة والتغير والتفكير والواقع أن الروح عند أفلاطون – هي الشيء المتحرك بذاته (42) بالرغم من أن أفلاطون جعل من النفس وسيلة لتفسير حركة الأشياء المادية إلا أنه اعتبر المثل أو الصور أشياء غير متغيرة لأنها قاصرة على إحداث التبدل في العالم لهذا جعل النفس شيء متحرك بذاته.

## 2- وظائف نفس العالم وعلاقتها بالصانع:

وبعد أن أسهب أفلاطون الحديث عن طريقة تكوين الصانع لنفس العالم وحركات النفس بدأ في الحديث عن مهمة النفس في العالم – فالنفس وحركاتها كما في الإنسان تعد سابقة على كل الحركات المادية (\*). وهي تعد بمثابة العلة الفاعلة والمباشرة في تحريك الطبيعة وذلك من أجل تحقيق غايتها الخيرة (43) . وإذا كانت النفس تحرك الطبيعة من أجل غاية فإن هذا يعني أن هذه النفس عاقلة (\*) ولكنها ليست مثلاً خالصاً ، حيث أنها متحدة بجسم يمكن إدراكه حسيّاً فيمكن تصورها بوصفها ممتلئة لإحساسات داخلية. لذلك فإن النفس تمتلك أحاسيس ومشاعر ، ولكنها غير قادرة على أن يكون لها عقلاً مدبراً ، نظراً لارتباطها بالجسد.

وبعد أن تحدثنا عن نفس العالم ومهمتها يجدر بنا الآن أن نشير إلى علاقتها بالصانع وقبل أن نستطرد الحديث لا بد إذن من أن نشير إلى مسألة هامة تتعلق بالتناقض الذي يدور للوهلة الأولى بين أفلاطون في " طيماوس " بحدوث النفس

### مفهوم الصانع عند أفلاطون

وأنها كانت أول ما أبدع الصانع وبين ما ورد في "فايدوروس" وفي "القوانين" من إنها قديمة باعتبارها مبدأ الحركة ومبدأ الوجود الحسي<sup>(44)</sup>.

ولكن قد يتساءل البعض ما معنى النفس، وهل هناك صلة تربطها بالصانع؟ وهل يزال هذا التعارض بينهما قائماً؟، وهل النفوس كلها تكون في ذلك العالم؟، أم أن هناك واحدة هي التي ينطبق عليها هذا القول؟.

رداً على هذه التساؤلات وجدنا أفلاطون يعرّف النفس في محاوره "فايدوروس": بأنها المبدأ الأول الذي لا يستمد حركته من أي مبدأ سابق عليه والتي منها يستمد الوجود كله حركته. فهي الحركة الأولى أو الحركة التي تحرك ذاتها ثم تهب الوجود كله حركته المستمرة الأبدية<sup>(45)</sup>.

أراد أفلاطون أن يوضح بأن النفس هي المبدأ التي منها يستمد الوجود حركته وهي الحركة التي تحرك ذاتها دون الاعتماد على غيرها.

أما عن حركة النفس أو ثباتها فقد انتهى أفلاطون سابقاً إثناء حديثه عن النفس ومعرفة خلودها إلى القول: "بأن من يستمر في تحريك ذاته دائماً لا بد أن يكون خالداً في حين أن الذي يحرك غيره فإنما يتحرك بغيره وتوقف حركته هو توقف لحياته ولوجوده. وأما ما يحرك نفسه فهو وحده الذي لا يكف عن الحركة لأنه لا يمكن أن يمهل نفسه، وهو مبدأ أو مصدر الحركة في كل متحرك، والمبدأ لا يصدر عن شيء سابق عليه إذ لو جاز صدوره عن شيء فلا يكون هذا الشيء مبدأ له، ولما كان مبدأ الوجود غير حادث يحدث فيتربط على ذلك لا يتعرض للفساد"<sup>(46)</sup>.

ويصف أفلاطون حركة النفس أيضاً بأنها أزلية خالدة لكل الوجود، وهي حركة دائرية منظمة لا بداية لها ولا نهاية، من ثم لا يجوز على النفس كون ولا فساد<sup>(47)</sup>.

إذن حركة النفس أزلية أبدية لا تحتاج إلى مكان لأنه شبهها بكرة أو دائرة تدور حول نفسها.

ويصفها أيضاً في محاوره "القوانين" بأنها: "إرادة وتفكير وانتباه وتروى وفرح وحزن وثقة بالنفس و خوف و كراهية و حب، هذه هي الحركات الأولية أما الحركات الثانوية فهي تتمثل في الأشياء المادية كالفساد والتكيب والتحليل

وللنوعيات التي تصاحبها كالحر و البرد و الثقل والخفة وغيرها (48)، ولا تقتصر مهمة النفس الكونية على مجرد تحريك الكون وإنما يرجع إليها الفضل في تنظيم هذه الحركة بشكل دائري وطبقاً لتناسب ونظام واحد واضطرابها على نحو ثابت منتظم، لذلك ينبغي تصور هذه الروح على أنها آلهة بل أقرب أن توصف بأنها عقل الهي (49).

وعلى ذلك فإن النفس بالرغم من أن مهمتها تحريك العالم فحسب إلا إنها تعمل على إيجاد حركة دائرية تسير وفقاً لنظام ثابت واحد، وبالتالي يمكن وصفها بأنها تشبه العقل الإلهي.

أما الصلة التي تحيط النفس الكونية بالصانع فهي أن الإله الصانع هو النفس الكونية الأولية التي سبق وإن ذكرها في المحاورات الأخرى على إنها العلة الأولى في حركة الكون لشيء واحد، أما التميز بينها فلا يعني أكثر من الإشارة إلى المظاهر المتنوعة لنشاط النفس الإلهية، ولا يظهر للنفس الكونية في محاوره " طيماوس " إي وظيفة هامة في حين ينسب للإله الصانع مهمة تكوين نفوس البشر والكائنات الحية الأخرى (50).

### 3- النفس الكلية ونفوس الكواكب:

بعد أن استكملنا حديثنا عن معنى النفس الكونية وأداء مهمتها وصلتها بالعالم سيكون حديثنا مكتملاً للتساؤل الذي سبق هل النفوس تكون كلها في ذلك العالم أم أن هناك علاقة بينهما وبين نفوس الكواكب؟! .

رداً على التساؤل أن هناك نفس واحدة في رأى أفلاطون هي التي ينطبق عليها القول ألا وهي (النفس الكلية) التي تعد الرباط بين العالم الحسي والعالم المعقول – هذه النفس مركبة من مبدئين "الذات" و "الآخر" والذات مبدأ بسيط لا ينقسم ويقصد به مثال الخير، والآخر منقسم جسماني، والنفس حد ثالث بين الأزلي والخالد والزمني (51).

ويعرفها أيضاً في محاوره " طيماوس " بأنها: " تتخلل العالم بأسره وتحيط به من الخارج كغلاف له بحيث يمكن القول أن جسم العالم ملفوف في نفسه" (52). أي بمعنى أن النفس توجد داخل العالم وخارجه معاً.

### مفهوم الصانع عند أفلاطون

ويقول أفلاطون أن النفس مبدأ حركة العالم المنظمة وهي علة الحياة بوجه عام لأن الحياة تظهر في هيئة حركات منتظمة تهدف إلى تحقيق غاية، ونفس العالم تمتزج بالسماء أو المرئيات وأكبرها<sup>(53)</sup>، ولذلك أراد أفلاطون أن يوضح أن النفس الكلية سبب الحياة لكل حي وتكون لكل الوجود. ولكن قد يتساءل البعض كيف أن النفس تثبت الحياة في العالم، وكيف هي واحدة تنتشر في كل الموجودات؟! .

رداً على هذا التساؤل هو أن بعض المفسرين شبه ذلك بمثال الشمس التي تضيء العالم إلا أن هذا التشبيه يسيء إلى فكرة النفس الكلية ولا يوضحها، ولكننا يمكننا أن نتفق مع د. "أميرة حلمي مطر"، في أن النفس عند أفلاطون اتخذت معنى مفهوم الطبيعة لأنها قوى تسري في الكون بأكمله وإنها تعد الصلة الأولى للكائنات الحية في العالم وسبب حركته. وذلك حسب اعتقاد أفلاطون<sup>(54)</sup>.

ويشير أفلاطون لحدوث النفس في محاوره "طيمائوس" قائلاً: "بأنها كانت أول ما أبدع الإله الصانع بقوله أن الإله علت كلمته لم يضع الروح بعد الجسم بل صنعها قبله وسابقة له في الأصل والامتياز لتكون الحاكمة له والسيدة وليكون تابعاً لها، وخلق هذا الكون دائرة متحركة في دائرة"<sup>(55)</sup>، أي بمعنى أن النفس أسبق من الجسد نظراً لما لها من الحكم والسيادة.

وبالرجوع إلي نصوص أفلاطون وجدناه يقول في محاوره "القوانين": عكس الذي كان يقوله في محاوره "طيمائوس": "إن النفس سابقة علي الجسم، وأن الجسم مشتق ويأتي في المرتبة الثانية، وإن النفس تحكم بمقتضى النظام الحقيقي للأشياء وأن الجسم موضوع للإرادة والقيادة"<sup>(56)</sup>.

أما في محاوره "فايدوروس" فيقول: "الروح تكون خالدة خلال وجودها كله لأن ما يكون أبداً في حركة يكون خالداً. لكن الذي يحرك الآخر يكون محركاً بالآخر، فإنه في انقطاعه عن الحركة يتوقف عن الحياة أيضاً. أن المتحرك بذاته فقط عن الحركة أبداً، مادام لا يستطيع أن يغادر نفسه، ويكون هو مصدر أو أصل وبداية الحركة لكل ذلك المتحرك بالإضافة إليه. وبعد فإن البداية تكون غير مولودة لأن ما هو مولود يجب أن يمتلك بداية"<sup>(57)</sup>.

من النص السابق يتضح بأن النفس مبدأ الحياة والحركة، وبدونها لا يمكن أن يكون هناك كائناً حياً. ومن المعروف عن أفلاطون أنه دائماً لا يقول نفس الرأي. ففي البداية يقول بحدوث النفس، وفي النهاية يقول بقدومها فكيف يمكن أن تفسر وقوعه في هذا التناقض؟!.

ولما كانت النفس هي مبدأ الحياة والحركة في نظره. فهذا يعني أنه لا يوجد التناقض بين ما يقوله في محاوره طيماوس بحدوثها وبين ما يقوله في المحاورات السالفة الذكر. فقدم النفس باعتبارها مبدأ الحركة ومبدأ الوجود الحي لا يختلف مطلقاً مع كونها حادثة بالنسبة للإله الصانع فالإله الخالق خلق أو بالأحرى صنع النفس أولاً ثم صنع بعد ذلك النفوس الجزئية، ومن ثم النفس الكونية حادثة بالنسبة للإله، وقديمه بالنسبة لأشياء المصنوعة الأخرى<sup>(58)</sup>.

ويقول أفلاطون أيضاً: "إن الصانع أعطى السيادة لدورات المثل المنتظمة حيث أنه ترك هذا مفرداً غير منقسم، ولكن الدوران الداخلي شقة إلي سبعة دوائر غير متساوية (\*) ورأى الصانع أن الدوائر يجب أن تتحرك في اتجاهات مضادة لبعضها البعض، بينما من حيث السرعة يجب أن تكون ثلاثة منها متماثلة، والأربع الأخريات يجب أن تختلف في السرعة عن بعضها البعض وكذلك عن الثلاثة المتماثلة السرعة<sup>(59)</sup>."

من النصوص السابقة يتبين أنه توجد عجلة في نفس العالم أكبر من الأخرى العجلة الأصغر تدور بحرية أكبر داخل العجلة الأكبر وإذا دارت العجلة الأكبر ستدير العجلة الأصغر معها. وهكذا فالعجلة الأصغر سيكون لها دورتين فستدور حول مركزها ولكن في نفس الوقت ستدور بسرعة حول قطرها عن طريق حركة العجلة الأكبر. إن العجلة الأصغر ليست عجلة منفردة. حيث أن الصانع قد صنعها من مجموعة مكونة من ستة عجلات ذات إجماع مختلفة تدور باتجاهات مختلفة وبسرعات مختلفة. وقد قيل أن العجلة الأكبر تحوز دورات المثل، والعجلات الأصغر تحوز دورات الاختلاف.

أضف إلي ذلك أن العجلة الأكبر هي مدار سماء النجوم الثوابت والعجلات السبع الأصغر هي تلك الخاصة بالكواكب السبعة التي تدور حول الأرض.

### مفهوم الصانع عند أفلاطون

والأرض نفسها ليست ساكنة وتعد المركز. وقد اعتبر أفلاطون الدوران الخارجي بوصفه حركة كل جسم العالم، وليس حركة النجوم الثابت فحسب إن لها السيادة على الدوائر بمعنى إنها تنقل معها دائرياً كل محتويات الكرة من الشرق للغرب بما في ذلك بالطبع الكواكب تحوز أيضاً حركات بها في الاتجاه المضاد<sup>(60)</sup>.

وهكذا وجدنا أن الخالق صاغ النفس طبقاً لإرادته ورتب في داخلها الكون الفاني فقد أوجدها سابقة لوجود الجسد، ومن ثم فإن حركات الجسم إنما تنشأ عن حركات تسبق في النفس.

ولما كانت النفس الكلية في ذاتها وليس في الزمان بل في الأزلى. فلماذا تولد الزمان بدلاً من الأزلى؟

يجيبنا أفلاطون عن هذا التساؤل قائلاً: "إنها تحكم في السماء ذاتها إذ أن الإله عندما صنع العالم ووضع السماء في نظام. فإنه صنع هذه الصورة خالدة لكنها متحركة طبقاً للعدد، وتسمى هذه الصورة زمن لأنه لم يكن هناك أيام وليال وشهور وسنون قبل أن يبدع السماء لكنه عندما بني السماء فإنه خلقها أيضاً فهذه كلها كانت أجزاء من الزمن، فالزمن والسماء أتيا إلى الوجود في اللحظة عينها، وهو أبداع الشمس والقمر والنجوم الخمسة الأخرى التي تسمى الكواكب أبداعها كي يميز ويحفظ إعداد الزمن، وعندما أوجد أجسامها المتعددة وضعها في مدارات كانت دائرة فيها دائرة الجسم الآخر، وضعها نجوم من سبعة مدارات. أوجد القمر في المدار الأقرب إلى الأرض بادئاً ذي بدء وأوجدت الشمس بعد ذلك في المدار الثاني فوق الأرض. أتت بعدئذ نجمة الصباح، والنجمة التي قيل إنها مكرسة لهرمس (\*) وهما النجمتان المتحركتان في مدارين وتمتلكان سرعة متساوية مع سرعة الشمس لكن في جهة معاكسة<sup>(61)</sup>.

نفهم من ذلك النص أن حدوث الزمن حصل بوجود الفلك ولا يمكن انفصالهما بعضهما عن بعض فهما ولدا معاً وينفصلان معاً، وإن حدث انفصالهما وقت ما. فالصانع أراد ذلك لأنه صنع للأزل صورة أزلية سماها زمناً وبالتالي فالجوهر الأزلي لا يمكن أن يكون في زمن نظراً لأن الزمن ثاني



له. ولأن كل ما هو في زمان فهو قابل للفناء والتغيير، وذلك بسبب حدوث الزمان ووجوده مع السماء.

ويقول أفلاطون أيضاً في محاوره "طيمائوس" موضحاً بأن هناك اختلاف في الأبدية الأزلية، والأبدية المنتشرة عبر اللاتناهي الزمني، كما أن هناك أبدية أخرى مؤلفة من الاثنين مثل تلك التي تنتمي للنفس. حيث أن النفس في كينونتها غير متغيرة وأزلية، ولكنها بالنظر إلى أفكارها تكون في التغيير وفي الزمن<sup>(62)</sup>. أي بمعنى أن هناك فرقاً شاسعاً بين الأبدية التي تتصف بالثبات والسكون وأبدية تتوزع عبر التغيير الزمني المستمر، وهناك أبدية تجمع بين الاثنين. في حين أن النفس في وجودها أزلية وغير قابلة للتغيير، ولكن عندما ننظر إلى مظهرها أو إلى خارجها تكون في زمن متغير باستمرار

#### 4- علاقة النفس الكلية بالأنفس الجزئية:

بعد أن ذكرنا معنى النفس الكونية وعلاقتها بالصانع، وبيننا الفرق بينها ونفوس الكواكب سنحاول الآن أن نتعرف على نوعية العلاقة التي تربط النفس الكلية بغيرها من الأنفس الفردية هل هي علاقة الكل بالجزء أي هل الأنفس الجزئية جزء من النفس الكلية أم أن النفوس كلها تكون نفس واحدة؟! لقد أولى أفلاطون هذا الموضوع عناية فائقة خاصة وأن أحاديثه عن وجود نفس كلية ونفس جزئية قد توحى بأن هناك كثرة في عالم النفوس، ولما كان من المستبعد أن يصل تفكير أفلاطون إلى هذا الحد فعلياً إذن أن نبحت هذا الموضوع لتتعرف على حقيقة رأيه.

وبعد أن أوضحنا الفرق بين النفس الكلية والأنفس الصادرة عنها كيف أن الأولى في هوية تامة مع ذاتها عن الثانية التي تتصف بالتغيير والحركة. فما علينا الآن إلا أن نعرف كيف توصل أفلاطون إلى وجود علاقة بين النفس والكلية والأنفس الفردية؟!.

توصل أفلاطون لحل هذه المسألة عن طريق مبدأ الخلق أي "الصنع فأول ما خلق الصانع النفس الكلية لا من العدم بل من المتشابه واللامتشابه ومن ثم صنع النفس الجزئية المماثلة لنفس العالم من حيث إنها كروية مثلها وتتطوي أيضاً

### مفهوم الصّانع عند أفلاطون

على دائرة الشيء في ذاته أي "الذاتية" ودائرة "الأخر" أي "الغيرية" ولها دوراتها التي يتعلق بعضها بالكيان وبعضها الآخر بالصيرورة" (63).

ولما كانت نفس العالم من خلق الصّانع مباشرة، خلقها بمراعاته لنسب معينة رياضية وموسيقية، فإنها تمثل همزة الوصل بين المعقول والمحسوس. والله الذي وضع العقل أو "النوس" في النفس ووضع النفس في البدن. ولكي تقوم النفس بدورها في الوساطة بين المعقول والمحسوس عليها أن تجمع بين الطبعيتين المتعارضتين اللتين توقف بينهما ففيها يجتمع الواحد والمتكثر بل هي أساس كل منهما ولما كان المتحرك بذاته يبعد المتحرك بغيره فإن النفس بعد الاعتبار حاصلة على ذاتها على مبدأ حركتها وتحرك النفس عالم الأبدان بحسب نسب عددية ومنسقة وتجعل من العالم خليطاً مروياً قبل المحدود واللامحدود (64).

وتعد النفس التي هي مبدأ الانسجام ذات جوهر ممتد في العالم تحت تأثير الصّانع وهي موزعة في العالم بحسب نسب متنسقة تتجاوب مع القوانين التي تحكم في حركات الكواكب وليست النفس مبدأ النظام الذي نشاهده فحسب. بل هي مبدأ كل معرفة كذلك ولعل هذا سبباً جديداً يفسر لنا كيف أن النفس تجمع بين طبيعتها المتشابهة والمختلفة، وبين المعقول والمحسوس لأن الشبيه وحده هو الذي يستطيع أن يعرف الشبيه في رأي أفلاطون (65).

إذن النفس تعد حلقة وصل بين المعقول والمحسوس وأنها تربط في طبيعتها بين الذات والأخر وذلك من حيث أن الذات مبدأ بسيط غير منقسم، في حين أن الآخر منقسم وجسماني.

أما النفوس الفردية فتظهر على إنها أجزاء من نفس العالم تماماً. كما عناصر الأجسام جزءاً من عناصر العالم (66)، والإجرام السماوية هي أرقى الموجودات التي لها نفس فردية ثم تتلوها المخلوقات البشرية... ولا نستطيع أن ننظر إلى النفس على إنها تكون وحدة الكل أو باعتبارها مصدر الانسجام في الأجسام (67).

### الخاتمة:

من العرض السابق توصلت الباحثة إلى عدة نتائج أهمها فيما يلي:

- 1 \_ يمثل أفلاطون نقطة تحول في تاريخ الفلسفة اليونانية بوجه عام، وفي التفسير الغائي للطبيعة بوجه خاص، حيث إنه بما قدمه من أفكار عن دور العقل في إيجاد العالم وتنظيمه والعناية به أتم التفسيرات الغائية التي بدأها الفلاسفة الطبيعيون السابقون عليه وهياً الفرصة لظهور التفسير الغائي للطبيعة لدى ديمقريطس وأبيقور .
- 2 \_ واصل أفلاطون ما بدأه أستاذه سقراط، حيث أكد علي دور العقل في تشكيل العالم من القابل عن طريق محاكاة عالم المثل.
- 3 \_ أتضح أن القابل والضرورة أي (العناصر الأربعة ) هي الأسس المادية التي سيقم أفلاطون عليها تفسيره لنشأة الطبيعة وتنظيمها. فكما إن القابل يعد ضرورياً لوجود أي شيء محسوس، فكذلك العناصر هي الأخرى تعد مهمة لكي يكون العالم المدرك بالحواس مرئياً وملموساً، أما حركتها فهي حركة عشوائية غير منتظمة، لأن دافعها غير عقلائي.
- 4 \_ تبين من خلال البحث بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين النفس الكلية (نفس العالم)، وبين النفوس الجزئية نظراً لأن صانعها واحد.
- 5- توصل البحث بأن النفس الكلية تختلف عن الأنفس الفردية من حيث الفعل، فكما كانت النفس الكلية في هوية تامة مع ذاتها كانت أيضاً أزلية. إذ ليس للزمان وجود إلا في فاعلية النفس وهو ناتج عن هذه الفاعلية، بينما الأنفس الفردية فهي عرضة للتغير، والتغير ينسب إلى الزمان وبالتالي فإن فعلها يرتبط بالزمان.

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

### الهوامش:

- (1) مصطفى النشار، فكرة الإلهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية، مكتبة مدلولي القاهرة، 1988، ص 11.
- (2) المرجع السابق، ص 12.
- (3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1971، ص720.
- (4) المرجع السابق، والصفحة السابقة.
- (5) محمد فتحي عبد الله، الفلسفة اليونانية مدارسها وأعلامها، ج1، من طاليس إلى أفلاطون، الإسكندرية، (بدون تاريخ)، ص352. الهامش.
- (6) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 87.
- (7) محمد عبد الرحمن بيبصار، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1981، ص88.
- (8) محمد فتحي عبد الله، مرجع سابق، ص353، 354. أيضا ديوسف كرم، مرجع سابق، 78، 88.
- (9) أفلاطون، طيماوس، ترجمة الأب فؤاد جرجي بر باره، تحقيق ألبير ريفور، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1968، (a-38.39b)، ص 52. وأيضاً مصطفى النشار، مرجع سابق، 139.
- (10) المصدر السابق، ص 52، 53.
- (11) المصدر السابق، ص52.
- (12) المصدر السابق، ص53.
- (13) أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 126.
- (14). المصدر السابق، ص127.
- (15). أويغن فتك، فلسفة نتشه، ترجمة اليأس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م، ص 223. نقلاً عن مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 143، 144

(16) أفلاطون، الجمهورية، المصدر السابق، ص 127، 128.

(17) المصدر السابق، ص 128.

(18) مصطفى النشار، فكرة الإلهية عند أفلاطون، مرجع سابق، ص 139.

(\*) وحدة الوجود: أي الذين يوحّدون الله والعالم، ويزعمون إن كل شيء هو الله. وهو مذهب قديم أخذت به البراهمانية، والرواقية والأفلاطونية الجديدة، والصوفية، فالبراهمانيون يروّون كل شيء إلى الله، ويعتقدون إن براهمان هو الحقيقة الكلية ونفس العالم، وإن جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراض ومظاهر لهذه الحقيقة. والرواقيون يقولون: إن الله والعالم موجود واحد، وإن العالم لا ينفصل عن الله، وفلاسفة الأفلاطونية الجديدة يقولون: إن الله واحد، وإن العالم يفيض عنه كفيضان النور عن الشمس، وإن الموجودات مراتب مختلفة، إلا أنها لا تؤلف مع الله إلا موجوداً واحداً. والمتصوفون يقولون: إن الله هو الحق، وليس هناك إلا موجوداً واحداً، وهو الموجود المطلق، إما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية، وليس له وجود في ذاته، لأنه صادر عن الله بالتجلي. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1971، ص 596.

(19) ( محمود مراد، الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية - ط1، 2000م، ص 165.

(20) Plato; the sophist. Trans. Into English. Blharod north fowler, the loed. Classical. Liberary, William henem ann Ltd. London, Harard university press, canbridge, 1952. p 265.

(21) -Plato; philebus, trans. With intrdntion & commentary by: R. hack fortr in platos exam intion of pleasures Cambridge university press, 1949. 28c – e – 30 c-e.

(22) - Plato; politicus, trans. With interoductory essays and footnotes by: J. B. Skempinplato's states man, routledge and keg an paul, London 1952, 274 e.

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

- (23) Plato; philebus, op, cit, (28 c,b – 29 a 5).
- (24) فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002 ف، ص 336، 377.
- (25) على اعتبار أن العالم الحسي " حادث " أو " ممكن " أو " محتمل " فلا بد من أن يكون تفسيره أو الحديث عنه " محتملاً " أيضاً " المترجم " المرجع السابق، 338.
- (26) المرجع السابق ، والصفحة السابقة.
- (27) أفلاطون، طيماوس، ترجمة الأب فؤاد جرجي بر بارة، تحقيق ألبير ريفور، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1968 ، 30b- (c)، ص 211 ، 212.
- (28) المصدر سابق ، ( 40a )، ص 235.
- (\*) المحدود أو الحد هو الكائن الدائم الوجود ولا حدوث له.
- (\*) اللامحدد هو المحدد دوماً وغير الموجود
- (29) شارل فرنر، الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، منشورات دار الأنوار، بيروت، ط1، 1986م، ص122.
- (30) حسين حرب ، أفلاطون، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1990 ، ص 159.
- (31) Plato: plilebus , op , cit , 26 b , e 30 a.
- (32) سبق أن أشار أفلاطون في فيدون إلى هذا التمييز بين العلة الحقيقية وهذا الذي بدونه لن تكون العلة علة.
- (33) أفلاطون ، طيماوس ، مصدر سابق ، ص 256 - 261.
- (34) فردريك كوبلستون ، مرجع سابق ، ص 340.
- (\*) عرف أفلاطون التناسب الهندسي المتصل ذي الثلاثة حدود ، وضرب مثلاً ليوضحه به حيث رأي أنه لو أخذنا متوالية أعداد مثل 2 ، 4 ، 8 نجد أنها قد ربطت معاً بحيث أنه كما أن الأول للوسط ، كذلك الوسط للأخير ( 4 : 8 ) = 2 : 4 وبالعكس أن الأخير للوسط كذلك الوسط للأول ( 4 : 8 = 2 : 4 ) ، ثم الوسط أصبح الأول والأخير ، ومن ناحية ثانية الأخيرة والأول على حد سواء

أصبحت وسط (4:2=8:4) وهكذا يمكن لأي حد أن يبقى كأول أو كأخير أو كوسط.

(35) أفلاطون، طيماوس، مصدر سابق ص 218.

(36) المصدر السابق، ص 218، 219.

(37) أفلاطون، طيماوس، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص 222.

(38) المصدر السابق، ص 213 - 222.

(\* ) يقول أبروقلس (410- 485 ق.م) معلقاً على الجملة السابقة أن الوجود يأتي أولاً من هذه الأنواع، ثم المتماثلة والاختلاف، وحيث أن النوع الوسيط من الوجود تابع للوجود المحسوس ولكنه يفوق الوجود في ما هو جسماني، فإن مماثلة النفس كذلك أدنى من المماثلة غير المنقسمة ولكن له وحدة فائقة على المماثلة المنقسمة ويصبح الأمر نفسه بالقسمة لاختلافها وهو متقبل ما يسميه " جنس الصانع .

## مفهوم الصانع عند أفلاطون

- (\*) للماتلة " والاختلاف " وكونها تحوي ثلاثة أنواع – المنقسم وغير المنقسم والوسيط وهو يضيف على النفس النوع الوسيط من كلاً من المماثلة والاختلاف . ويقول أنها مجموعة من " المزيج النهائي " مع النوع الوسيط من الوجود. لأن أفلاطون يقول تماماً كما في حالة الوجود وكذلك المماثلة والاختلاف لأن أفلاطون يقول أنه تماماً كما في حالة الوجود – فالحال كذلك بالنسبة للماتلة والاختلاف فإن الصانع قد أضاف نوعاً ثالثاً يتألف منهما معا ووفقا لنفس المبدأ.. (39)كريم متى، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد، (بدون تاريخ ) ص 168 ، 169 . (\*) قد أكد أفلاطون هذا في محاوره " القوانين " فكل حركة تتم بواسطة فاعلية نفس ما ، وتبعاً لذلك فما تسميه حركات النفس والأفكار والرغبات والذكريات والمشاعر تعد العلل الأصلية لكل تغير فيزيائي . Clegg , Plato's , vision of chaos. The (40) classical. Quarterly , vo xxvi , 1976 , pp. 53 – 54 , (41) مصطفى النشار- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء، القاهرة 2000 ، ص 230. (42) أفلاطون " فايدوروس " ترجمة د. أميرة حلمي مطر، دار الثقافة، القاهرة، 1980، ص 32. (43)المصدر السابق، ص 64. (44)المصدر السابق، ص 70. (45)أفلاطون " القوانين " ترجمة تيلور، تحقيق، محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 461 وما بعدها. (46)المصدر السابق، والصفحة السابقة، وما بعدها. (47) أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977، ص 201. (48) أفلاطون، طيماوس، الترجمة العربية، مصدر سابق، ص 43 – 47. (49) أحمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي (أفلاطون)، دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ)، ص 104.



- (50) أميرة حلمي مطر، مرجع سابق، ص 201.
- (51) أفلاطون، طيماوس، ترجمة، فؤاد جرجي بربارة، مصدر سابق، ص 418.
- (52) هذا النص مكرر سبق وأن ذكر في مكان آخر.
- (53) أفلاطون، القوانين، مصدر سابق، ص 465.
- (54) مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 232.
- (55) أن الكواكب الثلاثة ذات السرعات المتماثلة هي: الشمس وفينوس و عطارد والأربعة التي تختلف في السرعة بعضها عن بعض هي: القمر والمريخ وزحل والمشتري.
- (56) Vlastos, Gregory; Plato's universe, Clarendon press, oxford, 1975, P223.
- (\* ) اختلف المؤرخون في حقيقة هرمس – هل هو اخنوخ أو إدريس عليه السلام أو هرمس مثلث الحكمة. ابن أبي إصبعه (700 – 668) عيون الإنباء في طبقات الأطباء، ح1، دار الثقافة، بيروت (ب.ت)، ص30، 29، ويذكر في مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي عن هرمس ما يلي (وقام بعده ولده اخنوخ) وهو إدريس عليه السلام، والصائبة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس هو عطارد...
- (57) أبي الحسن بن علي المسعودي (ت، 34 هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ص 39.
- (58) أفلاطون، طيماوس، مصدر سابق، (e – 38d)، ص 231، 232 .
- (59) مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 232.
- (60) بول جانبه وجيريل ساي، مشكلات ما بعد الطبيعة ترجمة: يحيى هويدي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1961، ص117، 118.
- (61) المرجع السابق، ص118.
- (62) أفلاطون، فليبيوس (الفيلسوف) ترجمة: الأب فؤاد جرجي بربارة، تحقيق: اوغست دييس، منشورات وزارة الثقافة، 1970، ص 214، 215.

### **مفهوم الصانع عند أفلاطون**

- (63) أفلاطون، فيدون، ترجمة عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001ف، ( 92 ب ) ، ص 183.
- (64) المصدر السابق، والصفحة السابقة.
- (65) أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سابق، ص199.
- (66) مصطفى النشار، فكرة الإلوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية مكتبة مدلولي، مرجع سابق، ص214، 215.
- (67) أفلاطون، فيدون، مصدر سابق، ص 157- 162.

## دور العولمة في التعليم العالي

د. سامي الكامل محمد بركة  
قسم الفلسفة  
كلية الآداب - الزاوية

### مقدمة:

يحظى التعليم العالي باهتمام كبير يسهم في بناء النهضة والتقدم، فلا تنمية ولا تقدم دون تعليم متطور ومتجدد، وذلك يفرض التطوير المستمر وفق إستراتيجية واضحة المعالم، كما يفرض درجة كبيرة من المرونة تسمح بمواجهة التغيرات المتسارعة وما يحمله المستقبل من مواقف جديدة.

إن التطور السريع والتقدم التكنولوجي في عصر العولمة يتطلب منا تنظيم مناهج التعليم العالي وطرقها وأساليبها حتى نكون قادرين على إعداد جيل يستطيع التعامل مع تيارات العولمة بكفاءة عالية تسهم في ترسيخ ثقافة اجتماعية متنوعة تؤسس لعلاقات التواصل والتلاقح الثقافي بين الشعوب والحضارات المختلفة، ولذا فإن التنوع في المناهج التعليمية يساعدنا على تنمية القدرات والاستعدادات والحاجات المتنوعة ومواجهة الظروف المتجددة ومطالب الحياة وسوق العمل.

لقد أدرك المسئولون عن التعليم العالي في المجتمع العربي أن عصر العولمة مقبل على فترة حاسمة، فالمؤسسات التعليمية مسئولة عن إعداد رأس المال البشري للوصول إلى الأهداف وتحقيق التطور في المجتمع، والاستفادة من تدفق المعلومات وغزارتها، فأصبح التركيز على نوعية التعليم ورفع كفاءته، لذلك لا بد أن تتخلى منظومة التعليم العالي عن المناهج التي تفرز نسخ متكررة من المتعلمين لا تتماشى مع التنمية التي تسعى إليها في الألفية الثالثة، وهذا لا يتأتى إلا من خلال وضع فلسفة وأهداف تكفل إعداد رأس المال البشري وخلق مجتمع يعمل على الاهتمام بإعداد القوى العاملة وتدريبها ورفع من مستوى التعليم ومناهجه ووسائله وكفاءه أساتذته.

إن التعليم المطلوب في الحاضر والمستقبل هو تعليم الإتقان والتميز، وذلك من خلال الموازنة بين ثقافتنا الذاكرة والإبداع، وتحليل المعرفة ونقدها

## دور العولمة في التعليم العالي

والإضافة إليها، فلقد آن الأوان لتجاوز الاعتماد على الأفكار التي تأتينا من الغرب، فعلى الرغم من أهميتها، إلا أننا بحاجة ماسة اليوم إلى منتجين للعلم ومساهمين في وضع قاعدة بحثية وتعليمية تعيننا على إنتاج التكنولوجيا والأساليب العلمية المتقدمة، فالتنمية تكون بالإنسان وللإنسان، وتطوير التعليم يعبر عن التنمية البشرية، ويؤكد على النقلة النوعية لتحقيق التقدم والتطور، لذلك فإن الإصلاح في مجال التعليم العالي لا بد أن يقوم على إستراتيجية وفلسفة مستقبلية تؤكد على أن المعرفة حق من حقوق الإنسان وهدف من أهداف التنمية البشرية.

ونحن نهدف من خلال هذه الورقة إلى محاولة توضيح الدور الذي تلعبه العولمة في التعليم العالي، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- س1 - ما دور العولمة في التعليم العالي؟ وما هي التحديات التي تواجهه؟
- س2 - ما طبيعة العلاقة الجدلية بين التعليم العالي والتنمية البشرية؟
- س3 - ما مدى تأثير المؤسسات التعليمية بالعولمة؟ وما هي الإشكاليات التي تواجهها؟

أما عن المنهج الذي أتبعته فهو المنهج الوصفي والتحليلي، أما النقاط التي تم التركيز عليها فهي كالآتي:

### أولاً:- التعليم العالي وعلاقته بالتنمية البشرية:

لما كان الإنسان هو الركيزة الأساسية في التنمية، فإن التنمية تمثل حصيلة استثمار القوى البشرية وما تكون عليه من مستوى علمي، لذلك فإن زيادة معدلات التنمية تقوم على توجيه الجهود نحو تنمية العنصر البشري . فالقوة البشرية هي أساس عناصر الإنتاج.

إن الحديث عن دور التعليم العالي في التنمية هو تأكيد على حقيقة مؤداها أن التعليم العالي قادر على تحقيق التغيير الاجتماعي، والمساهمة الفاعلة في الإصلاح الاجتماعي في المجتمع، لذلك فإن الدواء الشافي لتأخر المجتمعات هو نهضة التعليم بكل مستوياته، لأن النهضة التعليمية تبث الحياة في النظام التعليمي والتربوي، وإن التعليم العالي يهدف إلى خدمة المجتمع وتنمية القيم الإنسانية وتزويد المجتمع بالمختصين وإعداد الإنسان المزود بأصول المعرفة وطرق

البحث المتقدمة للمساهمة في بناء المجتمع<sup>(1)</sup>، فهو يمثل قمة الهرم التعليمي الذي منه تتخرج الكفاءات والقيادات الإدارية والمهنية والفنية، ويعد خطوة إيجابية وضرورية لتقدم المجتمع بكل مجالاته.

إن النظم التعليمية في المجتمع الغربي جاءت نتيجة لتأثرها بالنظام العربي الإسلامي الذي كان منتجاً للعلم في الماضي، حيث ظلت الكتب العربية سنوات طويلة وهي تدرس في الجامعات الأوروبية، فنمت وتطورت وأثرت في المجتمع، وأصبحت مصدراً للإشعاع العلمي والثقافي. وأثرت في كل العلاقات الإنسانية بمختلف مستوياتها، لذلك فإن الدور الذي تقوم به في الحياة المعاصرة ينعكس بدوره على المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في الدول المتقدمة<sup>(2)</sup> وبالتالي إن الهدف الأساسي من التعليم هو القضاء على الجهل والتخلف والمرض والفقر الذي يعاني منه المجتمع، وخاصة في عصر العولمة الذي يتميز بانتشار المعارف والعلوم التقنية المتطورة. لذلك فإن تقدم المجتمع يقع بالدرجة الأولى على عاتق المتعلمين الذين يسعون إلى تحقيق التنمية في المجتمع، وذلك بالعمل على التوسع في بناء المعاهد والكليات الجامعية التي تعمل على إعداد جيل يستطيع أن ينشر المعرفة ويرسخها وينتجها في الميادين المعرفية المختلفة سواء كانت نظرية أم تطبيقية والاستفادة منها<sup>(3)</sup>.

لقد اعتمد التعليم العالي في مؤسساتنا على معلومات تقليدية تُلقن للطلاب، ركز فيها على الكم وليس الكيف، وبعد أن كان التعليم العالي يمثل فلسفة طبيعية تركز على الثقافة، أصبح عبارة عن تلقين لمعلومات سطحية وتقليدية للحفظ فقط. وهذا الأمر ينبغي العمل على تغييره ومسايرة الواقع واللاحاق بعصر السرعة والعولمة والأساليب الحديثة في التعليم، ولذلك يجب النظر إلى التعليم باعتباره طاقة تحرك التنمية البشرية، وتبني رأس المال البشري وتحقق تقدم المجتمع، وذلك من خلال بناء القدرة الإنسانية والمهارات الفردية للتعامل مع المعارف المختلفة والتواصل مع البيئة الإنسانية المتعلمة والمتقفة التي تمثل ثروة تضاف إلى الثروات الطبيعية، وفي الوقت نفسه ثورة معرفية ومعلوماتية تساهم في تقدم المجتمع<sup>(4)</sup>.

## دور العولمة في التعليم العالي

وعلى ذلك فإن قدرات الدول أصبحت تقاس بمقدار ما تمتلكه من معرفة، وبمقدار عدد المتعلمين فيها، فكلما ازداد عدد المتعلمين، ازداد حجم التنمية والتقدم العلمي، لأن الدول إذا لم تقم بتطوير السياسة التعليمية وتضع فلسفة تعليمية لتخريج باحثين ومعلمين فلن تكون في مصاف الدول المتقدمة. لقد حدثت ثورات علمية وتعليمية في بعض المجتمعات العربية حققت من خلالها قفزة نوعية نحو التطور والتقدم العلمي، وهذا أدى إلى التوسع في التعليم العالي وازدياد عدد الطلاب، والعمل على تزويد المجتمع بالكفاءات العلمية اللازمة التي تؤمن بدور العلم في معالجة مشكلات التحول الاجتماعي والاقتصادي التي يعاني منها المجتمع، لذلك فقد كان هناك عمل من أجل تطوير المجتمع لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث حتى تساهم مخططات التحول الاقتصادي والاجتماعي بما تحتاجه الدول المنتجة والمؤهلة تأهيلاً عالياً. وهذا جعل الدول تعيد تنظيم الجامعات وتصنيفها وتوزيعها في المناطق المختلفة، فأُنشئت معاهد عليا تهتم بالجوانب التقنية والفنية والتدريب لتهيئة الكوادر الفنية اللازمة لعمليات تنفيذ مخططات النمو الاقتصادي والاجتماعي والتقني في البلاد العربية<sup>(5)</sup>، لذا علينا الاستفادة من التجارب العربية الناجحة من أجل بناء الإنسان الذي يعد القاعدة الأساسية لتقدم أي مجتمع.

فالإنسان يسعى دائماً إلى حياة أفضل، ومن أجل ذلك كانت المظاهر الحضارية التي شهدتها تاريخ البشرية وتطور المجتمع الإنساني، فالإنسان هو جوهر التنمية والمحرك لها، وفي الوقت ذاته هو نقطة الوصول إليها، فالتنمية هي تنمية الإنسان من خلال العديد من الطرق المتداخلة من الموارد والطاقات والمعرفة والقيم والأفكار وغيرها ما هو ضروري لتقدم التنمية وجعلها أكثر فاعلية<sup>(6)</sup>.

وعلى ذلك فإن المجتمعات المستهلكة للمعرفة إذا أرادت أن تحتل مكانة أساسية على خارطة التقدم والنمو، فلا بد لها من الاهتمام بتربية الإبداع وتنمية الثقافة في مؤسسات التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص، لأنها تمثل أساس كل تقدم فكري وتكنولوجي<sup>(7)</sup>.

إن الإبداع يشير إلى القدرات المميزة للأفراد المبدعين، ويمثل إعادة تشكيل وصياغة لأشياء موجودة في شكل وصورة مألوفة، لكنه يتضمن بنية جديدة

#### د. سامي الكامل محمد بركة

بعيدة عن التقليد، ويدفعنا إلى البحث في فلسفتنا التعليمية وتوجهات مناهجنا الدراسية، وبالتالي فإننا حين نتحدث عن الإبداع، فإننا نبحث عن توفير البيئة المناسبة لمواجهة تحديات عصر العولمة<sup>(8)</sup>، ولذا فإن التعليم العالي بوصف عملية إبداعية يرتبط بالمهارات والكفاءات التي تساعدنا على تنمية الإبداع من خلال بيئة نشطة للإبداع يقوم بها أساتذة يملكون فلسفة إبداعية ويؤمنون بدورها في رفع مستوى الفرد والمجتمع<sup>(9)</sup>، وعلى ذلك فإن الإبداع يمثل قدرة العقل على تكوين علاقات جديدة تحدث تغييراً في الواقع، وهذه العلاقات لا يمكن تكوينها بدون عقل ناقد لعلاقات قائمة<sup>(10)</sup> وبالتالي فإن الإبداع كمحور أساسي في العملية التعليمية يمكنه أن يغير المهارات التقليدية للتفكير وطرق التدريس والأنشطة التعليمية وينتج حلول متنوعة للمشكلة الواحدة<sup>(11)</sup>.

#### ثانياً: التعليم العالي وتحديات العولمة:

إن التعليم العالي يسهم بشكل فاعل في إعداد الفرد وبنائه، وتطوير المجتمع وتنميته، لأنه يخلق كوادر بشرية مؤهلة، لذلك فإن الجامعات تزود خريجها بالقدرة على الوصول إلى المعلومات وتحليلها وفهمها والعمل على تطويرها، وخاصة في هذا العصر الذي تطغى فيه المعلومات والاكتشافات العلمية في كافة المجالات. ونظراً لأننا نواجه تحديات كبيرة في عصر العولمة، فإنه لا مفر من إيجاد نظام تعليمي يحتوي على خبرات ومهارات وأساليب وتقنيات جديدة تساعد الإنسان على الإبداع والتفكير والابتكار حتى يتمكن من التكيف والانسجام مع المتغيرات المعاصرة التي جاءت بها العولمة<sup>(12)</sup>.

أسهمت العولمة في فتح أفاق جديدة للعلم والتعلم والمعرفة، وقد أتاحت للإنسان الفرصة للحصول على المعلومات في المجالات المختلفة، وجعلت التعليم ينتشر في كل مكان وبطرق انجذب نحوها المثقفون، وذلك أدى إلى حدوث تفاعل إيجابي. وفي ظل هذه المتغيرات ازداد الجدل حول التعليم، فالبعض يرى أنه ضرورة لكل فرد، لأنه مرتبط بصحة الفرد وأمنه وكذلك بأمن وتقدم الدولة. في حين نظر البعض الآخر إلى أنه سلعة خاضعة للعرض والطلب، وبالتالي ليس بالضرورة أن يتعلم كل الناس في الدولة.

## دور العولمة في التعليم العالي

إن العولمة لها أثرها على كل مجالات الحياة ومن ضمنها التعليم العالي الذي يمثل انعكاساً للبيئة الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات، ولذلك فإن بناء الفرد والاعتماد على الذات ودعم برامج التعليم يتطلب الانفتاح على العولمة وبرامجها، والاهتمام بها وتحسس الطريق الصحيح للسير في الاتجاه السليم، حيث تلعب المعرفة دوراً مهماً في الحياة الإنسانية، فهي أساس لوجود الإنسان ونموه الثقافي وتفاعله مع البيئة التي يعيش فيها، فالمعرفة تمثل العلم بنوعيه النظري والتطبيقي، ومن يمتلك المعرفة يمتلك سلطة لا نظير لها، لذلك فإن المعرفة هي التي توجه العقول وترشدها إلى تحقيق الأهداف المرجوة، وذلك بالاعتماد على المعارف والمعلومات التي تمثل مصدراً من مصادر القوة فالمعلومات لا تنضب ولكنها تتجدد باستمرار وتجعلنا نتقدم خطوة إلى الأمام.

إن المعلومات التي جاءت بها العولمة تعطي التعليم العالي بعداً أكثر اتساعاً وشمولاً، فتنوع المعرفة أدى إلى خلق معايير جديدة وفتح آفاقاً خصبة أمام المعلم والطالب على حدٍ سواء، وأتاح فرصاً متعددة ومتنوعة في التحصيل العلمي، حيث اتسعت إمكانات التواصل والتبادل الثقافي والتعليمي، وأصبح للحاسوب دور مهم وفعال في عملية التعليم، وذلك من خلال مساعدة الطالب على تنمية قدراته في البحث والتفكير النقدي المستقل واستخدام ملكاته في التحليل وابتكار الحلول للمشكلات التي تواجهه، وبالتالي فإن الشاعر الذي ستعمل في ظل المؤسسات التعليمية والتربوية هو التعليم مدى الحياة، حيث يتعلم الإنسان ما يشاء. (13)

وعلى ذلك فقد حدث انفتاح علمي وثقافي كبيرين استمدا من التطورات الفكرية والثقافية التي حدثت في كل المجالات، وقد حملت لنا العولمة العديد من الأفكار التي أكدت على أن من يملك المعرفة هو من يسيطر على القيم المعرفية والثقافية السائدة في المجتمعات، لأنه يمثل الثقافة الأقوى. وبالتالي فإن المهتمين بالتعليم العالي في المجتمع العربي يواجهون تحديات كبرى أفرزتها ظاهرة العولمة وتوجهاتها. ومن بين هذه التحديات إشكالية الموازنة بين مسؤولية الدولة في توفير فرص التعليم العالي والزيادة السكانية الهائلة التي تحتاج إلى التعليم الجيد، وبين توفير متطلبات تطوير التعليم القادرة على خدمة



#### د. سامي الكامل محمد بركة

المجتمع، وإشكالية الهوية الثقافية التي يحملها التعليم في ظل العولمة ، ولذلك فإنه لكي نواجه العولمة لابد لنا من العمل على استخدام التقنية والتكنولوجيا وبناء قاعدة معرفية تشمل كافة العلوم سواء كانت إنسانية أم تطبيقية، والاستفادة من التنوع العلمي والثقافي، وكل التجارب العلمية من خلال التواصل العلمي والثقافي مع المجتمعات الأخرى المنتجة للعلم، مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية والاستفادة من إيجابيات العولمة حتى نستطيع أن نحقق التقدم والتنمية في مجتمعنا .

إن العولمة جعلت العالم قرية صغيرة، وأصبح التعليم أن يكتسب المتعلم القدرة على التعلم بشكل ذاتي يخضع لأساليب علمية حديثة مثل التعليم الذاتي والتعليم عن بعد وغيرها. وعلى ذلك فإن هناك العديد من التحديات التي تواجه التعليم العالي في وطننا العربي في الوقت الذي ازدادت فيه الآراء التي تنادي بضرورة الاهتمام بالأساليب العلمية الجديدة التي تساهم في التعليم عن بعد، والتعليم المفتوح، وهذه الدعوات يجب أن تطرح أمام المسؤولين عن التعليم العالي في الوطن العربي لدراستها ومحاولة تطبيقها على أرض الواقع، فالتعليم عن بعد يمثل فلسفة تؤكد على أحقية الإنسان في المعرفة، لأن العالم يعيش زخم معرفي كبير، لذلك لابد من وجود وسائل حديثة تنسجم مع هذا الزخم وتساهم في نشر العلم والمعرفة بطرق ووسائل جديدة تسمح للجميع بالتعلم.

إن التعليم العالي هو الطاقة الفاعلة التي تحرك التنمية البشرية الهادفة إلى التقدم والرقي عن طريق بناء قدرات الإنسان وزيادة معارفه وصقل مهاراته ليتمكن من التفاعل والتواصل مع البيئة التي يعيش فيها، ولذلك فإن ثروات الدول أصبحت تقدر بما تملكه من متعلمين ومدربين في مختلف المجالات<sup>(14)</sup>، فقوة الدول تقاس بحجم المعرفة التي يتحصل عليها المتعلمون، والتي تقود إلى التنمية إذا توفر لها المناخ المناسب، لذلك فإن تقدم الدول مرهون بسياسة التعليم فيها ومدى رؤية إستراتيجية مستقبلية متغيرة في ظل العولمة<sup>(15)</sup>.

إننا نعيش في عصر العولمة، هذا العصر يشكل لحظة تاريخية مليئة بالتحديات في جميع الميادين، وهذه التحديات فرضت علينا أنماطاً جديدة من

### دور العولمة في التعليم العالي

الفكر قادرة على اجتياز حواجز المعرفة المختلفة، وهذا جعل القائمين على التعليم في أكثر الدول العربية مدركين لضرورة تبني أفكار ومفاهيم جديدة مبنية على ثقافة التطور والتغير في المؤسسات التعليمية من خلال وضع فلسفة تعليمية تقوم على التوعية المنسجمة مع تبني مفهوم التنمية، وبناء قاعدة من المعلومات والمعارف التي تحدث تغيير جذري في طرق التعليم ومهارات التدريس والفلسفة التي تقوم عليها<sup>(16)</sup>، لذا لا بد من وجود فلسفة واضحة وعميقة توجه المسار وتبعث الحركة، بحيث تصبح مثل الخيط الذي يربط حبات العقد بدلاً من أن تتناثر.

ولما كان للإنسان عقل يوجهه ويرسم له خط سيره، فلا بد من أن يكون للتعليم العالي فلسفة يسير عليها، ولكي يتطلع الإنسان إلى المستقبل في هذا العصر الملئ بالمعلومات، فإنه يجب عليه أن يبحث في حاضره عن المشكلات التي تعوق مسيرته إلى المستقبل، ويسلط عليها أدوات النقد والتحليل، فالبحث في مشكلات الحاضر وعلاجها يمكننا من السير نحو الغد المنشود بسرعة<sup>(17)</sup>.

وفي اعتقادي أن المسؤولين عن التعليم العالي في بلادنا أصبحوا على وعي بأن التعليم العالي يواجه العديد من التحديات في عصر العولمة الذي فُتح فيه المجال لشبكات الاتصال والمعلومات، وفتحت المجالات أمام الجماعات والأفراد للوصول إلى المعلومات المتنوعة بسرعة كبيرة، مما جعل هناك سباقاً بين الدول للوصول إلى التكنولوجيا المتقدمة.

وعلى ذلك فإن التحدي الذي يواجه المستقبل هو ذلك التطور التكنولوجي وثورة المعلومات التي غيرت كل شيء. فالتطور التكنولوجي يهدف إلى توفير بيئة تعليمية متطورة تستخدم البنية الأساسية لهذه التكنولوجيا المتقدمة الاستخدام الأمثل، حيث يستطيع الطالب من خلال خبراته بناء الكيفية التي يستخدم بها مصادر المعرفة<sup>(18)</sup>.

### ثالثاً: تكنولوجيا التعليم:

إن تكنولوجيا التعليم تعبر عن المبادئ العلمية في مجال التعليم والاستفادة من المعرفة وطرق البحث في تخطيط وتنفيذ وحدات النظام التعليمي ككل متكامل لغرض تحقيق سلوك معين في المتعلم<sup>(19)</sup>، ولذلك فإن تكنولوجيا التعليم تمثل

#### د. سامي الكامل محمد بركة

مدخلاً مهماً لتنظيم العملية التعليمية، فتكنولوجيا التعليم تمثل مجموع الوسائل والأدوات التي يمكن أن تضيف جديداً للإنسان من خلال المهارات والاختراعات والأجهزة وغيرها، ويُعد هذا المفهوم لتكنولوجيا التعليم هو مفهوم شامل للعديد من المجالات المتعلقة بتطوير التعليم وطرقه الحديثة وتنوع المنهج وهدفه وفلسفته والمعايير المستخدمة للتمييز بين البدائل الممكنة<sup>(20)</sup>.

وعلى ذلك فإن الأستاذ في التعليم العالي حين يقوم بوضع مفردات المقررات الدراسية في حاجة إلى وضوح المبادئ والأهداف والغايات حتى يتمكن من القيام بذلك، ولكي يستطيع مواكبة ذلك، فلا بد من الاعتماد على قاعدة سليمة ومتقدمة تيسر على المتعلم الحصول على المعلومات اللازمة، وبالتالي فإن إدخال التكنولوجيا في مجالات التعليم المختلفة تختصر الوقت والجهد وتمكن المتعلم من التفكير والإبداع<sup>(21)</sup>، ومن ثم فإنه لا بد من التوسع في إنشاء المدارس النموذجية التي تشتمل على الأجهزة والمعامل الحديثة، وكذلك التوسع في إنشاء مراكز التعليم المفتوح حتى تتاح الفرصة لمن لم يلتحقوا بالتعليم العالي ولمن يريدون تطوير أنفسهم في المجالات العلمية<sup>(22)</sup>. حيث يعلق الكثير من العاملين والمهتمين بالعملية التعليمية آمالاً كبيرة على الدور الذي يمكن أن تلعبه تكنولوجيا التعليم في العملية التعليمية والتربوية على حد سواء، كما يؤكدون على أن تكنولوجيا التعليم بمفهومها الحديث من أجهزة وأدوات ومواقف تعليمية واستراتيجيات ومشاركة فعالة للطلاب تساهم في تطوير التعليم وزيادة فعاليته، ولذلك فإن تطبيق هذه التكنولوجيا في التعليم الجامعي تستدعي العديد من النقاط الأساسية منها:-

1- سعي الأستاذ الجامعي لاكتساب فهم أشمل وأعمق لتكنولوجيا التعليم ودورها في تطوير التعليم العالي، لذلك فينبغي عليه العمل على توجيه طلابه إلى مصادر التعليم وإقناع نفسه بأهمية اعتماد التقنيات التعليمية المتنوعة وقدرتها على نقل المعارف.

2- إنشاء مراكز تحتوي على المصادر والمراجع والدراسات الإنسانية والتطبيقية، وتوفير الكتب والمنشورات والأشرطة الصوتية والمرئية وغيرها من التقنيات الحديثة<sup>(23)</sup>.

### دور العولمة في التعليم العالي

3- أن يدرك المتعلم حقيقة الدور الملقى على عاتقه كونه يمثل محور العملية التعليمية، فيكون على وعي بدور التقنيات والوسائل التعليمية والبرامج وطرق التفكير التي تكسبه خبرة يسهم من خلالها في عملية التعلم . بحيث لا يكتفي بأن يكون متلقي فقط .

4- تدريب الأساتذة الجامعيين على كيفية التعامل مع التقنيات التعليمية الحديثة، وتعريفهم بطرق الإنتاج والاستخدام والتصميم للأجهزة التقنية والالكترونية لكي يتمكنوا من التعامل معها ببسر وسهولة، ويكونوا مواكبين للتطور التكنولوجي ولعصر العولمة .<sup>(24)</sup>

5- استحداث طرق تقويم تتبنى التكنولوجيا في التعليم العالي، وتتسجم مع الدور المتوقع للأستاذ الذي يعتمد على تحقيق أهداف التعلم.

6- تطوير البيانات التعليمية الحديثة بأساليب تتناسب مع التعلم التكنولوجي الحديث، وتزويد قاعات الدرس بالتجهيزات المناسبة.

7- منح الحوافز المادية والمعنوية للأساتذة الذين يعملون على تبني النموذج التكنولوجي المعاصر في التدريس وتشجيعهم وتذليل الصعوبات أمامهم.

وعلى ذلك فإننا في حاجة ماسة لخبراء في تكنولوجيا التعليم وإلى مراكز تعليم حديثة، ومتخصصون يخططون للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في تحصيل العلم ونشر الثقافة والمعلومات والبحوث العلمية .<sup>(25)</sup>

### رابعاً:- إشكاليات التعليم العالي:-

يعاني التعليم العالي في أغلب بلدان الوطن العربي من إشكاليات كثيرة تعرقل تقدمه وحركة نموه السريع ليواكب التقدم العلمي والتكنولوجي، ومن هذه الإشكاليات ما يلي:-

1- ارتفاع عدد الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا، ونقص أعضاء هيئة التدريس، مما أدى إلى الاستعانة ببعض الخبرات الوافدة من الخارج لسد العجز، وللتغلب على ذلك ينبغي زيادة الاهتمام ببرامج الدراسات العليا بالداخل والخارج لتأهيل أساتذة يقوموا بتغطية هذا العجز.

2- ارتفاع عدد الساعات التدريسية الأسبوعية للأستاذ الجامعي في ليبيا خاصة وفي الدول العربية عامة، وهو يمثل ضعف نصاب نظيره في الدول الغربية، مما

#### د. سامي الكامل محمد بركة

أدى إلى ضعف العطاء في الإنتاج العلمي والبحث العلمي، وعدم تحقق الأهداف المرجوة منه. (26)

3- قلة البحوث العلمية في الجامعات العربية بسبب تدني الإنفاق على البحث العلمي من إجمالي الدخل القومي، وبالتالي فالإنتاج العلمي يكاد لا يذكر إذا ما استثنينا بحوث الترقية العلمية التي تفتقر إلى روح الفريق الجماعي في أغلب الأحيان. (27)

4- عدم قدرة الجامعات على تلبية الطلب على التعليم، مما أدى إلى الكثير من الآثار السلبية التي حرمت عدد كبير من الناس من فرص التعليم العالي.

5- ضعف الإنفاق على التعليم العالي ونقص التمويل جعل مؤسسات التعليم العالي لا تستطيع مسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم، خاصة في عصر العولمة.

6- عدم نشر ثقافة المعلومات التي أصبحت من ميزات العصر الحاضر واستخدام البرمجيات التعليمية.

7- قلة الموارد في مجال توفير المصادر والمراجع العلمية، وتطوير المعامل، وتحديث الأجهزة التقنية والتكنولوجية.

8- الافتقار إلى البنية التحتية الأساسية في مجال التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات، وعدم توفر شبكة عربية تربط بين الجامعات لبحث المصادر والمعلومات.

9- ضعف الخلفية العلمية لدى الكثير من أساتذة الجامعات فيما يتعلق بمجال تكنولوجيا المعلومات.

10- ملاءمة المناهج الدراسية في بعض الجامعات لمتطلبات سوق العمل وعدم تطويرها بالشكل المطلوب. (28)

#### الخاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى أن العالم شهد في بدايات الألفية الثالثة أحداثاً جساماً وتغيرات كثيرة ومتلاحقة قلبت الموازين العالمية رأساً على عقب في شتى مجالات الحياة الإنسانية. وكان ذلك في إطار العولمة المتمثلة في الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية التي حدثت في نهاية القرن العشرين وبداية

## دور العولمة في التعليم العالي

القرن الواحد والعشرين، وهذا ما فرض على المجتمع ضرورة الوعي بالتحديات التي تواجهه، والتعامل معها وفق العقل والتفكير، لذلك تظل هموم التعليم العالي مع تيارات العولمة ومتغيراتها منجزاتها العلمية والتكنولوجية منعكسة على المؤسسات التعليمية، وتبقى هناك حاجة ملحة لمعالجة تلك الهموم بكل صدق وجرأة ضمن رؤية مستقبلية، لذلك فإن التعليم العالي باعتباره توسيع منظم لعالم المتعلمين والمعلمين ولمناهج التفكير، فهو إثراء في المناهج والعلاقات وتنظيمها، فقد أصبح التعليم العالي يركز على المعارف والمعلومات التي تقدم للطالب وقدرته على الاستفادة منها في الحياة، وأصبح الهدف المنشود في الوقت الحاضر هو كيف نفكر.

وعلى ذلك فإن الواقع التعليمي في بلادنا ولدى الكثير من الدول العربية وغيرها من دول العالم الأخرى تركز في مناهجها وطرق تدريسها وتقييمها وامتحاناتها على القدرات اللفظية اللغوية، ونادراً ما يتم الالتفات إلى تنوع مدرجات الطلاب، ولذا فالمطلوب في الواقع المعاصر والمتغير العمل على خلق الظروف التعليمية المناسبة التي تستثير قدرات الطلاب وتنمي الفرد، وذلك من خلال تطوير طرق التدريس وتقييمها التقييم الأمثل.

إن دور الأستاذ الجامعي في عصر العولمة ومجتمع المعرفة أصبح التوجيه والإرشاد فالأستاذ يمكن أن يكون مصدراً لحل العديد من المشكلات التي تحدث في المجتمع، وبالتالي فمهما وضعنا من أجهزة وآلات متطورة وتقنية حديثة في كلياتنا الجامعية، فإن ذلك لا يجعلنا متقدمين ومتطورين بدون وجود أستاذ جامعي واعٍ ومبدع في مجاله، لذلك فإن مهمة التعليم العالي في عصر العولمة أصبحت تستند إلى تنمية المهارات للحصول على المعرفة وتوظيفها التوظيف الأمثل، وإنتاج المعرفة الجديدة، مما يؤدي إلى إعداد كوادر متسلحة بالعلم والمعرفة والإبداع.

### التوصيات:-

1- أن يوفر المجتمع لكل أفرادها كافة المعارف، ويُعد التعليم العالي حق من حقوق الإنسان، حتى يتمكن كل فرد من اختيار نوع التعليم الذي يتفق مع ميوله

#### د. سامي الكامل محمد بركة

ورغباته وقدراته، ووضع إستراتيجية تعليمية متكاملة للتعليم بجميع مستوياته، وتطوير مناهجه وفقاً لتطورات العصر.

2- أن ترتقي المجتمعات العربية بمستوى التعليم العالي، وذلك من خلال العمل على تطوير المناهج الدراسية وتجهيز البنية التحتية للتعليم بكافة مؤسساته، وتحسين نظام الجودة حتى يسهم ذلك في إعداد كوادر علمية تستجيب لمتطلبات التنمية وللتطورات العلمية والتقنية المتسارعة في ظل العولمة، وتهتم بالبحث العلمي الذي يسهم في التطور والتقدم العلمي والمعرفي، وهذا ما يجعلنا نستطيع مواجهة أدوات العولمة ومتغيراتها.

3- العمل على إيجاد فلسفة تعليمية تسهم في التمويل والتخطيط والإدارة التعليمية، وذلك من خلال زيادة الاهتمام بالتعليم المفتوح، والتعليم عن بعد، والتعليم الحر، وتوجيه المؤسسات التعليمية نحو احتياجات التنمية وسوق العمل.

4- العمل على إحداث نقلة نوعية في التعليم العالي من خلال التعلم القائم على الحفظ والتلقين إلى التعليم القائم على التفاعل والحوار والإبداع والابتكار، وهذا لا يتأتى إلا بتدريس الفلسفة في جميع المراحل، لأنها تسهم في إعداد جيل قادر على التحليل والتفكير والنقد والإبداع الفكري والعلمي.

5- العمل على توسيع قاعدة شبكة المعلومات، وربط التدريب في مؤسسات التعليم العالي بمواقع الإنتاج في القطاع الخاص والعام، ودعم القطاع الأهلي من أجل استيعاب عدد من الطلاب في تخصصات مختلفة، وذلك بربط التعليم بسوق العمل.

6- العمل على إقامة الدورات المستمرة لأعضاء هيئة التدريس للاطلاع على الجديد في مجال الحاسوب والانترنت، واستخدام الوسائل والأجهزة التقنية والتعليمية، وإتاحة الفرصة لهم لحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

7- العمل على إعداد برامج للدراسات الجامعية المفتوحة في التخصصات المختلفة حسب الظروف الملائمة لكل مجتمع، وافتتاح مراكز التوجيه من بعد، وترتيب الاتصالات لمتابعة ما يحتاجه الدارسون، وتأمين الأجهزة والمعدات والبرامج التعليمية والعناصر المتخصصة في مجالي التشغيل والصيانة للوسائل

### **دور العولمة في التعليم العالي**

والأجهزة التقنية التعليمية، والاهتمام برأس المال الاجتماعي بوصفه العامل الرئيس لتحقيق النمو والإصلاح في نظم التعليم، بحيث يتوافق مع التوجهات الحديثة في عصر العولمة، وتوفير التعليم للجميع مع مراقبة جودته للتحقق من استمراريته.



الهوامش:

- 1- حسن شحاتة: التعليم الجامعي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2004، ص.13
- 2- محي الدين صابر: قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص95-96.
- 3- كريس باركر: التلفزيون والعولمة والهويات الثقافية، مجموعة النيل العربية، القاهرة ط1، 2006، ص.56
- 4- عبد الحافظ سلامة: وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الفكر، عمان، الأردن، ط3، 2005، ص.70
- 5- علي الحوات: الأهداف الاجتماعية والاقتصادية للتعليم الجامعي والعالي، مجلة الوحدة، السنة الثانية، العدد(14) نوفمبر 1985، ص39-41
- 6- سعيد إسماعيل: تعليمنا بين أمس والغد، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص.172
- 7- صلاح الدين عرفة: آفاق التعليم الجيد في مجتمع المعرفة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005، ص.169.
- 8- المرجع السابق، ص.171
- 9- المرجع السابق، ص.173
- 10- مراد وهبة: الإبداع في المدرسة، معهد جوته، القاهرة، 1993، ص.3
- 11- حسن شحاتة، التعليم الجامعي، ص.160
- 12- شعبان الأسود: أوراق في العولمة، منشورات جامعة السابع من أبريل، الزاوية، الجماهيرية، ط1، 2008، ص.126
- 13- فلاح المحنة: العولمة والجدل الدائر حولها، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص.253
- 14- عبد الحافظ سلامة: تكنولوجيا التعليم، دار الفكر، عمان، الأردن، 2005، ص.70
- 15- خالد محمد: الجودة الشاملة في التعليم، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ط1، 2003، ص.45

## دور العولمة في التعليم العالي

- 16- عبد الحافظ سلامة: تكنولوجيا التعليم، ص. 85
- 17- سعيد إسماعيل: مرجع سبق ذكره، ص 77-79
- 18— حسن شحاتة: مدخل إلى تعليم المستقبل، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2004، ص. 36
- 19- حامد عمار: التنمية البشرية في الوطن العربي، دار سيناء، القاهرة، ص. 121
- 20— محمد منير: الإعلام والتنمية الشاملة، دار الفجر، القاهرة، ط3، 2003، ص. 45
- 21- عبد الحافظ سلامة: تكنولوجيا التعليم، ص. 65
- 22- حسن شحاتة: مدخل إلى تعليم المستقبل، ص. 87
- 23- مصطفى عبد السميع: تكنولوجيا التعليم، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص 75-76
- 24— محمد السيد: تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، دار مكتبة الإسرائ، طنطا، 2005، ص. 41
- 25— حسين حمدي: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم، الكويت، ط2، 1989، ص 19-20
- 26- مها زحلق: التعاون والتكامل بين الجامعات العربية في مجال التعليم العالي، المنظمة العربية للعلوم، تونس، 2000، ص. 58
- 27- عبد العزيز السنبل: التربية في الوطن العربي، الإسكندرية، 2002، ص. 157
- 28— ياسين الصرايرة، أحمد يونس: طرق التعليم الجامعي بين التلقين والتطبيق، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الأول، العدد الأول، 1999، ص 87.

## حرية الإرادة

د. سمية الطيب الطاهر عمران  
قسم الفلسفة  
كلية الآداب - الزاوية

### المقدمة:

الحمد لله الذي وهبنا نعمة العقل، وجَمَلنا بموهبة الفكر، وأسبغ علينا آلاء المعرفة لنصل ماضي تراثنا بمستقبله ونكشف عما حلَّ أثراً في ضمائر العصور ونستشف من خلال حاضرنا غداً قريباً للألأ مفعماً بمعاني الروعة والبهاء.

إن العقول متى تحررت كانت قادرة على فهم ما يحيط بها من قضايا فالحرية هي البيئة المناسبة لنمو الأفكار وتجديد العقول وتبدل ما عند الآخر من آراء.

الحرية لفظة ذات رنين خاص، استرعت الأسماع واجتذبت القلوب وفتحت أبواب الأمل وعززت مطالب المظلومين، ونصرت حقوق المهضومين، وهي إحدى القيم الإنسانية الكبرى ودعامة مهمّة من دعائم الشخصية، وأساس للحساب والمسؤولية غرس بذرتها الأولى الأبطال المجاهدون، وانتصر لها الهداة والمصلحون، وقدستها الشرائع والأديان.

ولم يقدرها الإنسان حق قدرها إلا بعد أن مر بأدوار من الخضوع والعبودية، خضع لأسرته وعشيرته، ثم لمدينته ودولته، فعرفت حرية الجماعة قبل أن تعرف حرية الفرد. وقد صوّرت في مراحل التاريخ بصور شتى فالحرية في التاريخ القديم غيرها في التاريخ الوسيط، وهما معاً يختلفان عن مدلول الحرية في التاريخ الحديث. ويتباهى القرن الثامن عشر بانتصاره للحرية الفردية، في حين انتقص ماركس في القرن التاسع عشر من أجلها، وتكررت لها الدكتاتوريات المعاصرة، ولم تتردد في أن تبطش بها على أن حرية الفرد وثيقة الصلة بحرية الجماعة، وهما متضافتان ومتكاملتان، ورُبَّ فرد قاد شعباً

#### د. سمية الطيب الطاهر عمران

إلى الاستقلال والحرية، ورُبَّ مجتمع حارب الأحرار فكمم الأفواه وكسر الأقلام.

وعصور الحرية هي عصور الانطلاق والتقدم والاختراع والابتكار، وجوها هو جو الفكر الصادق والعمل المثمر.

والحرية محببة لذاتها؛ لأنها مجارة للطبيعة، وشعور بالانطلاق الفطري دون خطر أو قيد، مثلها الأعلى أن تستكمل مظاهرها في الفكر والاعتقاد والقول والعمل، وتقديس الدساتير الحديثة الحريات على اختلافها.

ولكن ليس معنى الحرية أن تسيء إلى العدالة، أو أن تخرج على القانون ومن أبسط ضوابطها أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. وليست الحرية في أن نسلم من المؤثرات الخارجية فحسب. بل أن نسلم أيضاً من المؤثرات الداخلية، فنقاوم الميول والأهواء، ونبرأ من الضغائن والأحقاد. وتلك هي حرية الحكيم. وقديماً قال متصوفة الإسلام إن الحرية هي "الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار، فهي تحرر من رق الشهوات، وفناء إرادة العبد في إرادة الحق"<sup>(1)</sup>. وقال ليبنتز: "إن حرية الخالق مطلقة، ولا تكتمل حرية مخلوقاته إلا إذا سموا على شهواتهم"<sup>(2)</sup>. والحرية والإرادة لا تتفصلان فلا سبيل إلى إرادة حقة من دون حرية تسلم بها من استعباد النفس والبدن وتقف على قدميها إزاء المؤثرات والضغط الخارجي. فيفعل المرء ما يريد، ويريد ما يفعل، وحرية الإرادة، أو استقلال الإرادة، وقد حاول أرسطو (322ق.م) وآبيقور (270ق.م) قديماً أن يفسحا للحرية مجالاً في الكون ونظامه، وأنشغل آباء الكنيسة بحرية الإرادة ليوفقوا بينهما وبين علم الله وعنايته، وسار على نهجهم القديس أوغسطين (430) والقديس توما الإكويني (1274)، وبدلاً جهداً كبيراً في هذا التوفيق، وعنى الفلاسفة المحدثون كذلك بمشكلة حرية الإرادة، أمثال: اسبينوزا (1677) وبوسيبه (1704) وليبنتز (1716)، ولم يغفلها الفلاسفة المعاصرون، أمثال كانط (1804) -فهى اساس أخلاق الواجب عنده - ورينوكويه (1903) وبوترو (1923)، وبرجسون (1941) والواقع أن حرية الفرد خاضعة لبواعثه الداخلية من ميول وأهواء وخاضعة أيضاً لسلطان المجتمع من نظم وشرائع وعادات وتقاليد، وفوق هذا لا سبيل لأن يُصل

## حرية الإرادة

الإنسان فصلاً تاماً عن العالم في نظمه وقوانينه، وهنا يتسع المجال للقول في مشكلة حرية الإرادة، وتتباين الآراء.

فحرية الإرادة مشكلة ذات جوانب متعددة، بين سيكولوجية وأخلاقية ودينية وفلسفية، وإنا لنتسائل إزاءها أين حرية الفرد في هذا كله؟ وهل من سبيل إلى القول بحرية إرادة مطلقة؟

وكان هدفي من هذه الدراسة هو:

إثبات حرية الإرادة واستقلاليتها في تأسيس نظرية حرة مبنية على العقل لما للعقل من دور فعال في أي زمان ومكان لا تقل أهميتها وخطرها عن أي نظرية من نوعها جاءت بها عقول الفلاسفة والمفكرين. أما عن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن إيجازها فيما يلي:

1- الإيمان بحرية الإرادة التي أنيط بها تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات.

2- المشاركة ببعض الجهد في دراسة هذا الموضوع والآراء المتعلقة به وأما عن أهمية الدراسة فتكمن في:

الإيمان بكرامة الإنسان وقيمه الذاتية وباحترام عقله وحرية الفكرية وبقدرته على التفكير، وعلى اكتشاف الحقيقة، وعلى تحمل المسؤولية. وقد أملت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة محاور.

المحور الأول حرية الإرادة الإنسانية، ثم المحور الثاني الإنسان فعل الحرية، أما المحور الثالث فكان الأساس النفسي للحرية والمسؤولية. ولقد اقتضت طبيعة هذا البحث تباع المنهج الوصفي التحليلي ثم الخاتمة والتي نبرز فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث ثم الهوامش >

### المحور الأول:

#### حرية الإرادة الإنسانية:

لمشكلة حرية الإرادة شأن خاص في تاريخ الفكر الإسلامي، وتعد من أولى المشاكل العقلية التي استوقفت المسلمين واتجهت إليها أذهان العامة وتدارسها الخاصة منذ عهد مبكر وثار حولها الأسئلة وعقدت من أجلها حلقات الجدل

#### د. سمية الطيب الطاهر عمران

والمناقشة، وقامت باسمها مدارس فكرية متميزة، وبقيت هذه المدارس تتنوع وتتعدد على مر الزمن، عمقت درستها، وانتهت في موضوع حرية الإرادة إلى آراء وحلول لا تخلو من جرأة وشجاعة وجهد صادق في التوفيق بين العقل والنقل، ولها وزنها إذا ما قورنت بنظائرها في الثقافات الأخرى، وأضحى هذا الموضوع باباً مهماً من أبواب الدراسات الكلامية وعبر عنه بأسماء مختلفة، فسمى (خلق الأفعال) و(الاستطاعة) و(الجبر والاختيار) و(القضاء والقدر) ولم يقف أمره عند المتكلمين وحدهم، بل عرض له الفلاسفة ليلائموا بينه وبين مبدأ السببية والعناية الإلهية، وحاول المتصوفة أن يفسروا الحرية على طريقتهم، وأن يسموا بها عن مستوى الجسم والمادة. وعالج الفقهاء والمشرعون موضوع القصد والإرادة ليقوموا عليه دعائم الجزاء والمسؤولية، وأنواع القصاص والعقوبة<sup>(3)</sup>.

فالجبريون وعلى رأسهم، جهنم بن صفوان، يقولون: "إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر، قال إذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً"<sup>(4)</sup> قضية إثبات حرية الإرادة الإنسانية، دارت حولها مناقشات كثيرة، وذلك لأنه كان للمسلمين في آيات القرآن الكريم دليلاً على أن الإنسان حر أفعاله، وأن له إرادة مستقلة يمارس بها هذه الأفعال، وأن ثوابه عقابه رهن بما تقدمه، إن هو خيراً فخير وإن هو شراً فشر لقوله تعالى: ﴿ذَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاوَاً وَإِمَّا كُفُوراً﴾<sup>(5)</sup> وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهَا الذَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيَّهَا﴾<sup>(6)</sup>، وإذا كان شيوخ الاعتزال قد أكدوا على قدرة الإنسان على فعله إرادة واختياراً، فإلى جانب ذلك توجد آيات تفيد أن الإنسان مجبر في أفعاله وليست فيها إرادة أو اختياراً، يعني أنها ألغت هذه القدرت أو استندت إلى قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(7)</sup> وأيضاً

## حرية الإرادة

في قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي تَعَاوَنًا وَلَا ضَرًا﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿<sup>(8)</sup> فالآيات القرآنية الدالة على الاختيار والجبر كثيرة، غير أن الأشعرية رفضت موقف الجبرية القائلين بأن الله خالق أفعال العباد وحاولت إيجاد تفسيراً توفيقياً بين الاتجاهين، فقالت: "الأفعال لا بد لها من فاعل على حقيقتها لأن الفعل لا يستغني عن فاعل فإذا لم يكن فاعله على حقيقة الجسم وجب أن يكون الله تعالى هو الفاعل على حقيقته"<sup>(9)</sup> بمعنى أن الإنسان يريد الفعل الذي يختاره ولكن يظل تنفيذ هذا الفعل على الله تعالى، إذ إنه هو الخالق لكل شيء، وبالتالي فحرية الاختيار عندهم - العباد - يخلقها الله تعالى فيهم، ومن ثمة الفعل الذي تنفذ بمقتضاه هذه الحرية مجمل نظرية الكسب.

أي "إذا كان الفعل كسباً كان الله تعالى هو المكتسب له على حقيقته"<sup>(10)</sup> أي ما يكسبه الإنسان فهو من الله تعالى، أما المعتزلة الذين قرروا مبدأ حرية الإرادة الإنسانية، فقد اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرا مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة<sup>(11)</sup>، بمقتضى حريته واختياره، والذي حملهم على ذلك هو إيمانهم بعدالة الله تعالى وتنزهه عن الظلم فما كان الله سبحانه ليعاقب إنساناً على عمل وجهه إليه وأعانه عليه، لأن من أعان فاعلاً على فعله ثم عاقبه عليه كان جائراً عابثاً، والعدل من صفات الله تعالى، والظلم والجور منفيان عنه تعالى لقوله الكريم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(12)</sup> وأيضاً في قوله تعالى: ﴿لَٰكِن كَاذِبًا أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(13)</sup>.

### المحور الثاني:

#### الإنسان فعل الحرية:

عدّ المعتزلة حرية الاختيار هي جوهر الإنسان العاقل المفكر والمكلف، فالاختيار يقتضى الحرية، فلا اختيار حيث لا حرية، والاختيار يجر بالضرورة إلى المسؤولية. لأنه ضروري لإمكان الفعل، إذ أن المجر العاجز لا يكون مكلفاً بالفاعلية، وإلا لكان تكليفه قبيحاً لأنه تكليف بما لا يطاق، فلا يكون مسؤولاً عن أفعال لا يأتيها على وجه الاختيار والقدرة<sup>(14)</sup> فمعيار إنسانية الكائن البشري هي الحرية العقلانية لأنه متى "ذهب التخير ذهب التمييز"<sup>(15)</sup>.

#### د. سمية الطيب الطاهر عمران

وتعكس هذه الحرية اطمئناناً نفسياً يؤدي إلى تملك الكائن البشري زمام نفسه والتأكيد على ذاته من خلال هذه الحرية، فيها يتحرر إلى حد ما من كل القيود الخارجية آلهية كانت أو طبيعية، ويجعل من ذاته أصلاً لعلمها وعملها. فهو يقرر ما يحكم به عقله ويقدر ما تخصصه إرادته. والخلق الإرادي المنفذ لحكم العقل هو فعل الحرية الذي يميز الإنسان المكلف من غيره من الكائنات، هذه الحرية ليست عفوية ناتجة عن الشهوات والملذات، بل هي حرية الفكر والعمل وعلى أساسها يرتكز مفهوم الواجب ويصبح الالتزام الخلقي نابعاً من الذات المقدر، أنه طاعة بما تعنيه الطاعة من الانبساط والانشراح وليس خضوعاً أعمى لمستلزمات خارجية وأساس فعل الحرية هو الله الذي أقدر عباده عليه وذلك بخلقه حرية الفكر والعمل، بحيث يكتمل معنى الإنسان والحكمة من خلقه وخلق العالم "لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم"<sup>(16)</sup> ولا يتحقق هذا الأمر إلا أن يكون الإنسان رب أفعاله يخلقها بنفسه فيتحمل بذلك مسؤولية خلاصه أو شقائه وهذه نظرة تفاؤلية تعيد معايير الخلاص والشقاء إلى اعتبارات إنسانية، فعندما يدرك الإنسان بعقله أن الله لا يفعل إلا الصالح والخير لا بد له من أن يطمئن ويشعر بالارتياح ومع الشعور بالاطمئنان والارتياح تعظم المسؤولية وتعظم الحرية ويعظم قدر الإنسان وتقديره لأفعاله أنه في جوهره قدر خير إذا ما حقق ذاته بإرادته الخلاقة الموجهة بحجة العقل.

فالحرية إذن هي حق طبيعي للإنسان تترتب من كونه مفكراً عاقلاً، وهي حق إلهي له تترتب من كونه مكلفاً، فالوحي والتكليف يقتضيان حرية الفكر والعمل وبهما يتبرران ومن دونهما لا معنى لهما، أنهما يقتضيان فاعلية مختارة، لا قدرية الجائية، لذلك لم يستطع المعتزلة "أن يهضموا نظرية الجبر أبداً ولهذا فإنهم نفوا القدر بشدة ورفضوا أن يكون الإنسان العاقل مجرد آلة صماء لا رأي لها ولا حرية ولا اختيار وإنما تسيرها يد القضاء من وراء ستار.... فأتبنتوا أنهم يحترمون الحرية الفردية حرية الفكر والعمل ويقدرّون المواهب العقلية فكانوا لذلك دعاة حرية الرأي والإرادة في الإسلام"<sup>(17)</sup>.



## حرية الإرادة

ولكن هناك سؤالاً يحتاج إلى جواب، والسؤال والجواب يلقيان ضوءاً على هذا المبحث خاصة، وعلى البحث عامة هذا السؤال هو: ما سبب حصول المسؤولية؟ من المعلوم أن الإنسان مكلف بفعل أفعال معينة، وهذا التكليف ممثل في الأمر والنهي ولا يمكن أن يكلف الإنسان على فعل لا يقدر على إيجاده ولا يتمكن منه أو يجله، وعلى ذلك فلا بد للإنسان المكلف من أن يكون قادراً مختاراً متمكناً عالمياً بفعله "ولكن الاختيار يقتضي الحرية، فلا اختيار حيث لا حرية، والاختيار يجر بالضرورة إلى المسؤولية، لأنه ضروري لإمكان الفعل"<sup>(18)</sup> وهكذا يتضح لنا سبب كون الإنسان مسؤولاً ويتمثل في الاختيار والقدرة والحرية، إذ إنَّ المجبر العاجز لا يكون مكلفاً بالفاعلية، وإلا لكان تكليفه قبيحاً لأنه تكليف بما لا يطاق، فلا يكون مسؤولاً عن أفعال لا يأتيها على وجه الاختيار والقدرة.

أن قيام المسؤولية على أساس الاختيار نجد له أصلاً عند افلاطون، إذ يروي في قصة العالم الآخر أنه "لن يفرض عليكم مصيركم، بل ستختارونه والمسؤولية تقع على من يختار، والسماء بريئة"<sup>(19)</sup>.

هذا التصور لمعنى الحرية الإنسانية هو ما آل إليه الفكر الحديث في معرض تساؤلاته عن القلق الذي يشعر به الإنسان تجاه كونه، من أنا وما هو قـدري؟ سؤالان متلازمان يعبران عن الوجدان القدري، الباحث عما يجب أن يكون عليه الكائن، لاتسأولاً عن ماهية يقتصر فيها دورنا على الاكتشاف والمعرفة وتنفيذ كل ذلك، هذا الوجدان القدري هو فعل الحرية الذي يرتقي بالإرادة الإنسانية فوق المعطيات "ليؤكد على أنيته" أنه إرادة خلق واختيار لا يمكن أن ينفصل عن (الفاعلية الدينامية) فالحرية كما يقول هيديجر "هي خلق منزه"<sup>(20)</sup> بها يتخطى الإنسان وينفي كل المعطيات والعقبات التي تعترضه.

وإثباتاً لحرية الإنسان، واختياره في أفعاله كانت من متطلبات العدل الإلهي إذ لا يعاقب إنسان ولا يثاب إلا بمقتضى حرية واختيار يباشر بهما أفعاله وهذا مناط التكليف.

### المحور الثالث:

#### الأساس النفسي للحرية والمسؤولية:

إنّ الحرية هي التي توثق معنى التكليف وتتوثق به، ولما كان التكليف يقتضي التمكين، فلا بُدّ للإنسان من سند موضوعي يركن إليه في اقتداره على أفعاله، هذا السند الموضوعي يرتد إلى تلك المعاني الحاصلة فيه من علم وإرادة وشهوة، ومادام العلم بالفعل لا يكفي لاستحقاق الحكم عليه بل يجب أن يخصص بالإرادة، فسوف نقصر كلامنا على معنى الإرادة سنداً موضوعياً للحرية والمسؤولية.

لابد من التأكيد أولاً على أن الإرادة هي التي تخصص وقوع الفعل على جهة معينة بعد العلم به، إذن عملها يتبع عمل العقل وهي بذلك لا تتحل إلى معان غريزية حاصلة في الإنسان، وتخصيصها جهة وقوع العقل يبين تضمين الفاعل لهذه الجهة وجه اختياره المقصود على حسب الغرض والداعي بحسب الشهوات.

ومن هنا فالإرادة تختار ما تختاره العلة<sup>(21)</sup>، غائية لا لعلّة فاعله، فهي تتجه نحو الفعل وتضمنه قصود فاعله، على حسب المصلحة التي يرتئها ولا يمكن أيضاً أن تتحل الإرادة إلى كونها مجرد دواع، لأن الدواعي غالباً ما تكون مأخوذة من الخارج أما إذا تحول الداعي الخارجي إلى اعتقاد من الاعتقادات حصلت المطابقة بينه وبين الواقع مع سكون النفس، تحول إلى باعث باطني يؤثر عمل الإرادة فيرجح إمكانية فعل أحد الطرفين، والحقيقة أن أثر الدواعي في عمل الإرادة لا يمكن أن يتحول إلى معنى دينامي يحرك الإنسان ألا بعد أن يعلم العقل الواقع بالإدراك، ويعلم حال الإنسان جملة وكونه ساكن النفس إلى هذا الواقع حينئذ يحصل العلم معنى الإنسان تسكن إليه النفس جملة، وانطلاقاً منه يبدأ عمل الإرادة، ولكن إذا كانت الإرادة لا تتحرك بالدواعي الخارجية ألا إذا تحولت إلى بواعث باطنية، فهل هذا يعني إن العوامل الباطنية الغريزية تتحكم باختيار جهة الفعل ونوعه؟

لقد بينّا إن عمل الإرادة يصدر عن العقل وإن كان أساس تحركها يرتد إلى معاني باطنية إلا أنها معان هادفة قاصدة لا عفوية غريزية، بل إن الغرائز

## حرية الإرادة

تشكل عائقاً مهماً أمام عمل الإرادة الحرة من حيث أنها قد تلجئ الفاعل إلى القيام بما لا يريده، وعلى ذلك تصبح الحرية مقيدة بعوامل عفوية، عنها ينتج وجه وقوع الفعل وبالتالي الحكم اللازم عنه، فالإرادة إذا عملت بحسب الشهوات والغرائز تصبح وكأنها وليدة سلسلة من الأسباب الضرورية فتفقد صفة الحرية وعدم اللزوم عن أي سبب، أضف إلى ذلك أن الحرية التي تتمتع بها الغرائز والشهوات هي حرية عفوية "تتعدى حدود العقل وتتجاهل معاييرها"<sup>(22)</sup> لكن من المعتزلة من اختزل الإرادة إلى عناصر غريزية شهوانية تتصارع فيما بينها ويحدث الفعل عند غلبة أحدهما على الآخرين وهذا رأي الجاحظ في الخلال التي هي "غرائز في الفطر وكوامن في الطبع جبلة ثابتة وشيمة مخلوقة"<sup>(23)</sup>.

هذه النظرة من الجاحظ قوبلت برد عنيف من قبل عدد كبير من المعتزلة وخصوصاً القاضي عبدالجبار الذي عدّ غلبة الدواعي ليست مؤشراً لوقوع الفعل، كما انه لا يستحيل عند تساويها، فالإنسان يبتدئ أفعاله باختياره وجهاً مخصوصاً ومعلوماً.

وعلى هذا يبدو أن السند النفسي للحرية الإنسانية والمسؤولية هو الإرادة الموجهة بالعقل والتي على أساسها يصبح السؤال عن وجه وقوع الفعل وبالتالي يصبح التكليف السند الميتافيزيقي لهذه الحرية، وبهذا يتداخل المعياران الإنساني، والميتافيزيقي بحيث يبرر كل واحد منهما الآخر ويتبرر به، ويتداخل هذين المعيارين في إرساء طبيعة الكون الإنساني الفاعل، تتأكد المشاركة بينهما إسهاماً في فعل الخلق الإلهي، فالإرادة الإنسانية الحرة ترتقي بما تمتلكه من دينامية فاعلة فوق ما هو معطى وتنفيه بعدم اختيارها له وتخلقه في آن معاً عندما تضمنه الوجه الذي تريده بحسب غرضها ومصالحها، هذا ما يقتضيه التكليف وهذا ما يريده الله عندما يرى مخلوقاته وقد ساهمت بإرادتها الحرة في تعميق معنى العدل الإلهي الذي يقتضي أن تكون أفعاله كلها حسنة ومنها فعل العدل، فلا يحسن العدل والتكليف الإلهيان إلا بتقرير حرية الإرادة الإنسانية. وهنا تعظم المسؤولية ويشعر الإنسان بمدى أهميته في هذا الكون ويسعى إلى التأكيد على هذه الأهمية من خلال أفعاله التي تزيد من اتساع نطاق

#### د. سميرة الطيب الطاهر عمران

دائرته باتساع عمل إرادته، فإرادته الحرة يتحدد محيطه ويتحدد كونه الفاعل والخالق أي ما يجب أن يكون عليه لا فيما هو كائن. وبذلك أضحت إرادة الإنسان الحرة هي العلة الأساسية للفعل، نعم إن الإنسان خاضع للظروف الخارجية مثل سائر الأشياء. ولكن هذه الأشياء ليس لها من الإرادة والاختيار مثل ما للإنسان فهي لا تستطيع أن تكف عما طبعت عليه بحكم صفاتها المخلوقة فيها، أما الإنسان فهو سيد أفعاله إذ يستطيع أن يقبل أو يرفض الخواطر التي تأتيه عن طريق المؤثرات والظروف الخارجية. أي الخواطر التي تأتيه قضاء وقدرًا.

وهكذا يتضح لنا سبب كون الإنسان مسؤولاً، ويتمثل في الاختيار والقدرة والحرية، إذ إنَّ المجبر العاجز لا يكون مكلفاً بالفاعلية، وإلا لكان تكليفه قبحاً؛ لأنه تكليف بما لا يطاق، فلا يكون مسؤولاً عن أفعال لا يأتيها على وجه الاختيار والقدرة، ولا يمكن للإنسان أن يعبد ربه حق عبادته إلا إذا كان إنساناً خلاقاً ومسؤولاً. (24)

#### الخاتمة:

#### من خلال هذا البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:

- 1- حرية الاختيار هي جوهر الإنسان العاقل المفكر والمكلف ومن دون هذه الحرية لا يصح تكليفه.
- 2- الحرية اطمئنان نفسي يؤدي إلى تملك الكائن البشري زمام نفسه والتأكيد على ذاته من خلال هذه الحرية
- 3- الحرية والإرادة لا تنفصلان، فلا سبيل إلى إرادة حقه ومن دون حرية تسلم بها من استعباد النفس والبدن.
- 4- قيمة الإرادة في حريتها، وسبق للفارابي أن قرر أن في وسع الإنسان أن يفعل الخير متى أراد، فهو حر فيما يريد ويفعل، ولكن هذه الحرية تخضع لسنن الكون وقوانينه، وكل ميسر لما خلق له، وعناية الله محيطه بجميع الأشياء ومتصلة بكل أحد وكل كائن بقضائه وقدره.

## حرية الإرادة

- 5- الإنسان حر في اختيار الفعل الذي يريده، بالاستطاعة التي ملكها الله لعباده والتي تسبق الفعل، فليس في الأمر إكراه العباد على الواجبات والطاعات واجتناب المعاصي، إلا أنه ليس هناك اختيار مطلق ولا جبر مطلق.
- 6- ان دراسة فلاسفة الاسلام في علم النفس والأخلاق. والسياسة والميتافيزيقا قادتهم إلى البحث في حقيقة الارادة والاختيار ووجهتهم نحو تحليل فكرة حرية الفرد ومدى ملاءمتها لنظام المجتمع وحياته ونحو توضيح فعل العبد وقدرته بحيث لا يتعارضان مع نظام الكون والعناية الالهية
- 7- يُعد القصد والنية أساس الجزاء والمسؤولية، والأعمال بالنيات. ونية المرء سر نفسه ومبعث ذاته، هي تفكيره الخاص الذي لا يشاركه فيه أحد.
- 8- لا تتنافى حرية الإرادة مع قضاء الله وقدره؛ لأنّ القضاء في حقيقته وضع كل شيء في موضعه، والقدر جعل كل شيء على ما هو عليه من خير وشر.
- 9 - إعلاء شأن الحرية الإنسانية ورفع مقام الإنسان بوصفه مخلوقاً مفكراً مدبراً جديراً بتحمل المسؤولية (25)

- (1) القشيري: الرسالة، 1318هـ، ص118-119.
- (2) Leioniz Mauveaux Essais – paris 1936, ltt, eh-xxl.
- (3) إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية، ج2، القاهرة، دار المعارف، ص91.
- (4) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، القاهرة، 1968، ص87.
- (5) سورة الإنسان: الآية 3.
- (6) سورة يونس: الآية 108.
- (7) سورة النحل: الآية 93.
- (8) سورة العراف: الآية 188.
- (9) الأشعري: اللمع، تحقيق، رتشارد يوسف، بيروت، مطبعة الكاثوليكية، 1953، ص39، وما بعدها.
- (10) المصدر نفسه، ص39. وكذلك انظر محمد عبده: رسالة التوحيد، القاهرة، ص59، 60، 61.
- (11) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص87 وكذلك ابن حزم، الفصل، ج3، بيروت، دار المعرفة، 1975، ط2، ص81.
- (12) سورة فصلت: الآية 46.
- (13) سورة النحل: الآية 118.
- (14) الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام حقيقة الفرد حيوم، بغداد، مكتبة المثنى، ص84. وكذلك أنظر عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، القاهرة، ط2، 1961.
- (15) المصدر نفسه، ص84.
- (16) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص115.

- وللمزيد من الاطلاع انظر سميع دغيم: فلسفة القدر في فكر المعتزلة، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1992، ط1.
- (17) زهدي جارالله: المعتزلة، بيروت، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، 1974، ص112.
- (18) عبدالرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، القاهرة، 1961، ط2، ص17.
- (19) أفلاطون: الجمهورية، ترجمة تظله الحكيم، القاهرة، 1913، ص181.

(20) R.polin. lacreationdes valcurs, p, 278.

- وللمزيد من الاطلاع أنظر سامي نصر لطف: الحرية المسؤولة، القاهرة، مكتبة الحرية الحديثة.
- (21) القاضي عبدالجبار: المغني، ج6، التعديل والتجوير، تحقيق أحمد فؤاد، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1962، ص6.
- (22) حسني زينه: العقل عند المعتزلة، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1980، ص95.
- (23) الجاحظ: الحيوان، ج1، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة، ص202.
- (24) للمزيد من الاطلاع أنظر سميع دغيم: فلسفة القدر، ص308 وما بعدها.
- وأنظر ايضا الفارابي: آراء اهل المدينة الفاضلة، لندن 1895، ص78،79. وكذلك ديور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة محمد ابوريدة، القاهرة، 1938، ص150 وأيضا ابن النديم، الفهرست، ص362.
- (25) انظر محمد الانور: دراسات نقدية فى مذاهب الفرق الكلامية، القاهرة، دار الثقافة العربية، ص183 وما بعدها وأيضا احمد

**د. سمية الطيب الطاهر عمران**

---

خواجه: الله والإنسان فى الفكر العربى والاسلامى، بيروت،  
منشورات عويدات، 1983، ط1، ص 84 وما يليها.



الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس Septimius Severus  
( 193 – 211 م )  
(بصمة ليبية على جبين الإمبراطورية الرومانية)

د. محمد امحمد سالم  
قسم التاريخ  
كلية الآداب- الاصابة

تكمن أهمية هذا الموضوع في التعريف بهذا الإمبراطور الذي ولد في مدينة ليبية مغمورة، لم تكن ذات شأن يذكر، لكنه تمكن بإرادته القوية، وكفاحه الطويل، من اعتلاء عرش الإمبراطورية الرومانية التي كانت من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ القديم. ورغم الصعاب التي واجهته فإنه كان بحق أعظم رجال ليبيا، أحس بالظلم والطغيان، وشعر بهضم حقوق شعوب أفريقيا وبلاد الشرق. فهل تمكن من رد الحقوق إلى تلك الشعوب؟ وما أهم إنجازاته في بلده الأم وفي الإمبراطورية الرومانية على الصعيدين العسكري والسياسي؟

وقبل أن نخوض في تفاصيل هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى مدينة لبدّة، من حيث اسمها، ونشأتها، وعلاقاتها السياسية والاقتصادية بالقبائل الليبية والدولة قرطاجية.

كانت السواحل الشمالية للقارة الأفريقية تسكنها قبائل متنقلة، تجوب السهول والروابي والتلال، بحثاً عن مصادر العيش من ماء ومرعى. وقد استمر هذا الحال فترة طويلة من الزمن، ثم أخذت هذه القبائل تستقر في المناطق الغنية بمواردها المائية والزراعية سواء في المناطق الساحلية أم في الواحات الداخلية. ولعل ما يهمننا من أمر هذه القبائل تلك التي كانت تعيش بالقرب من خليج سرت الكبرى، أو التي كانت تعيش في الجنوب الليبي، لعلاقتها المباشرة بمدينة لبدّة Leptis، ولكن قبل ذلك لا بد من الإشارة إلى أن أسماء هذه القبائل قد بدأت تظهر على المسرح التاريخي منذ العصر الإغريقي. وكانت من أهم هذه القبائل قبيلة النسامونس Nasamones التي كانت تسكن حول خليج سرت الكبرى

### الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس ...

(الأقرب مسافة إلى وسط القارة الأفريقية)، وكان أفرادها يذهبون في الصيف إلى واحة أوجله لجمع التمور من أشجار النخيل التي كانت تنمو هناك<sup>(1)</sup> وتأتي إلى الغرب من هذه القبيلة قبيلة الماكاي Macae التي كانت تقيم قرب مصب نهر كينوبس Cinyps (وادي كعام) الذي تحيط به أراض خصبة تنتج كثيراً من المحاصيل الزراعية كان من أشهرها القمح الذي كان محصوله يعدل محصول أرض بابل، كما يقول المؤرخ الإغريقي هيرودوت<sup>(2)</sup>. وإلى الغرب من هذه القبيلة كانت تعيش قبيلة الجيندانس Ginanes أو أكلة اللوتس<sup>(3)</sup>. أما في الجنوب من خليج سرت الكبرى وعلى مسافة عشرة أيام من واحة أوجله يوجد موطن قبيلة القرامانتس Garamantes، وهم قوم كثير العدد، كانوا يملكون عربات تجرها أربعة خيول<sup>(4)</sup>، كانوا يطاردون بها الأثيوبيين (سكان الكهوف الذين كانوا يسكنون جنوب ليبيا). وكان هؤلاء يستقبلون القوافل التي تأتي من وسط أفريقيا محملة بالذهب والأحجار الكريمة والعاج وريش النعام وجلود الفهود، التي يقايضون بها السلع التي تنتجها أو تشتريها مدن الشمال (مدينة أويا ولبدة) من الفينيقيين.

### نشأة مدينة لبدة الكبرى Leptis Magna:

تقع مدينة لبدة الكبرى إلى الشرق من مدينة الخمس الحالية على مسافة قليلة لا تزيد عنها بضعة كيلو مترات، في منطقة زراعية ذات تربة خصبة ومياه وفيرة ناتجة عن هطول الأمطار الغزيرة، وتدفق نهر كينوبس الذي كانت السيول تأتي إليه من التلال الجنوبية والغربية، ليصب بعد ذلك في البحر الأبيض المتوسط، وكانت مياه هذا النهر تستغل في الشرب والزراعة.

ويبدو أن الفينيقيين أدركوا أهمية هذا الموقع الخصيب عندما كانوا يبحرون بمراكبهم وسفنهم الشراعية بمحاذاة الساحل الشمالي لأفريقيا، فلفت نظرهم هذا المكان الخصيب، ومن ثم أقاموا محطة تجارية قدر لها أن تكون أساساً لمدينة بلغت شهرتها الآفاق في كل أنحاء العالم الروماني.

وأغلب الظن أن هذه المدينة تأسست من قبل مهاجرين صوريين في الألف الأولى ق م استناداً إلى بعض الأدلة الأثرية التي تشير إلى أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى القرن السابع ق م، بينما يرى أحد الباحثين أنها أنشئت في أواخر

القرن السادس قبل الميلاد، لكونها لم تذكر في مؤلفات المؤرخين القدامى الذين أشاروا إلى الحملة التي قام بها داريوس Dorius عام 517 ق.م على منطقة كينوبس دون أن يشيروا إلى هذه المدينة، ما يدل على أنها لم تكن موجودة في ذلك الحين، أو أنها كانت عبارة عن محطة صغيرة، ليس لها شأن يذكر. ويدعم هذا البحث رأيه ببعض المكتشفات الأثرية التي عثر عليها حديثاً في أطلال المدينة والتي يعود تاريخها لعام 500 ق.م<sup>(5)</sup>. وكانت هذه المدينة في الأصل محطة صغيرة تستقبل البضائع التي تأتي إليها من وسط أفريقيا عن طريق قوافل القرامانتس<sup>(6)</sup>، أو من المناطق المحيطة بها التي كانت تنتج المحاصيل الزراعية<sup>(7)</sup>، ثم تفيض تلك البضائع بالبضائع التي يجلبها الفينيقيون من بلدان حوض البحر المتوسط، كالملابس والصناعات الفخارية والزجاجية وغيرها. وقد اشتهرت هذه المدينة بعدة أسماء ترجع إلى أصول فينيقية وإغريقية ولاتينية، نذكر منها: " لبكي Lpky " أو " لبقي Lbgy " و " Lybgy " وهو اسم فينيقي الأصل. أما الإغريق فقد أطلقوا على هذه المدينة فيما بعد اسم " نيابوليس"<sup>(8)</sup> وفي المصادر اللاتينية أطلق عليها اسم " لبتيس Liptis " و" Lepcis " و" لبتي Lpti "، ثم أضاف إليها الرومان كلمة " ماجنا Magana "، التي تعني المدينة العظيمة تمييزاً لها عن مستوطنة " لمطة " التي تقع بالقرب من مدينة قرطاجة، وكانت تسمى لبدة الصغرى " Lepti Minus ". وهناك من الباحثين من يرى أن اسمها مشتق من الكلمة الصيداوية " لبيادة "، وهي كلمة مركبة من حرف الجر (ل) و (بادة) التي تعني البادية، كما زعم بعضهم أن اسمها مشتق من القبيلة الليبية التي كانت تسمى " لبيو "<sup>(9)</sup>، لكننا - في الواقع - نستبعد ذلك، لأن هذه القبيلة كانت تبعد عن مدينة لبدة مئات الكيلومترات، وبالتالي لا نظن أن أهلها كانت لهم ارتباطات أو علاقات تجعلهم يطلقون اسم هذه القبيلة على مدينتهم. وأغلب الظن أن هذه المدينة سميت باسم فينيقي، لكون هؤلاء القوم كانوا هم المؤسسون لها. دخلت مدينة لبدة ضمن الممتلكات القرطاجية بعد حملة داريوس الاسبرطي مع مدينتي " فيعات Vai'at " أو " أويا Oea "، وهي طرابلس الحالية ومدينة " صبراته

### الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس ...

Sabratha " (10)، لكن هذه المدينة ظلت تتمتع بحكمها الذاتي كما يقول المؤرخ الروماني سالوست Sallust (86 – 34 ق.م)، حيث كان يحكمها رئيس القضاة الذي يدعى " سوفيتس " إلى جانب الموظفين (11)، ومجلس أعيان المدينة، غير أن القرطاجيين لم يسمحوا لهذه المدن بإنشاء الجيوش وبناء الأساطيل، وتكفلوا بالدفاع عنها إذا ما تعرضت لغزو الطامعين والمغامرين ولعل هذا الإجراء يشير إلى أن القرطاجيين كانوا يتخوفون من ثورة هذه المدن، وتحولها من مدن حليفة إلى مدن متمردة، تهدد مصالحهم السياسية والاقتصادية. وهذا الأمر يبدو واضحاً من المعاهدة التي أُلزموا بها الرومان والتي تفيد بعدم رسو سفنهم في مواني المدن الواقعة على الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط الخاضعة للنفوذ القرطاجي، إلا في حالات الضرورة القصوى.

وإزاء احتكار الفينيقيين للتجارة البحرية عانت المدن الليبية من سوء الأحوال الاقتصادية، بسبب الضرائب الباهظة التي كانت تدفع لهم، لإنفاقها على الجيوش القرطاجية، ولدعم الاقتصاد القرطاجي، فكانت مدينة لبدّة مثلاً تدفع للقرطاجيين ضريبة يومية تقدر بحوالي ثلثت يوماً (أي ما يعادل تسعة أطنان من الفضة سنوياً) (12)، ما جعل السكان يعتمدون في حياتهم على الزراعة والرعي والتجارة الداخلية. أما في العهد الروماني فقد ازدهرت التجارة بين مدينة لبدّة والعالم الخارجي، وتحولت المدينة إلى مدينة رومانية بمعابدها ومسرحها وسوقها ومنازلها التي بنيت على الطرز الرومانية. لقد قدر لهذه المدينة أن تكون من أشهر المدن في العالم الروماني، لكونها أنجبت إمبراطوراً قوياً تمكن من الوصول إلى أعلى المناصب في الجيش الروماني، ما مكنه من انتزاع العرش من بين برائن أكبر الزعماء السياسيين والقادة العسكريين، ذلك الإمبراطور هو سبتيميوس سيفيروس الذي ولد في مدينة لبدّة عام 146م، وتلقى تعليمه بها، ثم انتقل إلى أثينا، حيث درس الفلسفة والآداب، ثم اشتغل بالمحاماة في مدينة روما (13).

### التنازع على العرش وتولية سبتيميوس سيفيروس:

كان سبتيميوس سيفيروس رجلاً بالغ القوة، نافذ البصيرة، صارماً في أحكامه، بارعاً في الفنون العسكرية، شجاعاً مقداماً، لا يهاب الردى في ساحات القتال، يتحين الفرص للانقضاض على خصومه متى سنحت له الظروف. وهذه الجوانب من شخصيته القيادية الناجحة، مكنته من تحقيق طموحاته في الوصول إلى أعلى المناصب الرومانية، سواء كانت عسكرية أم سياسية، ولكي يحقق ذلك انضم إلى سلاح الفرسان في الجيش الروماني، ثم نال رتبة القنصلية في عام 190م. وفي تلك الفترة كانت الإمبراطورية الرومانية تمر بفترة حرجة من الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نتيجة لضعف الأباطرة ولهو بعضهم، وانتشار الفساد في الإدارة الإمبراطورية، وتدخل الجند الذين كانوا يبتزون الأباطرة بين الحين والآخر، وكان بعض الأباطرة قد انتهجوا سياسة الرعب والإرهاب، بسبب الخوف من المؤامرات التي كانت تحاك ضدهم. وكان من ضمن هذه المؤامرات تلك التي قتل فيها الإمبراطور كومودوس Commodas (176 - 192م) قبيل تجديد قنصليته بيوم واحد<sup>(14)</sup>. وكان هؤلاء المتآمرون قد اختاروا مرشحاً للعرش هو هلفيوس بيرتيناكس Helvius Pertinax الذي تولى منصبه الجديد في عام 193م لكنه لم يبق سوى ثلاثة أشهر، انتهت بمصرعه على يد القوات البرايتورية في يوم 28 مارس من العام نفسه<sup>(15)</sup>.

وفي تلك الفترة ثارت القوات الرومانية في شرق البحر الأبيض المتوسط وفي سهل الدانوب وبريطانيا، ونادت كل فرقة بقائدها كمرشح لها، فكانت قوات الشرق قد نادى بوالي سوريا جايوس بسكنيوس نيجر Gaius Pescenius Niger، واختارت قوات بانونيا Pannonin ( بمنطقة الدانوب ) سبتيميوس سيفيروس، بينما هتفت قوات بريطانيا بكلاوديوس ألبينوس Claudius Albinus. وبذلك أصبح هناك ثلاثة مرشحين لمنصب الإمبراطور<sup>(16)</sup>، ما زاد من حدة الخلاف بين الجيوش الرومانية أمام عجز مجلس السناتو على ممارسة مهامه السياسية، وكان هذا المجلس يميل نحو نيجر الذي نال تأييداً

### الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس ...

شعبياً، لكن سبتيميوس سيفيروس انتهاز فرصة قربه من إيطاليا فزحف بجيشه على روما مدعياً أنه جاء منتقماً لمقتل الإمبراطور الراحل برتيناكس. ولم يكن أمام مجلس السناتو من خيار سوى الإقرار بالأمر الواقع، فأدان الإمبراطور جوليانوس، وحكم عليه بالإعدام، ووافق على ترشيح سبتيميوس سيفيروس إمبراطوراً جديداً<sup>(17)</sup>.

كان سبتيميوس سيفيروس يدرك تماماً أنه لن يصفو له الجو، إلا بعد القضاء على خصومه الواحد بعد الآخر، ومن هنا أخذ يتحين الفرص للانقضاض على خصمه القوي نيجر، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تصالح مع كلاوديوس ألبينوس Claudius Albinus قائد جيش بريطانيا، وأغراه بتولي منصب القيصر (وهو منصب ولي العهد)، ثم جهز جيشه لمحاربة قوات نيجر الذي بايعته الولايات الشرقية. بادر نيجر باحتلال بيزنطة، ليتحكم في مضيق البسفور والدردنيل، بالإضافة إلى تحكمه في البلاد الشرقية التي كانت تزود روما بما تحتاج إليه من القمح، لكن سبتيميوس أسرع لحصار هذه المدينة، واقتحمها دون عناء كبير، ثم لحق بقوات خصمه في آسيا الصغرى، وأحرز عليها انتصارين، فرت على إثرهما هذه القوات مذعورة إلى جنوب جبال طوروس، حيث دارت معركة كبيرة بين الجانبين في أيسوس عام 194م قتل فيها نيجر، وعدد كبير من جنوده، وبذلك انتهى أمر هذا الخصم العنيد. أما فيما يتعلق بأمر كلاوديوس ألبينوس الذي كان محبوباً من السناتو والشعب الروماني، فقد أقنعه هذا المجلس بتولي عرش الإمبراطورية – رغم الاتفاق الذي تم بينه وبين سبتيميوس سيفيروس – ومن ثم جمع قواته عند مدينة لوجدونوم Lugdunum (مدينة ليون الفرنسية) استعداداً للقضاء على قوات سبتيميوس، ولكن سبتيميوس رد على هذا المتمرد بالزحف على قواته المرابطة في هذه المدينة في حوالي عام 197م، وبعد قتال شرس تمكن من الانتصار عليه<sup>(18)</sup>. ولكي ينتقم من أهل هذه المدينة المتمردة أمر جنوده بتأديبها، فعاتوا فيها حرقاً نهباً وتقتيلاً.

أما مجلس السناتو فقد عاقبهم سبتيميوس بقتل العشرات منهم، وصادر كثيراً من أملاكهم، وملاً الأماكن الشاغرة في المجلس بأعضاء جدد اختارهم بنفسه

من بلدان الشرق، كما استعان بعدد من رجال القانون، لترسيخ سلطته، وإكسابها الشرعية القانونية أمام الشعب الروماني، وكان من بين هؤلاء الرجال: بابنيان Papian وبولس Paulus وأليبيان Ulpian. كما أغفل سبتيميوس اختصاصات مجلس السناتو، إلا عندما كان يرسل إليهم أوامره (19). وهكذا رسخ سبتيميوس نظاماً جديداً، لم يكن مألوفاً من قبل، وهو الاستئثار بالسلطة المطلقة، ما مهد الطريق لأبنائه من بعده بتولي العرش دون الرجوع لهذا المجلس الضعيف. وقد استهل سبتيميوس سيفيروس حكمه بتوزيع المكافآت والمنح على جنوده والشعب الروماني، كما زاد من رواتب الجند، لأنه كان يعلم أنهم مصدر قوته وسلطته، وربما كان يؤمن بالوصية التي أوصى بها ابنه في آخر أيامه، التي قال فيها: «اتحداً معاً وادفعا للجنود رواتبهم، ثم لا تهتما بشيء بعد ذلك» (20). ولكي يضمن ولاء الجيش له قام بتسريح قوات الحرس الإمبراطوري القديمة التي يشك في ولائها، واستبدالها بقوات جديدة من جيش الدانوب الذي كان مؤيداً له.

#### أعماله:

تولى سبتيميوس سيفيروس عرش الإمبراطورية الرومانية في فترة حرجة كانت تتصارع فيها القوى السياسية والعسكرية على عرش الإمبراطورية ورغم ذلك فإنه تمكن بشجاعته وحكته السياسية والعسكرية من التغلب على كل هذه القوى المناهضة له، ومن ثم كان عليه أن يقوم بأعمال يحتفظ بها في سجله التاريخي على مر الأيام والسنين، وتكون تلك الأعمال الناجحة بصمة ليبية على جبين الإمبراطورية الرومانية لشباب ليبيا طموح، حكم إمبراطورية مترامية الأطراف، امتدت شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، لتشمل حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال أوروبا وغرب آسيا.

وكان على هذا الإمبراطور أن يحافظ على هذه الإمبراطورية من الغزاة والطامعين، ومن المتمردين الذين كانوا يحاولون الاستقلال بولاياتهم، ولكي يحقق هذه الغاية، وجب عليه أن يتخذ جملة من الإجراءات والخطوات الشجاعة، التي صارت - في نظر بعضهم تمرداً واستبداداً وخروجاً عمماً

### الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس ...

اعتادت عليه السياسة الإمبراطورية من قبل، وأول الخطوات الجريئة التي قام بها سبتيميوس أنه جعل الخدمة العسكرية إلزامية<sup>(21)</sup>، ما زاد من عدد قواته وضمن حق الولايات التابعة للإمبراطورية بالمساواة مع العناصر الإيطالية التي احتكرت المناصب العسكرية فترة من الزمن، وقد ساهم هذا الإجراء - بدون شك - في رسم السياسة الإمبراطورية الجديدة على المدى البعيد.

كان التحدي الكبير الذي واجهه سبتيميوس يكمن في خطر القبائل الشمالية من الاسكتلنديين التي هاجمت ولاية بريطانيا، وأرادت أن تقوض النفوذ الروماني هناك. ولما بلغت الأنباء أسماع الإمبراطور قام بتجهيز جيشه والانطلاق به إلى تلك الجزيرة النائية، فاجتاز أسوار هادريان وانطونيوس، ثم توغل في شمال الجزيرة. ورغم تكبده خسائر فادحة قدرت بحوالي خمسين ألف قتيل، فإنه تمكن من فرض الاستسلام، وفرض الصلح على الاسكتلنديين. وكان من نتائج هذا الصلح تسليم جزء من أسلحتهم، واقتطاع جزء من أراضيهم<sup>(22)</sup>.

أما فيما يتعلق بسياسته الداخلية فقد كان سبتيميوس يشعر بأهمية العناصر الأفريقية والشرقية في المشاركة في الحكم والإدارة جنباً إلى جنب مع العناصر الأوروبية التي كانت تستحوذ على السلطة لفترة طويلة من الزمن، وكانت هذه السياسة أصبحت نهجاً جديداً لم يسبق له مثيل في تاريخ الإمبراطورية، لكن إجراءاته كانت بحق في صالح الرعايا الذين كانوا يعيشون بعيداً في الولايات. وربما كان هذا الأمر يرجع إلى إحساس الإمبراطور سبتيميوس بالظلم والإقصاء، وعدم الإقرار بحق شعوب الولايات البعيدة عن مركز الإمبراطورية، لكونه رجلاً أفريقي المولد شرقي الأصل، ولكن هذا لا يعني أنه كانت لديه اتجاهات قومية، أو أنه كان حاقداً على العناصر الإيطالية عند توزيع المناصب الإدارية، ذلك لأن هناك من الإشارات ما يدل على أنه كان رجلاً رومانياً، يقدر المظاهر الرومانية المألوفة في المجتمع الروماني في ذلك الحين، ومنها على سبيل المثال الجري على سنة تقديس الإمبراطور التي كانت معروفة بين الساسة الرومان، حيث أوحى إلى خاصته بتقديسه، فصار يعرف بالمولى Dominus، كما أصبحت مدينة روما في عهده تسمى Urbs Sacra أي المدينة المقدسة<sup>(23)</sup>.



وهكذا عاشت المدن الأفريقية في بلاده الأصلية، ومدن سوريا وطن زوجته جوليا دومنا Julia Domna ومدن ولايات الدانوب التي أيدته في حربه على خصومه قبيل توليه العرش، فترة من الازدهار والرخاء الاقتصادي والحضاري وقد نعمت هذه المدن بإجراءات إدارية إيجابية رفعت هذه المدن إلى مركز أعلى درجة بين البلديات الأخرى، كما نالت قدراً من الهبات وحظيت ببناء عدد من المباني مختلفة الأغراض التي لم تحصل عليها من قبل. وكانت نظرة سبتيميوس لهذه الولايات تتلخص في أن الرومان والإيطاليين تمتعوا منذ فترة طويلة بحكم الإمبراطورية دون مشاركة الشعوب الأفريقية والشرقية التي لها الحق في هذا الاستحقاق، ولهذا كسر سبتيميوس هذا الاحتكار كي يعطي فرصة لأبناء الولايات للتمتع بهذه الحقوق المغتصبة، ولبناء أوطانهم بالإمكانات المتاحة التي استغلها الرومان لصالحهم من قبل. وكانت سياسته تتمحور حول المساواة بين سكان إيطاليا وبقية الولايات في الامتيازات الاجتماعية والتشريعية والسياسية، وعضوية مجلس السناتو الذي كان محتكراً من قبل الإيطاليين، الذين لم يعد بإمكانهم الحصول على أكثر من ثلث الأعضاء. وهذا يدل على أن سبتيميوس قد قام بخطوة جريئة لصالح سكان الولايات الأخرى (24).

أما مسقط رأسه مدينة لبة فقد حظيت هي الأخرى بقسط كبير من الرعاية والاهتمام، حيث زاد اتساعها، وصارت المدينة مقسمة إلى عدد من المناطق Regione، يقسمها شارعان رئيسيان طولي وعرضي، وكان الشارع العرضي بمثابة شارع النصر الذي كان يطلق عليه الفوروم الروماني (25). أما سكانها فقد منحهم حقوق المواطنة الدستورية الخاصة بالمستعمرات، وقد استمرت هذه الحقوق سارية المفعول حتى آخر عهد أسرته عام 235م (26). ولكي يؤمن المدن الليبية من غارات القبائل التي كثيراً ما كانت تغير على المدن والقوافل التجارية، وتهدد المصالح الرومانية في هذه المنطقة، مثل قبيلتي الجرامانتس والنسامونس، قام بتغيير في نظام إدارة الولايات الأفريقية وحصن تخوم ( التي عرفت بالليمس Limes ) تلك الولايات بأن وضع

### الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس ...

حاميات رومانية في المناطق الداخلية، تمركزت في قلاع وحصون امتدت على هيئة قوس بدأ من مدينة لبة إلى مدينة قابس Tacape، وكان من أهم هذه القلاع أبونجيم والقريات وغدامس<sup>(27)</sup>.

وخالصة القول فإن سياسة الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس تعطي مؤشراً على أنه كان بالفعل يحس بمعاناة الشعوب الأفريقية والآسيوية التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، وكان يعلم أن عليه واجب مساواة هذه الشعوب بالعناصر الإيطالية والأوربية، وذلك باسترجاع حقوقها المغتصبة سواء في حقوقها المدنية، أم السياسية التي استحوذ عليها الرومان فترة طويلة من الزمن. ورغم الصعاب التي واجهت هذا الإمبراطور منذ بداية حكمه، فإنه تمكن من إنجاز كثير من الأعمال التي كانت بحق بصمة ليبية على جبين الإمبراطورية الرومانية.

الهوامش:

(1) Herodotus , VI ,172

(2) Ibid ,198.

(3) كانت شجرة اللوتس تنمو في الساحل الليبي. وقد ذكر بليني **Plinius** أن أفضل أنواعها الذي كان ينمو حول خليج سرت، وكانت ثمارها في مثل حجم ثمرة الكمثرى، لكن كورنيليوس نيبوس **Conelius Nepos** يقول إن ثمرتها صغيرة تشبه حبة الفول، ولونها كلون الزعفران، يتغير عدة مرات قبل نضوجها. انظر، علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط 2، دار مكتبة الفكر، طرابلس - ليبيا، 1975م، ص 127.

(4) erodotus , VI , 183

(5) أحمد محمد أنديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته - الجماهيرية، ص. 35.

(6) كانت عربات القرامانتس تنطلق من جرما Germa إلى نهر السنغال والنيجر وبحيرة تشاد مجتازة ممرات جبال تيبستي Tibesti وتاسيلي Tassili، ثم تعود إلى جرما وهي محملة بالبضائع الأفريقية النادرة. ومن هناك تنطلق إلى الشمال، حيث كانت تقايض تلك البضائع ببضائع منتجات الشمال. ولعل الرسوم الصخرية التي اكتشفت في جنوب الصحراء، تؤكد وجود هذه العربات التي كان يجرها جوادان أو أربعة. انظر، جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة: ربا الخش، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية - اللاذقية، 1998م، ص. 197، 198.

(7) عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تانيت للنشر والدراسات، ليبيا - تونس - المغرب، ص. 205.

(8) نفسه، والصفحة نفسها.

(9) عزت زكي قادموس، آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص. 18.

(10) راسم رشيد، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، طرابلس - ليبيا، 1953م، ص. 39.

### الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس ...

- (11) عزت زكي قادموس، ص. 15.
- (12) عبد المنعم المحجوب، ص. 204.
- (13) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مج 3، ج 3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، ص. 323.
- (14) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991م، ص. 307.
- (15) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1999م، ص. 148.
- (16) نفسه والصفحة نفسها.
- (17) سيد أحمد علي الناصري، ص. 310.
- (18) نفسه، ص. 311، 312.
- (19) ول ديورانت، ص. 323.
- (20) دونالد. ر. دولي، حضارة روما، ترجمة: جميل بواقيم الذهبي وفاروق فريد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص. 337.
- (21) ول ديورانت، ص. 323.
- (22) ادوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر: محمد علي أبودرة، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص. 128.
- (23) سيد أحمد علي الناصري، ص. 315.
- (24) نفسه، ص. 316.
- (25) عزت زكي حامد قادوس، ص. 19.
- (26) عبد المنعم المحجوب، ص. 123.
- (27) ألوين بروجن « بعض المواقع القديمة في الجزء الشرقي من منطقة طرابلس »، مجلة ليبيا القديمة، تر: مصطفى عبد الله الترجمان، مج 13، 14، أمانة التعليم - مصلحة الآثار، روما، 1983م، ص. 38.

## الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة تاريخ المرابطين في المغرب والأندلس

د معمر الهادي القرقوطي  
قسم التاريخ  
كلية الآداب - الزاوية

من الطبيعي أنه لا توجد الرسائل الديوانية في أمة إلا إذا كانت فيها دولة وكان لها كتاب يكتبون ، وهذا ما نلاحظه عند المرابطين عندما أقاموا دولتهم في المغرب، فقد اهتموا بوظيفة الكتابة، كما كان الأمر في الشرق الإسلامي ومن مظاهر اهتمامهم بهذه الوظيفة، أنه توفر لهم عددٌ من أصحاب الأقلام الذين أرسوا تقاليد الكتابة الأندلسية في ديوان مراکش ، وعلى رأسهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، والكاتب أبو بكر بن القصيرة وغيرهم.

من المعلوم أن المؤرخين في كتاباتهم عن التاريخ الإسلامي يعتمدون على كلّ المصادر، منها الوثائق بأنواعها كالمراسلات والمعاهدات والظواهر وكتب الجغرافيا والرحلات والسير والتراجم، فضلاً عن كتب التاريخ، وقد نحا عدد نحو كتب الفقه والنوازل والحسبة بما تحويه من قضايا تخدم التاريخ في جوانبه المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وسار على هذا المنوال الذين تصدوا إلى كتابة تاريخ المرابطين السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي هو جزء لا يتجزأ من تاريخ أمتنا الإسلامي وفي هذا البحث نسلط الضوء على الرسائل الديوانية التي صدرت عن الأمراء المرابطين لما تشكله من أهمية بالغة في دراسة تاريخها بما تحويه من معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية منذ ظهورهم على مسرح الأحداث، وذلك بالتركيز على النقاط التالية:

- 1- الرسائل الديوانية كمصدر تاريخي
- 2- الرسائل الديوانية في كتابات المؤرخين
- 3- الرسائل الديوانية مصدرٌ لتاريخ المرابطين السياسي
- 4- الرسائل الديوانية كمصدر لتاريخ المرابطين الاجتماعي والاقتصادي .

## الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

### الرسائل الديوانية كمصدر تاريخي:

تعددت ألوان الرسائل في ديوان الكتابة والإنشاء، كالرسائل الديوانية أو السلطانية والرسائل الإخوانية والرسائل الشخصية، فالرسائل الديوانية: هي الرسائل الرسمية التي تصدر عن الخليفة أو الملك إلى وزرائه وعماله وولاته وقادته، وهي تخص شؤون الدولة وأمور السلطان في الداخل والخارج، وتمثل الوجه الرسمي في أغراضها وموضوعاتها<sup>(1)</sup>؛ لذلك ابتعدت عن العاطفة والخيال، ولم يسمح للأدباء بتوجيهها حسب مشاعرهم، واقتصر دورهم في انتقاء الكلمات التي تناسب موضوع الرسالة، فجاءت عبارات تلك الرسائل واضحة المفردات والعبارات بعيدة عن اللبس والتأويل، وقد تعددت المجالات التي وردت فيها هذه الرسائل ومن أهمها:

#### 1. البيعة:

وهي رسائل وضعت كلماتها بعيداً عن الزخرفة، وتأتي على المقصود مباشرة، ومن ذلك ما كتبه ابن القصيرة عن علي بن يوسف من حضرة مراکش، وهي رد على كتاب البيعة الذي ورد إليه من بعض أعمال مملكته بالأندلس ".... من حضرة مراکش حرسها الله... عندما ورد كتابكم الأثير ووقفنا على معانيه... جوابنا هذا تحملون فيه على ما تضمن كتاب بيعتكم"<sup>(2)</sup>.

#### 2. الجهاد:

وهذه الرسائل تعنتي بأمر الجهاد والدفاع عن الإسلام، كالرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال باسم أبي علي بن يوسف، موجهة إلى أهل الأندلس يعلمهم فيها بنية أمير المسلمين في الغزو والجهاد وحشد الجيش والعتاد ".... ونحن وإن كنا بلغنا الاحتشاد والاستعداد، واستنهضنا من الأجناد والإمداد، ما يربي على الإحصاء والتعداد.... الخ"<sup>(3)</sup>.

#### 3. الوصايا:

و كانت تصدر عن الأمراء المرابطين و تضم جملة من الوصايا، أحياناً لأفراد معينين كأبنائهم، مثل الرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال صادرة عن علي بن يوسف إلى أبي أبو بكر من حضرة مراکش<sup>(4)</sup> وأحياناً تكون موجهة إلى

#### د. معمر الهادي القرطوبي

رعاياه في أحد الأقاليم كالرسالة التي تولى كتابتها أبو بكر ابن القصيرة للأمير يوسف بن تاشفين وهي وصايا إلى أهل الأندلس<sup>(5)</sup>.

#### 4. البشارات

ويتسم هذا النوع من الرسائل عندهم بالطول والإسهاب. ويطول فيها الحمد والدعاء، ثم يشرح الأمر المراد التبشير بالتفصيل كالرسالة التي وجهها سير من أبي بكر من تاشفين قائد جيش المرابطين في الأندلس إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين<sup>(6)</sup>. يبشره فيها بفتح قلعة شنترين من بلاد البرتغال وهي من إنشاء الكاتب أبي محمد بن عبدون.

#### 5. البيعة والتعيين والعزل:

كرسائل تولية العهد، التي يوضح فيها، بعد الحمد لله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم أسباب توليته العهد لابنه من بعده، ثم يختتمها بوصايا كثيرة، ومن ذلك ما كتبه الوزير محمد بن عبد الغفور على لسان يوسف بن تاشفين والتي يعلن فيها توليته ابنه علي من بعده سنة 496هـ وجاء فيها "الحمد لله رحم عباده بالاستخلاف، وجعل الإمامة سبب الائتلاف وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي ألف القلوب المتنافرة وأذل لتواضعه عز الملوك الجبابرة.

أما بعد: فإن أمير المسلمين وناصر الدين، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين، خاف أن يسأله الله غداً عما استرعاه، كيف تركه هملاً لم يستنب فيه سواه..."<sup>(7)</sup>.

هذا وقد صدرت رسائل أخرى تناولت تعيين الولاة والقضاة، نذكر منها الرسالة التي أصدرها علي بن يوسف بن تاشفين وهي موجهة إلى أهل مدينة سبته يعين بموجبها يحيى بن أبي بكر والياً عليها<sup>(8)</sup>، ورسالة تقليد ابن تاشفين قرطبة وإضافتها إلى أعماله سنة 526هـ، ورسالة أخرى أرسلها إلى علي بن يوسف بن تاشفين إلى أهل فاس، والتي تقضي بعزل قاضيهم ابن الملجوم وجاء فيها رد ((وقد أنهى إلينا وتحقق لدينا أن الجهول ابن الملجوم أجهل بأحكام القضاء من العلجوم....."<sup>(9)</sup>.

## الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

### 6. المجابوة على الكتب:

وتختص هذه الرسائل بالرد على الكتب التي ترد إلى الأمير المرابطي وهي نوعان:

**الأول:** الكتب التي ترد من العمال وقادة الجيش مثل الرسالة التي تلقاها يوسف ابن تاشفين من المعتمد بن عباد نيابة عن ولاة الأندلس، يسألونه المساعدة والرسالة التي تلقاها سير بن أبي بكر قائد جيشه بالأندلس، ويجاب على مثل هذه الرسائل بهدوء، يبدأ بالبسملة والسلام والتحية ثم يأتي على المطلوب، قبل هذا الجواب "بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم..."<sup>(10)</sup>.

ونحو إجابة ابن تاشفين قائده بأن يأمر ملوك الأندلس بالرحيل إلى أرض العدو، ومن أبي عليه أن يحاصره ويستولي على البلاد، وأن لا يتعرض للمعتمد ابن عباد<sup>(11)</sup>.

**الثاني:** الكتب التي ترد من الملوك مثل رسالة الفونس السادس التي يتحدى فيها ابن تاشفين ويطلب فيها اللقاء به في الأندلس أو في المغرب، ويكون الرد عليها بالمثل وفي رسالة قصيرة بالتهديد بلغة شديدة تحتوي أحياناً على بعض الآيات القرآنية، أو أبيات من الشعر تناسب المناسبة التي كتبت كجواب يوسف بن تاشفين على كتاب الفونسو:

من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أدفونش  
أما بعد: فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك، والسلام على من اتبع الهدى.

وأتبع الجواب بقول المتنبي:

ولا الكتب إلا المشرفية والقنا

ولا رسل إلا الخمس العرمرم<sup>(12)</sup>

### الرسائل الديوانية في كتابات المؤرخين:

لم تعرف الدولة الإسلامية في العهد الأموي والعباسي من الدواوين سوى الخراج والبريد وكانت الكتابة في بداية الأمر فيها إما باللغة الرومية في بلاد



#### د. معمر الهادي القرطوبي

الشام ومصر، وإما بالسريانية كما هو الحال في العراق وبلاد فارس إلى أن جاء عبد الملك بن مروان وأمر بتعريب الدواوين.

وفي هذا الصدد يفيدنا القلقشندى بأنهم لم يتخذوا ديواناً للإنشاء خلال هذه الفترة بقوله "لم يصدر عنهم ما يدون في الكتب وتتناقله الألسنة"<sup>(13)</sup>؛ مشيراً إلى أن أول ما ظهر ديوان الإنشاء كان في عهد أحمد بن طولون<sup>(14)</sup> مؤسس الدولة الطولونية الذي امتد سلطانه إلى بلاد الشام وقد اتخذ عدد من الكتّاب أشهرهم أحمد بن محمد بن مودود المعروف باسم ابن كان وذاع صيته خارج مصر في بغداد<sup>(15)</sup> وغيرها من المدن الإسلامية. ومن أشهر كتّاب ديوان الإنشاء في عهد الدولة الإخشيدية إبراهيم بن عبد الله النجيري.

وبلغت عناية الفاطميين بديوان الإنشاء أنهم اختاروا له أمهر الكتّاب وأكثرهم بلاغة فكان يلقب بكتّاب الدست ويخاطب بالأجل، ومن أبرز كتّابها ابن بابشا ذو ابن بركات.

وفي العهد الأيوبي حافظوا على ديوان الإنشاء فتولاه في عهد صلاح الدين القاضي الفاضل وكان يلقب أيضاً بكتّاب الدست وكتّاب الدرّج (الورق) واستمر ديوان الإنشاء في عهد المماليك وزادت مهامه وأوكلت مهمته إلى ثلاثة كتّاب في عهد الظاهر بيبرس وأصبح يعرف صاحب الديوان في عهد السلطان قلاوون بكتّاب السر<sup>(16)</sup>.

وفي عهد دولة المرابطين ببلاد المغرب والأندلس تولى الكتابة بديوان الإنشاء كبار الكتّاب في الأندلس ومن أبرز الكتّاب الذين استدعاهم الأمراء لهذا الغرض أبو بكر ابن القصيرة وابن أبي الخصال فازدهرت الرسائل الديوانية في عهدهم.

وتضم المصادر التاريخية عدداً لا بأس به من الرسائل الديوانية التي صدرت عن ديوان المرابطين، فقد أورد لنا ابن الخطيب<sup>(17)</sup> رسالة جوابية من يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله ابن هود وهي عبارة عن كتاب أمان وتقليد من يوسف بن تاشفين إلى ابن هود، وأورد القلقشندى<sup>(18)</sup> الكتاب الذي أصدره يوسف بن تاشفين بولاية عهد ابنه علي وهو من إنشاء الوزير أبي بكر، وأورد ابن عذاري المراكشي كتاب علي بن يوسف بن تاشفين بتقليد ابنه تاشفين قرطبة

### الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

وإضافتها إلى أعماله وهي من إنشاء ابن أبي الخصال<sup>(19)</sup> وأورد ابن خلكان رسالة يوسف بن تشافين الجوابية إلى ملوك الأندلس والمعتمد بن عباد<sup>(20)</sup>، هذا وقد جمع محمد ماهر حمادة أغلب هذه الرسائل في كتابه الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا 64-897هـ-683-1492م، دراسة ونصوص<sup>(21)</sup>، وقد صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عن مؤسسة الرسالة بيروت، 1400هـ - 1980م.

وبالإضافة إلى تلك الوثائق المحفوظة التي وردت في صفحات كتب الأدب والتراجم المطبوعة هناك مجموعات من الرسائل المرابطية عثر عليها في بعض مخطوطات مكتبة الاسكوريال وهي غنية بالمعلومات حول تاريخ هذه الفترة، قام باستخراجها عدد من الباحثين ونشرها في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد وصحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد لتوجيه نظر الباحثين إليها والاستفادة منها في إعداد أبحاثهم، فقد نشر حسين مؤنس المجموعة الأولى من هذه الوثائق تحت عنوان "الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة" في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني، ديسمبر 1949م، ص 91-142 والمجموعة الثانية تحت عنوان "سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وإياهم في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد - المجلد الثاني - سنة 1954م ص 57، 58 والمجموعة الثالثة بعنوان "نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين أي من 1126/520 إلى 1145/540 صدرت في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد العدد الأول المجلد الثالث 1374هـ-1955م.

ونشر محمود علي مكي مجموعة من الوثائق المرابطية بعنوان "وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين" في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلدان السابع والثامن، سنة 1959-1960م، ص 109-198 فما قيمة هذه الرسائل في كونها مصدراً لتاريخ المرابطين؟

### الرسائل الديوانية كمصدر لتاريخ المرابطين السياسي:

يلاحظ الباحث في الرسائل الديوانية التي صدرت عن ديوان المرابطين أنها تحتوي على معلومات حول كثير من الأمور السياسية التي تتعلق بدولة المرابطين سواء ما يتعلق بنظام الحكم كولاية العهد أو صلاحيات الولاية وغيرها من الأمور أو العلاقات القائمة بين الدولة المرابطية والدول المجاورة لها، وهي تنقسم إلى قسمين: الدول الإسلامية وعلى رأسها الدولة العباسية دولة الخلافة والدولة الزيرية في أفريقيا، والدول النصرانية وعلى رأسها قشتالة.

علاقتها بالخلافة العباسية: عندما قامت الدولة المرابطية الكبرى في المغرب أراد بعض أشياخ المرابطين أن يحملوا يوسف بن تاشفين على اتخاذ سمة الخلافة فأبى واكتفى بلقب أمير المسلمين، وقد أصدر مرسوماً بذلك إلى عماله كافة يطلب منهم مخاطبته بلقب أمير المسلمين وقد أورد لنا صاحب الحلل الموشية نص المرسوم<sup>(22)</sup>، فهو يرى أن لقب أمير المؤمنين يخص خلفاء بني العباس لكونهم ملوك الحرمين مكة والمدينة، وفي ظل عدم وجود مراسلات بين العباسيين والمرابطين، نرى في هذا المرسوم الذي أصدره يوسف بن تاشفين اعترافاً منه بسلطة العباسيين كما يؤكد ذلك رسالة الخليفة المستظهر العباسي إلى علي بن يوسف بن تاشفين يطالبه بالاستمرار في الجهاد ويحضه عليه<sup>(23)</sup>.

أما ما يخص ولاية العهد فنلاحظ أنها ظلت قائمة في العهد المرابطي فقد أورد القلقشندي<sup>(24)</sup> العهد الذي صدر عن ديوان المرابطين سنة 496هـ من قبل يوسف بن تاشفين، يجعل ولده علي والياً للعهد من بعده وهو من إنشاء الوزير أبي بكر:

وتفيدنا بعض الرسائل الديوانية أن نظام الحكم في العهد المرابطي كان بعيداً عن المركزية حيث منح السلطان المرابطي الحرية للولاية في ولايتهم بالتصرف حسب الشريعة الإسلامية وما تمليه عليهم ضمائرهم، فقد وجه السلطان على ابن يوسف رسالة إلى أهل الأندلس كتبها أبو بكر ابن القصيرة أمرهم فيها بطاعة ولاية السلطان وعماله والبعد عن التشغيب عليه والعصيان لأوامرهم جاء فيها "..... وخليفتنا فيكم، وهو النائب عنا في تدبيركم، وإقامة أموركم وسياسية

### الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

صغيركم وكبيركم،..... ما أمضاه أمضيانه، وما وقفه أوقفناه،..... وأطيعوه، ولا تخالفوه....." (25).

وفي هذا الصدد نلاحظ توجه المرابطين في حكمهم إلى اللامركزية في الإدارة كالرسالة التي أوردتها محمود علي مكي والتي كتبها أبو بكر ابن القصيرة على لسان الأمير علي بن يوسف ووجهها من العاصمة مراكش إلى أهالي قرطبة جاء فيها ".... ويتأذى إليكم من قبل واليكم وخليفتنا فيكم أبي فلان أبقاه الله، وأعزه بتقواه، وهو النائب بها في تدبيركم وإقامة أموركم... وقد فوضنا إليه في ذلك كله، وافردناه النظر في دقة وجلة، وكثرة وقلة،... وما فعل ذلك فعلناه، وما قال فيه فكأننا نحن قلناه" (26).

في حين أننا نلاحظ أنظمة الحكم السائدة في العالم اليوم وفي العالم العربي على وجه التحديد المركزية في إدارة الأقاليم والاستبداد ضد شعوبها. ويتضح من خلال بعض الرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الإنشاء المرابطي، العلاقات الودية التي كانت تربط الدولة المرابطية بجيرانها كدولة بني زري من خلال الرسالة التي أرسلها يوسف بن تاشفين إلى تميم بن المعز ابن باديس في المهديّة (27) نضيف بلاد المغرب والأندلس وجوازها عليها ويخبره بانتصاره على الأذفونش في رجب سنة 479م في موقعة الزلاقة. أمّا علاقات المرابطين مع النصارى فغالباً ما كانت عدائية، فقد بعث الأمير يوسف بن تاشفين رسالة للفونسو السادس عندما خرج لملاقاته في الزلاقة عرض عليه فيها إما الإسلام أو الجزية أو القتال، وقال له: "وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا فقد أجزناه إليك، وجمع الله في هذه الفرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" (28).

### الرسائل الديوانية كمصدر لتاريخ المرابطين الاجتماعي

نظر الأندلسيون من خلال الرسائل الديوانية التي يقومون بكتابتها في البلاط المرابطي إلى المرابطين بأنهم دخلاء على الأندلس وأنهم أيضاً متخلفون مقارنة بالعرب وهي النظرة ذاتها التي كان ينظرها العرب إلى الموالي بأنهم أقل دراية منهم بالإسلام.

#### د. معمر الهادي القرطوبي

ففي إحدى الرسائل الديوانية التي كتبت على لسان علي بن يوسف في معاقبة الزبير بن عمر واليه على مرسية الذي لم يحفل بمرور الفقيه أبي بكر بن أسود بالمدينة. وقد شكى الأخير ذلك للأمير، فأراد كاتب الرسالة أن يعرفه بأن القاضي أبا بكر بن أسود هو من أصل عربي ومن أهل الكرم وهو ما امتاز به العرب عن غيرهم والمرابطون ليسوا عرب يقول: "... كيف جاز أن يجتاز بكم الفقيه، الأجل... أبو بكر بن اسود، قاضي قضاة الشرق،... كأنه قد مر منكم بغلاة أو حط على رفات، وجاز على أموات. أما إنكم لو حللتم بواديه، ومثلتم بناديه، لزارتكم جفان "أل جفنة"... وهي تنظم الأضياف سرداً، وتعمم شفعاً وفرداً،..."(29).

وفي رسالة أخرى كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال عن لسان علي بن يوسف بن تاشفين على أبي بكر من سير قائد جن المرابطين الذاهيين لإغاثة أهل ملبنية، خاطبهم قائلاً: "أي بني اللئيمة، وأعيار الهزيمة،...، وأن نعيدكم إلى صحرائكم، ونظهر الجزيرة من رحضائكم..."(30) فقام بعزله، وبإمكان الباحثين والدارسين الإطلاع على الرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الإنشاء في دولة المرابطين والحصول على كم هائل من المعلومات تخص الصراع السياسي للدولة.

فالرسائل الديوانية تكنسي أهمية بالغة في دراسة التاريخ الاجتماعي للدول، وكمصدر لتاريخ المرابطين الاجتماعي على وجه الخصوص، فمن خلال اطلاعنا على بعض الرسائل الصادرة عن ديوان المرابطين نلاحظ أنها تحتوي على معلومات قيمة ومفيدة حول هذا الموضوع وتناولت عدة جوانب.

#### من أهمها:

#### القضاء:

يلاحظ الباحث في الرسائل الديوانية، أن القضاء في العهد المرابطي كان مستقلاً عن سلطة الدولة، لا سلطان على القضاء، فقد جعل الأمير يوسف بن تاشفين القاضي فوق سلطته وفوق سلطة الجنود والولاة المرابطين والرعية ولا اعتراض عن حكم القاضي، فقد أورد ابن بسام رسالة لأبي بكر ابن القصيرة كتبها على لسان يوسف بن تاشفين موجهة إلى ابن حمدين محمد بن علي عندما

### الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

تولى القضاء بقرطبة جاء فيها: "... وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يُسَلِّموا لك في كل حق تُمضيه، ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيه. ونحن أولاً وكلهم أخراً منذ صرت قاضياً سامعون منك غير معترضين عليه في حق. والعمال والرعية كافة سواء في الحق"<sup>(31)</sup>.

وكان اختيار القاضي من قبل أهل البلد ولا يفرض عليهم من أمير المسلمين حيث يقوموا باختيار رجلين ثم يتم انتخاب واحد منهما عن طريق أهل البلد وإذا وقع خلاف يرجع الأمر على أمير المسلمين.

فقد ورد في أحد الرسائل أنه "... إذا وصل إليكم خطابنا هذا فاتفقوا على واحد ترضونه غير متنازعين فيه، وخاطبونا باتفاقكم لنلقي الأمر بعد استشارة الله تعالى، وإن استمر بكم الخلاف أخرجنا الأمر عنكم، واجتهدنا في الاختيار لكم إن شاء الله تعالى والسلام"<sup>(32)</sup>.

وقد كانت هناك وظيفة تسمى ((قاضي القضاة)) في كل نواحي الأندلس في الشرق والوسط والغرب، ويتولى صاحب هذه الوظيفة الإشراف على قضاة الناحية جميعاً يزورهم ويتبع أحوالهم.

#### التعليم:

وتحمل العديد من الإشارات والمعلومات في مجال الثقافة والتعليم بشكل خاص فقد استعاد الفقهاء مكانتهم التي كانوا عليها أيام الدولة الأموية، بعد أن فقدوها أيام حكم ملوك الطوائف وانصرفوا إلى التدريس كمورد رزق لهم، وقام الأمراء المرابطون بمعاينة كل من يقصر في حق الفقهاء وهو ما تكشفه لنا الرسالة التي بعث بها تاشفين على بن يوسف إلى واليه على شرق الأندلس الزبير بن عمر لانما ومعاتباً إياه إلى عدم احتفاله بالقاضي أبي بكر ابن الأسود وتقصيره في العناية بأمره<sup>(33)</sup>.

ونستشف من خلال الرسائل الديوانية أن الأمراء المرابطين كانوا حريصين على تنشئة أولادهم نشأة أندلسية على العلم والتحضر فقد بعث الأمير علي بن يوسف من حاضرة الدولة مراکش رسالة إلى ابن أبي بكر الذي كان يعيش تحت المؤدبين في الأندلس يهدده بنفيه إلى جزيرة ميورقة إذا لم يترك الشغب ويلتزم الطاعة لمؤدبه بقوله: "... أن الوزير الأجل والفقير الأفضل أبي العلاء

#### د. معمر الهادي القرقوطي

ابن زهر... يشكو ما يكابده من تشغيبك.. فأمسك عليك رمقك ولا يضرب لسانك عنقك... وإلا أنفذناك إلى ميورقة"

أما فيما يتعلق باللباس فقد أنفرد المرابطون بزيتهم الخاص وهو النقاب ومنعوا الرعية في الأندلس من وضع اللثام على وجوههم، وذلك في الرسالة التي كتبها أبو مروان بن الخصال على لسان علي بن يوسف إلى جند بلنسية يأمرهم فيها بعدم وضع اللثام على وجوههم فقال: ( لقد أن أن نوسعكم عقابا ألا تلوثوا على وجهه نقابا )<sup>(35)</sup>.

كذلك توضح لنا الرسائل الديوانية توجيهات دينية وإدارية منها: الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ولا يعتد إلا به في الفتوى، ويحذر من كتب البدعة وأصحابها، وأمر بحرق كتب أبي حامد الغزالي ومعاينة كل من يهتم بكتبتها<sup>(36)</sup>، ودعي فيها إلى محاربة الخمر، فهو جمع الإثم والفجور، مكرر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الخمر وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه".

#### الرسائل الديوانية كمصدر لتاريخ المرابطين الاقتصادي:

وفي المجال الاقتصادي نستقي من الرسائل الديوانية التي صدرت عن ديوان المرابطين كثيراً من المعلومات التي تهتم بهذا الجانب، تناولت عدة مواضيع منها:

#### الزراعة:

الرسائل الديوانية تحتوي على معلومات لا بأس بها حول الزراعة حيث نلاحظ في الرسالة التي أشار إليها محمود علي مكي وهي من إعداد الكاتب أبي بكر من القبطرنة وفيها يشير إلى تفشي الآفات الزراعية خلال هذه الفترة فهو يحض فيها على قتل الجراد وهو من الآفات التي كانت تعاني منه الزراعة في فترة المرابطين ".... وقد علمتم أن الجراد داء عضال، وإن كان - كما قالوا - من البحرة نثرة، فإنما هو حجرة تحرق البلاد،.... وشأنها الفساد... فإن تركتموه أرداكم، فتعشوه قبل أن يتغداكم"<sup>(37)</sup>

كما نستشف من تلك الرسائل سوء الأوضاع الاقتصادية في الأعوام الأخيرة من حكم المرابطين، فقد تدهورت الزراعة والرعي، مما دفع الدولة إلى زيادة

### الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

الضرائب حتى أن الزرّاع اشتكوا إلى الأمير المرابطي علي بن يوسف من الضرائب التي أثقلت كاهلهم<sup>(38)</sup>.

#### بيت المال:

لقد تأثرت موارد الدولة المرابطية بتدهور الزراعة والرعي على الرغم من الزيادة في الضرائب كما أشرنا إليه سابقاً، مما أضعف موارد الدولة، ظهور حركة الموحدية في المغرب، واشتداد هجمات النصارى في الأندلس، وتطلب هذا الأمر زيادة النفقات على الجيش والأسطول، مما أدى إلى حدوث أزمة مالية في الدولة وهو ما نلاحظه في الرسالة التي بعث بها علي بن يوسف إلى ابنه يقول له فيها: (فهذا وقت بذل النفوس فضلاً عن الأموال التي تدخر لحاجات الرجال)<sup>(39)</sup>.

وأخيراً لا يخالجنّا شك في أن الرسائل الديوانية ذات قيمة فريدة في دراسة تاريخ المرابطين في المغرب والأندلس، فالدارس لهذه الفترة لا يمكنه الاستغناء عن المعلومات التي توفرها هذه الرسائل عن مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على حد سواء بما تتضمنه من استطرادات تفيد في توضيح عدد من الحقائق التاريخية، وسواء كانت تلك الرسائل الديوانية صادرة في عهد المرابطين أو في عصر الدول التي سبقتها أو تلتها فإن الاستفادة منها عظيمة في مجملها لاسيما في القضايا التي شغلت المجتمع إبان العصور الوسطى.



### الهوامش

1. انظر الدراسة القيمة التي قام بها الدكتور العربي سالم الشريف، دراسات في الأدب الأندلسي، الزاوية: دار الشموع للثقافة 2003، ص، ص216، 169.
2. مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان 7، 8. مدريد: 1959م، ص138.
3. نفس المصدر، ص127.
4. نفس المصدر، ص169.
5. نفس المصدر، ص174.
6. المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (القاهرة: 1963م) ص229-232. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقية (بيروت، 1980م) ص299-304.
7. حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول (الدار البيضاء: دار الرشد الحديثة، 2000) ص203.
8. نفس المرجع، 1211م.
9. المراكشي، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، تحقيق ومراجعة احسان عباس، ط5 (بيروت دار الثقافة 1998م) ص92.
10. البيان المغرب، 113/4، حمادة، ص254.
11. المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968م، 104/6.
12. ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الإعلام فيمن بوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، 389/2 تاريخ، حمادة، مرجع سابق، ص257.
13. القلقشندي: أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915م، ص95/1، أبو ضيف، تاريخ الأدب العربي،

### الرسائل الديوانية وأهميتها في دراسة التاريخ ...

- المصر الدول والإمارات مصر، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1990م، ص400.
14. نفس المصدر والصفحة، نفس المرجع والصفحة.
15. نفس المصدر، 7/13.
16. السلوك للمقريري، 666/1.
17. ابن الخطيب، مصدر سابق، 173، 174.
18. صبح الأعشى، 161/10.
19. المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 87، 88/4.
20. ابن خلكان، أحمد، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت، 113-112/6.
21. سبق وأن أشرنا إلى هذا المرجع.
22. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشد الحديثة، 1979م، ص16، 17.
23. مؤنس، حسين، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، صحيفة المعهد العربي للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الثاني، 1954م، ص67.
24. القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1919م، 161/15 – 162.
25. مكي، محمد علي، وثائق تاريخية جديدة عن عهد المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، 1959، ص175.
26. نفس المصدر، ص176.
27. عنان، محمد عبد الله، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، وهو العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس ط2 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1969م) ص446-450.

#### د. معمر الهادي القرطوبي

28. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1948م، 6/115.
29. مؤنس، حسين، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، 1954م، ص 75، 74.
30. المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963/ ص 240.
31. الشنتريني، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب: ليبيا- تونس، 1981م، القسم الثاني، ص 257، ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، القاهرة: دار المعارف 1995م، ص 490.
32. مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مصدر سابق، ص 186.
33. مؤنس، حسين، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مصدر سابق، ص 75.
34. نفس المرجع، ص 68.
35. مؤنس، حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحيدين، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الأول، العدد الثالث، 1955م، ص 118.
36. نفس المصدر، ص 107 إلى 113.
37. نفس المصدر، 79، 80.
38. نفس المصدر، ص 171.
39. نفس المصدر، ص 169.

مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...  
مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة  
في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

د . المختار عثمان العفيف  
قسم التاريخ  
كلية الآداب - الزاوية

**المقدمة:**

إن ما كتبه الرحالة الأجانب والعرب وغيرهم عن بلادنا على الرغم من دوافع تلك الرحلات التي انطلقت من أجلها كانت معروفة أم غير ذلك، يُعد في الواقع مصدراً مهماً من مصادر كتابة التاريخ، التي لا غنى عنه لأي باحث يكتب عن فترة الزيارة، ومن دون شك أنه إضافة علمية إلى مكتباتنا، فالرحالة هم شهود عيان لما يكتبوا، بل شارك بعضهم في أحداث الأماكن التي ارتادوها أو أقاموا فيها أثناء الرحلة لفترة من الزمن<sup>(1)</sup>.

وتأتي أهمية الرحلات أيضاً في أن هناك عدة صفات قد اشتركت فيها كتاباتهم كان من أبرزها الموضوعية ودقة الملاحظة والتقصي في تسجيل المشاهدات والحرص على التمييز بين الأحداث التي عاصروها على أرض الواقع، وبين الرواية التي نقلت عن غيرهم<sup>(2)</sup>.

كذلك لا تكاد تخلوا كتاباتهم أو رواياتهم من وجود أمور خفية لا يفهمها إلا بني جلدتهم أو الباحث المتمكن أو القارئ المتعمق في أفكار الرحالة وبخاصة الأجانب منهم.

أما في مجال موضوع الدراسة، فقد جاءت مشاهدات الرحالة في وصف معالم مدينة غريان وما حولها خلال القرن التاسع عشر، حيث قدموا معلومات جغرافية لم تكن مطروقة من قبل عن طبيعة أرض غريان الجبلية الساحرة فوصفوا كثيراً من معالمها وقراها وتحدثوا عن منازلها المحفورة في باطن أرضها وسفوح جبالها، وعن القصر أو القلعة الرابضة فوق قممتها، كذلك تطرقوا إلى الحديث عن الأوضاع السياسية وثورات أهلها على ظلم الحكام، كما تناول الرحالة جانباً من عادات أهلها خاصة كرم الضيافة، كما تحدث بعضهم عن شجرة الزيتون وحدائقها المزدانة بشجر الرمان ونبات الزعفران.

#### د. المختار عثمان العفيف

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الدراسة انطلقت من عدة تساؤلات منها:  
- هل كانت الرحلات التي تحدثت عن معالم غريان جديرة بالدراسة.  
- ما هي الجوانب التي شددت انتباه الرحالة الذين زاروا المنطقة في القرن التاسع عشر.  
أما الفرضية التي انطلقت منها هذه الدراسة فقد دارت حولها بعض الأسئلة منها:

- هل كان للموقع الجغرافي لغريان على طريق القوافل من طرابلس إلى فزان في مصاحبة الرحالة لها وبالتالي مكنتهم من وصف كثير من معالمها؟.  
- هل كان للمظاهر الطبيعية والنباتية والمعالم العمرانية التي زخرت بها غريان عاملا في جذب الرحالة إلى هناك؟.

للإجابة عن تلك التساؤلات وغيرها، فقد اعتمدت هذه الدراسة على عدة رحلات قام بها عرب وأتراك وأجانب ومن خلالها قسمت الدراسة إلى عدة محاور تناولت معالم غريان مشفوعة ببعض الصور التوضيحية، وفيما يلي عرضا لها على النحو التالي:

#### - اسم غريان:

غريان اسم يطلق على منطقة كبيرة تقع على الجبل الغربي<sup>(3)</sup>، يقول الزاوي بأنه يطلق على أكثر من مائة قرية سكانها عرب ، ويقول أيضا بأن (غريان) بطن من بطون قبيلة هواره البربرية كان في القديم يسمى (غريان) ويسكن هذه المنطقة وبه سمى أو عرف المكان بذلك الاسم، وغريان هذا أحد أبناء (هوار) الذي نسب إليه قبيلة هواره البربرية.<sup>(4)</sup>

أما اغسطيني فيقول هو الآخر بأن سوكنة وغريان اسمان قديمان لقبيلة قديمة من هواره<sup>(5)</sup> وتذهب بعض الآراء كذلك بأن (غوريان) هو جبل المغارات أو الداواميس<sup>(6)</sup>.

وعلى أية حال مهما قيل في تعليل أو تفسير اسم غريان في أنه ينسب إلى قبيلة هواره أو إلى اسم شخص من عهد الرومان أو إلى مكان في شبه الجزيرة العربية وما حولها، أو كما يقال نسبة إلى مادة الطين (الغرين) التي تشتهر بها أرض غريان أو إلى أي تعليل آخر، يبقى هذا الأمر موضع جدال واجتهاد حتى أن التعليل الأخير ينطبق على كثير من الأماكن القريبة من غريان التي تتمثل

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

في الجبال والسهول والوديان التي يوجد بما يماثلها تماما في خصوبة الأرض والجبال في غرب وشرق ليبيا، ولكن اسم غريان يظل مرتبطا بها دون سواها في بلادنا.

#### - الموقع الجغرافي:

غريان مدينة جبلية ضاربة في القدم تقع ناحية جنوب طرابلس بنحو 85 كم تقريبا، تقع في الركن الشرقي لجبل نفوسة (الجبل الغربي) الذي يمتد من الحدود التونسية غربا إلى مسافة 200 كم في الشرق، ويضم جبل كل من غريان وترهونة ومسلاته والخمس ويصل أقصى ارتفاعا لجبل غريان في منطقة تغرنة بنحو 837 م فوق مستوى سطح البحر وهو الأعلى ارتفاعا بالنسبة لسلسلة الجبل الغربي<sup>(7)</sup>.

يحد مرتفع غريان من الجهة الجنوبية والشرقية وادي غان وهو عميق يفصل بين ترهونة عن غريان كأنه كسر أو أخدود ويحده من الجهة الغربية منخفض ككلة، ومن الشمال الجرف الكبير الغني بزراعة الحبوب إضافة إلى ذلك توجد بعض الأودية المنقطعة تخترق جغرافية المنطقة التي تكسوها أجود أنواع أشجار الزيتون الكثيفة والمتشابكة الأغصان مكونة بذلك ظللا وارفة متصلة على رقعة كبيرة من أرض جبل غريان، ويقول الرحالة ماتوزيو " لا يوجد في كل إقليم المدن الثلاث ( لبة، طرابلس، صيراته) ما يضاهاى هذه المناطق أخضراراً وطراوة وجمالا في المنظر"<sup>(8)</sup>.

لقد هيا موقع غريان الجغرافي أن تكون المدينة محطة على طريق القوافل بين طرابلس وقران ولكنه كان أكثر وعورة وخطورة مقارنة بطريق طرابلس المار بسوكنه إلى قران، وهو طول مسافة والأكثر أماناً، وتوجد عدة طرق أخرى تربط بين قسبة غريان وقسبة ترهونة<sup>(9)</sup>.

#### - الطقس:

يكون الطقس في المناطق التي تقع على جبل غريان درجته معتدلة الحرارة صيفا، وفي الشتاء فهي أقل حرارة قد تصل إلى ما دون الصفر، لذلك كان المرتفع في أن تكون غريان من أفضل المناطق طقساً في كل ولاية طرابلس الغرب، ونظراً لبعدها عن ساحل البحر فيكون هوائها ليس مشبعاً بالرطوبة كما أنها ليست موعلة في الصحراء حتى يكون طقسها جافاً وقاسياً، وفي الشتاء

#### د. المختار عثمان العفيف

عندما يحين موسم سقوط المطر، وذلك خلال شهر نوفمبر وحتى شهر مارس تفيض الأودية بالمياه وتساقط الثلوج في غريان نادراً، ولكن البرد يكون كثيراً في بعض الأحيان، وذلك كما حدث في سنة 1303 - روميه/1889 م<sup>(10)</sup>.

#### - الأوضاع السياسية والإدارية:

شهدت منطقة جبل غريان إبان العهد العثماني الأول (1551 - 1711) سلسلة من الثورات والتمرد على الحكم العثماني، وكان مرجعها سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية في أيلة طرابلس، وذلك لظلم وجور الولاة، ومن ناحية أخرى كثرة الضرائب الفادحة التي أثقلت كاهل الأهالي في الأيالة بما في ذلك غريان وما حولها، ونظراً لموقع غريان الجبلي والقريب من المدينة طرابلس فكانت الملاذ لسكانها المتمردين على ظلم الحكام، لذلك كثيراً ما يتم ملاحقتهم هناك وقد شهدت غريان خلال العهد العثماني سلسلة من الثورات التي قام بها زعماء وأهالي غريان والتي انتهت بعضها بالنصر وبالذفاح المستميت أو بالمهادنة وعقد الصلح.<sup>(11)</sup>

أما في العهد لقرمانلي (1711 - 1835) فقد شهدت غريان عدة ثورات سياسية ضد بعض حكام الأسرة القرمانلية، لأنهم كانوا لا يرضون بالضم والهوان كعادتهم،<sup>(12)</sup> ومن ذلك يشير ليون في رحلته التي انطلقت من طرابلس صباح يوم السبت الثالث عشر من 7 فبراير 1919 م إلى بني وليد، ويحدثنا في رحلته تلك عن بعض الأوضاع السياسية فيقول: منذ عشر سنوات من رحلته إلى هناك أي منذ سنة 1809 قتل الخازندار رسول يوسف باشا 1795 - 1832 الذي أرسله لجمع الخراج أو الإتاوة وكان في طريقه ليجبي ضريبة من سكان الجبل، وبينما كان الرجل يتوضأ أطلق عليه عيار ناري فمات، ولم يكن بمقدور حرسه فعل شيء سوى العودة إلى طرابلس لتعلن طبول الحرب على الفور وأعد الباشا قوة عسكرية ضاربة توفي بالعرض، في حين استعدت قبائل الجبل وحلفائهم للمقاومة الشديدة، واستغرق جنود الباشا في تسلق الجبل أسابيع عدة وفي نهاية المطاف تمكنت قوات الباشا من احتلال الموقع، ومارسوا كل أنواع التنكيل والقتل في سكان الجبل المساكين الذين تم اختناق الكثير منهم وهم أحياء داخل منازلهم المحفورة في باطن الجبل عن طريق إلقاء أكوام من الحطب والقش وإشعال النار فيها، ويقول (ليون) أيضاً أرسل إلى طرابلس اثني عشر

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

جمالاً بألفين من رؤوس المتمردين محملة في شباك بحسب قوله وسارت بهم في شوارع طرابلس كرمز لانتصار الباشا. (13)

وعلى أية حال بعد هذه النهاية المفجعة عم الهدوء، وكانوا قبل ذلك غاية في الجراءة ويثيرون الرعب إلى حد قطع طرق القوافل عبر أراضيهم. (14)

ويذكر (ليون) أيضاً عندما كان ينشب القتال بين أهالي وقوات (يوسف باشا) يقوم رجال القبائل بإشعال النار ليلاً أو يطلقون الدخان نهاراً كإشارة للقبائل الموالية لهم أن تهب لنجدتهم، وقد تكرر ذلك كثيراً في السنوات الأخيرة من عهد حكم باشا طرابلس الذي كان يعاني من أزمات اقتصادية في الداخل وضغوطات سياسية من الخارج من قبل بعض الدول الأجنبية. (15)

أما من الناحية الإدارية فقد شكلت غريان في العهد العثماني قضاء تابعاً لسنجق الجبل ثم أصبحت تابعة لسنجق طرابلس (16) وفي سنة 1843 كان الجبل الغربي متصرفية يتبع إيالة طرابلس، كانت غريان عاصمة الجبل الغربي قبل عام 1842 وما بعدها. (17)

### - السكان:

تنقسم غريان إلى قسمين عليا وسفلى فالقسم الجنوبي يمتد من الكميشات إلى نهاية حدود غريان الجنوبية، هو غريان العليا، ومن الكميشات إلى حدود غريان الشمالية من ناحية قطيس هو غريان السفلى ويذكر الزاوي في معجمه أن غريان تضم مائة قرية سكانها عرب (18) وأشار ماتوزيو بأنهم ينتمون إلى قبائل وهي وحدات إدارية اجتماعية تضم لحمامات وهي فروع القبائل وأقسامها أي إلى عشائر وارباع موجودون في شكل مجتمعات ذات طابع تاريخي تقليدي وينقسمون إلى أربع قبائل (ربع أولاد داوود، وربع القواسم و، وربع أولاد خليفة، وربع أولاد نصر أو بني نصير) ويصل عددهم نحو خمسة وأربعون ألفاً نسمة (19) في حين قدرت بعثة الصليب الأحمر الألماني إلى غريان حوالي عشرين ألف نسمة، وحسب تقديرات أخرى كان عددهم ثمانية آلاف نسمة فقط. (20)

أما (أغسطيني) فقدرهم بنحو 29.850 نسمة ويذكر بأن هؤلاء مستقرون رغم تحولهم للزراعة والمرعى في منطقة قطيس المقسمة بالتساوي بين



#### د. المختار عثمان العفيف

الأرباع والقبائل، والباقي منهم فهم رحل يخرجون من حدود الإقليم نحو ترهونة ومزدة وورفلة.<sup>(21)</sup>

#### - القرى:

تضم غريان عدة قرى رئيسية، التي كان يقطنها السكان، التي تتمثل في تبادوت، بوزيان، محاربة، تشيسى(تشة)، شاتان، سوفيم، الكليية، تغرنة، ويذكر ما توزيو بأن هذه القرى محفورة في الجزء الأعلى من الجبل، وجميع المنازل موجودة تحت سطح الأرض بإستثناء بعض القرى مثل قرية لاميس وبن وزير، فهما مبنان فوق سطح الأرض، ولكن بطريقة سيئة للغاية.<sup>(22)</sup>

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرحالة الفرنسي ماتوزيو لم يقد بجولة في كل ربوع غريان حيث إنه لم يشر إلى قرى أخرى مهمة مثل: أوسادن، تغسات والقواسم، والكليية، وهي آخر المركز العمرانية الواقعة جنوب غريان، وفيما يلي نذكر منها:

#### \* بني عباس:

يقول (ليون) في أثناء رحلته من طرابلس إلى فزان ، وعند مروره بغريان " توقفنا بالقرب من بضعة (أوكار) ولا أستطيع أن أسميها قرية فكل مساكنها تحت الأرض... فربما عبر عابر دون أن يشعر بوجودهم ... وعند تلك القرية يتمدد الجبل ليصنع واديا رائعا تفرشه حقول الذرة والزعران وتنتصب أشجار الزيتون على مسافات متقاربة لتعطي المشهد طابعاً بهيجاً، وفي موقع أعلى الدرب أطلت عيوننا على أروع مشهد للمنطقة كلها وجبل الكلب الأسود يربض ناحية شمال الشرق... ويبدو أن شباب (الدوار) أو القرية سعداء بإقليمهم".<sup>(23)</sup>

#### \* القواسم:

تقع على بعد ستة أميال من بني عباس، وعند حديث (ليون) عن هذه القرية يقول: " إن كهوف القواسم تشبه كهوف (مناطق الجبل) وفي المساء بلغنا بني غير مأهول قررنا أن نمضي الليل به.

وتدل بعض النقوش التي تملأ جدرانها على أنه بني منذ أكثر من مائة وخمسين عاما(أي حوالي أوائل النصف الثاني من القرن السابع عشر) حيث أمضى أبوالباشا(يوسف) الحالي هو وجده بضع ليال به والمبنى مشيد بنفس الأسلوب الذي شيده به مبان كثيرة في المنطقة.<sup>(24)</sup>

## مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

### \* تغسات:

تغسات أو تاغاسات هذه القرية عاصمة بلاد غريان، وتبعد عن مدينة طرابلس إلى الجنوب بنحو 88 كم من قلعة غريان، وتوجد على مساحة نصف ميل تقريبا من قلعة غريان وبها عين تسمى عين الترك وجامع به مؤذنة، وتقام فيها سوق مرة كل أسبوع يتردد عليها معظم سكان البلدة والمناطق المجاورة لها<sup>(25)</sup> أما اسم القرية فيقول الزاوي إن أصل الاسم بربري، ولكن جميع سكانها عرب وإن كان هناك من أصوله بربرية فقد تنوسيت هذه الأصول وأصبح عربيا في جميع مميزات العرب.<sup>(26)</sup>

### \* تغرنة:

تقع إلى الجنوب من القرية السابقة بحوالي أربعة أميال، ويسكن أهلها في منازل فوق الأرض وبيوتاً تحتها مثل غيرهم من القرى الجبلية الأخرى وعلى حافة أحد التلال القريبة منها يوجد كهف هائل يقطعون منه حجر الرحي الجيد.<sup>(27)</sup>

### \* القصيبة:

تقع على الأطراف الجنوبية لغريان، وعلى مسافة نصف ساعة غربي القصيبة تقع قصور كلبية، وبينهما تقع قرية بني وزير الصغيرة، وتبعد القصيبة عن قصر غريان مسافة 6 كم في اتجاه الجنوب إذا ما حسبت التعرجات ومنظرها الطبيعي على شئ من الجمال، ويسمى سكانها أنفسهم مرابطين وأصولهم من الساقية الحمراء، ويقول الرحالة دماوثيسيو استقبلت هناك بكلمات الترحيب وقدم لي قائد البلدة وجبة ممتازة، كما أطمع خدمي وقدم العلف لجمالي.<sup>(28)</sup>

### \* أوسادن:

تقع على مسافة ثلاثة أميال من القرية السابقة، ويقال: إن يوسف باشا القرمانلي قتل كل سكانها نساء ورجال عند غزوه للبلاد، وإن منازلها تهدمت تماما، ويستدل على ذلك بطش الحكام بالمحكومين وعلى شدة مقاومة الأهالي والثورة ضد الظلم والطغيان.<sup>(29)</sup>

#### د. المختار عثمان العفيف

#### - الأكلات الشعبية وكرم الضيافة:

يُعدُّ البازين الطعام المفضل في غريان حتى أنه صار مقرونا باسمها (بازين غريان) وهو معروف في طرابلس ومشهور له بالجودة، ولكن البازين كان شهرته عامة في الجبل الغربي، ويصنع البازين من طحين أو دقيق الشعير أما المرق فيطهى بواسطة الزيت أو الزبدة وتضاف له بهارات وخضر للنكهة مع لحم الضان أو الماعز، ولكي تتم عملية الطهي بصورة جيدة، فإنه يتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً بواسطة الأيدي ويصبح بعد ذلك جاهزاً لتناوله، ويقول العرب في أمثالهم الشعبية أنه ( يذوب في الفم) لسهولة تناوله ويُعد البازين من الوجبات الرئيسية التي تقدم للضيف، وإذا كانت الضيافة على نطاق رسمي يصاحب بعد الانتهاء من أكل البازين تناول الطيور المشوية، والحلويات والأرز، وفي ذلك يقول الرحالة فيشر بعد غسل الأيدي وزعت علينا السجاير وشراب القهوة بعد تناول تلك الوجبة الدسمة.<sup>(30)</sup>

وفي هذا الشأن يشير الرحالة التونسي محمد بن عمر عند مروره بغريان إلى طرابلس أثناء عودته من وداي، فيقول الغريان شعب طيب كريم ومضياف وودود والمأدبة الكبيرة عند الغريان، هي عصيدة مغمورة في الزيت ومحلا بعجينة من التمر، وبالمناسبة قال التونسي كتبت لذوى هذه الأرض أرض العصيدة السعيدة هذين البيتين (بتصرف):

نعم الغريان أرض شهيرة      أرض غنى وخيرات وفيرة  
وهناك مأدبة المسافرين      العصماء هي العصيدة.<sup>(31)</sup>

ومن أدب الضيافة عند أهالي غريان يقول ليون: " عدنا جياعاً (عندما كان في بني عباس) وجلسنا إلى العشاء والمكون من بازين وبيض ولحم بينما وقف الشيخ ( يقصد شيخ القبيلة) يلبي طلباتنا، وتحتم آداب اللياقة أن يقدم المضيف العربي اللحم وتقطيعه لضيفه، وأن يقلب له البازين في الحساء، ولا يجد العربي سوى أصابعه يفعل بها كل شيء، وهنا يكون للجوع الكلمة الأخيرة أن تأكل وجبة عربية".<sup>(32)</sup>

كانت الضيافة التي قدمها الشيخ للرحالة ليون نموذجاً للطيبة والكرم، ويعلق ليون على ذلك بأنها هل كانت حفاوته هذه خوفاً من رجال الباشا (يوسف) أم أنها نابعة من رغبة حقيقية لديه، ويقول أيضاً في العشاء قدم إليهم طبقاً رائعاً

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

يشبه المكرونة ، وهذا الطبق لا يقدم على أية حال إلا للضيوف ذوي المكانة الرفيعة.<sup>(33)</sup>

لم يكن الكرم يقتصر على تقديم الأكل للضيف فحسب، وإنما يدعونه للصيد كما يقول ليون الذي وعده الشيخ بهدية عربية طيبة.<sup>(34)</sup>

أما الرحالة الفرنسي ماتوزيو يقول: " في اللحظة التي هممنا فيها بنصب مخيمنا عند أسفل القرية الواقعة على ربوة مرتفعة (ربما قرية الكليية) وإذا برجل يهرع إلينا، إنه أحد التجار العرب القادمين من طرابلس وهو صديق حميم للضابط التركي، إنه يقوم بتجارة رابحة في الشعير والخرفان، وبما أنه غني فهو يريد إيواننا والإحتفال بنا، وكان مصراً جداً على دعوتنا، لقد استقبلنا في بيته بكل ترحاب" وبالتأكيد قدم واجب الضيافة نحوهم.<sup>(35)</sup>

### حدائق غريان:

إن معظم الرحالة الذين زاروا منطقة غريان خلال فترة الدراسة قد اشدوا بخصوبة أرضها وكثافة أشجارها، وتنوع في نباتاتها ووفرة حبوبها، وإذا كان العام ممطراً فسيكون ربيعاً فوق قممها ويكسو سفوحها وسهولها، ومن جملة الذين تحدثوا عن أرض وحدائق غريان محمد بن عمر التونسي، حيث قال: " دخلنا أرض غريان، وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار مزدانة بالحدائق ومواقع خلوية جميلة، وينابيع مياه وبرك، وبها أيضاً مزارع زعفران كثيرة وفواكه مختلفة تقع (غريان) على بعد عشرة أيام تقريباً من طرابلس من الناحية الجنوبية الغربية".<sup>(36)</sup>

ويترسل التونسي في وصف حدائق الفاكهة التي تنتشر في غريان، إضافة إلى وجود المراعي إذا كان الموسم ممطراً، وتكثر أشجار الفاكهة المختلفة على جانبي الطريق ويذكر التونسي، أن المسافر لا يذوق ثمرة إلا بعينه فمن يمد يده لفاكهة واحدة يرمم بالحجارة أو بالعصى، أو يقتل برصاصة، فثمار هذه الأرض وكل أشجارها تنقل لتباع في أسواق طرابلس، وقد قال التونسي في هذا الشأن هذين البيتين (بتصرف).

غريان أرض الحدائق الساحرة      تملؤها الألوان الباهرة  
تبتهج النفس والروح معاً      دون مس أو ذوق المسافر.<sup>(37)</sup>

#### د. المختار عثمان العفيف

أما ليون فيقول أن غريان تشتهر بجودة زيتها وزعفرانها وحبوبها وبوفرة إنتاجها ويدفعون نسبة من المحصول كضريبة ليوسف باشا<sup>(38)</sup>.

وحول حدائق غريان وخصوبة أرضها يصف فيشر ذلك فيقول: "تبدو غريان جميلة مع غروب الشمس التي يصاحبها اللون الأحمر، المساكن القابعة تحت الأرض الحدائق التي تغطيها أشجار الزيتون الكثيفة، من أعلى التلال في الغرب، وقد انعكست خطوط حوافها على السماء بلونها الأزرق،<sup>(39)</sup> ويقول: "بأن خصب الأرض يقتصر على ناحية غريان ذاتها المزدانة بأشجار الزيتون والتين، ولا تشبهها إلا واحات نادرة، ويضيف أيضاً بأن حقول غريان ينمو فيها الشعير هنا وهناك على السفوح الأقل إنحداراً، والمحمية أكثر من رياح الجنوب (القبلي)، ولكن أكثر سيقانه المتباعدة جداً تكون ذات إنتاج متواضع مقارنة بمساحات الحقول المرورية، وقد لا تنمو عندما يكون الجفاف بالغ الحدة، لأن الزراعة في غريان تعتمد على سقوط الأمطار، ثم يذكر من بين أشجار الفاكهة التي تشتهر بها حدائق غريان، والتي نالت إعجابه كثيراً شجرة الرمان لأن أزهارها القرمزية تضيف على الشجرة روعة وجمالاً وتستحق هذا الوصف، وفي الموسم التي تنضج فيه هذه الفاكهة يستخرج الطرابلسيون عصير رمانها في أوعية ويشربونه مباشرة، ويشيد بلذة تذوق البطيخ الأحمر الذي يطفئ الضمأ في هذا البلد حيث العطش باستمرار في فصل الصيف، ومن المحاصيل الأخرى التي ذكرها هي الحناء والزعفران، المعروف بجودته العالية<sup>(40)</sup>.

وفي رحلة جامي من طرابلس إلى الصحراء الكبرى توجد إشارة عن الحياة الزراعية في غريان التي تعتمد على كمية نزول الأمطار في موسمها وبخاصة في سهل قطيس التي كانت بمثابة موارد لمخازن التموين في الماضي عند الرومان، ولاحظ جامي بأنه لا توجد في المناطق المرتفعة من سلسلة الجبال سوى أشجار الزيتون والتين وبعض الأشجار الأخرى إلا في غريان وفي الأودية ذات السدود القديمة الباقية من عهد الرومان، ويقترح جامي بإمكانية زيادة الثروة النباتية العامة في البلاد التي أخذت في الانقراض، وتلا في ذلك يكون في الاهتمام بإحداث الغابات على سفوح الجبال الممتدة من نالوت إلى مسلاته، ولكنه يأسف لحكومته المتمثلة في العهد العثماني الثاني 1835 -

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

1911 م لعجزها عن إنقاذ ما غرس من الأشجار حديثاً بقرب غابات الزيتون القديمة من فساد وعبث قطعان الماعز من خلال عملية الرعي الجائر.<sup>(41)</sup> وعلى أية حال يقول جامى بعد المرور من حافة جبل غريان الشديدة الإنحدار إلى الهضاب ترى غابات الزيتون الخضراء في مجاري الأودية وأشجار التين بأوراقها الوارفة والظلال المنعشة الخضراء الممدودة تحتها تكون فارقاً كبيراً بينها وبين قمم الجبال الصخرية الجافة.<sup>(42)</sup>

### - التجارة:

تعد تجارة القوافل مصدراً للدخل في القرن التاسع عشر في ولاية طرابلس الغرب، وذلك من خلال المبادلات التجارية المطلوبة من السودان وتتم مبادلاتها بالسلع الأوروبية القادمة من طرابلس، ويتم التواصل عبر طريق القوافل المعهود بين طرابلس ومرزق عاصمة فزان، فيقول ناخيتجال إن أقصرها مباشرة تقريباً نحو الجنوب على جبل غريان، ومزده والقريات والشويرف ثم سبها، غدوة، تراغن، مرزق، وتستغرق الرحلة في هذا الطريق (الغربي) أكثر من عشرين يوماً تقريباً، بينما في الطريق الثاني (الشرقي) الذي ينطلق من طرابلس ويمر ببني وليد وبونجيم، سوكنه، وواحات فزان، يستغرق عادة ثلاثين يوماً، ويقول أيضاً أن القوافل لا تحبذ الطريق الغربي لخشيته من عدم وجود مراكز العمران لمسافات طويلة بدون توفر مصادر للمياه.<sup>(43)</sup>

ويذكر بعض الرحالة الآخرين أن القوافل تفضل الطريق الثاني على الرغم من طول مسافة الطريق الأول لأن طريق غريان الجبلية فيها صعوبة التي تتمثل في الارتفاعات والانخفاضات وبالتالي تسبب ازعاجاً ومتاعب كثيرة لرجال القوافل<sup>(44)</sup> وغريان هذه تبعد عن طرابلس مسيرة ثلاثة أيام حينما قدرت المسافة من طرابلس إلى فزان مروراً بغريان مسيرة 25 يوماً، أو ما يعادل 579 ميلاً تقريباً.<sup>(45)</sup>

وتجدر الإشارة هنا إلى أن طبيعة غريان الجبلية قد شكلت مصدر تهديد لمهاجمة القوافل العابرة لتلك الطريق من قبل قطاع الطرق، ومن ذلك يشير أحد الرحالة بشأن الطريق الذي سوف يسلكه للوصول إلى المحطة التالية من الطريق، وهي مدينة القصبات (القصبية) الصغيرة عبر السلسلة الجبلية الموجودة بغريان الذي يعتبره العرب طريقاً خطيراً بسبب اللصوص،<sup>(46)</sup> وتفيد أحد

#### د. المختار عثمان العفيف

الإشارات الأخرى بأن قافلة غدامسية متوجهة إلى طرابلس، قد استولى عليها قطاع طريق في غريان وكانت تحمل بضائع مختلفة من بينها إحدى وثلاثون رأساً من الرقيق بلغت قيمة السلع بما فيها من أبل 2892 ريال دورو.<sup>(47)</sup> وعلى الرغم من المخاطر المحفوفة بطريق غريان إلا أن أهميته تأتي عندما تكون حكومة طرابلس في حالة حرب مع أولاد سليمان الذين كانوا يحكمون إقليم فزان في عهد عبدالجليل سيف النصر (1830 - 1842).<sup>(48)</sup>

أما عن النشاط التجاري فتوجد إشارات التي أوردها بعض الرحالة الذين زاروا غريان، ففي أواخر 1875 حيث قام ارفين فون بارى برحلة إلى غريان بعد أن وصل إلى طرابلس في نوفمبر من العام ذاته، وهناك يقول: "تمت تزكيته من قبل تاجر إيطالي، وشريك لتاجر طرابلسي الحاج مصطفى زميت وذلك بمرافته إلى غات التي طررقها للمرة الخامسة عشرة، لكن قافلة زميت كانت ذلك الحين في غريان، واستطاع الرحالة اللحاق بزميت الذي كان قد نصب خيامه قرب قرية قصيبة، ويقول في اليوم الذي وصله فيه أن الحاج زهيت باع صبياً زنجياً دون أن يخفي أمره".<sup>(49)</sup>

وافاد الرحالة فيشر أثناء وجوده في غريان، وكان بحضور الشيخ أحمد القويضى ويقول عندما صار النقاش فيما بينهم يفهم من خلال حديثهم "أن معظم الحضور كانوا تجاراً تربطهم صلة قرابة بالشيخ أحمد، وبعضهم من وجهاء غريان، معظمهم سافروا إلى كانوا أو كوكا في نيجريا، وكان لهم أقارب يعيشون هناك، ويتوقون إلى اخبارهم، واحد منهم واسمه ناصف (ناصر) وهو تاجر كبير من غريان كان يريد أن يبعث خطاباً إلى ابنه بكانو<sup>(50)</sup> وفي هذا الشأن يحدثنا الرحالة ماتوزيو أيضاً أثناء رحلته إلى غريان في شهر مايو 1854 فيقول: "قابلت في المناطق الواقعة إلى جنوب غريان كثيراً من رؤساء القوافل العائدة من السودان بعد غياب بلغت مدته الثلاث سنوات، ويقول أيضاً عند تشي (Tehce) التقينا بقافلة أخرى اشتكى لنا صاحبها الشيخ سالم السهولي من عدم الانتعاش السريع للتجارة عبر الصحراء بسبب اجتياح المغامر رباح للسودان.<sup>(51)</sup>

مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

## المنشآت العمرانية:

### 1- المنازل:

يتركز الحديث كثير عن ظاهرة بناء المساكن أو المنازل المحفورة تحت سطح الأرض التي جذبت انظار كل من يزور غريان خاصة الرحالة وربما كان ذلك دافعاً للزيارة، ومن ذلك تقول إيثيل بروان " مررنا على بعض بيوت الكهوف التي طالما منينا أنفسنا بالوصول إليها ومشاهدتها"<sup>(52)</sup> عن كتب ويذكر ماتوزيو في رحلته إلى طرابلس في مارس 1903 التي توجه منها إلى الجبل مارا بجادو فغريان بأن القرى الرئيسية في غريان (تبادوت، بوزيان، محاربة تشه، شاتان أو شعتان، مسوفين، الكلبية، تغرنة) كل بيوتها محفورة في الجزء الأعلى من الجبل، وجميع منازلها كانت تحت سطح الأرض، وذلك ربما عبر عابر دون أن يشعر بوجودهم، كما أن هناك بعض القرى كانت مبنية فوق سطح الأرض، مثل قرية الكميشات وبن وزير<sup>(53)</sup>، وفي هذا الشأن أيضاً يؤكد جامي بأن مساكن غريان كلها تقريباً كانت تحت سطح الأرض إذا استثنى عدة حجرات المسماة بالمربوعة المبعثرة هنا وهناك بين غابات أشجار الزيتون.<sup>(54)</sup> أما التونسي فقد أشار قبلهم إلى ذلك بأن مساكنهم كانت مبنية تحت سطح الأرض، ولا يرى على سطح الأرض في قراهم سوى المسجد، وفي ذلك يقول: " عندما رأيت الغريانيين يسكنون تحت الأرض كالموتى ويخرجون كالإشباح من اجداثهم عندما يسمعون النداء فخطر لي أن كتب قائلاً (بتصرف): الغريانيون سكانهم القبور يشبه خروجهم منها يوم النشور.<sup>(55)</sup>

أما بشأن وصف تلك المساكن فقد تحدث عنها كثير من الذين زاروا غريان خلال فترة الدراسة، ونذكر من بينهم ليون الذي أشار إلى قرية بني عباس فيقول: " توقفنا بمكان لا يمكن لأحد اطلاق اسم قرية عليه، لأن معظم سكانه يعيشون في منازل تحت الأرض" واصفاً إياها بأن الطبقة العليا من سطح الأرض فوق البيت تتكون من تربة رملية يبلغ سمكها قرابة أربعة أقدام وتبدأ العملية بأن تحفر أسفل هذه الطبقة التي تكون من الحجر الجيري في بعض الأحيان حفرة كبيرة يصل عمها إلى عشرين أو ثلاثين قدماً على أن تكون بنفس العرض مما يعطيها شكل المربع ثم تصقل الجدران وتحفر فيها مداخل الحجرات والتي تتراوح عددها ما بين ثلاثة إلى خمس حجرات إضافة إلى



#### د. المختار عثمان العفيف

المستلزمات الأخرى، كما توجد بئر (صهريج) في الفناء الخارجي بعمق لا يزيد على عشرة أقدام.

أما مدخل البيت التي حفرت تحت سطح الأرض ينحدر عبر ممر (سقيفة) بميل 45° عن سطح الأرض ويوجد على بعد قرابة ثلاثين قدماً من الفناء ويكون متعرجاً بالاتجاهات وسعة الممر تسمح بدخول جمل محمل منها إلى ساحة البيت، ومبنى حول المدخل جدار قوى يتم إغلاقه عند الليل أو في حالات الخطر، ويوجد على بعد عشرة أمتار باب آخر أسفل الباب الأول، مما يجعل من المستحيل تقريباً اقتحام هذه المنازل إذا ما قرر سكانه إعلان العصيان والمقاومة، ففي حالات الحصار لا يؤثر فيهم بدرجة تذكر لقيامهم بحجز جميع حيواناتهم إضافة إلى مؤونتهم داخل بيوتهم، مما يجعل تجويعهم أو اخضاعهم بالقوة عملية في غاية الصعوبة.<sup>(56)</sup>

وفي وصف آخر لتلك المساكن يقول جامى بأنها عبارة عن ممر واسع عمقه خمسة أمتار وحجراته منحوتة في جدرانه، وهناك يكون خطر السقوط فيها على من يتجول ليلاً خلال هذه الديار من الغرباء، ومن يدخل إلى تلك الحجرات المحفورة من باب ضيق ترى جدرانها غير مستوية، وهي سوداء من دخان نار الحطب الذي يحرق للتدفئة أو للطهي، وأبوابها محاطة بإطار من النقوش والزخارف غير المنتظمة، ويتم اللجوء إلى هذه لاتقاء برد الرياح الشمالية الباردة شتاءً، وحرارة رياح الجنوب المحرقة صيفاً، وفي فصل الشتاء إذا استمر نزول الأمطار الغزيرة تتجمع في ساحات البيوت وتغمر الحجرات ويخشى حتى من إنهيار بعضها أحياناً.<sup>(57)</sup>

وهناك من يختصر في وصفها فيقول دوماً نيسيو بأنها حفرت تحت حقول الشعير وأشجار التين، وتوجد بها مخازن صغيرة مملوءة بالحبوب وبمعدات الزراعة ومؤن مختلفة، في الأسفل توجد مرابط الحيوانات، لأنها تهبط ليلاً عبر الممر اللولبي، مثل الثيران وكذلك الحمير والخراف والماعز والدجاج.<sup>(58)</sup>

ولم يقتصر الرحالة على وصف تلك البيوت ومشمولاتها فحسب بل انفرد بعضهم بوصف المشهد الفني الرائع للبيوت المحفورة تحت سطح الأرض فيقول فيشر: "استقبلنا صاحب البيت وأخذنا إلى بوابة تبدو كمدخل لقبو ثم مشينا إلى أسفل عبر نفق مررنا أولاً على أسطبل للحمير والماعز ثم وصلنا إلى

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

فناء المنزل الذي به حجرات نظيفة حيث جدرانها مطلية بالجير الأبيض مزينة برسوم منحوتة على الصخور والأبواب والنوافذ المنحوتة على الصخور الحمراء جزءا منها مغطى بنبات متسلق، وهناك فناء المنزل تشاهد منه السماء بلونها الأزرق إنها لوحة رائعة بحق".<sup>(59)</sup>

أما عن الوضع الصحي لتلك البيوت فيشير أحد التقارير للبعثة الطبية التي جاءت إلى طرابلس سنة 1305 هـ 1885 م، التي زارت عدة مناطق منها الجبل الغربي، وقد جاء فيه " أن الحجرات تتميز بأنها دافئة شتاءً ومعتدلة صيفاً ولكنها شتاء لا تخلوا من بعض الرطوبة كما أن الإضاءة بها أحيانا غير كافية وخلال موسم الصيف تحتفظ هذه الحجرات بدفئها لمدة طويلة، وتختفي منها رطوبة الشتاء، وتعتبر صحية لساكنيها ... قد جعلهم ذوي أجسام سليمة وبنية قوية".<sup>(60)</sup>

وفي فناء البيوت أيضاً تنبت أشجار المشمش والدراق، وكانت مزدانة بالزهور التي تكون الثمار.<sup>(61)</sup>

لماذا حفرت البيوت تحت سطح الأرض؟

الإجابة عن هذا السؤال يفيدنا هانس فيشر الذي نشر تفاصيل رحلته من طرابلس عبر الصحراء الكبرى إلى برنو في المنتصف الثاني من عام 1906 م في أثناء حديثه عن منازل غريان، فقد أشار إلى القرية اليهودية التي برز منها الجزء الأعلى من المعبد فوق سطح الأرض، ونقل عن الرحالة بارث الذي شاهد الكهوف هناك كتب يقول: " إن اليهود هم من جاءوا بفكرة المساكن تحت الأرضية هذه" ولكن فيشر أعتقد أن اليهود عندما جاءوا إلى غريان وجدوا هذه الكهوف قائمة، لا بد أنها كانت مهجورة لأناس عاشوا في حقب ما قبل التاريخ وكانوا يستخدمونها كملاجئ واستغلها من جاء بعدهم للوقاية من الظروف المناخية الصعبة ويقول أيضاً إن منازل غريان تحت الأرضية هذه نماذج لمساكن مشابهة استخدمها أسلافه في مختلف البلدان، وذلك ليوفر أفراد الجماعة الحماية لأنفسهم، هذه الكهوف بصورتها آنذاك لا توفر لهم أي قدر من الحماية من العدو ولكنها تحمي قاطنيها من الرياح الباردة الشمالية الشرقية في الشتاء ومن السخونة المرتفعة في الصيف.<sup>(62)</sup>

#### د. المختار عثمان العفيف

وفي هذا الشأن يشير ريتشاردسن بأن المنازل المحفورة في الصخور تجنب قاطنيها حرارة الشمس الحارقة صيفاً وإتقاء البرد القارص شتاءً، كما أن عملية الحفر قد تتم أحياناً من فتحة أو حفرة فوق أرض مرتفعة ثم توصل إليها ممرات أسفل الأرض، كان الهدف منها زيادة الحرص في توفير أكبر قدر من السلامة والأمن.<sup>(63)</sup>

أما الزاوي في معجمه عن غريان بأن فيها بيوتاً كثيرة محفورة تحت الأرض تشبه الغيران، وهي عادة قديمة متوارثة عن البربر القدامى سكان الجبل، وكانت هذه البيوت في أوائل القرن التاسع عشر في غريان تمثل أكثر من 75% من مجموع بيوتها.<sup>(64)</sup>

ولعل فيشر هو أكثر من اهتم بالحديث عن كهوف غريان ومن ذلك يقول إنه وجد في كتاب تاريخ قديم لقبيلة البولالة التي تعيش حول بحيرة تشاد وبرنو بأنه في وقت معين كل أفراد القبيلة يعيشون في مساكن محفورة في الأرض تشبه الأبار، هذه القبيلة حسبما يدعي كثيرون من أفرادها جاءت إلى مكانها الحالي من الشمال التي هاجرت إلى مواقعها الحالية في حقب تاريخية قريبة نسبياً ومن المحتمل أن تكون كهوف غريان هي ما اقتبسها (البلواليون) في تشييد مساكنهم تلك.<sup>(65)</sup>

على أية حال لم تكن الكهوف أو الدواميس مقتصرة على الجبال في غريان وما حولها أو على قبيلة البولالة بتشاد، وإنما كانت موجودة بالساحل، ويطلق عليها اسم الغيران أو الدواميس وتكونت بسبب أخذ مادة الطين التي تستخدم في تشييد المنازل والمخازن والأسوار والحظائر، وتوجد إشارة في رحلة التيجاني في (706 هـ - 708) بأن في قرية صرمان بها قصراً كبيراً يأوي إليه أهلها وقد حفر به حفير متسع وبنيت في أسفل الحفير دور كثيرة لا تسكن إلا في وقت الأمن.<sup>(66)</sup>

إضافة إلى ما ذكر بشأن لجوء السكان إلى استغلال باطن الجبل لبناء البيوت عبر فتحة أو حفرة متوسطة على سطح الجبل إلى قلة المساحة القابلة للزراعة في الجبل والتي تنحصر في المدرجات الضيقة، لهذا فضل الإنسان منذ القدم على استغلال أكبر قدر ممكن من مساحة الأراضي القابلة للزراعة في الجبال

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

التي تعتبر المصدر الرئيسي لتوفير الغذاء للسكان خاصة الحبوب وزيت الزيتون والفواكة.

#### قلعة غريان:

تُعد قلعة أو قسبة غريان أحد المعالم الرئيسية التي تزخر بها غريان، وقد تناولته بالحديث معظم الرحالة الذين شاهدوا معالم غريان خلال فترة الدراسة من حيث موقعه وشكل أبراجه وتحصيناته والغرض الذي أسس من أجله، وفي ذلك يقول لايون(ليون) بأن المبنى ضخم من الحجارة الخشنة سيئ التشييد به فناء مكشوف يوجد به مرابط للخيل وفتحات للمدافع، وكانت خمسة كلها عاطلة عن العمل، ومفتاح القلعة يحتفظ به شيخ يسكن بجوارها، ولا يستعمل إلا من قبل القائد الذي يتولى جمع الإتاوة في عهد يوسف باشا القرمانلي.<sup>(67)</sup>

أما رولفس في مشاهداته عبر أفريقيا (1965 - 1967) فيقول: "توقفنا أمام قصر غريان، وهو قلعة جبلية يوجد فيها ما بين 100 - 120 رجلاً وهو في الوقت ذاته مقر قائد غريان" ويقول أيضاً إن قصر غريان ذو موقع رائع على أعلى نقطة في الجبل، إلا أنه لا يستطيع مقاومة آلية الحصار الأوروبية عدا عن أنه بني بمواد سيئة وتوجد بعض النقاط المرتفعة والقريبة منه ذات الوضع المسيطر بالنسبة له، وفي شماله وغربه يوجد واد به أشجار الزيتون والعنب والتين والرمان ويجري الماء في جزئه العلوي.

وقدر رولفس ارتفاع القلعة بأنها تبلغ 2118 قدماً وقد أشار في ذلك عما توصل إليه رحالون آخرون، فيقدر بارث ارتفاعه بـ 1696 قدماً ويقدر غيره بـ 1900 قدماً، أما الدكتور (هان) الذي استخدم جدول ارساده فحسب ارتفاعه على أنه 2155 قدماً.<sup>(68)</sup>

ويصف فيشر القلعة بأنها بناية قديمة تقف عند حافة نتوء صخري يطل على واد عميق، وعند النظر إلى أبراجه وتحصيناته المظلة على السهل والبحر من بعده يخيل إليك أنك داخل معقل حصين من قصص ألف ليلة وليلة.<sup>(69)</sup>

وهناك من يشير بأن القصر يتكون من عدد من المساكن المرصوفة إلى جانب بعضها البعض، وقد بنيت على فترات ضمن الفناء المحصن، ولا تتوفر فيها عناصر الراحة، وتبلغ مساحة القصر 80×40 م ، وكانت مساحة أكبر

#### د. المختار عثمان العفيف

حجرات القصر تبلغ 5×6 م ويصل ارتفاعها إلى 3.4م<sup>(70)</sup> وله شرفات مربعة الشكل وقدر ارتفاعه عن سطح البحر بـ 710 م.<sup>(71)</sup> وفي موضع آخر توجد إشارة إلى أن ارتفاع القصر يبلغ خمسمائة متر على طرف واد، وتوجد شرقي القصر منابع العيون الطبيعية العذبة المذاق، وأفضلها ذكر هي عين التركي.<sup>(72)</sup>

#### المدرسة:

تقع المدرسة على مسافة 400 متر من القصر، وهذا المبنى الوحيد في غريان الذي يستحق أن يطلق عليه اسم بيت، إنها المدرسة العثمانية التي توجد بها ساحة واسعة، وخلف المدرسة إذا ما نظرت إليها من قصر غريان باتجاه الشرق يقع جامع صغير على مرتفع يأتيه النور من بعض النوافذ الصغيرة التي جعلت على ارتفاع قامة رجل، وبين الجامع والمدرسة طريق رئيسي يؤدي إلى القصر به بيوت محفورة في الصخر.<sup>(73)</sup>

ومن خلال العرض السابق لمشاهدات الرحالة لمنطقة غريان يمكن الإشارة إلى عدة نقاط في خاتمة هذا البحث وهي:

- إن وجود المعالم الأثرية في غريان المتمثلة في الدواميس والقصر والمساجد والمدرسة ومعاصر الزيتون القديمة، إضافة إلى طبيعة المنطقة الجبلية، ستكون إحدى مقومات السياحة في البلاد.<sup>(74)</sup>

- إن تشجيع حرفة تصنيع الفخار والتحف الفنية على نطاق واسع، سيكون لها دور في جذب السياحة للمنطقة ومصدر جيد للدخل.

- تجسيد الموروثات الشعبية، وذلك من خلال المهرجانات السنوية، وإقامة متحف دائم يرصد تاريخ معالم جبل نفوسة (الجبل الغربي) سيكون له أثر بالتعريف بتاريخ المنطقة عبر العصور.

## مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

### الهوامش:

- (1) حيدر جاسم الرويعي، تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوربي من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج 10 ع 3 - 4 ، 2011، ص36.
- (2) المرجع نفسه.
- (3) البعثة الألمانية إلى ليبيا 1912 ومشفاها في غريان، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص87.
- (4) الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1968، ص244.
- (5) هزيكردي اغسطيني، سكان ليبيا، ج1، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، (دب)، ص 24.
- (6). إسماعيل رأفت بك، التبيان في تخطيط البلدان، ج 1 ، الجامعة المصرية، القاهرة، 1329 هـ، ص331.
- (7) سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة، ط2، مؤسسة السريعة، طرابلس، 1970، ص 62.
- (8) ماتويزيو، رحلة إلى طرابلس وبرقة، تعريب جمعية عطية المحفوظي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002، ص 114.
- (9) علي رضا معين، طرق المواصلات في طرابلس الغرب 1918، ترجمة عبدالكريم أبوشويرب، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2002، ص231.
- (10) عبد الحكيم حكمت، الطب الشعبي في ليبيا، ترجمة عبدالكريم أبوشويرب، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989، ص 26 - 29.
- (11) العربي البهلول الأسود، غريان في العهد العثماني، منشورات جامعة الجبل الغربي ، غريان، 2012، ص31 - 43.
- (12) المرجع نفسه، ص 50 وما بعدها.

#### د. المختار عثمان العفيف

- (13) ع.ف لايون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبولقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1993، ص 30
- ج.ف، ليون، من طرابلس إلى فزان، ترجمة مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1976، ص 23، إن هاتين الترتيمتين هما لمؤلف ورحلة واحدة، ولكن هناك بعض الاختلاف في الترجمة.
- (14) المصدر نفسه.
- (15) ليون، مصدر سابق، ص 27.
- (16) أغسطسيني، مرجع سابق، ص 427.
- (17) العربي الأسود، مرجع سابق، ص 81 وما بعدها.
- (18) الزاوي، مرجع سابق، ص 244 - 245.
- (19) أغسطسيني، مرجع سابق، ص 429، ماتوزيو، مصدر سابق، ص 114.
- (20) البعثة الألمانية إلى ليبيا، مصدر سابق، ص 87.
- (21) أغسطسيني، مرجع سابق، ص 429.
- (22) ماتوزيو، مصدر سابق، ص 114.
- (23) ليون، مصدر سابق، ص 24 - 25.
- (24) المصدر نفسه، ص 27.
- (25) المصدر نفسه، ص 29.
- (26) المصدر نفسه، ص 34.
- (27) لايون، مصدر سابق، ص 34 - 35.
- (28) رولفس، رحلة عبر أفريقيا 1865 - 1867، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996، ص 161 - 162، توجد ترجمة أخرى للمؤلف والرحلة والمترجم نفسه بعنوان: عبر أفريقيا منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، 1987، ص 79 - 80 أغسطسيني، مرجع سابق، ص 442.
- (29) ليون، مرجع سابق، ص 29 العربي الأسود، مرجع سابق، ص 56.
- (30) محمد بن عمر التونسي، رحلة إلى وداي، تحقيق عبدالباقي محمد، شركة مناكب للنشر، الخرطوم، 2001، ص 47.
- (31) المصدر نفسه، ص 413.

### مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

- (32) ليون، مصدر سابق، ص25.
- (33) المصدر نفسه، ص 25.
- (34) المصدر نفسه، ص 26.
- (35) ماتويزو، مصدر سابق، ص116.
- (36) التونسي، مصدر سابق، ص411.
- (37) المصدر نفسه، ص 413.
- (38) ليون، مصدر سابق، ص 29.
- (39) هانس فيشر، عبر الصحراء الكبرى، ترجمة الطيب الزبير الطيب، دار الفرجاني، طرابلس، 2009، ص 48.
- (40) هـ . أ. دومايشيو، عبر طرابلس الغرب، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006، ص 119، 122.
- (41) عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراطي، طرابلس، 1974، ص 36 - 38.
- (42) المصدر نفسه، ص 39.
- (43) جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، مج 1 ، ترجمة عبدالقادر مصطفى المحيشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007، ص 127 - 128.
- (44) رولفس، عبر افريقيا، ص 158، جامي، مصدر سابق، ص 31 - 40.
- (45) محمد المدني الحضيري، "الطريق من طرابلس إلى فزان"، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، ع1، يناير 1979، ص 102 - 104.
- (46) تشارلس ويلينقتون فير لونتق، بوابة الصحراء الكبرى، ترجمة الطيب الزبير الطيب، دار الفرجاني، طرابلس، 2010، ص 218.
- (47) محمد عمر مروان، الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835 - 1912 ، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009 ، ص 296.
- (48) المدني، مرجع سابق، ص 103.



#### د. المختار عثمان العفيف

- (49) أرفين فون باري، رحلته إلى غات وبلاد الايبير 1846 - 1877، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1995، ص 149 وما بعدها.
- (50) فيشر، مصدر سابق، ص 45.
- (51) ماتوزيو، مصدر سابق، ص 114 - 118.
- (52) إيفيل براون، طرابلس الجديدة 1912، ترجمة الطيب الزبير الطيب، دار الفرجاني، طرابلس، ط 2، 2013، ص 223.
- (53) ليون، مصدر سابق، ص 24 ماتوزيو، مصدر سابق، ص 114.
- (54) جامي، مصدر سابق، ص 39.
- (55) التونسي، مصدر سابق، ص 413 - 414.
- (56) لايون، مصدر سابق، ص 31.
- (57) جامي، مصدر سابق، ص 39.
- (58) دو مايشيو، مصدر سابق، ص 117.
- (59) فيشر، مصدر سابق، ص 42.
- (60) عبدالحكيم حكمت، مصدر سابق، ص 51.
- (61) المصدر نفسه، ص 91.
- (62) فيشير، مصدر سابق، ص 42 - 43.
- (63) جيمس ريتشارد دسن، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبولقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1993، ص 58.
- (64) الزاوي، مرجع سابق، ص 244.
- (65) فيشر، مصدر سابق، ص 43.
- (66) أبو محمد عبدالله التيجاني، رحلة التيجاني 706 - 708 هـ، دار الفرجاني، طرابلس، (د.ت) ص 319.
- (67) ليون، مصدر سابق، ص 34.
- (68) رولفس، عبر إفريقيا، ص 78، المؤلف نفسه، رحلة عبر إفريقيا، ص 161.
- (69) فيشر، مصدر سابق، ص 45.
- (70) البعثة الألمانية، مصدر سابق، ص 78 - 88، 94.

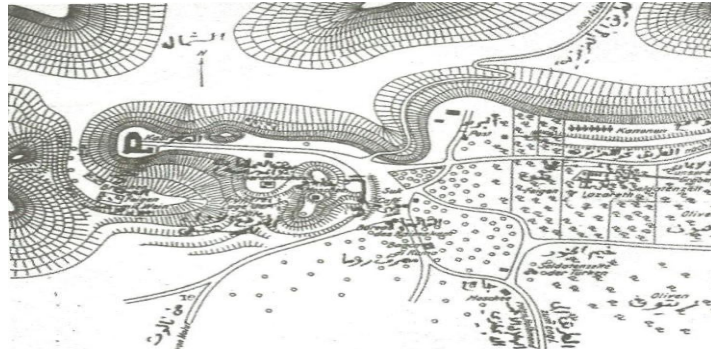
**مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...**

- (71) دومايشيو، مصدر سابق، ص 113.  
(72) معين، مصدر سابق، ص 231.  
(73) البعثة الألمانية، مصدر سابق، ص 88-90.  
(74) المصدر نفسه، ص 184 - 185 ، أنظر ملحق الخرائط والأشكال  
والصور.

د. المختار عثمان العفيف

## ملحق الخرائط والأشكال والصور

### الملاحق



مخطط غريان في 1912 وضعت بعثة الصليب الأحمر الألماني

المصدر: كتاب البعثة الألمانية إلى ليبيا 1912 ومشفاها في غريان، ص 43



خريطة موقع غريان وضواحيها

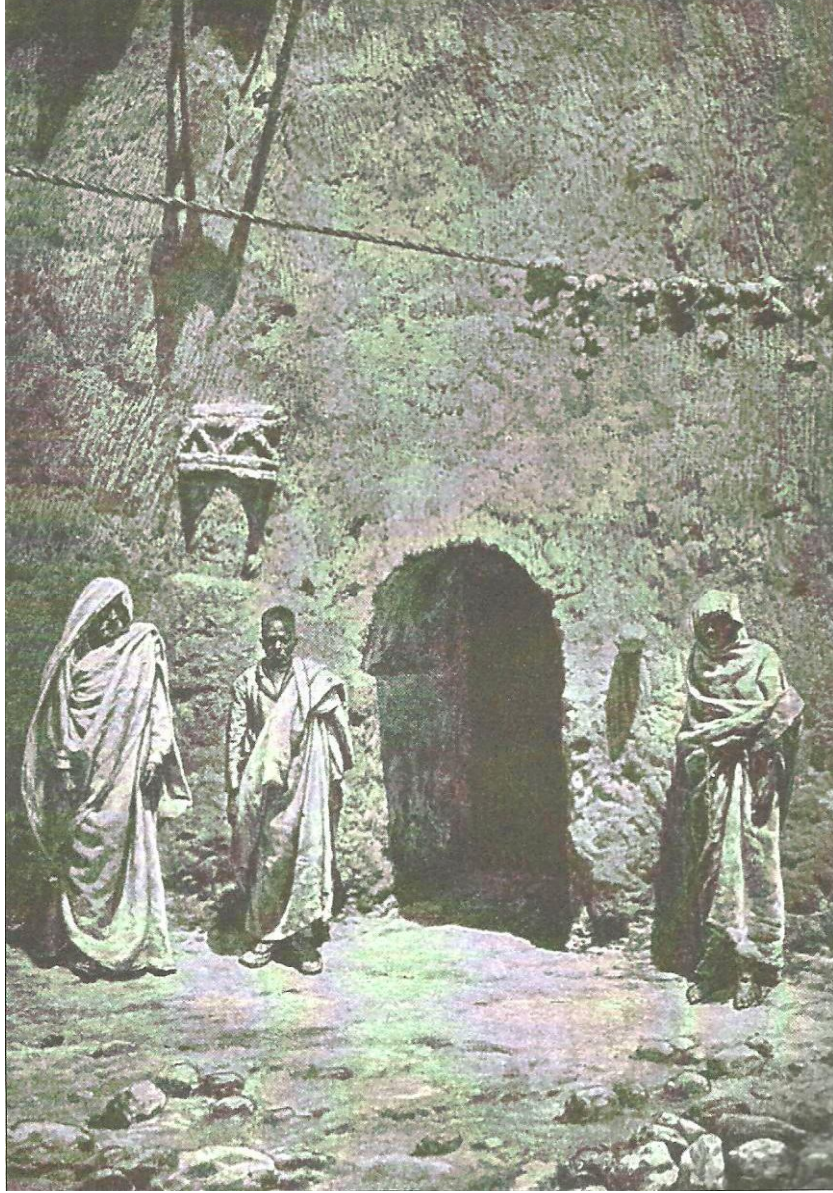
المصدر: كتاب طرق المواصلات في طرابلس الغرب 1918 ، ص 456

مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...



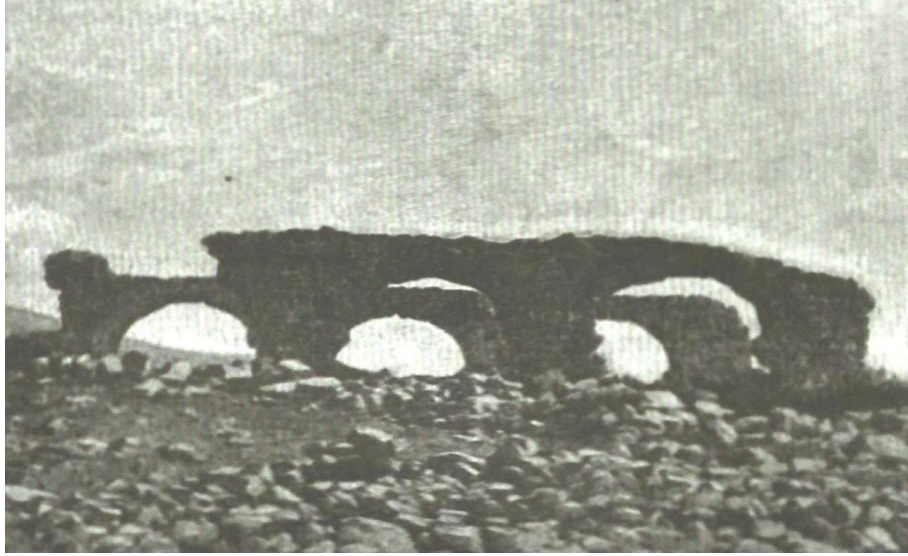
مساكن تحت الأرض في غريان  
المصدر: كتاب عبر طرابلس الغرب، ص 116

د. المختار عثمان العفيف



سكان الكهوف في غريان  
المصدر: كتاب عبر طرابلس الغرب، ص 118

مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...

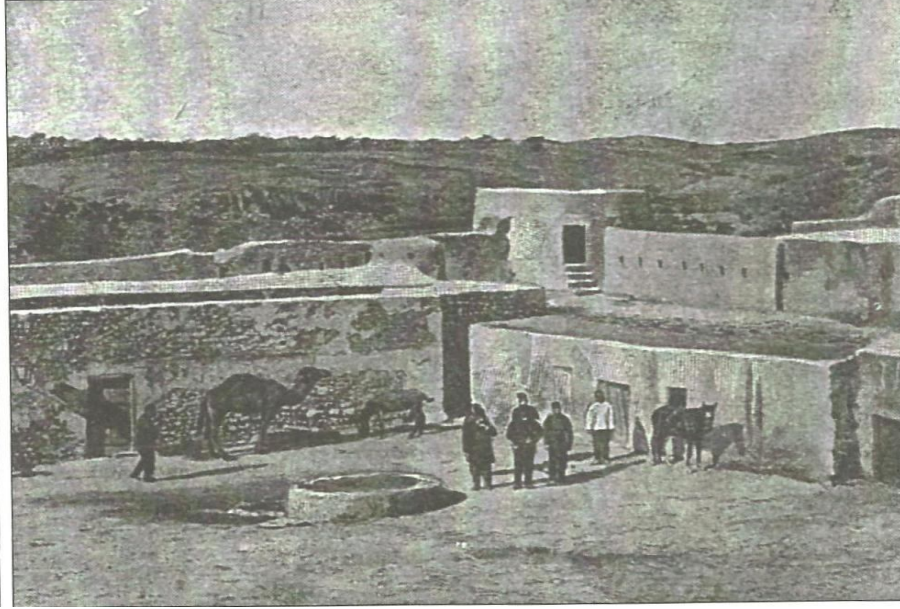


خرائب في غريان (ربما يكون أحد المساجد)  
المصدر: كتاب عبر طرابلس الغرب، ص 126



قصر غريان  
المصدر: كتاب عبر طرابلس الغرب، ص 112

د. المختار عثمان العفيف



داخل قصر غريان

المصدر: كتاب عبر طرابلس الغرب، ص 114



إحدى القوافل في تيسشي ( Tesche )

المصدر: كتاب رحلة إلى طرابلس وبرقة، ص 119

مدينة غريان من خلال مشاهدات الرحالة ...



مسجد شمسه في أحد وديان غريان  
المصدر: كتاب رحلة إلى طرابلس وبرقة، ص 110

---



## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالمتين (دراسة في الدبلوماسية البريطانية)

د. محمد محمد خلف  
قسم التاريخ  
كلية الآداب - الزاوية

### مقدمة:

يقال ما من مشكلة أو توتر في العالم إلا وكانت بريطانيا خلفه، وقد نجد ذلك صحيحاً في أغلب مناطق العالم، فهدية الاستقلال عن بريطانيا تكون مقرونة ببذور الفتنة والنزاعات، والصراع الحدودي، والحروب الأهلية والاحتلال الطائفي وقع ويقع في مناطق كانت أغلبها تحت الاحتلال والنفوذ البريطاني. ففي القرن الإفريقي مثلاً مكنت بريطانيا الأقلية المسيحية في تنزانيا بالتحكم في الأغلبية المسلمة. وفي شرق آسيا قامت بريطانيا بخلخلة البناء الاجتماعي والتجانس البشري في ماليزيا وذلك بإسكان عشرات الملايين من الصينيين والهنود، حتى لا تكون هناك دول إسلامية قوية ومتجانسة ! وكان من أهم المخططات الاستعمارية الأوروبية لتجزئة العالم العربي منذ مطلع القرن العشرين المؤتمر الذي عقد في عام 1907 م وشاركت فيه بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإسبانيا، عندما قَدّم رئيس وزراء بريطانيا كامبل بنرمان تقريراً إلى المؤتمر باقتراح من الحكومة البريطانية لدراسة مستقبل الاستعمار والأسباب التي أدت إلى انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة، وذكر تقرير بنرمان أن الخطر الحقيقي على الاستعمار العالمي يكمن في منطقة شرق البحر المتوسط. ففي هذه المنطقة وعلي امتدادها الطويل أمة واحدة هي الأمة العربية تتوفر لها كل مقومات الوحدة من لغة وحضارة وتاريخ واستقرار، وتوصل المؤتمر إلى أنه إذا تجمعت مقومات الوحدة هذه وتفاعلت مع نزعة الشعب العربي إلى التحرر، فإنه ينتج عنه قيام دولة الوحدة العربية وسيكون الخطر الحقيقي على الوجود الاستعماري وأوصي

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

المؤتمر بالإبقاء على تجزئة العالم العربي والحرص على تخلفه ومحاربة قيام الوحدة العربية<sup>(1)</sup>.

### جذور الأطماع البريطانية في المشرق العربي:-

كان الوطن وما يتمتع به من موقع استراتيجي وثروات طبيعية، المجال الحيوي للدبلوماسية البريطانية بأن قامت بمسلسلات درامية مثل شراء الذمم لمشايخ العشائر والقبائل وزرع الفرقة بين الأشقاء وعقد المعاهدات والاتفاقيات الثنائية، استطاعت من خلالها تحويل القبائل إلي كيانات سياسية تتبع التاجر البريطاني إلي يومنا هذا !.

في الوطن العربي وخاصة في جزئه الشرقي - وهو محور هذه الورقة - فإن التدخل البريطاني قديم. فمنذ القرن السادس عشر وبالتحديد في 7 يناير 1592م منحت الملكة إليزابيث الأولى ( Elizabeth I ) شركة الشرق (Levant company) امتيازاً لتتاجر بموجبه في مناطق نفوذ وسيطرة الدولة العثمانية وباقتتاح قناة السويس في 17 نوفمبر 1869م ازدادت أهمية المشرق العربي حيث تضاعفت التجارة البريطانية مع الشرق وأصبحت البلاد العربية ممراً للتجارة بين البحر المتوسط من جهة والهند من جهة أخرى<sup>(2)</sup> كانت الدبلوماسية البريطانية في القرن التاسع عشر تجاه المشرق العربي مبنية على عنصرين أساسيين:-

**العنصر الأول:** رغبة بريطانيا في بقاء المنافذ والممرات البحرية العربية مفتوحة على المحيط الهندي.

**العنصر الثاني:** محاولات بريطانيا المستمرة بالضغط على السلطات العثمانية بإدخال الإصلاحات الإدارية والسياسية في المنطقة العربية وفق الطراز الغربي<sup>(3)</sup> وبما يخدم المصالح البريطانية.

ولتأمين التجارة ومناطق النفوذ. قامت بريطانيا باحتلال مدن على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب منذ نهاية القرن الثامن عشر، حيث عقدت عدة معاهدات حماية مع مشايخها، فمع الكويت 1898م، وعمان ومسقط 1891م ومشيخات الخليج العربي ( الإمارات السبع ) 1892م والبحرين 1880م وقطر 1916م وبذلك استطاعت بريطانيا أن تبعد نفوذ القوى الكبرى آنذاك مثل

(روسيا، فرنسا، ألمانيا)<sup>(4)</sup>، كما ثبتت أقدامها في جنوب اليمن عام 1839م عندما احتلت عدن و في مصر عام 1882م وعملت على فصلها عن السلطة العثمانية ووضعتها تحت الحماية البريطانية . زادت أهمية المشرق العربي وممراته البحرية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حيث برزت عناصر جديدة أهمها:-

ا - اكتشاف الذهب الأسود (النفط أو الزيت) على الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية وكذلك على الجهة المقابلة في الأراضي الفارسية وأصبح الزيت ينقل بالأنابيب عبر البادية العربية حتى شواطئ البحر المتوسط.  
ب- ظهور الطيران كعنصر مهم في عمليات النقل الجوي السريع.

وبهذا أصبحت المنافذ والممرات البحرية العربية ذات أهمية إستراتيجية كبيرة حيث ربطت بين مناطق إنتاج الزيت الخام و بين مراكز الاستهلاك الأوروبية والآسيوية<sup>(5)</sup>. ولهذه الأسباب وغيرها. كان الاهتمام البريطاني بالمشرق العربي يزداد من يوم إلى آخر، و حتى تتمكن من بسط السيطرة والنفوذ والاستحواذ ؛ أو عزت لدبلوماسيتها وجواسيسها وعملاتها بالعمل ليل نهار لترسيخ نفوذها، حتى أصبح المثل المشهور ( هذه سياسة انجليزية ) مثلا معروفا في جميع أنحاء العالم !! فقد أجادت بريطانيا استغلال سوء العلاقة بين السلطات العثمانية الحاكمة وبين العرب منذ نهاية القرن التاسع عشر، فبدأت اتصالاتها مع شيوخ القبائل والشخصيات الدينية وزعماء العشائر، وكذلك مع بعض الضباط العرب في الجيش العثماني، و كانت الرشوة والهدايا الأدوات المهمة التي أجادت الدبلوماسية البريطانية استخدامها<sup>(6)</sup>، ففي أول تقرير لأول قنصل بريطاني في طرابلس الغرب صامويل توكر (Samuel Tooker) عام 1685م كتب يقول ( الذي لا نستطيع الحصول عليه بالمودة يمكن الحصول عليه بالرشوة)<sup>(7)</sup>.

كانت بدايات أدوات الاتصال البريطاني بالمشرق العربي من خلال البعثات التبشيرية أو الرحلات العلمية للبحث عن الآثار، أو المبعوثين الرسميين. و كان الشريف حسين الصيد الثمين بالنسبة لبريطانيا ومشروعها الاستعماري، وقد تطورت العلاقات إلي أن وثقت بمراسلات بين الحسين

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

والانجليز والتي عرفت فيما بعد بمراسلات حسين /مكماهون (McMahon) (14 يوليو 1915م - 16 مارس 1916م) ؛ تعهد الشريف بإعلان الثورة العربية ضد الأتراك ووصفهم بأعداء الإسلام وفي المقابل تعهدت بريطانيا:-

أ- الاعتراف بخلافة عربية حال قيامها.

ب- الاعتراف باستقلال العرب ضمن منطقة معينة وحماتها<sup>(8)</sup>.

واعتبرها حسين وعوداً مشروعة، مما دفعه إلى إعلان الثورة ( التمرد ) على الخلافة العثمانية ونصب نفسه ملكاً على العرب في 6 نوفمبر 1916م، فاتحاً الباب علي مصراعيه دون دراية للبريطانيين والفرنسيين والصهاينة ليعيثوا في المنطقة فساداً. فقبل أن يجف حبر مراسلات حسين مع مكماهون كان هناك عمل خلف الستار ويرسم خطأً على الرمال شكل الشرق الأوسط الجديد بعد الحرب العالمية الأولى و أصبحت منطقة المشرق العربي موزعة على ثلاث قوى أجنبية من خلال لعبة استعمارية قام بها الدبلوماسي البريطاني مارك سايكس والدبلوماسي الفرنسي جورج بيكو - عرف باسميهما سايكس / بيكو (Sykes-Picot Agreement) من أجل وضع خارطة لتقاسم مناطق النفوذ البريطاني الفرنسي وظهور عنصر جديد في اللعبة وهو وعد بريطاني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين حيث تم إعلان ذلك في 2 / نوفمبر 1917م فيما يعرف بوعد بلفور (Balfour Declaration)<sup>(9)</sup>.

وبعد انتصار الحلفاء علي الدولة العثمانية و ألمانيا عقد مؤتمر باريس في يناير 1919م لتسوية أوضاع ما بعد الحرب، وقد دعي فيصل بن الحسين إلى ذلك المحفل ليمثل العرب، فوجد ما لم يخطر على باله من هول الكارثة، حيث واجهته ثلاثة عوائق كبيرة ضد تحقيق أحلامه!:-

أ- المصالح والمطامع البريطانية في العراق وفلسطين وشرق الأردن.

ب- المصالح الفرنسية في سوريا الكبرى (أو سوريا الطبيعية).

ج- المصالح الصهيونية في فلسطين<sup>(10)</sup>.

والملفت للنظر إن الجزيرة العربية بقيت خارج دائرة الاختلاف، لأن الدبلوماسية البريطانية، استطاعت أن تربط علاقات جيدة مع شيوخ القبائل والزعماء المحليين بمعنى إن مؤتمر باريس اقتصر فيما يخص العرب علي

كيفية التعامل مع المنطقة المستطيلة بين البحر المتوسط في الغرب وبلاد  
الفرس في الشرق.

### ت- المشروع الجديد:-

استطاعت الدبلوماسية البريطانية أن تمرر وتعتمد مشروعها الجديد لتقسيم  
المنطقة العربية من خلال مؤتمر عصبة الأمم في سان ريمو الذي عقد في 25  
إبريل 1920م، حيث تبني نظام الانتداب (Mandate System) تحت شعار  
(التقدم بأوضاع المناطق الخاضعة للاستعمار إلى مرحلة النضج السياسي الذي  
يؤهلها لتحمل تبعات الحكم الذاتي وممارسة مسؤولياته)<sup>(11)</sup>.

بينما كان هدف المؤتمر الحقيقي هو تثبيت السيطرة الاستعمارية وخلق  
المبررات للاستمرار في مواجهة ضغط الحركات القومية النامية.

أما العرب فلم يروا في قرارات سان ريمو إلا خيانة وغدراً من جانب  
البريطانيين. لقد كانت بالنسبة لهم خرقاً للمبادئ العامة التي أعلنها الحلفاء  
ونقضاً للوعود البريطانية المتعلقة بمستقبل البلاد العربية التي انفصلت عن  
الإمبراطورية العثمانية<sup>(12)</sup>.

وكان التغيير الأساسي في الجزيرة العربية هو حلول السيادة العربية محل  
السيادة العثمانية، وظهور خمس دول جديدة يقودها خمسة من عمال السلطان  
العثماني استأثروا لأنفسهم بالاستقلال وهم: الملك حسين في مملكة الحجاز  
والسلطان عبد العزيز بن سعود في سلطنة نجد وملحقاتها والإمام يحيى حميد  
الدين في اليمن، ومحمد علي الإدريسي في عسير، وابن الرشيد في إمارة  
شمّر<sup>(13)</sup> ولم تكن العلاقات بين هؤلاء الزعماء طيبة بأي حال من الأحوال.  
فالنزاع بين آل سعود وآل الرشيد أصبح مشكلة تحتاج إلى حل، وكان الإمام  
يحيى ينظر شذرا إلى جاره الإدريسي ويرى في وجوده تدخلا في مملكته  
وتعديا عليها. وأهم من ذلك كله الخلافات كانت قائمة بين الحسين وبين ابن  
سعود حول ملكية بعض مناطق الحدود بينهما ولقد حاول الحسين، أثناء الحرب  
العالمية الأولى تسوية هذه المسألة لصالحه (بأساليب تعسفية، وفي لبوس من  
التفضل الاستعلائي المتعمد، بل وفي فضاظة جافية نحو ابن سعود، فدل  
في ذلك على فقر إلى الفطنة الثاقبة والحكمة السياسية)<sup>(14)</sup>. وسعت

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

الحكومة البريطانية، التي كانت تقدم معونات مالية إلى الحسين وابن سعود، إلى عقد الصلح بين الطرفين، خاصة بعد هزيمة الهاشميين في موقعة (تربة) في مايو 1919م. غير أن الحسين بدأ سياسة جديدة في التحالف مع أعداء السعوديين، فتحالف مع ابن الرشيد العدو التقليدي لآل سعود، ومع بعض زعماء القبائل النجدية. كما حاول أيضا أن ينشئ صلات ودية بينه وبين الإمام يحيى حميد الدين.

وبما أن إمام اليمن ما يزال في حالة خصومة مع الإدريسي حاكم عسير، فقد تطورت الأحداث بسرعة فجعلت ذلك النزاع أكثر حدة. خاصة بعد أن انسحبت بريطانيا من ميناء الحديد في يناير 1921م سامحين للإدريسي بضمه إلي إمارته ( عسير )، وبذلك حُرمت اليمن من منفذ طبيعي لا غنى لها عنه. وقد خلق إلحاق الحديد بعسير مشكلة من نوع جديد في الجزيرة العربية هي (مشكلة الضم) وبالنسبة لهذه المشكلة وجد الحسين نفسه مدفوعا لتأييد الإمام يحيى سعيا لتحقيق سياسة التحالف التي انتهجها ضد عبد العزيز والإدريسي<sup>(15)</sup>.

وفي تقرير للمقيم البريطاني في عدن جيكوب (Jacob) بتاريخ 19 أغسطس 1914م حول نشاط الأتراك في الجنوب العربي، وضح أنه إذا أرادت بريطانيا أن تقوّي نفوذها في الجنوب العربي عليها إغداق المال علي المشايخ هناك، حتى يتم تخلّ يهم عن السلطان العثماني وخاصة الإمام يحيى حميد الدين، وكذلك تقديم النياشين لزعماء لحج والمكلا وهما تحت الحماية البريطانية هذه الامتيازات المبدئية تستطيع بريطانيا من خلالها أن تستحوذ علي نفوذ واسع لتكون دليلا على حسن نية بريطانيا وعطفها علي العرب<sup>(16)</sup>.

ومن مرتكزات الدبلوماسية البريطانية منح الهبات والأموال إلي أصحاب الشأن في دائرة النفوذ البريطاني، فقد التزمت بريطانيا بمنح الشريف الحسين مساعدات مالية حتى لا ينهزم أمام الأتراك وتكون كارثة للكرامة البريطانية وعواقب لا يُحمد عقباه وخاصة أمام رعاياها من المسلمين. ولهذا صادقت الخزانة البريطانية على إعانة شهرية للشريف مقدارها مائة وخمسة وعشرين ألف جنيه لمدة أربع أشهر<sup>(17)</sup>.

وكانت بريطانيا تهدف من هذه الإعانة الكبيرة لمساعدته علي القيام بالترتيبات اللازمة للحج، لأن بريطانيا تهتم بهذه المسألة اهتماما بالغ الحد حتى تكوّن صورة مضيئة أمام الرأي العام الإسلامي (18)، وخاصة في مناطق نفوذها ( شبه القارة الهندية ).

وفي 2 نوفمبر 1921م، حدث تغيير مفاجئ في ميزان القوى في الجزيرة العربية، ذلك أن عبد العزيز بن سعود استطاع القضاء علي آل الرشيد وضم منطقة شمر لسلطانه، وأصبحت حدوده بذلك تتأخم حدود العراق الهاشمي. وكان ذلك يعني من ناحية أخرى زوال أسرة كان الحسين يعتمد علي حسن نواياها يوم اتخذها حليفا سياسيا ضد جار لم يفلح في استرضائه (19).

**سياسة المعاهدات والاتفاقيات:-**

رغب البريطانيون، خاصة بعد تولي فيصل عرش العراق، في تصفية الأجواء بينهم وبين الحسين، وذلك بعقد معاهدة سياسية تتضمن موافقته علي (الأسس العامة للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط) (20). أفتتحت المفاوضات بين الجانبين في منتصف سبتمبر 1921م، واستمرت حتى 10 ديسمبر 1923م دون أن تسفر عن شيء، بسبب تمسك كل من الجانبين بوجهة نظره في تفسير العهود المقطوعة إبان الحرب العالمية الأولى.

وخلال المفاوضات، حاولت بريطانيا أن تضغط علي الحسين، فأبرمت في 10 أكتوبر 1922م، معاهدة مع ابنه الملك فيصل، تحوّل بموجبها الانتداب البريطاني علي العراق إلى معاهدة تحالف. وفي 25 إبريل 1923م، اعترفت بوجود حكومة مستقلة في شرق الأردن برئاسة ابنه الثاني الأمير عبد الله (21). بعد أن كانت تعتبره ممثلا عن والده في شرق الأردن، وعلى إثر معاهدة لوزان في 24 يوليو 1923م تخلت بموجبها تركيا عن جميع الأراضي العربية التي كانت خاضعة لها قبل الحرب العالمية الأولى، وأعطى لبريطانيا فرصة المناورة السياسية في المفاوضات التي كانت جارية مع الحسين، وجعلها أكثر شدة في تمسكها بوجهة نظرها بشأن السياسة البريطانية في المنطقة.

تأكدت بريطانيا بعد فشل المفاوضات مع الحسين، أن دوره السياسي في الجزيرة العربية قد انتهى، وأن عبد العزيز بن سعود يجب أن يكون سيّد

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

الجزيرة العربية. وبناء على ذلك فإنها لم تقف إلى جانب الحسين، عندما غزت قوات عبد العزيز في أغسطس 1924م الحجاز، بل ساهمت في عزل الحسين عن عرش الحجاز في 3 أكتوبر 1924م. ولم تقف القوات الوهابية عند ذلك بل استمرت في زحفها نحو المدن الحجازية حتى دخلت جدة في 23 ديسمبر 1925م، وبذلك سقط عرش الهاشميين في الحجاز، وقد كانت نهاية الحسين مأساوية حيث أبحر إلى العقبة فاتخذها ملجأ إلا أنه أبلغ من قبل الانجليز أن وجوده لا يقبله ابن سعود ولا الانجليز، فوجهوا له إنذار يوم 28 مارس 1925م (... وتدعوكم أيضا لمغادرة العقبة... لا يمكنها (بريطانيا) أن تسمح لكم بالبقاء فيها أكثر من ثلاثة أسابيع)<sup>(22)</sup> ولم يبق لهم إلا العراق وشرق الأردن.

ولما كانت بريطانيا هي صاحبة النفوذ الأول في العراق وفي شرق الأردن، وكانت قد عقدت منذ 2 ديسمبر 1915م اتفاقية حماية (اتفاقية القطيف) مع عبد العزيز آل سعود، فقد رأت التوسط بين السعوديين من جهة وبين الهاشميين في العراق وشرق الأردن من جهة أخرى، لحل مشاكل الحدود القائمة بينهم، وبالفعل تم عقد اتفاقيات ثنائية بين الطرفين المتنازعين خلال نوفمبر 1925م.

لم تعد اتفاقية 2 ديسمبر 1915م المعقودة بين عبد العزيز آل سعود وبين البريطانيين ملائمة بأي شكل للأوضاع الجديدة التي سادت الجزيرة العربية في العشرينات من القرن العشرين، خاصة بعد أن برهن عبد العزيز على أنه أقوى شخصية سياسية في الجزيرة العربية. لذا فإنه طلب إلى بريطانيا أن تعيد النظر في الاتفاقية السابقة. وأسفرت المفاوضات التي تمت بين الجانبين عن عقد (معاهدة جدة) في 20 مايو 1927م التي اعترفت بريطانيا بموجبها بابن سعود ملك الحجاز ونجد وتوابعها، سيدا وحاكما مستقلا. وسمحت له (بمخابرة الدول والاتفاق معها حسب ما تميله مصلحة بلاده). بعد ما كان محروما من هذا الحق<sup>(23)</sup> في اتفاقية القطيف. وكانت مدة المعاهدة سبع سنوات قابلة للتجديد على أساس الموافقة المتبادلة بين الطرفين.



وكان هذا كله بفضل العلاقات البريطانية الحسنة مع ابن سعود وفيصل. وبعد عقد المعاهدة البريطانية العراقية في 30 يونيو 1930م، ضغطت الحكومة البريطانية على فيصل للاعتراف بسيادة ابن سعود على الحجاز ونجد وملحقاتها. وقد أثمرت جهود الحكومة البريطانية في عقد معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين آل سعود وبين الهاشميين في العراق في 7 ابريل 1931م وقد ظلت هذه المعاهدة حجر الأساس في العلاقات بين البلدين لعدة سنوات أخرى.

وإتماما لعملية الاعتراف السعودي الهاشمي المتبادل، سعت الحكومة البريطانية وفيصل ليتم الاعتراف المتبادل بين الأمير عبد الله وبين ابن سعود. وقد أثمرت جهود الفريقين في الوصول إلى ( اعتراف متبادل ) بين الجانب الأردني والجانب السعودي في 21 مارس 1933م. ففي مذكرة بعث بها رئيس حكومة شرق الأردن الشيخ عبد الله سراج إلى المندوب البريطاني في القدس معلنا الاعتراف بابن سعود ملكا على السعودية (نجد وملحقاتها- القطيف الإحساء، جبيل) (24).

وإذا كان ابن سعود قد استطاع - بمساعدة البريطانيين - في أوائل الثلاثينات، أن يضع حدا للخلافات والمشاكل التي قائمة بينه وبين الهاشميين في العراق وشرق الأردن، فإن علاقاته مع الإمام يحيى قد أخذت شكلا مغايرا للعلاقات السعودية الهاشمية، فعلى إثر احتلال آل سعود للحجاز وسقوط الحكم الهاشمي في ديسمبر 1925م، تعرض الإمام يحيى بعد عقد معاهدة لوزان في 24 يوليو 1923م لضغط من قبل الزعامات العربية الإسلامية الإصلاحية (25) التي ظهرت بين الحربين العالميتين، وذلك بهدف جمع الكيانات الإسلامية في شكل ما من أشكال الوحدة. ففي رسالة من شكيب أرسلان إلى محمد رشيد رضا، من جنيف، بتاريخ 8 سبتمبر 1923م، ذكر شكيب (مسألة اليمن) وقال ( تحقق أن رابطته انقطعت بتركيا، فلا بد من النظر في نظام يجمع شمل اليمن من شافعي وزيدي، وبعد ذلك يجمع إليه سائر الجزيرة قبل أن تفسد الأمور ويدخل الغريب أصابعه) (26).

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

فعلى أثر احتلال ابن سعود للحجاز وسقوط الحكم الهاشمي في ديسمبر 1925 كما سبقت الإشارة. فقد نشأ لدى الإمام يحيى خوف من غزو سعودي لمملكته، ذلك أنه كان يعتقد - بسبب سوء العلاقات اليمانية البريطانية نتيجة لوجود الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن - أن الحكومة البريطانية سوف تدفع ابن سعود للاشتباك معه. فعقد في 2 سبتمبر 1926م معاهدة مع إيطاليا مدتها عشر سنوات، اعترفت فيها إيطاليا ( باستقلال حكومة اليمن الاستقلال الكامل المطلق). كما تعهدت بتقديم جميع احتياجات المملكة اليمانية من خبراء وفنيين ومصنوعات.<sup>(27)</sup> وقد كان هذا الدعم كمقدمة لمشاريع استعمارية ايطالية جديدة في القرن الإفريقي، ظهرت خلال غزو ايطاليا للحبشة 1935م.

وقد شكل ضم عسير تحت السيادة السعودية في عام 1930م. إنذارا خطيرا للإمام يحيى، ذلك أن حدود البلدين أصبحت مشتركة في أكثر من جهة، ولم تكن هذه الحدود قد رسمت بعد. فرأى الإمام أن يتخلى مؤقتا عن ادعاءاته في جنوب اليمن، ويعدل عن موقفه إزاء بريطانيا. وبتأييد من الحكومة البريطانية بدأت بين الجانبين منذ عام 1931م مفاوضات بطيئة انتهت بعقد ( معاهدة صداقة وتعاون لمنفعة الفريقين ) في 11 فبراير 1934م ولمدة 40 عاما. واعترفت بريطانيا (باستقلال ملك اليمن - حضرة الإمام - ومملكته استقلالا مطلقا في جميع الأمور مهما كان نوعها )، كما نصت المادة الثانية على أن ( يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلاقات بينهما من جميع الوجوه )<sup>(28)</sup>. ضمنت هذه المعاهدة للإمام الأمن على حدوده الجنوبية، كما ضمنت له عدم تحريض البريطانيين للقبائل السنية التي تسكن منطقة تهامة للثورة ضده، وبذلك تفرغ لتسوية العلاقات مع ابن سعود.

وضعت ( معاهدة الطائف ) حدا للصراع بين ابن سعود وبين الإمام يحيى كما خلقت جبهة مشتركة ضد أي غزو تتعرض له الجزيرة العربية. لكن أهميتها الحقيقية تكمن في أنها كانت بداية لسلسلة من المعاهدات التي وضعت أساسا متينا لحركة التقارب العربي في الثلاثينات من القرن العشرين، ذلك أن ابن سعود أحس بعد وفاة الملك فيصل في 8 سبتمبر 1933، بإمكانية قيادته لمنطقة

الشرق العربي، خاصة بعد أن تمكن من عقد أول امتياز لاستخراج النفط من المملكة في 19 مايو 1933م<sup>(29)</sup>.

### آمال وطموحات عربية:-

لقد وضع القوميون العرب آمالهم العريضة على الملك فيصل في تحقيق الوحدة العربية، إذ كانوا يعتبرون العراق (بيدمونت العرب)، خاصة بعد عقد المعاهدة البريطانية العراقية في 30 يونيو 1930م، وقبل العراق عضوا في عصبة الأمم في 3 أكتوبر 1932م. إلا أن المعاهدة البريطانية العراقية لم تكن تسمح ليفصل، في اعتقادنا، بالتحرك على نطاق أوسع عما رسم له. وهذا بعكس المعاهدة البريطانية السعودية لعام 1927م. التي لم تضع قيودا معينة على تحرك ابن سعود، فمكنته من أن يلعب في الثلاثينات، دورا فعّالا في منطقة الشرق العربي.

والواقع أن الظروف الدولية التي أحاطت بالمنطقة في منتصف الثلاثينات كانت عاملا ذا قيمة في حركة التقارب العربي. ففي 3 أكتوبر 1935م بدأ الغزو الإيطالي للحبشة، بعد أن كانت إيطاليا قد وطدت علاقتها باليمن. واستمر الزحف الإيطالي حتى سقطت أديس أبابا في 5 مايو 1936م. وكان رد الفعل البريطاني شديدا في المنطقة. فقد قامت الحكومة البريطانية بتحصين مواقعها في قناة السويس وفي العقبة، واستقدمت قوات عسكرية كبيرة إلى مصر وفلسطين وشرق الأردن خشية وقوع أزمة مفاجئة مع الحكومة الإيطالية. وكانت حكومات مصر وشرق الأردن والعراق والسعودية تراقب الأمر وتتخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة أية تطورات فجائية. هذا بالإضافة إلى اندلاع الثورة العربية الفلسطينية في أبريل 1936م.

كان العامل الدولي بالإضافة إلى اضطراب الأحوال العراقية الداخلية بعد تولي غازي ملك العراق، وضعف شخصيته بالمقارنة بشخصية والده فيصل سببا في دفع العراق إلى عقد (معاهدة أخوة وتحالف)<sup>(30)</sup> مع المملكة العربية السعودية في الثاني من أبريل عام 1936م، ولمدة عشر سنوات.

وقد أشارت مقدمة المعاهدة إلى (الروابط الإسلامية والوحدة القومية) التي تجمع بين الملكين، وأنه (بغية المحافظة على سلامة بلادهما، وبناء علي ما

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

تقتضيه الحاجة الماسة للتعاون بينهما، والتفاهم في الشؤون التي تهم مصلحة مملكتيهما). فإنهما اتفقا على عقد تلك المعاهدة.

والتزم الفريقان على أنه ليس في المعاهدة (ما يخل بحقوق وتعهدات الحكومة العراقية المنصوص عليها في ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة التحالف المنعقدة بين العراق وبريطانيا في 30 يونيو 1930م). كما اتفق الجانبان (على مراعاة الأحكام الواردة في المادة السابعة عشرة من ميثاق عصبة الأمم وملاحظة المبادئ التي انطوت عليها معاهدة نذ الحرب الموقع عليها في باريس في 18 أغسطس عام 1928م، والتي انضم إليها الفريقان المتعاقدان)<sup>(31)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن العلاقات السعودية العراقية ظلت قائمة على أساس هذه المعاهدة. وبعد انهيار نظام بكر صدقي في أغسطس 1937م، وعودة نوري السعيد إلى سابق نفوذه في العراق، كتب إلى الملك عبد العزيز (يعرض عليه الاتحاد بين العراق ونجد، على أن يكون الأمير فيصل (ابن الملك عبد العزيز) نائبا لوالده في بغداد وأن تكون الإدارة في بغداد مستقلة عن إدارة نجد. ولكن الملك عبد العزيز لم يلق بالا لأمثال هذه المقترحات). ويشرح حافظ وهبة أسباب رفض ابن سعود لذلك المشروع بقوله أن الملك (علم علم اليقين أن وراء العراق الانجليز، وما داموا لم يفاتحوه بأمر خطير كهذا، فإنه لا يشغل باله بالتفكير في موضوع خطير مثله). ثم يضيف بأن الملك عبد العزيز (لا يرى من الحكمة أن تسوء علاقته بالحكومة العراقية بسبب مشروع خيالي)<sup>(32)</sup>. والحقيقة أن رفض ابن سعود للمشروع العراقي لم يكن سببه لأن المشروع خيالي، بل لأن نظامي الحكم في البلدين لا يمكن التقريب بينهما.

كانت المعاهدة السعودية العراقية هي الثالثة في سلسلة المعاهدات التي عقدتها السعودية مع الدول العربية المستقلة حتى ذلك الوقت، ولم تبق إلا مصر التي ظلت علاقاتها الدبلوماسية مقطوعة مع السعودية حتى عام 1936م.

وبهذا كانت المعاهدة السعودية المصرية هي الأخيرة في سلسلة المعاهدات التي عقدها النظام السعودي مع الدول العربية ذات العلاقات الخاصة ببريطانيا.

**بريطانيا والقضية الفلسطينية:-**

حاولت الحكومة البريطانية منذ اندلاع الثورة العربية الفلسطينية في ابريل عام 1936م، أن تقضي عليها بأساليب مختلفة، أهمها استخدام القوة العسكرية. لكن ظروف الصراع الايطالي الحبشي في شرق إفريقيا والبحر الأحمر وإمكانية تهديد ايطاليا لمصر وقناة السويس من الغرب (من ليبيا) والصراع في البحر المتوسط وفي أوروبا بين بريطانيا من جهة، وألمانيا وايطاليا من جهة أخرى، كل ذلك حال دون سحب بريطانيا لقوات عسكرية كبيرة من مناطق نفوذها، خوفا من التهديدات العسكرية المحتملة. فاتجهت إلى استخدام الأسلوب السياسي كحل مؤقت للقضية الفلسطينية والذي استمر إلى يومنا هذا، بما في ذلك رفض الحكومة البريطانية التصويت الشكلي للبرلمان البريطاني حول الاعتراف الرمزي بدولة فلسطين خلال شهر أكتوبر 2014م.

ولما كان عبد العزيز بن سعود يرتبط بمعاهدات صداقة وتحالف مع العراق وشرق الأردن، ومع اليمن ومصر، وتعلم بريطانيا علاقته الوطيدة بقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية التي كان يتزعمها في ذلك الوقت الحاج أمين الحسيني، فقد استعانت به ليقوم بدور الوساطة ممثلاً لملوك وأمراء العرب بينها وبين قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

في أول يوليو 1936م استفسرت الحكومة البريطانية من ابن سعود عما إذا كان باستطاعته التأثير على عرب فلسطين لإيقاف الثورة، وأنه لو تم له ذلك فإنه يقدم خدمة ليس للحكومة البريطانية فقط، بل ولعرب فلسطين أيضاً (طبقاً لوجهة النظر البريطانية). ولم يتردد ابن سعود في الموافقة، إنما اشترط أن يكون ذلك بالاشتراك مع الملك غازي وإمام اليمن والأمير عبد الله.

وانتهز ابن سعود الفرصة وأرسل في 13 يوليو 1936م كتاباً إلى الأمير عبد الله جاء فيه: إنّه نظراً (لأننا ندري عواقب الأمور، ونخشى من أمر يفرط (كذا) يكون على العرب عامة وأهل فلسطين خاصة ضرره، فهل توافقون سموكم على التقدم لتوجيه نداء عام نشترك فيه مع سموكم وجلالة الأخوين الملك غازي والإمام يحيى، ندعو فيه أهل فلسطين لتوقيف الاضطراب ليفسحوا للحكومة البريطانية المجال لإنصافهم في جو هادئ. فإن مثل هذا النداء إذا قبلت وقفنا الحركة بعده، يكون لنا جميعاً وجه عند الحكومة البريطانية في رجائها

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

بقبول مطالب أهل فلسطين وإنصافهم<sup>(33)</sup>. ومما لاشك فيه أن الأمير عبد الله لم يرفض طلب ابن سعود.

واستمرت المفاوضات بين الأطراف المعنية حتى تمت موافقة الحكومة البريطانية على الصيغة المقترحة. ونشرت اللجنة العربية العليا بفلسطين في يوم 11 أكتوبر 1936م، النداء العربي المشترك، وطلبت وقف الثورة في اليوم التالي. ومما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد أن المملكة العربية السعودية وبريطانيا قد اتفقتا في 3 أكتوبر 1936م على تجديد معاهدة جدة الموقعة في 20 مايو 1927م لمدة سبع سنوات أخرى.

وبعد رفض العرب لمشروع لجنة تحقيق الملكية لعام 1937م، ولجنة وودهيد لعام 1938م دعت الحكومة البريطانية لعقد مؤتمر في لندن في فبراير ومارس 1939م لبحث القضية الفلسطينية. وشكلت الدول العربية التي اشتركت في المؤتمر وهي مصر، والعربية السعودية، والعراق واليمن وشرق الأردن وفلسطين وفدا عربيا واحدا. ومع أن مؤتمر لندن قد فشل ولم يحقق أمرا جديدا بالنسبة للقضية الفلسطينية، إلا أنه كان تطبيقا لحركة التقارب العربي في الثلاثينات؛ ذلك التقارب الذي ساهم في إنشاء جامعة الدول العربية في عام 1945م بزعامة عبد الرحمن عزام، والذي كان له دورٌ بارزٌ وفَعَّالٌ في نجاح الليبيين بالضغط على الأمم المتحدة لاستصدار قرار الاستقلال لليبيا في 21 نوفمبر 1949م. ولكن تلاعبت الدبلوماسية البريطانية في آلية تنفيذه، وفرضت على الليبيين النظام الفدرالي وتوقيع معاهدة عسكرية جعلت الاستقلال منقوصاً. وخالصة القول تعاملت الدبلوماسية البريطانية مع العرب فيما بين الحربين العالميتين من أجل حماية مصالحها الإستراتيجية، بغض النظر عن المردود السيئ على مستقبل العرب، لأن الغرب في قاموسه السياسي ليس هناك أصدقاء دائمون ولكن هناك مصالح مستديمة!.

المراجع:

1. عاصم الدسوقي: في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، 1955، ص 194.
2. Hurewitz, J.C. Diplomacy in the Near and Middle East , a Documentary Record VI New Jersey 1956 P.9.
3. Glubb, John bagot , Britain and the Arabs , A Study of fifty years 1908-1958, London. 1959 ,P.42
4. جمال قاسم زكريا: الخليج العربي 1914 – 1945، القاهرة دار الفكر العربي، 1973، ص 40.
5. Glubb ,John Bagot , opcit , P82
6. Fisher, Godfrey, Barbary legend ,War, trade and piracy in North Africa (1415-1850) Oxford University P.266
7. Epton , N,Oasis Of Kingdom: The Libyan Story , London ,1955,P.3
8. جورج انطونيوس: يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) ترجمة د.ناصر الدين الأسد د.أسامة عباس، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت 1978، ص 267.
9. Barr ,James , A line in the Sand Britain , France and the struggle that shaped the Middle East ,London 2011 PP.26-30.
10. جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص 387.
11. إسماعيل صبري مقلد: العلاقات السياسية الدولية، ط 5، الكويت، ذات السلاسل، 1987، ص 578.
12. جورج انطونيوس: مصدر سابق، ص 473.
13. نفس المرجع، ص 445.
14. نفس المرجع، ص 447.
15. نفس المرجع، ص 449.

## بريطانيا والمشرق العربي بين الحربين العالميتين

16. مكي شببكية: العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، ج 1، دار الثقافة، بيروت (1970) ص 9 نقلا عن وثيقة بريطانية رقم (2139).
17. مكي شببكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ج 2، دار الثقافة، بيروت (1978) ص 135 نقلا عن وثيقة بريطانية رقم (2774).
18. نفس المرجع، نفس الصفحة.
19. جورج انطونيوس، مرجع سابق ص 449.
20. Aldington , R. Lawrence Of Arabia , London , 1955 , p , 308.
21. مذكرات عبد الله بن الحسين، ط 4، عمان، 1965 ص 172.
22. جورج انطونيوس، مرجع سابق ص 456 ، هامش للمترجم.
23. حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط 5، القاهرة 1967 ص 253.
24. أصبحت منذ 22 سبتمبر 1932، تعرف بالمملكة العربية السعودية.
25. أمثال بشير السعداوي، رياض الصلح، شكيب أرسلان، عبد الرحمن عزام.
26. أحمد الشرباص، أمير البيان، شكيب ارسلان، 2، القاهرة، 1963 ص 640.
27. عدنان ترسيبي: اليمن وحضارة العرب، بيروت (د. ت) . ص 259.
28. نفس المصدر نفس الصفحة.
29. حافظ وهبة. مصدر سابق ص 176.
30. حافظ وهبة: خمسون عاما في جزيرة العرب، ط 1. القاهرة 1970، ص 121.
31. نفس المصدر، نفس الصفحة.
32. حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين ، مصدر سابق، ص 273.
33. حافظ وهبة: خمسون عاما في جزيرة العرب، ط 1. مصدر سابق، ص 121.



## تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

أ . هدى محمد عمران  
قسم الجغرافيا  
كلية الآداب - الزاوية

قال تعالَى (رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ)<sup>(1)</sup>.

### مقدمة

يتمحور جُلّ الاهتمام على حقائق شبة مؤكدة عن المياه الجوفية التي تُعد المصدر الوحيد للإمداد المائي حالياً، حيث تغطي 96% من الطلب على المياه والتي ما زالت تثير مضاجع الكثيرين من المهتمين بالإمداد المائي، فلا حياة بدون ماء، كما لا يمكن الحديث عن التنمية بلا مياه، ولعلّ السؤال المتكرّر هو: ما هو العمر الافتراضي (الاقتصادي) لمشروع النهر الصناعي؟ هل هو 50 سنة؟ وهل سينفذ فعلاً مخزون الحوض الجوفي النوبي بعد مرور 4860 سنة؟ وهل يمكن وضع خطط للتنمية المستدامة على هذا الافتراض؟، والحقيقة أن التنمية المستدامة من أهم عناصرها\*، ثبات أعداد السكان والظروف البيئية والوعي والإدارة المتكاملة للنظم البيئية والاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية ومن أهم أدوارها، إدارة جودة المياه والتنمية المستدامة (يعني ذلك لم تعد تهم كمية المياه بقدر الاهتمام بنوعيتها)، وهذا السؤال المطروح أعلاه أثار نقد الكثيرين من داخل وخارج ليبيا، وما يزيد الوضع سوءاً، ما نشرته الأمم المتحدة عبر برنامجها الإنمائي في تقريرها الدولي عام 2008، حيث ذكرت حرفياً، " أن مناطق عديدة من العالم النامي ستعاني من نقص إمداد المياه، إذ ستقلّ ل تدفقات المياه الخاصة بالشرب والاستخدامات الزراعية وتظهر ما تسمى بمناطق التوتر المائي" \*\*.

نظراً لمتطلبات معادلة الحياة، أقيم المشروع لنقل المياه الجوفية عبر أنابيب خراسانية مختلفة الأقطار، بلغ إجمالي عددها 585,296 أنبوباً، على خمس مراحل، وإجمالي المياه المزمع نقلها 6.57 مليون م<sup>3</sup>/اليوم توفر من جملة 1.350 بئراً، وذلك بأبعاد وتقنيات غير تقليدية، قُدرت إجمالي تكلفتها بـ 33.69

### تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

مليار دولار أمريكي لمدة 50 سنة، شاملة التشغيل والصيانة بناءً على مفاضلة اقتصادية بين كل البدائل الممكنة آنذاك للحصول على أكبر كمية من المياه (تكلفة استخراج المتر المكعب من المياه لكل دينار ليبي) <sup>(2)</sup>، والأمر هنا لا يخلو من المفاجآت (التقدم التقني والتحلوية)، وعقبات سير العمل (مشاكل أثناء تصميم وتنفيذ المشروع)، وعملية الإسراع في التنفيذ لغرض استدراك الحاجة الملحة لتوفير الإمدادات المائية الكافية وما ينتج عنها من أخطاء مكلفة.

تتمركز المشكلة حول: ما مدى مطابقة نوعية منظومة الحساونة - طرابلس لمواصفات مياه الشرب؟، وللإجابة عنها طُرح تساؤلان، الأول: هل مصدر مياه المنظومة غير متجدد؟، أما الثاني فهو: هل الكمية المسحوبة حالياً يمكن أن تؤثر في نوعية المياه؟

وتمت صياغة فرضيتين على ضوءهما كالآتي:-

**الفرضية الأولى:** إن مصدر مياه المنظومة في الأغلب هي مياه جوفية غير متجددة.

**الفرضية الثانية:** هناك اختلاف واضح في تركيز العناصر الكيميائية ما بين مصدر المياه والمنظومة (التجميع والإمداد).

بما أن المنطقة شهدت مشاريع لا حصر لها منها القائم ومنها قيد التنفيذ ومنها المتعاقد عليها، وما باتت تشهده اليوم من تغيرات مائية، وما الذي يمكن أن يطرأ عليها، الأمر الذي يتطلب وقفة جادة وسريعة لاستدراك ما يمكن وعليه تبرز الأهمية في الآتي:

1- إبراز أهمية المياه الجوفية بالنسبة لسكان جنوب ووسط ليبيا كونها المورد الوحيد عكس سكان الساحل (عنصر معادلة مياه التحلية).

2- إظهار أهمية التحليل الدوري والمستمر لمياه الإمداد المائي وتأثير نوعيته على الاستعمالات المختلفة.

وللوصول إلى نتائج علمية تم اعتماد المنهج التاريخي بتتبع نتائج التحاليل لمنظومة الحساونة- طرابلس حتى سنة 2007، ومقارنة نتائج تحاليل مصدرها بمنظومة السرير/تازربو، ثم بمنظومة الإمداد؛ وذلك لتتبع معدلات تركيز العناصر في المياه، وأُعيد في ذلك المنهج الإحصائي لاستخراج متوسط

تركيزها باستخدام بيانات تقارير جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي والهيئة العامة للمياه والمختبر المركزي لتحليل المياه بطرابلس، والدراسة الميدانية في سنة 2006، وقد تم عرضها في جداول وتمثيلها بيانياً وتفسير نتائجها علمياً.

#### ■ منظومة مياه السرير - سرت/ تازربو - بنغازي:

تم وضع حجر أساسها يوم 1984/8/28، وتتمثل في نقل 2 مليون م<sup>3</sup>/اليوم من المياه أي 730 مليون م<sup>3</sup>/ السنة من حقلي السرير و تازربو في جنوب شرق ليبيا، البالغ عدد آبارها 270 بئراً، موزعة على الحقلين، ففي الحقل الأول 150 بئراً منها 26 بئراً إنتاجياً و 24 بئراً احتياطياً وأعماقها في 450متراً، أما الثاني فيه 120 بئراً منها 08 بئراً إنتاجياً و 12 احتياطياً، وتتراوح أعماقها ما بين 400-600 متر، بالإضافة إلى 60 بئراً بين عميقة وضحلة للمراقبة موزعة بين الحقلين، منها 24 بئراً في الحقل الأول و 36 بئراً في الثاني<sup>(3)</sup>، وفي يوم 1989/9/11 وصلت المياه لخزان اجدابيا الرئيسي للتجميع والموازنة بسعة 4 مليون م<sup>3</sup>، ومنه تدفقت إلى خزاني عمر المختار (بنغازي) بسعة 4.7 مليون م<sup>3</sup> والقرضابية (سرت) بسعة 6.8 مليون م<sup>3</sup> وذلك في يومي 8/28 و 1991/9/4 على التوالي<sup>(4)</sup>؛ ولغرض الإمداد المائي الذي فرضته الحاجة الملحة واستدراك نقص مياه الشرب، شغلت المنظومة جزئياً من 1993/9/1 بـ 28 بئراً وتصاعدت إلى 30 و 34 بئراً في سنة 94 و 1995 على التوالي بطاقة إنتاجية لا تتجاوز 200 ألف م<sup>3</sup>/اليوم حُصص أغلبها لمدينة بنغازي<sup>(5)</sup>، الواقعة ضمن الشريط الساحلي في الجزء الشمالي الشرقي من ليبيا علماً بأن هناك ضخاً للمياه من حقل السرير الجنوبي بدأ منذ سنة 1975، ومن الشمالي في سنة 1980؛ وذلك لغرض الزراعة بمنطقة السرير<sup>(6)</sup>، وهما غير حقل غرب السرير التابع لمشروع النهر الصناعي في مرحلته الأولى<sup>(7)</sup>.

#### ■ منظومة مياه الحساونة - طرابلس:

وضع حجر أساسها يوم 1989/8/26، وتم التعاقد مع شركة (دونغ أه) الكورية يوم 1990/2/4، وتتمثل في نقل 2 مليون م<sup>3</sup>/اليوم من آبار حقول الحساونة في جنوب غرب ليبيا، البالغ عددها 484 بئراً، منها 479 بئراً منتجاً

### تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

بأعماق تتراوح ما بين 400-600م، مع وجود 39 إلى 53 كُتراً احتياطياً و 32 بئراً لمراقبة مستوى الماء الجوفي، وفي حقيبة الأمر صممت المنظومة بطاقة إنتاجية تسع 2,5 مليون م<sup>3</sup>/اليوم، على أن يُضاف 114 بئراً حسب المخطط له ونظراً للحاجة الملحة للإمداد المائي لمدينة طرابلس تمّ التشغيل الجزئي للمنظومة بواقع 80 بئراً فقط تابعة لحقل شرق جبل الحساونة الجنوبي بطاقة إنتاجية لا تتجاوز 300 ألف م<sup>3</sup>/اليوم حُصص أغلبها لمدينة طرابلس الواقعة ضمن الشريط الساحلي في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا، وفي يوم 1996/8/13 بُدئ التشغيل التجريبي للمسار الشرقي للمنظومة وتدفقت المياه في يوم 1996/8/24 إلى خزان القره بوللي بسعة 164.330 م<sup>3</sup> ومنه إلى خزان سيدي السائح (جنوب طرابلس) بسعة 217.596 م<sup>3</sup> وذلك في يوم 1996/8/28، وتدفقت منه إلى منظومة طرابلس في يوم 1996/9/1، وفي حين تمّ تشغيل حقل آبار شرق جبل الحساونة الشمالي في شهر سبتمبر سنة 1999، وبعدها تمّ الانتهاء من حقل آبار شرق الحساونة وتشغيله في سنة 2002، وهكذا وصلت نسبة إنجاز المنظومة 100% سنة 2006 باستثناء بعض الأعمال الإنشائية البسيطة والملحقة، ورغم ذلك فإن الكمية الفعلية للضح اليومي من المنظومة لا تتجاوز 600,000 م<sup>3</sup>/اليوم حتى سنة 2006، أي أنها تشتغل بنسبة 30% من طاقتها الإنتاجية<sup>(8)</sup>.

#### ■ نوعية مياه منظومتي السرير/ تازربو و الحساونة:

إن الغرض من إقحام فقرة نوعية مياه منظومة السرير/ تازربو هو تقييم نوعية مياه منظومة الحساونة باعتبار أن مصدرهما أحواض جوفية (حوضي السرير و مرزق) كوجه مقارنة فيما بعد مع شبكات توزيع طرابلس (أي ما بين المصدر وعملية الإمداد) وفق المعايير المعمول بها من قبل منظمة الصحة (Who) والمعايير الليبية، وكالمعتاد تجرى تحاليل جرثومية أو بكتيرية وكيميائية والتي تتم بطرق مختلفة منها التحاليل الحقلية ( ميدانية)، وذلك بجمع عينات من نقاط معينة تتوزع على جميع مكونات المشروع تتمثل في الآبار وخطوط التجميع وخطوط النقل الفرعية والرئيسية وكذلك الخزانات وفتحات التغذية ويتم فيها القيام بتحاليل الرقم الهيدروجيني ودرجة الحرارة والعسر

الكلية والفلوية الكلية وجهد الأوكسدة والاختزال وغاز الأوكسجين الذائب وثاني أكسيد الكربون و الكلور الحر المتبقي وكذلك الأملاح الكلية الذائبة وبعد ذلك يتم جمع عينتين لإجراء التحاليل المعملية؛ لإكمال الاختبارات الكيميائية والجرثومية في المعامل الموجودة في مواقع المشروع، فحسب ما يظهر من الجدول (1) أن إجمالي عدد العينات 146 عينة/الأسبوع، كما أن مجموع عدد التحاليل لكل عينة هو 20 تحليلاً، وبالتالي يكون إجمالي عدد التحاليل الأسبوعية 2920 تحليلاً<sup>(9)</sup>.

ويظهر الجدولين (2) و(3) نتائج تحليل مياه المنظومتين حتى شهر أغسطس 2007 ومن خلال مطالعتها يتضح الآتي:

1- أن جميع التحاليل من الناحية الجرثومية كانت ضمن نطاق الحدود المسموح بها في المواصفات القياسية الليبية والعالمية، مع ملاحظة أن عنصر العدد الكلي للبكتيريا في المياه هو 300 خلية في 100 ملي لتر ماء، وإذا تعدى 500 خلية في 100 ملي لتر ماء، يعني ذلك وجود مصدر تلوث، كما أن التحليل الخامس (الطحالب والفطريات) أُجْرِيَ فقط في الخزانات المفتوحة، ولتفاديها أُقيمت محطات كلورة على طول خطوط شبكة المنظومة كعملية حقن بأنبوب جانبي قبل خزانات التجميع والتوزيع وقبل خط توزيع المياه في محطات الضخ، هذا بالنسبة لمنظومة السرير تازربو، خلافاً لخزانات منظومة الحساونة المغلقة ذات سقف مغطى بمكونات أو طبقات عدة ومزودة بفتحات تهوية<sup>(10)</sup>.

### جدول (1)

عدد التحاليل لعينات المياه في الأسبوع من جميع منظومات المشروع العاملة حالياً

أنواع التحاليل	عدد العينات	إجمالي عدد التحاليل**
كيميائية	79	1264
جرثومية	67	268
المجموع	146	2920

المصدر: جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، "مشروع النهر الصناعي"، تقرير صادر عن جهاز

تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 24 سبتمبر 2007، ليبيا، ص 12.

تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

جدول (2)

متوسط نتائج التحاليل الجرثومية لمياه منظومتي السريير/تازربو و الحساونة حتى أغسطس 2007

رقم المؤشر	العنصر (المؤشر) خلية/100 لتر ماء	حقل آبار السريير	حقل آبار تازربو	حقل آبار الحساونة	الحد المسموح به
1	العدد الكلي للبكتيريا	300>100	300<100	50-10	500
2	مجموعة الكوليفورم	0.00	0.00	0.00	3
3	الكوليفورم المقاومة للحرارة	0.00	0.00	0.00	0.00
4	بكتيريا إشيرشيا كولاي	0.00	0.00	0.00	0.00
5	الطحالب والفطريات	0.00	0.00	0.00	0.00

المصدر: جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص 13.

جدول (3)

متوسط نتائج التحاليل الكيميائية لمياه منظومتي السريير/تازربو و الحساونة حتى أغسطس 2007

رقم المؤشر	العنصر	حقول الآبار		
		السريير	تازربو	الحساونة
1	درجة الحرارة/م	30.3	30.9	30.4
2	الرقم الهيدروجيني (PH)	7.59	7.12	7.59
3	التوصيل الكهربائي ميكروسيمنز/سنتمتر	1412	334	1518
4	مجموع الأملاح الذاتية ملجم/لتر	843	215	988
5	غاز ثاني أكسيد الكربون ملجم/لتر	>1.0	4.0	5.9
6	الأكسجين ملجم/لتر	3.6	4.1	5.4
7	القلوية الكلية ملجم/لتر	209	119	148
8	العسر الكلي ملجم/لتر	250	75	425
9	الكالسيوم ملجم/لتر	56	10	95
10	الماغنسيوم ملجم/لتر	36	12	40
11	الصوديوم ملجم/لتر	187	19	176
12	البوتاسيوم ملجم/لتر	10.3	30	7.3
13	الكربونات ملجم/لتر	0.15	0.02	0.00
14	البيكربونات ملجم/لتر	255	122	148
15	النترات ملجم/لتر	5	1.5	42.5
16	الكبريتات ملجم/لتر	229	20	-
17	جهد الأكسدة والاختزال ملي فولت	-	-	163

(-) غير محدد

المصدر: جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص.ص 13-15.

2- كذلك جميع التحاليل من الناحية الكيميائية كانت ضمن حدود المواصفات القياسية للمياه الليبية والعالمية، وبالتدقيق أكثر في الجدول يلاحظ، أن المواصفات النوعية لمياه حقل تازريو أجود من السرير و الحساونة، ما عدا عنصر غاز ثاني أكسيد الكربون والكربونات، بينما هناك تفاوت كبير في ستة عناصر بمياه حقل الحساونة عن الحقلين الآخرين وهي التوصيل الكهربى ومجموع الأملاح والعسر الكلى والكالسيوم والماغنسيوم والنترات، وهذه العناصر الثلاثة الأخيرة تربطها علاقة طردية بعسر الماء، بينما نوعية مياه حقل السرير تتفاوت عنهما في أربعة عناصر هي، القلوية الكلية والتي لها دلالة على أن الرقم الهيدروجيني ما فوق الرقم (7)، وكذلك عنصر الصوديوم والكربونات والبيكربونات؛ ونظراً لأهميتها للاستعمال البشرى عُولجت بعض مشاكل هذه العناصر كعملية خلط مياه الآبار العالية التركيز مع الأخرى المنخفضة التركيز ( كما حدث عند معالجة عنصر النترات مثلاً) كما أُقيمت أبراج تهوية في أنابيب تجميع المياه في حقل الآبار تستعمل فيها مراوح هوائية لطرد غاز ثاني أكسيد الكربون<sup>(11)</sup>.

لقد أُوجدت هذه المنظومات لنقل المياه كحل مؤقتة وسريعة لأزمة المياه في وقتها، وعلى أساس مصدرها غير متجدد، ولا تتلقى تغذية وتعتمد على كميات الانسياب الطبيعي من الجنوب إلى الشمال؛ وذلك من خلال الاتصال الهيدروليكي بين الطبقات الحاملة للمياه، فإنه يتوقع حدوث هبوط في مستوى المياه، فحسب دراسة النموذج الرياضى (Pizzi, 1984)، فإن مقدار الهبوط يتراوح ما بين 85 - 100م بعد خمسين سنة، نتيجة الضخ بمعدل 2 مليون م<sup>3</sup>/اليوم لحقل الحساونة حتى نهاية سنة 2046<sup>(12)</sup>، وهو ينصب في نفس توقعات (جيومات 1994) لمدة 11 سنة والذي كان في حدود 46 م بينما التوقع الفعلي لسنة 2007 كان 1م فقط مقارنةً بالتوقعات الأخرى، فحقل السرير وتازريو كانت على التوالي 7.0 و 26.5 م وهي أقل مما توقعه نموذج فيسك وبراون أندروت وهي 21.4 و 60 م على التوالي<sup>(13)</sup>، حسب ما هو وارد في الجدول (4).

## تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

### جدول (4)

أهم توقعات الهبوط لمنسوب مياه حقول السرير/تازربو و الحساونة حتى أغسطس 2007

الهبوط الفعلي (الحالي) (م)	معدل الضخ الحالي (م <sup>3</sup> /اليوم)	الهبوط الفعلي المتوقع (م)	توقعات النموذج الرياضي		المدة سنة	معدل الضخ (م <sup>3</sup> /اليوم)	الحقل
			الهبوط (م)	النموذج			
7.0	400.000	17.8	21.4	فيسك 1982	14	1000000	السرير
26.5	500.000	53	60	براون أندروت 1982	5	1000000	تازربو
11	600.000	36.66	45.75	جيومات 1994	11	2000000	الحساونة

المصدر: جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص 16.

### ■ نوعية مياه منظومة طرابلس:

وصلت مياه منظومة الحساونة إلى خزان سيد السائح يوم 1996/8/28 وفي يوم 1996/1/1 أصبحت منظومة مياه طرابلس تتزود عن طريقه، ومنه تتدفق المياه انسيابياً من تقريعه صلاح الدين إلى محطتي التحكم بالتدفق بطريق المطار والأخرى بعين زاره بقوة ضغط 5 بار إلى شبكات التوزيع للمدينة<sup>(14)</sup>، شكل(1)، ولتقييم نوعية مياهها تم الاعتماد على تحاليل سابقة لمياه الشبكات من سنة 1998 - 2006 وهي الفترة التي بدأ فيها الاهتمام بالاختبارات التحليلية وتوفرها في مختبر طرابلس، وتحليل سنة 2006 هو إجراء تحليلي ضمن الدراسة الميدانية في حينها، والتي تم تجميعها في الجدول (5)، ومن خلال مطالعته يتضح الآتي:

1- يظهر من قراءات جدول تحاليل المياه من سنة 1998 إلى 2006 أن مواصفاتها مقبولة حسب المعايير القياسية بوجه عام.

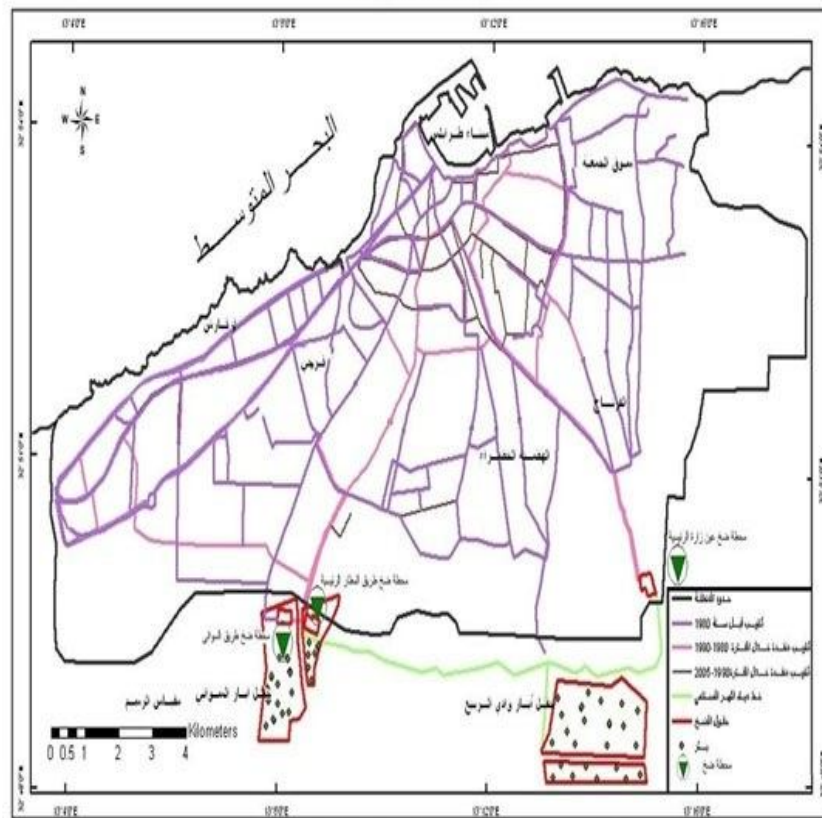
2- وبزيادة الدّمعن في الجدول يتبين أن هناك تفاوتاً في معدلات تركيز بعض العناصر عن المعايير القياسية الليبية في السنوات الأولى من ضخ المياه من 1996 إلى 1999، ففي سنتي 1998 و 1999 كان التوصيل الكهربائي 1720 و 1940 ميكروسيمنز/سننيمتر وهو فاق 1500 ميكروسيمنز/ سننيمتر كحد أقصى مسموح به حسب تقرير خاص باعتماد النتائج عن قسم مراقبة جودة المياه التابعة لمنظومة الحساونة - سهل الجفارة، وكذلك الكلوريدات 273.5 و 315.3 ملجم/لتر على التوالي الذي فاق 250 ملجم/لتر كحد أقصى، والبيكربونات 225.7 و 259 ملجم/لتر على التوالي وهي أيضاً فاقت 200 ملجم/لتر كحد أقصى، والنترات كان معدل تركيزها



75.3 ملجم/لتر في سنة 1998، وواضح أنه فاق 45 ملجم/لتر كحد أقصى مسموح به في المياه.

شكل (1)

شبكة مياه مدينة طرابلس



المصدر: هدى محمد الطاهر عمران، "التغير في الإمداد المائي بمدينة طرابلس للمدة ما بين 1990-2006 دراسة في جغرافية المياه"، رسالة ماجستير، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، الزاوية، ليبيا، 2007، ص 100.

تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

جدول (5)

معدلات تركيز العناصر الكيميائية بمياه منظومة طرابلس للفترة من 1998-

2006

رقم المؤشر	العنصر	السنوات					
		1998	1999	2001	2002 (2)	2004	2005
1	الرقم الهيدروجيني (PH)	7.61	7.37	7.46	7.90	7.52	7.71
2	التوصيل الكهربائي ميكروسيمنز/سننتيمتر	1720	1940	1180	1484 (4)	1660	1852
3	القلوية الكلية ملجم/لتر	180	209	233	-	170	167
4	العسر الكلي ملجم/لتر	416	420	414	390	400	375
5	مجموع الأملاح الذائبة ملجم/لتر	1130	1286	811	950	1110	1190
6	الصوديوم ملجم/لتر	370	8.1	30	152	66	132
7	الكالسيوم ملجم/لتر	113.8	84	119	99	128	95
8	الماغنسيوم ملجم/لتر	72.5	80.64	76	35	65.2	97
9	الكوريدات ملجم/لتر	273.5	315.3	207	234	883.6	301
10	الكبريتات ملجم/لتر	184.8	140	117	214	230	228
11	البكربونات ملجم/لتر	225.7	259	166	168	195	293
12	الحديد ملجم/لتر	-	-	-	-	-	-
13	البوتاسيوم ملجم/لتر	7.3	1.5	0.5	8	3.4	8
14	النترات ملجم/لتر	75.3	-	-	13	-	48
15	العكارة (NTU) وحدة	-	-	3.9	-	3.2	0.6

(-) غير محدد

المصدر: إعداد الباحثة استناداً إلى:

1. المختبر المركزي لتحليل المياه، طرابلس، 2006/11/20.
2. الهادي خليفة علي، أمال رمضان السائح، "مياه الشرب من الحساونة إلى طرابلس - نوعية المياه وأثرها على الاستعمالات المختلفة"، الهيئة العامة للمياه،

الإدارة العامة للتخطيط والمتابعة والإحصاء، جنزور، ليبيا، 2002، ص 18، 25، 26.

3. إجراء من قبل الباحثة 7 و 2006/11/11 بواسطة مختبر المركز النوعي لمصفاة الزاوية 7-2006/11/13 والمختبر المركزي لتحليل المياه بالزاوية، 2006/11/14.

4. من حساب الباحثة، باستخدام معادلة استخراج مجموع الأملاح الذائبة=التوصيل الكهربائي(ملي موز/سم)×460، وبحويله إلى ميكروسيمنز / سم = ملي موز/ سم×1000، عن المختبر المركزي لتحليل المياه، طرابلس، 2006/11/20.

5. بينما في سنتي 2001 و2002 يبدو جلياً أن معدلات تركيز العناصر ضمن المعدلات القصوى المسموح بها في مياه الشرب.

6. أما في سنة 2004 وما بعدها فيظهر التفاوت واضحاً في معدلات تركيز بعض العناصر، حيث فاقت معدلات تركيز التوصيل الكهربائي والأملاح الذائبة في السنوات 2004 و2005 و2006 حده الأقصى لكل منهما فكانت 1660 و1852 و1785 ميكروسيمنز/ سنتيمتر على التوالي و1110 و1190 و1143 ملجم/ لتر على التوالي عن 1000 ملجم/ لتر كحد أقصى، كما فاقت معدلات تركيز الكلوريدات 8836 و301 و334 ملجم/لتر عن 250 ملجم/لتر كحد أقصى، وهذا التركيز للإيونات السالبة يدل على وجود علاقة عكسية بالإيونات الموجبة للكالسيوم، بينما ارتفع معدل تركيز النترات في سنة 2005 عن 45 ملجم/لتر إلى 48 ملجم/لتر، وفي سنة 2006 فاق معدل تركيز الحديد الحد الأقصى وهو 0.3 ملجم /لتر فوصل إلى 0.10 ملجم /لتر.

7. أما من ناحية التحاليل الجرثومية فيبدو أنها مقبولة خصوصاً مع عملية حقن المياه بالكلور على طول شبكة المنظومة من المصدر إلى التوزيع، كما أنها ضمن الاختبارات الجرثومية والطعم والرائحة تعتبر مقبولة ونقية وفق المعدلات المسموح بها، حسب تقرير خاص باعتماد النتائج عن قسم مراقبة جودة المياه التابعة لشركة المياه والصرف الصحي<sup>(15)</sup>.

وبناءً على ما سبق عرضه في البيانات المتعلقة بنتائج التحاليل حتى أغسطس 2007، وما تمّ استخلاصه عن نوعية المياه بمنظومتي السرير/تازربو و الحساونة ومنظومة طرابلس، يتّضح أن هناك تفاوتاً في معدلات تركيز العناصر الكيميائية بين المنظومات ( المصدر والإمداد) من

### تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

ناحية ومع المعايير القياسية من ناحية أخرى، ويبرز ذلك جلياً في الجدول (6) ومن الشكل (2)، ومن خلالهما يتضح الآتي:

### جدول (6)

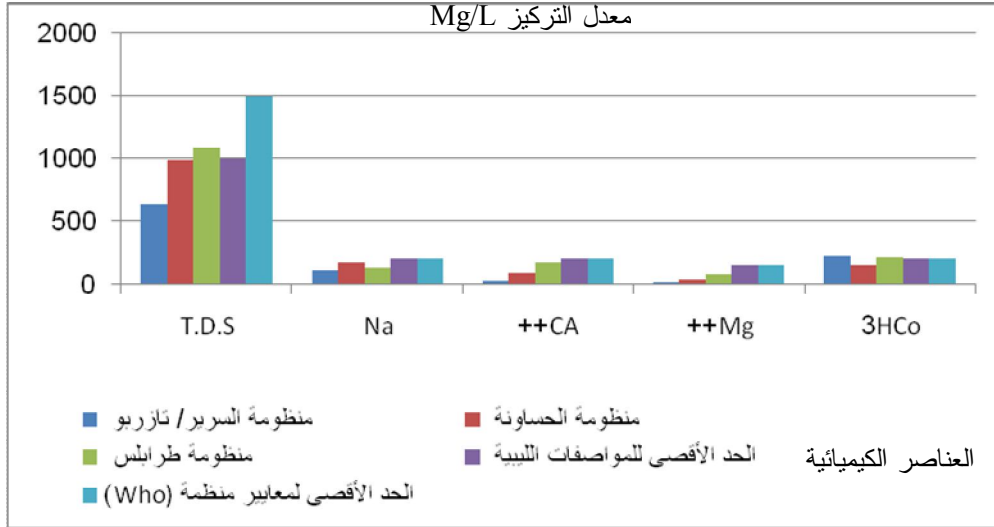
معدلات تركيز العناصر الكيميائية بمياه منظومات السرير/ تازروبو و

الحساونة - طرابلس بـ (ملجم/لتر) حتى أغسطس 2007

المواصفات القياسية لمياه الشرب (ملجم /لتر)		المنظومة			العنصر (ملجم/لتر)	رقم المؤشر
منظمة الصحة العالمية (WHO)	الليبية	طرابلس	الحساونة	السرير/ تازروبو		
1500-500	1000-500	1088	988	631	الأملاح الذائبة T.D.S	1
200 -	200-20	133	176	112	الصوديوم Na	2
200-75	200-75	171	95	28	الكالسيوم CA <sup>++</sup>	3
150-5	150-30	78	40	23	الماغنسيوم Mg <sup>++</sup>	4
200 -	200 -	211	148	228	البكربونات Hco3	5

المصدر: إعداد الباحثة، استناداً إلى جدولي (3) و(5).

شكل (2) معدلات تركيز العناصر الكيميائية بمياه منظومات السرير/تازربو والحساونة - طرابلس - (ملجم/لتر) حتى أغسطس 2007



المصدر: عمل الباحثة، اعتماداً على الجدول (6).

- 1- أن معدلات تركيز العناصر الكيميائية لمياه شرب المنظومات كانت ضمن معايير منظمة الصحة العالمية ما عدا عنصر البيكربونات والذي فاق معـدـل تركيزه وهو 228 و 211 ملجم/لتر في منظومتي السرير و طرابلس على التوالي، الحد الأقصى المسموح به وهو 200 ملجم/لتر.
- 2- بمقارنة معدلات تركيز العناصر بين منظومتي السرير/تازربو و الحساونة، تبدو أن الأولى أقل بكثير من الثانية ما عدا في تركيز عنصر البيكربونات والذي أيضاً يفوق المواصفات القياسية الليبية والعالمية.
- 3- أما بمقارنة معدلات تركيز العناصر بين منظومة طرابلس ومنظومة الحساونة التي تعد مصدر إمدادها، فتظهر في الأولى أكثر بكثير من الثانية حتى أنها قد تفوق المعدل الأقصى المسموح به في المعايير الليبية، ما عدا في تركيز عنصر الصوديوم وهو في الاثنين أقل من 200 ملجم /لتر كحد أقصى مسموح به لمياه الشرب.

## تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

ويمكن تفسير التفاوت السابق ذكره في معدلات تركيز العناصر بين المنظومات إلى الآتي:

1- بالنسبة إلى منظمتي نقل المياه (السرير/ تازربو) و الحساونة، تُعد مياهها من ناحية الجودة مقبولة فأغلب معدلات تركيز العناصر ضمن المواصفات الليبية والعالمية، رغم أنه من خلال ما سبق يظهر ارتفاع معدل تركيز عنصر البيكربونات إلى 228 ملجم/لتر في منظومة السرير/تازربو عن ما في منظومة الحساونة (148 ملجم/لتر) وعن 200 ملجم/لتر كحد أقصى مسموح به، وهذا ليس بغريب إذا علم أن حقيقة متوسط تركيزه في المياه الطبيعية هي 500 ملجم/لتر، وأهم مصادره هي الحجر الجيري وبالتالي فإن التكوينات الحاملة للمياه في حوض السرير/ تازربو، كما ورد في ورقة (سليمان صالح الباروني) <sup>(16)</sup> الموسومة بـ"الهبوط في منسوب المياه الناتج عن الاستغلال الجائر للمياه الجوفية في ليبيا" هي حجر رملي مع تداخلات من الحجر الجيري (ميوسيني و أوليجوسيني) بينما في حوض مرزق هي من الحجر الرملي السميك الواسع الانتشار (طباشيري سفلي - ترياسي "نوبي" والبالوزوي)، ونوعية مياهه جيدة تتراوح ملوحتها من 200 إلى 1500 ملجم/لتر، وفي هذا الخصوص أفاد المهندس (محمد الحجاجي) <sup>(17)</sup> في مقابلة شخصية، أن آبار منظومة الحساونة حُفرت بأعماق تتراوح ما بين 400 إلى 600 متر، ضمن الخزان الجوفي الكمبري الأردوفيشي غير الحبيس لتكوين الحساونة، وبالتالي كما يُذكر عن تقرير جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي 2007 <sup>(18)</sup> فإن حتى معدل الهبوط حسب النموذج الرياضي سيكون محدوداً سواء بمعدل الضخ الحالي أو المستقبلي، بينما تكرر من جهة أخرى (إمحمد نصر بلعيد) <sup>(19)</sup> في ورقته "الموارد المائية المتاحة بالجمهورية" أن منطقة السرير تمتد من شمال تازربو إلى جنوب الجبل الأخضر وتمتد غرباً لتشمل شرق سرت وأن هناك تناقض ملحوظ في سمك الحجر الرملي النوبي في جنوب المنطقة في اتجاه الشمال حيث يعلو الرسوبيات التي تتغير تدريجياً شمال خط جالو- مراده إلى صخور كربونات بحرية ضحلة وبهذه المنطقة يوجد مستودع مياه ضخ ذات نوعية جيدة تتراوح ملوحتها ما بين 200 إلى 1500 ملجم/لتر في وسط الحوض والتي تتغير إلى مياه مالحة في اتجاه الشمال بمجرد مرورها في صخور المتبخرات الموجودة في هذه المناطق خصوصاً شمال واحة أوجله.

2- أما ما يتعلق بمنظومة الحساونة طرابلس فهي أيضاً تُعد مياهها من ناحية الجودة مقبولة، وأن معدلات تركيز العناصر ضمن المواصفات العالمية، غير أن هناك تفاوتاً في معدل تركيز الأملاح الذائبة و البيكربونات في منظومة الإمداد طرابلس وهي 1088 ملجم/لتر و 211 ملجم/لتر عن 1000 و 200 ملجم/لتر كحد أقصى مسموح به في المعايير الليبية على التوالي هذا من ناحية، والأمر الآخر أن تركيزهما أيضاً يفوق تركيزها في منظومة المصدر (الحساونة) فكانا 908 و 148 ملجم/لتر على التوالي، فإذا ما رُجع إلى ما نُكر في تقرير جهاز تنفيذ وإدارة المشروع 2007<sup>(20)</sup>، وهذا نقلاً حرفياً عن جودة المياه ما فاده "تتميز مياه المشروع بأنها مياه جوفية وإن حدوث تلوث بها أمر بعيد الاحتمال، إلا أنه يتم إتباع الطرق المنصوص عليها بالمواصفات القياسية لمياه الشرب المعتمدة على المستوى المحلي وكذلك المواصفات القياسية الموصي بها عن طريق منظمة الصحة العالمية (Who) وبشكل دقيق وخلال مدار الساعة عن طريق خطط مدروسة"، يعني ذلك أن مياه الآبار التي تم حفرها ذات تركيزات متفاوتة وغير منتظمة في عناصرها وأن التقنيات العالية المستخدمة وعمليات خلط مياهها تؤدي إلى تفاوت تركيزها بالارتفاع أو الانخفاض من حين لآخر، وإذا ما رُكز على فقرة خطط مدروسة فيما سبق ذكره، ففي هذه الحالة نُكر المهندس (محمد الحجاجي)<sup>(21)</sup> في مقابلة شخصية، أن منظومة الحساونة باعتبارها كمصدر مهم لمياه الشرب فقد أُضيف على مياهها معالجات عدة غاية في الدقة والخطورة كعلاج تركيز النترات وهي معروفة العدد والمكان، والقيام بالتحليل بشكل دوري وكذلك علاج تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون عن طريق إقامة أبراج تهوية في أنابيب تجميع المياه في حقل الآبار تستعمل فيها مراوح هوائية لطرد الغاز، كما زُودت الخزانات المغلقة بفتحات تهوية للتخلص من غازات الأبخرة، ويؤكد ذلك ما ذكره (سالم محمد حمزة)<sup>(22)</sup> في ورقته "النترات و النتريت في مياه آبار حقل الحساونة - طرابلس"، حيث استنتج من تحاليه "وجود بعض الآبار التي تحتوي على كمية من النترات تفوق المعدل المسموح به وهو 10 ملجم/لتر نترات- نيتروجين...، أما بقية الآبار فتحتوي على كمية من النترات تحت المعدل المسموح به أو قريب منه، وأن نتيجة التحليل أظهرت أن كمية النترات و النتريت التي تحتويها مياه آبار حقل الحساونة عند خط التجميع والواصلة إلى خزان القره بوللي تعتبر تحت المعدل المسموح به، وهي من هذه الناحية

### تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

صالحة للاستعمال الأدمي والحيواني، إلا أن هذا لا يمنع من الاحتياط في استعمالها من قبل الأطفال الرضع خاصة تحت سن ستة أشهر لأنه يُكوّن مركباً من الهيموجلوبين أقل كفاءة في نقل الأكسجين مسبباً مرضاً يُعرف بمرض زُرقة الأطفال الذي يؤثر على التنفس ممّا يؤدي إلى وفاة الأطفال الرضع ونفوق الحيوانات الصغيرة"، كما فسّر (الهادي خليفة علي و أمال رمضان السائح) (23) في ورقتهما المشتركة الموسومة بـ"مياه الشرب من الحساونة إلى طرابلس- نوعية المياه وأثرها على الاستعمالات المختلفة"، الهبوط الحاد في متوسط تركيز النترات في 2002 في الآبار (47.5 ملجم/لتر) ومياه شرب المدينة (12.75 ملجم/لتر) إلى عملية خلط الآبار الكبيرة النسب مع قليلة و رَجّحاً احتمالية نقصها داخل الأنابيب الخرسانية أو تفاعلها مع الهواء الجوي، كما أشارا إلى أن احتمالية حدوث تلوث وتملح راجع إلى عدم وجود طبقات من الطين تعمل كحاجز لمياه الخزان السطحي ويمنعان التسرب إلى مياه الخزان الجوفي العميق فهو يعتبر خزان شبه حبيس ممّا يُسبب في تسرب المياه رأسياً خاصة بوجود تشققات بطبقات الحجر الرملي المكوّن للخزان الجوفي (الكامبري- أورد فيشي) وعليه يُفسّر ارتفاع تركيز الأملاح كالبيرونات والكبريتات والصوديوم والكالسيوم والماغنسيوم والنتيجة ارتفاع درجتي عسر المياه والقاعدية عن طريق التبخر بالطبقات العليا، وهذا يُفسر بدوره نوعية المياه من ناحية وعدم انتظام التركيز وتباينه بدرجة ملحوظة، كما أن ارتفاع نسبة تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون والأكسجين عامل مساعد على استخلاص المعادن من الصخور مع وجود الحرارة والضغط حيث تتكون الكربونات التي تتحول إلى بيكربونات في وجود المياه.

ورغم كل عمليات الخلط والمتابعة والمعالجات التي تتم في منظومة الحساونة إلا أن هناك تفاوتاً وعدم انتظام في تركيز بعض العناصر كالأملح الذائبة والبيكربونات، ويمكن أن يلعب قدم شبكة طرابلس في بعض المناطق خاصةً وسط المدينة التي يزيد عمر شبكتها عن 50 سنة دوراً في ذلك، حيث تبث أن معدل تركيز الحديد 0.10 ملجم/لتر، وإن الاستعمال لتلك الشبكات قليلاً، ممّا يجعل معدل الحديد فيها مرتفع، بالإضافة إلى مشكلات التآكل التي تحدث في الأنابيب ومن ضمن ما توصل إليه ( طارق سالم الصادق) (24) في ورقته الموسومة بـ" ظاهرة التآكل في الأنابيب الصاعدة للآبار وشبكات المياه"



بهذا الخصوص إلى أن وجود تداخل بين خطوط الأنابيب مع خطوط الخدمات الأخرى يؤدي إلى الإسراع في ظاهرة تآكل الأنابيب مع احتمالية تلوث المياه بسببها، كما أن عملية تآكلية المياه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتركيز العناصر الذائبة فيها مثل الأملاح والغازات بالإضافة إلى درجة الحرارة والرقم الهيدروجيني ومعادن الأنابيب والأوساط البيئية المحيطة بها كالتربة، فهناك أوساط داخل التربة قد تؤدي إلى سرعة ظهور التآكل كارتفاع نسبة الأملاح التي تؤدي إلى ارتفاع خاصية التوصيل الكهربائي كما حدث في انفجار إحدى خطوط الأنابيب في منطقة الكرامة بحي الأندلس رغم أنه تمّ تغييرها مؤخراً، أضف إلى ذلك مشاكل صمامات التحكم بسبب الترسبات، وفي إشارة أخرى تُرجّح ما سبق إلى أن المناطق التي لم يصلها مياه منظومة الحساونة كما جاء عن ( محمد الحميدي) في مقابلة شخصية<sup>(25)</sup> نتيجة لارتفاعها عن مستوى مواقع ضخ مياه الشبكة الرئيسية أو لضعف الضغط وقدم الشبكات فتتزوّد من آبار عميقة نسبياً بلغت 30 بئراً من آبار التقاسيم بإنتاجية تُقدر بـ 590 م<sup>3</sup>/اليوم مربوطة بشبكات المناطق الموجودة بها مباشرة في دائرة مغلقة عن الشبكة الرئيسية، مورّعة في كل من، سيدي سليم والهضبة الخضراء والفلاح في منطقة أبو سليم وأبوعرة الفلاح والهيشة وقرجي والديبي في منطقة حي الأندلس وفي منطقتي طرابلس المركز وسوق الجمعة، والراية الخضراء والحي الدبلوماسي وباب الفرنج في منطقة عين زارة، ورغم قرب باب الفرنج من محطة عين زارة الرئيسية إلا أنها تعتمد على ثمانية آبار في تزويد سكانها بالمياه في دائرة مغلقة، معنى ذلك إن شبكة الإمداد يمكن أن تساهم في ارتفاع وانخفاض الأملاح الذائبة خاصة مع ارتفاع الحرارة والضغط ووجود الغازات.

يُستخلص من خلال ما سبق عرضة، أن معدلات تركيز عناصر المياه في منظومة الحساونة - طرابلس غير منتظمة ومتفاوتة من حين لآخر، كما يظهر جلياً من تحاليل المياه حتى أغسطس 2007، حيث أن نتائجها تعطي صورة واضحة عن نوعية مياهها ومن خلال تفسيرها تمّ الوصول إلى النتائج الآتية:

1- أن مياه حقول الآبار مياه جوفية غنية بالأملاح ويرتبط تنوع وعدم انتظام تركيزها إلى تأثير المياه بتكوينات الطبقات الجيولوجية الحاملة لها وهي صخور الحجر الرملي والحجر الجيري والجبس بمنطقة حقول الآبار، وأن احتمالية

## تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

تلوثها وتملحها بعيد الاحتمال، إلا في حالة كونها خزان شبة حبيس ووجود النشاط الزراعي والبشري في المنطقة.

2- تعتبر نوعية مياه منظومة طرابلس مقبولة ضمن المعايير العالمية لمياه الشرب إلا أن تفاوت تركيز العناصر الكيميائية سيستمر بشكل غير منظم في السنوات القادمة، و زد على ذلك احتمالات التلوث واردة خاصة مع نشاط ظاهرة التلوث وقدم الشبكة وملحقاتها في بعض المناطق وحقيقة مصدر الإمداد، وهذا سيزيد في نسبة الأسر التي لا تشرب من مياه الشبكة عن (73%) حسب نتائج الدراسة الميدانية 11/20 - 2006/12/30.

3- هناك تنوع في مصادر الإمداد المائي بطرابلس من مياه نقل من خارج المنطقة إلى مياه التقاسيم ومياه نقل من داخل المنطقة المتمثلة في حقلي وادي الربيع- عين زارة والسواني- طريق المطار، بالإضافة إلى محطات التحلية الصغيرة والكبيرة التابعة لجهات عامة وخاصة.

وبناءً على ما تمّ استنتاجه عن نوعية مياه الحساونة- طرابلس، يُوصى بالآتي:

1- العمل بشكلٍ دوري على متابعة ومراقبة الخزانات الجوفية مصدر مياه المنظومة من ناحية الهبوط في مستوى الماء الجوفي، وجودة المياه من ناحية أخرى خاصة في المناطق المستغلة حالياً، كما يُوصى بالتحليل الدوري لمياه شبكة التوزيع والحرص على حقن المياه بالكلور عند الحد المسموح به للكلور المتبقي من 0.2 - 0.5 ملجم/لتر حفاظاً على جودة المياه التي هي أساس صحة الإنسان وسر حياته.

2- العمل على تنمية مصادر المياه وتنوعها كحماية حقول آبار طريق السواني ووادي الربيع وإقامة محطات تنقية وتحلية؛ لأن تنوعها يُفيد في بعض الأزمات الطارئة في حالة توقف منظومة الحساونة، ويمكن أخذ عملية التحلية في السعودية، وهي أكبر دول العالم إنتاجاً للمياه العذبة من مياه البحر المالحة بمعدل يصل إلى 1000 مليون م<sup>3</sup>/السنة ومشكلة نقصها في جدة في 2005/6/20 واشتدت الأزمة وتوقفت لمدة 3 أيام؛ بسبب عطل تقني فيها في شهر 2006/5، وكان الحل المقترح إما بإيجاد أودية جديدة أو بزيادة سعة المحطة والذي نجم عنها استغلال بطاقات الحجز والتجارة فيها وجعل الناس يتكثرون لذلك، صدر ذلك عن قناة mbc الفضائية في

**هدى محمد عمران**

شهر 5/2006، ويمكن الاستفادة من تجارب هذه الدول والاستعانة بالقدرات البشرية لديها.

## تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس

### الهوامش:

- (1) سورة المُلْك- الآية(30).
- \* محمد زبيده، "مبادئ التنمية المستدامة"، مجلة البيئة، إصدارات الهيئة العامة للبيئة، السنة الرابعة، العدد23، طرابلس، ليبيا، 2004، ص40
- \*\* جعفر صاحب، "الأمن المائي"، صحيفة الجامعة، صحيفة شهرية شاملة تصدر عن مكتب الإعلام بجامعة السابع من أبريل، السنة الخامسة، العدد 36، الزاوية، ليبيا، مارس2010، ص7.
- (2) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، "مشروع النهر الصناعي"، تقرير صادر عن جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 24 سبتمبر 2007، ليبيا، ص ص 7-20.
- (3) محمد عون شنة، "أضخم مشروع للري باستخدام المياه الجوفية المنقولة"، مجلة الهندسي، حي الأندلس، مطابع الثورة العربية، طرابلس، ليبيا، العددان 36-37، 1997، ص30.
- (4) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، "مشروع النهر الصناعي"، مطابع الثورة، بنغازي، ليبيا، 2005، ص ص 9-11.
- (5) عبد السلام الجحاوي، "تقرير عن المخطط المائي بمشروع النهر الصناعي"، جهاز استثمار مياه منظومة (جبل الحساونة- الجفارة) للنهر الصناعي، المكتبة، طرابلس، ليبيا، 1997، ص ص 13، 15.
- (6) سليمان صالح الباروني "الهبوط في منسوب المياه الناتج عن الاستغلال الجائر للمياه الجوفية في ليبيا"، الهيئة العامة للمياه، مركز الوثائق، ورشة العمل الوطنية الأولى حول إدارة الموارد المائية، طرابلس، ليبيا، 2003، ص14.
- (7) إمحمد نصر بلعيد، "الموارد المائية المتاحة بالجمهورية"، الهيئة العامة للمياه، مركز الوثائق، ورشة العمل الوطنية الأولى حول إدارة الموارد المائية، طرابلس، ليبيا، 2003، ص26.
- (8) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي (الحساونة – الجفارة) قسم التحكم والمعلومات، مكتب إدارة الصيانة، قصر بن غشير، ليبيا، 6 و8/23، 2006/9/10.
- (9) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص ص 11، 12.

- (10) محمد الحجاجي، وآخرون، مهندسون في مكتب إدارة الصيانة، قسم التحكم والمعلومات، جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي(الحساونة-سهل الجفارة)، مقابلة شخصية، قصر بن غشير، 2006/8/23.  
\*\*علماء بأن متوسط عدد التحليل الكيميائي لكل عينة 16 تحليلاً والجرثومية لكل عينة 4 تحاليل.
- (11) محمد الحجاجي، وآخرون، مصدر سابق، مقابلة شخصية.
- (12) إمام نصر بلعيد، مصدر سابق، ص.ص 5-10.
- (13) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص.ص 16-18.
- (14) عبد الرؤوف عيسى الورفلي، مشرف غرفة التحكم بطريق المطار، قسم التشغيل والصيانة، جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي ( الحساونة-الجفارة)، مقابلة شخصية، طرابلس، 2006/7/9.
- (15) محمد الشيباني، وآخرون، فنيون في وحدة الكلورة، قسم مراقبة جودة المياه، شركة طرابلس للمياه والصرف الصحي، مقابلة شخصية، طرابلس، 2006/11/9.
- (16) سليمان صالح الباروني، مصدر سابق، ص.3.
- (17) محمد الحجاجي، وآخرون، مصدر سابق، مقابلة شخصية.
- (18) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص.6.
- (19) إمام نصر بلعيد، مصدر سابق، ص.26.
- (20) جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي، 2007، مصدر سابق، ص.11.
- (21) محمد الحجاجي، وآخرون، مصدر سابق، مقابلة شخصية.
- (22) سالم محمد حمزة، " النترات والنترت في مياه آبار الحساونة-طرابلس"، الهيئة العامة للمياه، مركز الوثائق، جنزور، ليبيا، 1997، ص.ص 1-5.
- (23) الهادي خليفة علي، أمال رمضان السائح، " مياه الشرب من الحساونة إلى طرابلس- نوعية المياه وأثرها على الاستعمالات المختلفة، الهيئة العامة للمياه، الإدارة العامة للتخطيط والمتابعة والإحصاء، جنزور، ليبيا، 2002، ص.ص 20-28.
- (24) طارق سالم الصادق، " ظاهرة التآكل في الأنابيب الصاعدة للآبار وشبكات المياه"، اللجنة الشعبية العامة لمرافق بلدية طرابلس، مكتب

### **تقييم نوعية مياه منظومة طرابلس**

الدراسات والتصميم الحضري، ندوة علمية حول مياه الشرب، طرابلس، ليبيا، 12-14 / 1990/3، ص.ص 6-20.  
(25) محمد الحميدي، مدير إدارة المياه، شركة طرابلس للمياه والصرف الصحي، مقابلة شخصية، طرابلس، 2006/7/15.

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

أ. البشير الطاهر مسعود  
قسم الجغرافيا  
كلية الآداب - الزاوية

### المقدمة:

يتميز مناخ منطقة الدراسة بصفة عامة، بأنه حار جاف صيفاً بارداً ممطراً شتاءً، ويرجع ذلك إلى تأثير المنطقة بالكتل الهوائية المختلفة التي تمر عليها وتتأثر كذلك بالرياح الشمالية الغربية (الرياح العكسية)، المصاحبة للمنخفضات الجوية التي تتجه من الغرب إلى الشرق، والمسببة في سقوط الأمطار على المنطقة في فصل الشتاء<sup>(1)</sup>.

أما فصل الصيف، فيتميز بارتفاع درجة الحرارة والجفاف، وحتى عند هبوب الرياح الشمالية الشرقية (الرياح التجارية) من البحر إلى اليابس فلا تسقط أمطاراً، حيث إن هواء اليابس خلال هذا الفصل تكون حرارته أعلى من حرارة الهواء الملامس للمساحات المائية المجاورة، ومن ثم لا تساعد هذه الظروف عند حدوث التكاثف بل ينتشلت بخار الماء إلى أعلى، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الرطوبة في الهواء<sup>(2)</sup>.

وتتفاوت درجة الحرارة بين الصيف والشتاء، حيث يلاحظ ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف وتقل في فصل الشتاء، حيث سجلت أعلى درجة حرارة فكانت في شهر يونيو 1995، وصلت إلى 53 م°، وسجلت أقل درجة حرارة فكانت في شهر فبراير سنة 1999، حيث وصلت إلى 2.5 م° تحت الصفر، كما أن معدلات التبخر عالية، ويمتد موسم الأمطار من شهر أكتوبر إلى شهر مارس، إذ تتدرج المعدلات السنوية للأمطار من أقل من 190 ملم في جنوب منطقة الدراسة إلى أكثر من 250 ملم على الساحل.

## أ. البشير الطاهر مسعود

أما الرطوبة النسبية بمنطقة الدراسة فهي مرتفعة نسبياً على الساحل ومنخفضة قليلاً كلما اتجهنا جنوباً، حيث وصل المعدل العام للرطوبة النسبية إلى 65% .

وعلى ذلك يمكن القول إن المنطقة يسودها في أقصى الشمال مناخ شبه البحر المتوسط، حيث مراكز الاستقرار والنشاط الاقتصادي والعمراني، أي منطقة جذب بشري، ويسودها مناخ الأستبس في الجنوب، حيث النشاط الزراعي وتربية الحيوانات والرعي المتنقل.

ومن خلال ذلك يتضح أن مناخ المنطقة يمثل خليطاً من مناخ شبه البحر المتوسط، والمناخ الصحراوي، فقد يسود إحدهما على الآخر في بعض السنوات أو في بعض الفصول، بينما يسود الآخر في سنوات أو فصول أخرى<sup>(3)</sup>.

لذا فإن عملية التغير في المناخ تعتبر مشكلة اقتصادية واجتماعية وبيئية، تتطلب اهتماماً خاصاً لأنها تؤثر عكسياً على المنطقة ذات الموارد الطبيعية المحدودة، مثل التربة والمياه والغطاء النباتي .

### الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى :

- 1- إبراز أهمية موقع منطقة الدراسة، ومعرفة مناخها من حيث كميات الأمطار وتوزيعاتها الفصلية، ومعدلات الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح.
- 2- التعريف بالعوامل المؤثرة في مناخ المنطقة.
- 3- توضيح المشاكل التي تعانيها منطقة الدراسة من حيث القيمة الفعلية للأمطار.

### مشكلة الدراسة:

لما كانت منطقة الدراسة جزءاً من إقليم سهل الجفارة الذي يضم أكبر مساحة زراعية في ليبيا، إلا أن المنطقة تعاني التغير في معدلات الأمطار واستغلال المياه دون إتباع فترات محددة للري، كل ذلك يسبب سلبيات على المنطقة، الذي يجعل مشكلة الدراسة تتمحور في التساؤلات التالية:



## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

- 1- ما هي خصائص المناخ بمنطقة الدراسة، وما الدور الذي تلعبه الخصائص الجغرافية في الموازنة المائية المناخية؟
- 2- هل هناك تباين في عناصر المناخ المختلفة لمنطقة الدراسة وما أسبابها؟
- 3- ما هي ملامح التأثير المباشر لعناصر المناخ على أنواع النشاط الاقتصادي وما تأثيرها على بيئة الإنسان؟ .

### فرضياتها:

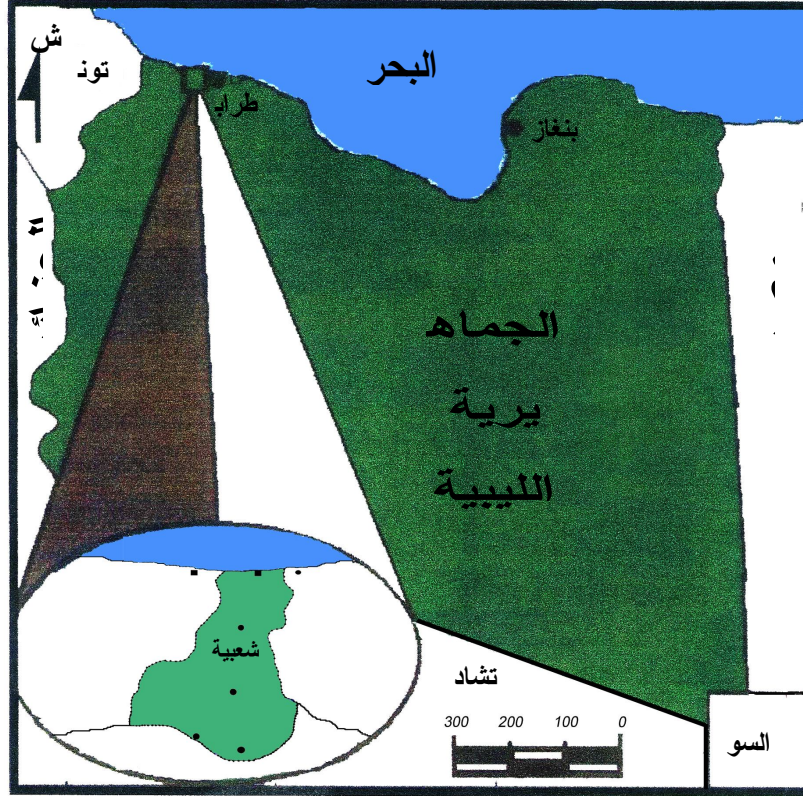
- 4- إن الخصائص الجغرافية لمنطقة الدراسة لها دورٌ كبيرٌ في تغيير اتجاهات عناصر مناخ المنطقة.
- 5- هناك تباين في التوزيع المكاني والزمني لعناصر المناخ بالمنطقة.
- 6- إن التطرفات المناخية وغياب الاستغلال الأمثل للموارد المرتبطة بها، يؤدي إلى اختلال في الموازنة المناخية والمائية، وحدوث تدهور في بيئة الإنسان.

### موقع منطقة الدراسة:

تقع منطقة الدراسة في أقصى شمال غرب ليبيا بين دائرتي عرض 14 ، 32 ، 39 ، 32 شمالاً، وبين خطي طول 25 ، 12 ، 60 ، 12 شرقاً بذلك فهي تمثل رقعة جغرافية تمتد من الشمال إلى الجنوب على شكل مستطيل بطول 65 كم، وتمتد من الشرق إلى الغرب مسافة 20 كم لتكون مساحة قدرها 1520 كم<sup>2</sup>، وتشكل ما نسبته 8.9%<sup>(4)</sup> من مساحة إقليم سهل الجفارة الواقعة ضمنه منطقة الدراسة، شكل (1)

أ. البشير الطاهر مسعود

شكل (1) الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة



المصدر: إبراهيم مصباح الرتيمي، تغير منسوب المياه الجوفية وأثره على بيئة منطقة الزاوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قس الجغرافية، جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 2004، ص 15.

#### عناصر مناخ المنطقة:

يتألف الهواء من مجموعة من العناصر تشمل حرارة الهواء ورطوبة الجو ومقدار المطر، والتبخر والرياح، وهذه العناصر هي نتيجة تفاعل بين عدد من العوامل التي تؤثر في الأحوال المناخية، مثل خط العرض، واختلاف طول

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

الليل والنهار، والتضاريس، وبعد المكان من البحر، ونوع التربة التي تغطي سطحه، والغطاء النباتي الذي يكسوه<sup>(5)</sup>.

**أولاً- درجة الحرارة:**

درجة الحرارة التي نذكرها في الدراسات المناخية، هي حرارة الهواء في الأماكن الظليلة التي لا تتأثر بأشعة الشمس تأثيراً مباشراً<sup>(6)</sup>، وتختلف الحرارة في منطقة الدراسة من فترة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر، وذلك تحت تأثير الدورة العامة للمناخ من ناحية، وموقع المنطقة الجغرافي والفلكي من ناحية أخرى. فامتداد منطقة الدراسة من الشمال إلى الجنوب، والذي يظهر على شكل مستطيل، كان له الأثر في تباين درجات الحرارة بين شمالها وجنوبها، حيث يكون تأثير البحر واضحاً في اعتدال درجة الحرارة على الأجزاء الشمالية والذي لا يتعدى عدة كيلومترات نحو الجنوب، وفي حين تسيطر المؤثرات الصحراوية على الأجزاء الجنوبية من المنطقة في بعض الفترات، إلا أن المعدل السنوي لدرجة الحرارة لا يختلف كثيراً بين شمال المنطقة وجنوبها كما في الجدول (1)

**جدول (1) متوسطات الحرارة الشهرية والمعدل السنوي بمحطات منطقتي الدراسة، وبعض محطات الرصد بسهل الجفارة**

المحطة	صبراته	صرمان	الزاوية	الزهرة	السيبعة	المعدل العام
يناير	13.0	13.0	11.5	12.7	12.5	12.7
فبراير	13.6	13.6	13.1	13.3	13.1	13.5
مارس	15.4	16.1	15.8	16.2	15.9	15.9
أبريل	17.6	18.8	18.6	19.0	19.7	18.7
مايو	21.1	23.1	22.7	23.8	25.0	22.8
يونيه	24.0	25.9	25.9	26.7	28.2	26.2
يوليو	26.2	27.7	27.2	28.1	29.8	27.6
أغسطس	27.3	28.7	28.2	29.0	30.1	28.5
سبتمبر	26.3	27.4	27.2	27.7	28.5	27.3
أكتوبر	23.3	23.4	23.6	23.1	24.3	23.5
نوفمبر	18.7	18.6	18.2	18.1	18.4	18.4
ديسمبر	14.3	14.3	13.9	14.2	13.9	14.2
المعدل الشهري	20.1	20.9	20.5	21.0	21.6	20.8

المصدر: تجميع الباحث بالاعتماد على بيانات الأرصاد الجوية، طرابلس.

## أ. البشير الطاهر مسعود

يلاحظ من خلال الجدول أن المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة تنخفض بوجه عام أثناء شهور الشتاء بمنطقة الدراسة والمناطق المجاورة لها وإن شهر يناير يُعد أبرد الشهور وترتفع إلى أقصاها في شهر يوليو، ويظهر التأثير القاري في انخفاض درجات حرارة شهر يناير، ويعزى ارتفاع درجات حرارة شهر فبراير نسبياً إلى هبوب الرياح الجنوبية الدافئة في هذا الشهر<sup>(7)</sup>.

كما أن مناخ منطقة الدراسة معتدل في درجات الحرارة، حيث إن المعدل العام لا يتجاوز 20.8 درجة مئوية، وأن المعدل الشهري يتراوح ما بين 20.1 إلى 21.6 درجة مئوية، إضافة إلى أن هناك تبايناً في معدلات درجات الحرارة بين فصل الشتاء، وفصل الصيف، فمعدل درجة الحرارة في فصل الشتاء خلال فترة الدراسة وصل إلى 13.3 درجة مئوية ومعدل درجة الحرارة في فصل الصيف خلال نفس الفترة فكانت 27.6 درجة مئوية كما في الجدول (2).

### جدول (2) معدل الحرارة في فصلي الصيف والشتاء، والمدى الحراري

الفصل المحطة	معدل الحرارة في فصل الصيف	معدل الحرارة في فصل الشتاء	المدى الحراري
صيراته	25.9	13.6	12.3
صرمان	27.4	13.6	13.8
الزاوية	27.1	12.8	14.3
الزهرة	27.9	13.4	14.5
السيبعة	29.4	13.2	16.2
المعدل الفصلي	27.6	13.3	14.2

**المصدر:** عمل الباحث استناداً إلى إحصائيات الأرصاد الجوية، طرابلس.

يلاحظ من الجدول تباين الفارق في درجات الحرارة بين فصلي الصيف والشتاء، وبالتالي فإن المدى الحراري يكون متبايناً أيضاً حيث وصل المعدل العام للمدى الحراري إلى 14.2 درجة مئوية، كما يتضح من الجدول التباين في اختلاف المدى الحراري بين كل المحطات، ففي المنطقة الداخلية سجل مدى حراري أكبر مما هو عليه في المحطات الساحلية، حيث وصل بمحطة أرصاد السيبعة 16.2 درجة مئوية في حين وصل بمحطة أرصاد الزاوية إلى 14.3 درجة مئوية وهذا راجع إلى قارية الأجزاء الداخلية لمنطقة الدراسة وتأثير البحر على المناطق الساحلية.

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

### ثانياً- الأمطار:

يعرف التساقط بأنه عودة جميع كميات المياه المتبخرة إلى سطح الأرض بعد عملية تشكيل الغيوم الممطرة وفقاً لعمليات فيزيائية معقدة، وحدوث تساقط بمظاهره المختلفة، كالمطر والثلج والبرد.

تعد الأمطار المصدر الرئيس للمياه السطحية ومياه الري بشكل عام، إذ تمثل العنصر الإيجابي من عناصر الموازنة المائية المناخية، باعتبارها تمثل كميات المياه المضافة إلى التربة، وبالتالي فهي تشكل العامل الأساس لموازنة رطوبة التربة<sup>(8)</sup>.

أما الأمطار بمنطقة الدراسة فإنها تعد أهم عناصر المناخ، حيث يؤدي اتجاه التغير العام في كمياتها بالزيادة والنقصان إلى تعاقب فترات الجفاف، بسبب وقوعها ضمن المناطق الجافة وشبه الجافة، إلى جانب ذلك تتميز المنطقة بالتغيرات الشهرية والسنوية في كميات الأمطار، وعليه فإن معدل الأمطار بالمنطقة خلال فترة الدراسة وصل إلى (258.2) ملم كما جدول (3) .

أ. البشير الطاهر مسعود

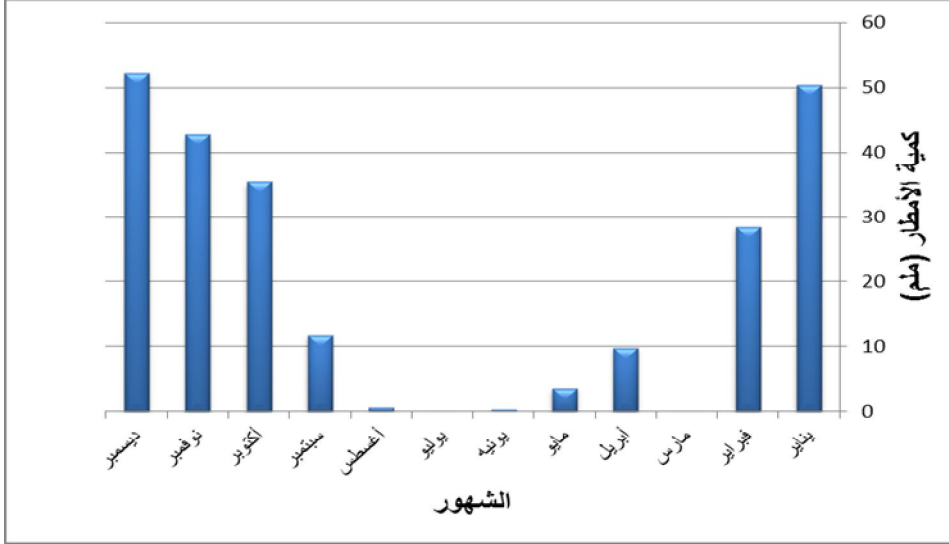
جدول (3) المعدل الشهري والمجموع السنوي لأمطار منطقة الدراسة خلال الفترة 1966-2009

المعدل	بنر الغنم	الماية	الزهرة	جوددانم	الزاوية	صرمان	المحطة
	-1966 2000	-1966 2000	-1966 2000	-1966 2000	-1966 2009	-1966 2009	الفترة الشهر
50.4	31.3	55.3	55.2	56.9	56.2	47.6	يناير
28.5	20.5	29.1	29.7	39.9	27.0	25.3	فبراير
8/22	19.9	25.3	26.6	29.6	17.9	17.2	مارس
9.8	9.6	10.1	11.7	9.9	8.4	9.1	أبريل
3.5	1.4	5.3	3.4	3.5	3.6	3.7	مايو
0.3	0.6	0.5	0.5	0.6	0.7	0.4	يونيه
00	0.0	0.0	0.0	0.0	0.1	00	يوليو
0.6	00	00	00	0.2	0.5	2.7	أغسطس
11.7	8.7	17.2	14.5	8.9	12.3	8.7	سبتمبر
35.4	30.8	38.2	41.3	32.0	37.6	32.2	أكتوبر
42.7	29.4	44.1	38.2	53.0	52.7	38.8	نوفمبر
52.2	33.2	57.7	51.6	57.6	60.2	53.0	ديسمبر
258.2	185.4	282.8	272.7	292.1	277.2	238.7	المجموع

المصدر: تجميع الباحث استناداً على بيانات الأرصاد الجوية طرابلس.

يلاحظ من خلال الجدول (3) إن أعلى معدل للإمطار بمنطقة الدراسة قد سجل بمحطة أمطار جوددانم، إذ بلغ المعدل 292.1 ملم ويليه محطة أرصاد الماية، حيث وصل المعدل إلى 282.8 ملم، أما محطة الزاوية قد وصل المعدل إلى 277.2 ملم ، وأن أقل معدل للإمطار قد سجل بمحطة بنر الغنم، حيث وصل إلى 185.4 ملم، كما يلاحظ أن معدلات الأمطار بالمنطقة تزداد بالاتجاه نحو الشرق وذلك راجع إلى موقع المنطقة تحت تأثير جبال أطلس التونسية التي تنصدي للمنخفضات الجوية القادمة من الغرب والمحملة بالأمطار، وبالتالي التقليل من فاعلية سقوطها على المنطقة، إضافة إلى شكل الساحل، حيث يتقوس للداخل نحو اليابس، وأكثر وضوحاً لهذا التقوس يبدأ من منطقة زوارة وينتهي عند منطقة الدراسة، حيث تكون الرياح الشمالية الغربية الممطرة (العكسية) تسير شبه موازية للساحل.

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية



الشكل (2) المعدل العام لكمية الأمطار بمنطقة الدراسة

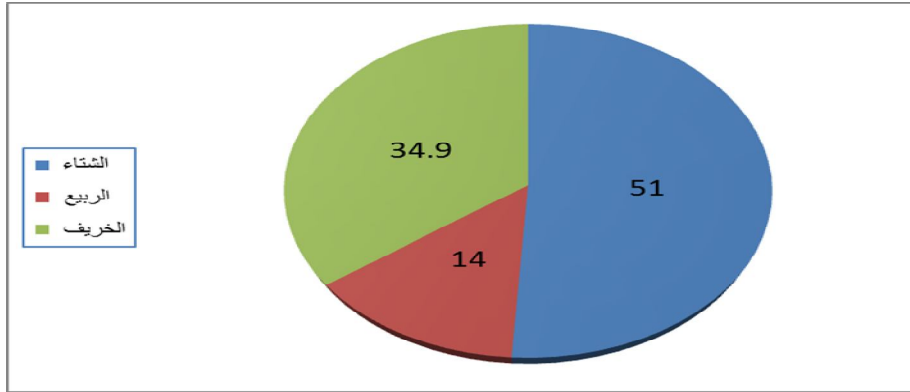
وتبدأ الأمطار في التساقط عادة في شهر سبتمبر، وتأخذ كمياتها في التزايد التدريجي حتى تبلغ ذروتها في فصل الشتاء، شهري (ديسمبر، يناير) ثم تبدأ في التناقص أكثر خلال الشهرين الآخرين من فصل الربيع (أبريل- مايو) وبذلك فإن فصل الصيف يمثل الفترة الجافة من السنة، وإن وجدت به أمطار فهي قليلة جداً، ولا تمثل أكثر من 1% من إجمالي الأمطار الهائلة خلال السنة، إضافة إلى انعدام قيمتها الفعلية، الأمر الذي دعا إلى ضرورة استبعادها كما في جدول (4).

أ. البشير الطاهر مسعود

جدول (4) التوزيع الفصل والنسب المئوية لأمطار المنطقة

المحطات	الربيع		الشتاء		الخريف		الفصول
	النسبة %	الكمية	النسبة %	الكمية	النسبة %	الكمية	
صرمان	12.7	30.0	53.4	125.9	33.8	79.7	100
الزاوية	10.8	29.9	52.0	143.4	37.2	102.6	100
جوددانم	14.8	43.3	52.9	154.4	32.2	93.9	100
الزهراء	15.3	41.7	50.1	136.5	34.5	94.0	100
الماية	14.4	40.7	50.3	142.1	35.2	99.5	100
بئر الغنم	16.7	30.9	46.0	85.0	37.3	68.9	100
المعدل	14.0	36.0	51.0	131.2	34.9	89.8	100

يلاحظ من خلال الجدول (4) أن مجموع المعدلات الفصلية لكميات المطر بلغ 257.1 ملم، استحوذ فصل الشتاء على نسبة كبيرة منها، إذ وصل المعدل العام لفصل الشتاء إلى 131.2 ملم من مجموع المعدلات الفصلية للأمطار حيث وصلت نسبته إلى 51.0%، يليه فصل الخريف الذي وصلت نسبته إلى 34.9% وأخيراً يأتي فصل الربيع الذي وصلت نسبته إلى 14.0% شكل(2) ويلاحظ كذلك أن فصل الشتاء يمثل قمة التوزيع الفصلي للأمطار نتيجة لتعرض المنطقة لتكرار عبور المنخفضات الجوية، وملانمة الظروف المناخية الأخرى التي تساعد على عمليات التساقط.



الشكل (3) التوزيع الفصل والنسب المئوية لأمطار المنطقة



## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

### ثالثاً- الرطوبة:

الرطوبة الجوية هي بخار الماء الذي يحتويه الهواء في حالة غير مرئية وهذه الرطوبة تغلب دوراً هاماً في الطقس والمناخ، فهي عامل أساس في تكوين السحب ومظاهر التساقط المختلفة، مثل المطر والثلج والبرد والضباب والندى والصقيع، وهذه المظاهر تحدث نتيجة لتكاثف الرطوبة الجوية عندما تنخفض درجة حرارة الهواء إلى ما دون نقطة الندى، وذلك بفعل الارتفاع وانتقال الهواء الرطب من منطقة دفيئة إلى أخرى باردة، وللرطوبة عدة أنواع ومنها:

### الرطوبة النسبية :

وهي التي تهمنا بصفة خاصة في دراسة المناخ، والمقصود بها النسبة المئوية لوزن بخار الماء الموجود في الهواء، إلى وزن ما يستطيع نفس هذا الهواء أن يحمله لكي يصل إلى حالة التشبع وهو في نفس درجة الحرارة<sup>(9)</sup>، وحساب قيمة الرطوبة النسبية في الهواء أمر ضروري في الدراسات المناخية والهيديورولوجية، نظراً لتأثيرها الكبير في عملية تبخر-نتح التي تتناسب مقاديرها تناسباً عكسياً مع كمية الرطوبة النسبية في الهواء . ويتم حساب الرطوبة النسبية بالمعادلة التالية:

$$ر.ن = \frac{ض}{ض ش} \times 100^{(10)}$$

### حيث:

ض: الضغط الجزئي لبخار الماء عند درجة حرارة معينة  
ض ش: ضغط بخار الماء في حالة تشبع عند درجة الحرارة السابقة.  
يعد الهواء جافاً إذا ما كانت نسبة الرطوبة به أقل من 50% وعادياً إذا كانت نسبته فيما بين 60-70%، وذا رطوبة عالية إذا زادت نسبته عن 70%<sup>(11)</sup>.  
ويختلف توزيع الرطوبة في منطقة الدراسة من مكان إلى آخر، فهي تزداد عند الساحل، وتنخفض كلما اتجهنا جنوباً، تحت تأثير عدة عوامل منها، القرب والبعد عن البحر، واختلاف درجات الحرارة وسرعة واتجاه الرياح، كما في الجدول(5).

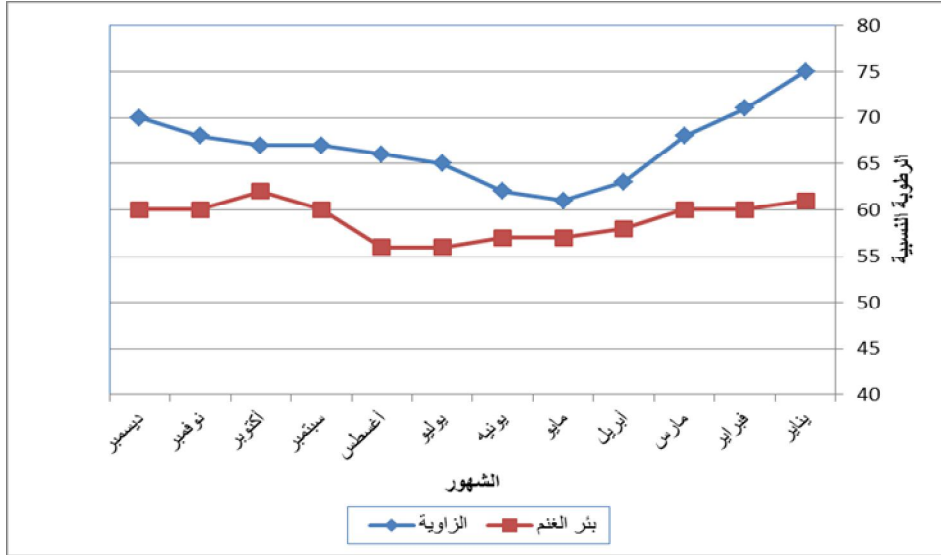
أ. البشير الطاهر مسعود

جدول (5) معدلات الرطوبة النسبية بمنطقة الدراسة وبعض المناطق الأخرى  
بسفهل الجفارة

المتوسط الشهري	بئر الغنم (%)	العزيفية (%)	زواره (%)	صرمان (%)	الزاوية (%)	النسبية الشهر
71	61	65	72	72	75	يناير
68	60	62	70	69	71	فبراير
66	60	59	71	67	68	مارس
62	58	53	73	60	63	أبريل
62	57	57	75	56	61	مايو
59	57	44	77	53	62	يونيه
60	56	46	76	54	65	يوليو
64	56	56	77	55	66	أغسطس
63	60	49	74	62	67	سبتمبر
65	62	57	74	63	67	أكتوبر
67	60	61	71	67	68	نوفمبر
66	60	63	73	58	70	ديسمبر
65	59	56	74	62	67	المعدل السنوي
	45 كم	40 كم	2 كم	10 كم	5 كم	البعد عن البحر

يلاحظ من الجدول السابق أن أقل متوسط الشهري سجل لمحطة العزيفية فقد وصلت الرطوبة النسبية إلى 56% ، في حين ان أكبر متوسط شهري سجل بمحطة أرصاد زواره حيث وصلت الرطوبة النسبية إلى 74% ، ثم محطة أرصاد الزاوية حيث وصلت الرطوبة النسبية إلى 67% ، وسبب ارتفاع رطوبة محطتي أرصاد زواره والزاوية، نتيجة لوقوعها على ساحل البحر بعكس العزيفية التي تبعد عن البرح بأكثر من 30 كيلومتر وبالتالي بعدها عن المؤثرات البحرية.

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية



الشكل (4) معدلات الرطوبة النسبية لمحطتي أرصاد الزاوية وبئر الغنم

### التبخر :

يطلق على عملية التبخر فيزيائياً بأنها: تحول الماء من حالته السائلة أو الصلبة (الثلج) إلى الحالة الغازية، على شكل بخار ماء متطاير بالهواء، ويعد التبخر أحد عناصر المناخ الذي يلعب دور عامل الفقد في الموازنة المائية إضافة إلى كونه طرفاً مهماً في الدورة الهيدرولوجية، وأنه يشكل أهمية كبرى في تحديد الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية<sup>(12)</sup>، وإن دراسة عنصر التبخر ومعرفة كميات المياه اللازمة لعمليات الري، هوالحيلولة دون حدوث ظاهرة الجفاف، وتدهور الإنتاج الزراعي خلال فترات شح الأمطار، والحد من عملية استنزاف المياه المستعملة في عمليات الري، وإمكانية التحكم فيها واستغلالها بالشكل الصحيح في ظل ما تعانيه منطقة الدراسة من الوضع المائي المتردي.

تتأثر عملية التبخر الكلي بعدة عوامل أهمها: درجة الحرارة، وسرعة الرياح، الرطوبة النسبية، الارتفاع عن سطح البحر، نوعية التربة ورطوبتها والغطاء النباتي. إذ تزداد معدلات التبخر مع ازدياد درجة الحرارة، وسرعة

### أ. البشير الطاهر مسعود

الرياح، وتقل كلما كانت الرطوبة النسبية مرتفعة، وزاد الارتفاع عن سطح البحر.

وتتم عملية حساب معدلات التبخر بطرائق حسابية عدة، ومعادلات مختلفة إلا أن معادلة "إيفانوف" من المعادلات الأساسية لحساب التبخر الممكن (E) وأكثرها ملاءمة لظروف منطقة الدراسة المناخية، وإن استعمالها يستوجب معرفة المتوسط الشهري لدرجة الحرارة، والرطوبة النسبية. وقد جاءت صيغة المعادلة على الشكل التالي<sup>(13)</sup>:

$$E = 0.0018 (T + 25)^2 (100 - RH)$$

حيث إن :

E: كمية التبخر الممكن بـ ملم/شهر)

T: المتوسط الشهري لدرجة الحرارة.

RH: المتوسط الشهري للرطوبة النسبية

الأرقام: ثوابت.

وبتحليل بيانات متوسطات الحرارة الشهرية، وكذلك الرطوبة النسبية واستخدام المعادلة السابقة، أمكن الحصول على المعدلات الشهرية والسنوية للتبخر الممكن، ومن ثم مقارنتها بالمعدلات الشهرية كالأمتار، لتقدير قيمة العجز المائي، كما في الجدول (6)

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

جدول (6) معدلات التبخر والعجز المائي بمحطة أرصاد الزاوية بحسب معادلة "أيفانوف"

الشهر	متوسط الحرارة م°	متوسط الرطوبة النسبية	متوسط المطر (مم)	قيمة التبخر (مم)	العجز (مم)
يناير	12.7	75	56.2	64.0	7.8
فبراير	13.7	71	27.0	78.2	51.2
مارس	13.6	68	17.9	94.9	77.0
أبريل	20.4	63	8.4	137.3	128.9
مايو	22.8	61	3.6	160.4	156.8
يونيه	21.3	62	0.7	108.0	107.3
يوليو	27.0	65	0.1	170.4	170.3
أغسطس	27.8	66	01.5	170.6	170.1
سبتمبر	27.7	67	12.3	91.7	79.4
أكتوبر	23.8	67	37.6	141.5	103.9
نوفمبر	18.5	68	52.7	109.0	56.3
ديسمبر	13.3	70	60.2	79.2	19.0
المجموع	-	-	277.7	1405.2	1127.5

من خلال جدول (6) يتبين أن المعدل السنوي للأمطار وصل إلى 277.7 ملم والمعدل السنوي للتبخر وصل إلى 1405.2 ملم، ومعدل العجز المائي بلغ 1127.5 ، ومن خلال ذلك تبين أن مناخ المنطقة لا يخرج عن نطاق المناخ الجاف وشبه الجاف على الرغم من وقوعها على ساحل البحر المتوسط ، حيث لا تتميز بمناخ البحر المتوسط إلا في نطاق ساحلي ضيق جداً.

### الرياح:

يقصد بالرياح هي الهواء في حالة حركة، وقد ميز الجغرافيون بين الرياح والتيار، باعتبار حركة الرياح حركة أفقية وحركة التيار حركة رأسية، والرياح من العناصر المهمة في الأحوال الجوية، فالرياح التي تهب من المناطق الباردة تجلب معها البرودة، والرياح التي تهب من المناطق الساخنة تجلب معها

## أ. البشير الطاهر مسعود

الدفء، وتقاس اتجاه الرياح بجهاز يسمى "دوارة الرياح" ويستخدم لقياس سرعة الرياح جهاز ويسمى "الايتمومتر".

### أنواع الرياح بمنقطة الدراسة:

#### 1-الرياح التجارية:

تسود هذه الرياح على الجزء الشمالي من المنطقة، وذلك خلال فصل الصيف، ويكون اتجاهها شمالية شرقية وتعمل هذه الرياح على تلطيف الجو على الساحل، وتمتاز هذه الرياح على وجه العموم باعتدال سرعتها وقلة تغير اتجاهها من فصل إلى آخر.

#### 2-رياح القبلي:

وهي رياح محلية تهب من الصحراء في أواخر فصل الربيع، وأوائل فصل الصيف، وعندما تهب هذه الرياح تسبب في ارتفاع درجة الحرارة المفاجئ، وكذلك انخفاض الرطوبة النسبية، وتجلب الرياح القبلي العواصف الترابية من قلب الصحراء.

#### 3-الرياح الشمالية والشمالية الغربية:

تهب هذه الرياح خلال فصل الشتاء، وفي حالات أقل خلال فصلي الربيع والخريف، وكذلك في مؤخرة الانخفاضات الجوية التي تمر على المنطقة والقادمة من الغرب والمتجهة نحو الشرق، مما تسبب في انخفاض درجة الحرارة، وسقوط الأمطار، وتجلب هذه الرياح معها في بعض الأحيان رياحاً قطبية، تتسبب في هبوب موجات برد قارص تؤثر في منطقة الدراسة نتيجة لانخفاض درجة الحرارة انخفاضاً شديداً، وخلال فصل الربيع والخريف فإنه من الصعب تحديد الاتجاه السائد للرياح، بسبب الاختلاف والتباين بين خصائص الكتل الهوائية المارة. كما في جدول (7)

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

جدول (7) المعدلات الشهرية لاتجاه الرياح بالمنطقة الدراسة

الاتجاه الفصول	شمالية	شمال شرقية	شرقية	جنوبية شرقية	جنوبية	جنوبية غربية	غربية	شمالية غربية	سكون
الشتاء	6.1	8.2	11.0	12.0	19.0	19.1	19.0	21.2	2.2
الربيع	6.1	21.1	13.2	10.1	8.1	9.0	9.1	17.8	3.2
الصيف	9.2	31.3	12.6	8.2	4.2	4.2	3.1	9.3	4.3
الخريف	7.1	19.2	10.4	14.0	12.1	10.1	8.0	13.6	3.2
المعدل السنوي	7.1	20.0	11.8	11.1	10.9	10.6	9.8	15.5	3.2

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن الرياح السائدة في فصل الشتاء هي الرياح الشمالية الغربية بلردة التي تلعب دوراً أساسياً لنجاح الموسم الزراعي بما تحمله من أمطار، وخلال فصل الصيف فصل السنة الدافئ تعمل الرياح الشمالية والشمالية الشرقية على تلطيف درجة الحرارة ، كما تهب الرياح الجنوبية (القبلي) الحارة والجافة وتعمل على رفع درجات الحرارة وزيادة معدلات التبخر وبالتالي تؤدي إلى زيادة الاستهلاك المائي.

### أثر المناخ على بيئة الإنسان :

ليس من شك في أن المناخ هو أهم العوامل الطبيعية التي تتدخل في تكوين التربة وحياتة النبات والحيوان بجميع أنواعه، وليس الإنسان بأقل الكائنات الحية تأثراً بهذا العامل سواء في الماضي أو الحاضر، ولن يستطيع مهما طال الزمن أن يتحرر نهائياً من سيطرته عليه، وتحكمه في مشروعاته وأرزاقه...<sup>(14)</sup>

### 1) أثر المناخ على التربة:

يؤثر المناخ بجميع عناصره، من حرارة، وأمطار، ورياح، ورطوبة نسبية وتبخّر-نتح، على التربة، بإحداث عملية التجوية بنوعها الطبيعية والكيميائية وعمليات الفقد والإضافة، والغسيل، ونقل المواد داخل قطاعات التربة، ويظهر تأثير المناخ في تغير بعض الصفات الموروثة للتربة واكتساب صفات جديدة تختلف عن المادة الأصل، لذلك فإن أي عنصر من عناصر المناخ يؤثر في نوعية وخصائص التربة، وتعمل بصورة منفردة ومجمعة على تجوية الصخور لتحويل مواد الأصل إلى ترب. إضافة إلى ذلك يعمل المناخ، على

## أ. البشير الطاهر مسعود

تراكم الأملاح القابلة للذوبان في وسط التربة، وينشأ عنها التربة الملحية، وتنتشر الأراضي المحلية في المناطق الجافة وشبه الجافة، ويعود سبب ذلك إلى قلة سقوط الأمطار، وزيادة التبخر، الذي يعمل على تركيز الأملاح في وسط التربة.

### أثر المناخ على الزراعة:

إن الظروف المناخية تلعب الدور الرئيس في تحديد وتطور النهضة الزراعية، حيث العلاقة الوثيقة بين الزراعة وظروف الطقس والمناخ، ولربما كانت الزراعة هي أكثر الأنشطة تأثيراً بالبيئة المناخية<sup>(15)</sup>.

إن صعوبة ظروف البيئة الطبيعية بمنطقة الدراسة، المتمثلة في قسوة المناخ وشح الموارد المائية تعد أهم مشكلة تعرقل ممارسة النشاط الزراعي، فالمناخ والطبوغرافية يكونان بيئة قاسية لعمليات الإنتاج الزراعي، الذي يمثل مصدراً أساسياً لغذاء السكان.

فالزراعة تعتمد على أهم عنصرين، هما: المياه الجوفية، والمياه السطحية الناتجة عن تساقط الأمطار، التي ليست قليلة الكمية فحسب، بل هي أيضاً متذبذبة في كميتها من سنة إلى أخرى، لذلك من الصعوبة بمكان قيام نشاط زراعي معتمد على موارد مائية شحيحة، بسبب تغلب عوامل تبخر-نتح على الكميات الساقطة من الأمطار في المنطقة.

إن المشاكل والصعوبات التي تواجه الزراعة والتنمية الزراعية في المنطقة ذات أبعاد متعددة، فالأمطار متذبذبة، ولا يعول عليها كثيراً، والموارد المائية الجوفية في المناطق الساحلية متدهورة بسبب هبوط مستوى الماء الباطني نتيجة للسحب الجائر، وتداخل مياه البحر، وخاصة في الجزء الشمالي من المنطقة ومحدودية الأراضي الزراعية، كل هذا يمثل عائقاً لزيادة الإنتاج الزراعي<sup>(16)</sup>.

### أثر المناخ على هبوط منسوب المياه الجوفية:



## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

المياه بمنطقة الدراسة تتعرض للاستنزاف الشديد باستمرار أي أن معدل السحب من مياهه أكثر من معدل التغذية، الذي تؤمنه كميات الأمطار الهائلة والتي تذبذب بين فترة وأخرى في كمياتها، وموعد سقوطها، ويتراوح معدل سقوط الأمطار في اغلب أجزاء المنقطة ما بين 180 ملم إلى أقل من 300 ملم في السنة، تلك المعدلات التي تفرض علينا تصنيفاً يجعله ضمن المناخ الجاف علاوة على ما يفقده عن طريق التبخر-نتح، والجريان السطحي، وكذلك نوع التربة، والتكوين الجيولوجي، الأمر الذي يترك عجزاً مائياً كبيراً، بسبب تفوق معدلات السحب على معدلات التغذية، وبالتالي انخفاض منسوب الماء الجوفي الذي ينتج عنه مشاكل بيئية من الصعب علاجها إذا تفاقم أثرها، كتدهور نوعية المياه\*، وتداخل مياه البحر إليها، مما يتسبب في تملح التربة، وتعرضها للتصحّر بفعل ذلك...<sup>(17)</sup>. وأن كل التعاملات غير الصحيحة مع ذلك المورد ستتراكم مع مرور الزمن، وتؤدي إلى حدوث خلل بيئي من الصعب تقدير مده.

### الخاتمة:

إن المناخ هو المتحكم الأول في توزيع الحياة النباتية والحيوانية، وهو الذي يفرض على الزّراع أن يتبعوا نظماً خاصة في توزيع محصولاتهم على فصول السنة، كذلك يعد عاملاً أساسياً في تكوين التربة التي تعتبر مع المياه العذبة الأساس الأول لوجود الإنسان وبقائه، كما أن النباتات الطبيعية، وتباين أنواعها وتوزيعها ليست إلا أثراً من آثار الظروف المناخية وتباينها من مكان إلى آخر. وبصفة عامة يمكن القول إن البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، كوعاء شامل لعناصر الثروة الطبيعية المتجددة وغير المتجددة، وعلاقة البيئة بالإنسان متبادلة الأثر والتأثير. والبيئة بهذا المفهوم، تمثل المصدر الذي يحصل منه الإنسان على مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى، وهي الإطار الذي يحيا فيه البشر، ويمارسون علاقتهم التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية، والعادات والأخلاق والقيم والأديان، فهل نستطيع حماية المحيط الذي يعيش فيه الإنسان

\* يقصد بتدهور نوعية المياه الجوفية: أي تغير يطرأ على الخواص الطبيعية والكيميائية للمياه.

## أ. البشير الطاهر مسعود

وجميع الكائنات الحية، بما في ذلك الهواء والماء والتربة من الشهور والمحافظة على موارده؟

### النتائج:

1. تتميز المنطقة بمناخ جاف وشبه جاف، بسبب تذبذب أمطارها السنوية وتطرفات الحرارة، مما جعل البخر الكلي يتفوق على كميات أمطارها الهائلة، والذي انعكست آثاره على كثافة نباتاتها الطبيعية، وفاعلية الترب التي تنمو فيها.
2. سجلت معدلات الأمطار الفصلية بمنطقة الدراسة تبايناً ملحوظاً، حيث سجل معدل أمطار فصل الشتاء نسبة بلغت (51.0%) من معدل الأمطار السنوية وفصل الخريف بلغت نسبته (34.9%)، ولم تتجاوز نسبة أمطار الربيع عن (14.0%).
3. الفترة الممتدة من شهر نوفمبر وحتى شهر فبراير تعتبر محلة الفائض المائي بالتربة، وبالتالي فهي تمثل الفترة الإيجابية للعمليات الزراعية بمنطقة الدراسة، والفترة الممتدة من شهر مارس حتى أكتوبر فترة حرجة للعمليات الزراعية باعتبارها تمثل امتداداً لمرحلة العجز المائي بالمنطقة.
4. إن للأمطار أثراً كبيراً في زيادة رطوبة التربة، وأن الفقد الكبير للتربة بواسطة التعرية الريحية بالنسبة للمناطق الجافة وشبه الجافة، يرجع إلى قلة الأمطار وجفاف سطح التربة لفترة طويلة من الزمن.
5. إن قلة الأمطار، وعدم انتظامها، وارتفاع درجة الحرارة يجعل منطقة الدراسة تتصف بغطاء نباتي فقير، باستثناء الجزء الشمالي منها.
6. يلعب الغطاء النباتي دوراً مهماً في حياة الإنسان، سواء كان مصدراً اقتصادياً له أهميته أم عامل حفظ وصيانة للنظم البيئية من أي تلف وتدمير.

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

### التوصيات :

1. العمل على إنشاء شبكات جديدة من محطات الأرصاد المختلفة (السطحية المناخية، الزراعية، الأمطار) والاهتمام بشكل خاص بمحطات أرصاد وقياس الأمطار تقنياً وفنياً، واختيار العنصر الكفء لها. مع إدراج رصد الإشعاع، وقياس التلوث .
2. يجب الاستفادة من مياه الأمطار، وخاصة الأمطار الساقطة على المدن وذلك من خلال إقامة الخزانات المائية لحفظ المياه، واستعمالها في عملية الزراعة والاستخدامات الخدمية المختلفة، بدلاً من صرفها إلى البحر.
3. يجب توعية السكان بتقنين استعمال المياه، وعلى الجهات المختصة العمل على وضع رسوم مالية على كميات المياه المصروفة أعلى من المعدلات المسموح بها.
4. يجب العمل على تقنين أنواع المحاصيل المزرعة، وذلك بالحد من زراعة بعض المحاصيل الزراعية ذات الاحتياجات المائية الكبيرة في وضع مائي متدهور، وإن لزمته فيجب زراعتها في منطقة ضيقة توفر الاحتياجات المحلية فقط، ومنع زراعتها لتكون سلعاً تباع بأقل من تكلفتها.
5. ضرورة التخلص من الآبار الملوثة بنسب عالية من المركبات الزائدة عن الحدود المسموح بها، والتي تستخدم في تغطية احتياجات السكان والزراعة والصناعة.
6. تشجيع حملات التشجير المكثفة بالمنطقة، وبشكل خاص الأجزاء المعرضة لعمليات التعرية للمحافظة على الطبقة السطحية، من التربة، وحماية المدن والقرى من تكرار حدوث العواصف الرملية .
7. المحافظة على الغطاء النباتي من الرعي الجائر، وقطع أشجار الغابات وإشعال الحرائق، ومعرفة أسباب تدهور الغطاء النباتي في المنطقة ومعالجته.
8. على الدولة أن تتدخل بقوة القانون للمحافظة على المياه وحمايتها من الهدر في الأراضي غير الصالحة للزراعة، وخاصة في الأراضي الرملية القريبة

**أ. البشير الطاهر مسعود**

من مراكز المدن، والتي تتمتع بمياه جوفية عالية الجودة، والاستفادة منها للاستهلاك البشري واستغلال هذه الأراضي في خطة مستقبلية للتطور العمراني.

## تغير المناخ وأثره في بيئة الإنسان بمنطقة الزاوية

### الهوامش:

- (1) الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي لليبييا، الجزء الثاني، ديسمبر 1999، ص 7.
- (2) البشير الطاهر مسعود، التغير في معدلات وأثرها في التصحر على شمال غربي الجماهيرية، رسالة ماجستير غير منشورة ، الزاوية، ص 56.
- (3) خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، الطبعة الأولى ، 1995، ص 74.
- (4) وزارة التخطيط، مصلحة المساحة، 2003.
- (5) اوسين ميلر، علم المناخ، تعريب: محمد متولي، وإبراهيم زرقانه، مكتبة الأول للطباعة والنشر، ص 11.
- (6) حسن محمد الجديدي، الزراعة المروية، وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، مصراته، 1986، ص 57.
- (7) إسماعيل عجينة، الموازنة المائية المناخية لمنطقة سهل الجفارة ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية ، جامعة الزاوية ، الزاوية، 2002، ص 45.
- (8) إسماعيل عجينة، الموازنة المائية المناخية، المصدر السابق، ص 63.
- (9) عبد العزيز طريح شرف، الجغرافية المناخية والنباتية، دار الجامعات المصرية، 1978، ص 184.
- (10) حسن الجديدي، أسس الهيدرولوجيا العامة ، منشورات جامعة طرابلس، طرابلس، 1988، ص 98.
- (11) محمد النطاح، الأرصاد الجوية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراته، 1989، ص 19.

## أ. البشير الطاهر مسعود

- (12) إبراهيم الرتيمي، تغير منسوب المياه الجوفية وأثره على بيئة منطقة الزاوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، جامعة الزاوية، الزاوية، 2004، ص 39.
- (13) إسماعيل عيجنة، الموازنة المائية المناخية، مرجع سابق، ص 178.
- (14) عبد العزيز طريح شرف، الجغرافية المناخية والنباتية، مرجع سابق، ص 5.
- (15) عدنان رشيد الجنديل، الزراعة ومقوماتها في ليبيا، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1976، ص 21.
- (16) الهادي أبو لقمة، سعد القزيري، الجماهيرية، دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، 1995، ص 62.
- (17) امحمد مقلبي، استعمالات الأراضي في الزراعة وأثرها في البيئة، الملتقى الجغرافي الأول، الجزء الثاني، جامعة الزاوية، الزاوية، 1993، ص 65.

## مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي وعلاقتها ببعض المتغيرات

د . فتحية العربي محمد القصبي  
قسم علم النفس  
كلية الآداب - الزاوية

### مقدمة:

يشهد عصرنا الراهن تطوراً سريعاً في مختلف مجالات الحياة، وقد صاحبه تدفق هائل للمعرفة وتقنية المعلومات والاتصالات وانفتاح لثقافة المجتمعات على بعضها بعض الأمر الذي جعل العلماء يصفونه بأنه عصر القلق. وتبدو مظاهر هذا القلق واضحة في شعور أغلب الأفراد - وفي كل المجتمعات- بالخوف من المستقبل وصدمة عدم التكيف والشعور بالضياع والسلبية واللامبالاة، الأمر الذي جعل كثيراً منهم يقعون تحت وطأة الضغوط النفسية أثناء ممارستهم لأدوارهم الحياتية وفي مختلف تخصصاتهم المهنية. وقد أشارت دراسة (علي عسكر، 2000) إلى أن العامل الأكثر التزاماً وجدية في أدائه لعمله، يكون أكثر عرضة للتوتر والاحترق النفسي من غيره ويبدو ذلك واضحاً عند العاملين في مجال الخدمات الاجتماعية والمهن الطبية والمهن التعليمية خاصةً عمل المعلم وغيرهم من العاملين في نطاق التعامل مع البشر.

ويمكن القول إن التوتر النفسي من أكثر المشكلات التي تواجه أغلب أفراد المجتمع، وقد لا تخلو حياة أي فرد منا من مستوى معين من التوتر إزاء العديد من المنغصات الناتجة عن الضغوط الحياتية، كتلك المرتبطة بطبيعة شخصية الفرد، والحياة الأسرية، والحياة العلمية والمهنية، فضلاً عن الظروف البيئية ونمط الحياة الاجتماعية، فمثل هذه المصادر من شأنها أن تجعل الفرد يعاني من التوتر بأشكال ودرجات مختلفة، وقد يؤدي ذلك إلى انخفاض مستوى نشاطه اليومي ودافعيته للإنجاز، ويقلل من مستوى إنتاجيته.

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

ونظراً لأن مهنة التدريس تلعب دوراً فعالاً في تحقيق التنمية الشاملة في أي مجتمع، وأن الدور الرئيس يقع على كاهل المعلم في تحقيق ذلك الهدف، فإن الاهتمام بهذه المهنة، قد يسهم بشكل كبير في تقدم المجتمع ونهضته، وقد يتطلب ذلك رعاية القائمين بمهنة التدريس وتحسين مستوى أدائهم المهني نحو الأفضل، عبر الاهتمام بدراسة ما قد يتعرضون له من صعوبات وضغوط وتوترات نفسية، ويعد ذلك أمراً ضرورياً يستدعي اهتمام الباحثين التربويين والنفسيين والمهتمين بشؤون التربية والتعليم.

وفي ضوء ما سبق فإن هذا البحث يعد إسهاماً متواضعاً في مجال البحوث التربوية والنفسية، يهدف إلى تسليط الضوء على مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي، بغية التوصل إلى بعض المؤشرات التي من شأنها التخفيف من حدة الشعور بالتوتر النفسي بحيث ينعكس ذلك إيجابياً في مستوى الأداء المهني لديه من ناحية، وتحسين مستوى العملية التعليمية من ناحية أخرى.

### مشكلة البحث:

تعد مهنة الأستاذ الجامعي من المهن السامية التي تحظى بكثير من الاهتمام والعناية في معظم دول العالم، نظراً لما يؤديه من دور رئيس في مجالات التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية، ولمساهمته الفعالة في الرفع من مستوى العلم والمعرفة، واستكمال رسالة التربية والتعليم في تنمية شخصية المتعلم والوصول به إلى أقصى غايات النمو.

وغالبا ما يشعر الأستاذ الجامعي بنوع من التوتر النفسي نتيجة الأعباء التي ألقاها المجتمع على كاهله وأسندها إليه متمثلة في قيامه بواجبات التدريس وسعيه المتواصل نحو البحث العلمي وتحقيق الطموحات ومواكبة التطورات الحادثة في مجال تخصصه. ولعل من أبرز مظاهر التوتر النفسي: تقلب المزاج، والشعور بالضجر والضييق، والتشاؤم، والسلبية والانتكالية، واللامبالاة وسرعة الغضب لأتفه الأسباب إزاء تفاعله مع المحيطين به في نطاق العمل



#### د . فتحية العربي محمد القصبي

الجامعي من طلبة وزملاء ورؤساء أقسام وإداريين، وقد تمتد آثار ذلك وتنعكس سلباً على أدائه لمهنته وعلى نمط علاقاته الاجتماعية بأفراد أسرته وضعف رعايته لها واهتمامه بشؤونها.

وقد تزداد حدة التوتر لديه في ظل غياب عدة عوامل تعد مهمة وضرورية في الرفع من معدل أدائه الأكاديمي، كانهدام الحوافز والمكافآت، وضعف مستوى الخدمات الإدارية والمالية، مع قلة الوسائل والإمكانيات المادية المعينة في التدريس فضلاً عن ما يشعر به من احباطات يومية لضعف مستوى التحصيل الدراسي للطلبة، وقلة اهتمامهم بالعملية التعليمية، التي تظهر بوضوح على أرض الواقع عند أغلب الطلبة، وتكون بمثابة مشكلات واضحة يعاني منها الأستاذ الجامعي.

ويظهر التوتر النفسي عند الفرد بعدة مظاهر وأشكال كتعبير عن الخوف أو الخجل أو القلق أو المخاوف الاجتماعية، إلى غير ذلك من المشكلات النفسية وقد أشارت الإحصاءات إلى أن نسبة (80%) من الأمراض الحديثة تنتج عن التوتر النفسي، وأن نسبة (50%) من أفراد المجتمع يترددون على الأطباء لمعاناتهم من التوتر النفسي في الدرجة الأولى، وأن نسبة (25%) يعانون من أحد أشكال التوتر، فضلاً عما يسببه التوتر من أمراض جسدية كثيرة.

وتكمن خطورة هذه المشكلة عند تجاهلها مما يؤدي إلى تفاقمها، ومن ثم تتطور في صورة أعراض مرضية جسدية ونفسية، كالشعور بالصداع والأرق وعدم القدرة على التركيز والنرفزة، حيث يذكر كلٌّ من (طلعت منصور وفيولا الببلاوي: 1989) أن الضغوط النفسية تفرض على الفرد متطلبات قد تكون فسيولوجية أو اجتماعية أو نفسية أو تجمع بين هذه المتغيرات الثلاثة، رغم أن الاستجابة للضغوط قد تبدو استجابة ناجحة، إلا أن حشد الفرد لطاقاته من أجل مواجهة تلك الضغوط قد يجعله يدفع ثمنها في صورة أعراض نفسية وفسولوجية.

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

ونظراً لأن هذا الموضوع يعد من المشكلات الملموسة بالفعل، ومن واقع المعاناة اليومية لأغلب أساتذة الجامعة وفي مختلف الكليات، رأت الباحثة أهمية دراسته من خلال التركيز على أربعة أبعاد على أنها مصادر للتوتر وهي: (التوتر النفسي المرتبط بطبيعة الشخصية – التوتر النفسي المرتبط بالبيئة الأسرية – التوتر النفسي المرتبط ببيئة العمل الأكاديمي - التوتر النفسي المرتبط بالبيئة الاجتماعية) لغرض التعرف على أهم مظاهر التوتر الناتجة عن تلك المصادر وما إذا كانت تختلف باختلاف متغيرات (الجنس، والحالة الاجتماعية، ومدة الخبرة).

#### أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من أهمية العينة المستهدفة بالدراسة وما تقوم به من أدوار فعالة في تقدم المجتمع ورقبه، ولعل ذلك يستوجب على الباحثين والمشتغلين في مجال البحوث التربوية والنفسية ضرورة الاهتمام بهذه الشريحة من شرائح المجتمع، ودراسة ما قد تعانيه من مشكلات وصعوبات، والعمل على تجاوزها أو الحد من تفاقمها، فبقدر ما تحصل عليه هذه الشريحة من سعادة وصحة نفسية، بقدر ما ينعكس ذلك على أدائها المهني الجيد وعلى كفاءتها التدريسية.

#### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الأتي:

- 1- التعرف على أهم مصادر التوتر النفسي كما يدركها أفراد العينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية.
- 2- التعرف على الفروق في مصادر التوتر النفسي كما يدركها أفراد العينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية، وفقاً لمتغيرات (الجنس، الحالة الاجتماعية، سنوات الخبرة).

### تساؤلات البحث:

لتحقيق أهداف البحث تم صياغة التساؤلات التالية:

- 1- ما أهم مصادر التوتر النفسي كما يدركها أفراد العينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية.
- 2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر النفسي كما يدركها أفراد العينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية، وفقاً لمتغير الجنس (ذكور/ إناث).
- 3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر النفسي كما يدركها أفراد العينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية، وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعية (أعزب/ متزوج).
- 4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر النفسي كما يدركها أفراد العينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية، وفقاً لمتغير سنوات الخبرة (من سنة إلى 10 سنوات/ ومن 11 سنة فأكثر).

### حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة مصادر التوتر النفسي كما تدركها عينة من أساتذة كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية في ضوء متغيرات (الجنس، الحالة الاجتماعية، سنوات الخبرة) خلال العام الجامعي (2013 / 2014).

### مصطلحات البحث:

تحدد مصطلحات البحث في النقاط التالية:

وتعرفها الباحثة إجرائياً على النحو التالي:

- 1- **مصادر التوتر النفسي:** هي تلك الأسباب المؤدية إلى شعور الأستاذ الجامعي بحالة من الإجهاد النفسي مصحوبة بتغيرات فسيولوجية وجسمية وسلوكية قد تكون نابعة من داخل نفسه وما يدركه عن طبيعته شخصيته، ولم قد يتعرض له من مواقف ضاغطة في حياته اليومية إزاء التفاعل الاجتماعي مع الآخرين في البيئة الأسرية أو بيئة العمل أو البيئة الاجتماعية عامة، وتشعره

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

بعدم الارتياح النفسي والخوف من المستقبل، وعدم القدرة على التكيف النفسي والاجتماعي، ويعبر عن ذلك بالدرجات التي سيتحصل عليها أفراد العينة من خلال إجاباتهم على استبيان مصادر التوتر النفسي.

2- الأستاذ الجامعي: هو الذي يزاول مهنة التدريس في الجامعة بعد حصوله على مؤهل علمي بدرجة الماجستير، أو الدكتوراه فما فوق.

### الإطار النظري

#### مفهوم التوتر النفسي:

يعد التوتر النفسي صفة ملازمة للإنسان، ناتجة عن ما قد يعانيه من مواقف ضاغطة وتجارب حياتية معقدة يمر بها في كل مراحل حياته، ومشكلة قد تتفاقم خطورتها وحدتها إذ لم تؤخذ بعين الاعتبار، فهو يعيق التكيف مع الذات ومع البيئة المحيطة، مما دعا الباحثين في مجال علم النفس والصحة النفسية والإرشاد النفسي إلى الاهتمام بدراسته في مختلف المجتمعات وقد جاءت تعريفاتهم لمصطلح التوتر النفسي كثيرة ومختلفة، فقد عرفه (فلمان، 527: 1989, Feldman) بأنه "عملية تقييم للإحداث كمواقف مهددة ومتحدية ومرهقة والاستجابة لها عبر تغيرات جسمية وانفعالية ومعرفية وسلوكية".

وعرفه (مدحت عبد اللطيف، 1990: 52) بأنه "ينشأ عندما يفقد الفرد القدرة على مواجهة الصعوبات والمواقف التي تواجهه خلال حياته اليومية بسبب قدراته المحدودة سواء تلك الموروثة أو المكتسبة، أو المتعلقة بالناحية النفسية أو الاجتماعية أو العضوية أو العقلية أو الجسدية".

كما عرفه (أسعد رزق، 1992، 82) بأنه "حالة من الإحساس العام باختلال التوازن على الصعيدين البيولوجي والنفسي، ويصحبها تأهب واستعداد من جانب المرء لتغيير سلوكه بغية التصدي لعامل يهدده في وضعية حقيقية أو متخيلة".

وذكر (سيمون وكنرك، 454:1994) (Seamon Kenrik) أن التوتر النفسي "هو عبارة عن استجابة سلوكية وفسولوجية تحدث نتيجة تعرض الفرد لمهدد بيئي".

وتذكر (أمال جودة، 1998: 7) أن التوتر النفسي هو "ظاهرة نفسية وفسولوجية ناجمة عن المواقف الضاغطة والتي تهدد حاجات الفرد ووجوده وتتطلب نوعاً من إعادة التوافق عبر تغيرات فسيولوجية وانفعالية وسلوكية".

وترى (نعيمة الرواغ، 2007: 11) أن التوتر النفسي هو "حالة من الإنهاك النفسي الشديد يحدث في وجود صراعات نفسية مستمرة".

يتضح من التعريفات السابقة لمفهوم التوتر النفسي أنها جاءت مختلفة فلا يوجد تعريف محدد ومتفق عليه بين جميع الباحثين، فهناك من يرى بأنه مثير من مثيرات الحياة الضاغطة يتضمن عناصر غير سارة كالتهديد والشعور بالإنهاك والإحساس باختلال التوازن، بينما ينظر إليه البعض على أنه استجابة لما يتعرض له الفرد من مواقف ضاغطة تبدو في صورة تغيرات فسيولوجية وجسدية وسلوكية وانفعالية ومعرفية، وترى الباحثة أن ذلك الاختلاف قد يعد أمراً عادياً نظراً لأن المفاهيم في مجال العلوم السلوكية والنفسية والاجتماعية ليست مفاهيم مطلقة وإنما هي مفاهيم نسبية تختلف باختلاف وجهات نظر أصحابها، والاتجاه النظري الذي يتبناه كل منهم والمدارس التي ينتمون إليها.

وبناءً على ما سبق وفي حدود البحث الحالي يمكن تعريف التوتر النفسي بأنه "حالة من الإجهاد والاحتراق النفسي التي يشعر بها الأستاذ الجامعي كنتاج لما قد يعترضه في حياته اليومية من مواقف ضاغطة وأحداث مزعجة، قد تكون مرتبطة بنمط طبيعة شخصيته، أو بطبيعة البيئة الأسرية والاجتماعية، أو بيئة العمل الأكاديمي، وتتطلب منه قدراً من إعادة التوافق عبر تغيرات جسمية ونفسية واجتماعية".

## مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

### مصادر التوتر النفسي:

من الملاحظ أن للتوتر النفسي أسباب ومصادر متعددة، بل وقد تتداخل تلك الأسباب وتتفاعل مع بعضها البعض وتساهم في إحداث ونشأة التوتر لدى الفرد وتؤثر على مستوى أدائه، وتضعف من نشاطه وفاعليته أثناء ممارسته لأدواره الحياتية في البيت أو في العمل أو في الحياة الاجتماعية بصفة عامة، وعليه فقد اتجه العديد من العلماء والباحثين إلى التركيز من خلال أبحاثهم على دراسة وتحديد تلك الأسباب والمصادر، والتعرف على أثارها، واقتراح أفضل السبل في التغلب عليها، غير أن تصنيفاتهم لمصادر التوتر النفسي جاءت متعددة ومختلفة، وقد يرجع ذلك لاختلاف نمط الإطار الثقافي والاجتماعي السائد في مجتمعاتهم، واختلاف أهدافهم البحثية.

وتعرض الباحثان إليا ملخصاً لأهم تصنيفات التوتر النفسي وفقاً لما ورد في التراث السيكولوجي وبعض الدراسات التي تطرقت لمثل هذا الموضوع. فمن المصادر الرئيسية المسببة في التوتر النفسي التي أشار إليها (مدحت عبد اللطيف، 1990: 45) عدم قدرة الفرد على التغلب على المواقف الصعبة أو تخطي العقبات التي تعترضه في البيئة المحيطة به، إما بسبب محدودية قدراته أو لنقصها، أو لعدم كفايته الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية، وأن ذلك من شأنه أن يجعل الفرد عرضة لسوء التوافق، ومن ثم الشعور بالتوتر. وقد أوضحت دراسة (حسين طاهر، 1993) أن مصادر الضغط تكمن في الإجهاد المترتب عن أحداث ومواقف الحياة اليومية والعمل، وتجعل الفرد يعاني من الضيق النفسي، وتسبب لديه اضطرابات سلوكية تقوده في نهاية الأمر إلى الإصابة بأمراض نفسية أو عضوية. وحدد (لازاروس، 1985، Lazarus) وفقاً لتحليله لمقاييس الضغوط النفسية عدة مصادر، ويرى أنها تسبب أضراراً جسمية ونفسية كثيرة للفرد، وقد صنفاها في ثمانية تصنيفات على النحو التالي:

#### د . فتحية العربي محمد القصبي

- المصادر الداخلية وتشمل (النواحي النفسية للفرد مثل الشعور بالقلق والخوف).
  - المصادر المنزلية وتشمل (الأعمال المنزلية، والتسوق، وصيانة المنزل وترتيبه).
  - المصادر الصحية وتتمثل في (الأمراض الجسمية وما يصاحبها من أعراض والعلاج الطبي).
  - المصادر البيئية وتتعلق (بمجريات البيئة المحيطة كالاحتكاك بالجيران والضوضاء، والتعرض للجريمة).
  - المصادر الوظيفية وتتمثل في (بيئة العمل كعدم الرضا الوظيفي، والخلافات مع الزملاء، وعدم تقبل المهنة).
  - المصادر المالية وتتعلق (بالرواتب وأعباء الديون، وزيادة المصروفات عن الواردات).
  - المصادر المستقبلية وتشمل (الضرائب المتوقعة والتقاعد المبكر).
  - مصادر ضغط الوقت وتدور حول مسؤوليات الفرد والأعباء الكثيرة في ظل عدم توفر الوقت). ( سوسن شاكر، 2012: 12-18).
- وصنف (ميلر، 1979، Miller) المصادر والأسباب الرئيسية للضغوط والتوترات النفسية في الأسباب الداخلية: وهي ناتجة عن الأفكار والمعتقدات الخاطئة، فالفرد يشعر بأن لديه حاجات متعددة ينبغي إشباعها وتواجهه مشاكل يومية كثيرة، ومحاولته أن يعيش فوق مستوى قدراته الشخصية يؤدي به حتماً إلى المعاناة من الضغوط والتوتر. والأسباب الخارجية تتمثل في ضغوط القيم والمعتقدات والمبادئ والصراع بين العادات والتقاليد التي يتمسك بها الفرد وبين الواقع مما يسبب له الشعور بالتوتر النفسي. (حمدي الفرماوي، ورضا أبو سريع، 1993، 68-77).
- ويتفق (نعيم الرفاعي، 1987: 60) مع ميلر من حيث تصنيفه لمصادر التوتر النفسي في عاملان هامين هما:

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

العامل الخارجي: ويتمثل في ما يواجهه الفرد من مشاكل طيلة مراحل عمره، والعبء المادي، والمشاكل الأسرية، والعامل الداخلي: ينبع من داخل الفرد نفسه، كالمشاعر والعواطف والانفعالات المكبوتة داخله، والاعتقادات الخاطئة.

وأشار (شاندلر، 1982, Chandler) إلى أن أسباب التوتر النفسي تكمن في مصدرين هما: ضغوط نمائية طبيعية، كمشكلات المراهقة والتكيف معها وضغوط الحياة اليومية، كالمشكلات الدراسية والأسرية والتعامل مع الوالدين والتنافس مع الأشقاء. (نسيمة داود، 1995: 367).

وفي ضوء ما سبق يتضح أنه لا يوجد تصنيف عام متفق عليه بين جميع الباحثين في تفسيرهم لأسباب التوتر، ولعل ذلك يرجع لكون أن التوتر النفسي ظاهرة متعددة الأبعاد وتتداخل أسبابها ومحدداتها، وتختلف بين الأفراد والجماعات وفقاً لاختلاف أثرها من فرد لآخر، واختلاف شدتها ومدى استمرارها، ومدى تغيرها بالتقدم في العمر، كما قد تختلف باختلاف طبيعة شخصية كل فرد وخبراته السابقة ومدى قدرته على احتمالها، ويمكن القول أيضاً أن أسباب التوتر النفسي تختلف باختلاف الإطار الثقافي والاجتماعي السائد والمتعارف عليه بين الأفراد من مجتمع لآخر.

وفي إطار البحث الحالي والذي يهدف إلى تسليط الضوء على مصادر التوتر النفسي لدى شريحة من الشرائح الهامة في المجتمع التعليمي، ألا وهي شريحة أساتذة الجامعة، تم تحديد المصادر التي قد تسبب في شعور الأستاذ الجامعي بالتوتر النفسي في أربعة مصادر وهي:

- مصادر التوتر النفسي المرتبطة بطبيعة الشخصية: كالشعور بالدونية والقلق تجاه أبسط الأمور، ضعف القدرة على التركيز، والشعور بالفشل وخيبة الأمل في إنجاز المهام، وسهولة قلب المزاج، والاستعداد الكبير للانفعال وغيرها.
- مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الأسرية: ككثرة الأعباء والمسؤوليات الأسرية، وكثرة الخلافات الأسرية، والشعور بعدم الوفاق مع



#### د . فتحية العربي محمد القصبي

الزوجة أو الأخوة أو الوالدين أو الأبناء، وأجواء البيت الباعثة على الضيق والشعور بعدم الراحة وغيرها.

- مصادر التوتر النفسي المرتبطة ببيئة العمل الأكاديمي: كضعف الحماس والدافعية للتدريس، والتردد في اتخاذ القرارات الخاصة بالعمل، وصعوبة حل بعض المشكلات المرتبطة بالعمل الأكاديمي، وقلة الإمكانيات والتجهيزات المادية المعينة في التدريس، والمشاحنات القائمة بين الزملاء، والمناخ الجامعي الغير مشجع للتدريس أو لتطوير المهارات وإنجاز الأعمال البحثية، وسوء سلوك الطلبة وبعض الزملاء... الخ.

- مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الاجتماعية: كسوء سلوكيات بعض الناس في المواقف الاجتماعية المختلفة وفي التسوق، وعدم مراعاة قواعد النظام وقوانين المرور والسلوكيات السيئة في قيادة السيارات والسلبية وعدم تحمل المسؤولية الاجتماعية.

#### أعراض التوتر النفسي والآثار المترتبة عنه:

- تبدو مظاهر التوتر النفسي في صور وأشكال متعددة. فقد وضع (فونتاننا، Fontana) قائمة بالأعراض والتغيرات التي تبدو على الفرد عند تعرضه للضغوط النفسية وما ينتج عنها من توتر نفسي على النحو التالي:
- أعراض فسيولوجية: كزيادة الأدرينالين بالدم ويؤدي إذا استمر لفترة طويلة إلى أمراض القلب، واضطراب الدورة الدموية.
  - زيادة إفراز الغدة الدرقية، وإذا استمر لفترة طويلة يؤدي إلى نقص الوزن والإجهاد والانهيار الجسمي.
  - زيادة إفراز الكولسترول.
  - أعراض معرفية: كعدم القدرة على التركيز وعدم القدرة على التنظيم والتخطيط.
  - أعراض انفعالية: مثل حدوث تغيرات في صفات الجسم وظهور الاكتئاب وعدم التركيز.

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

- أعراض سلوكية: كالنسيان والإهمال والتلعثم وانخفاض مستوى الطاقة. (سوسن شاكر، مرجع سابق،...).

ومن أعراض التوتر النفسي أيضاً كثرة تصبب العرق لدى الفرد، والتوتر في عضلات الرقبة، ووجود مشاكل في عمليات الهضم وألام في الأسنان وما يترتب عليها من ألام وصداع بالرأس. (المدلل، 2004: 45).

ويذكر (زهير الصباغ، 1999: 114) أن ما يعانيه الفرد من ضغوط وتوتر نفسي له انعكاساته الصحية والنفسية والسلوكية والأدائية، ويكون ذلك متوقفاً على الموقف والمنظمة التي يوجد فيها الفرد والذي ينتج عنه ضعف الولاء التنظيمي أو ضعف الأداء الوظيفي، وارتفاع نسبة الحوادث، والغياب عن العمل.

وقد حدد (أندرسون، Anderson) الآثار المترتبة عن التوتر النفسي في الشد الفسيولوجي، والكرب العاطفي، وظهور بعض الانفعالات السلبية كالقلق والخوف والهلع والغضب والكراهية والرفض والاكنتاب وعدم الكفاءة والشعور بالذنب والنسيان والوساوس والاستجابات الهستيرية. (عائشة مصلح 2003: 58).

وبناءً على ما سبق عرضه يتضح أن للتوتر النفسي تأثيرات سلبية عديدة تلخصها الباحثة وتصنفها في ثلاثة تصنيفات على النحو التالي:-

- **الآثار المنعكسة على شخصية الفرد وصحته النفسية:** فما قد يتعرض له الفرد من مواقف ضاغطة في إطار البيئة المحيطة قد تنعكس آثارها بصورة سلبية على شخصيته وتهدد سلامته واستقراره النفسي، وقد يدفعه ذلك إلى الشعور بالإحباط واليأس، وكثرة القلق، وقد تبدو مظاهر تلك الآثار في صورة اضطرابات فسيولوجية، أو نفسية، أو سلوكية أو انفعالية، واجتماعية.

- **الآثار المنعكسة على البيئة الأسرية والاجتماعية:** لعل من انعكاسات الآثار المترتبة عن التوتر النفسي في حياة الفرد الاجتماعية أنه قد يضعف من قدراته التوافقية مع أفراد أسرته، والمحيطين به في المجتمع، ويجعل منه شخص غير

#### د . فتحية العربي محمد القصبي

فعال ونشط في تفاعله الوجداني والاجتماعي معهم، وقد يصبح عرضة لكثير من الانفعالات والمشكلات، بل وقد يعيق جهوده نحو تحقيق واجباته ومسؤولياته تجاه أسرته ومجتمعه، ويخلق لديه حالة من عدم التوازن واضطراب السلوك في علاقاته الاجتماعية بالآخرين، فضلاً عن ذلك فإن الشخص الذي يعاني من التوتر النفسي قد يصبح حساس وعرضه للقيام ببعض السلوكيات الغير مرغوب فيها كاللجوء إلى استخدام القوة والعنف مع من حوله، أو إلى استخدام الألفاظ النابية كالسب والشتائم.

وفي هذا الشأن يشير كل من (حمدي الفرماوي، ورضا أبو سريع، 1993: 28) إلى أن للتوتر النفسي آثار اجتماعية تتمثل في تفضيل الفرد المتوتر للعزلة والانسحاب وعدم الانخراط في العلاقات الاجتماعية، وعدم تحمل المسؤولية والفشل في أداء الواجبات اليومية، كما أن له آثار معرفية تتمثل في تدهور الانتباه والتركيز والذاكرة وزيادة الخطأ في المهام المعرفية وحدوث اضطرابات فكرية.

- الآثار المنعكسة على بيئة العمل: قد تسبب الآثار المترتبة عن التوتر النفسي سوء توافق الفرد مع بيئة العمل كعدم الرغبة في مواصلة العمل وضعف الحماس لأداء أدواره ومسؤولياته المناطة به في العمل وانخفاض مستوى إنتاجيته، وما قد يترتب عليه من اضطراب في نمط العلاقات بينه وبين زملائه.

فقد أوضحت دراسات عديدة أن التوتر النفسي لا يؤدي إلى تقدم العمل والإنتاج، بل أنه في أحيان كثيرة وإذا ما زاد عن حد معين يمكن أن يعطل هذا الأداء ويؤدي إلى الانهيار والتفكك. (الملا، 1982: 151).

ويشير (يورك يرس، 2001: 9-10) أن التوتر الناتج عن ضغوط بيئة العمل والمؤسسات تؤثر في نمط حياة الفرد وشخصيته، وتظهر آثاره البارزة في ارتفاع معدلات الغياب، وفساد العلاقات بين العاملين وزيادة حوادث العمل

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

وانخفاض الجودة، وضيق الوقت والجهد، وعدم الدقة في اتخاذ القرارات وعدم الاستقرار والثبات وفقدان القدرة على اتخاذ قرارات فعالة.

#### الدراسات السابقة:

لقد حظي موضوع التوتر النفسي باهتمام العديد من الباحثين والمشتغلين في مجال علم النفس والصحة النفسية على الصعيدين العربي والأجنبي، حيث أجرت (أمال جودة، 1998) دراسة للكشف عن العلاقة بين مستوى التوتر النفسي وبعض المتغيرات النفسية على عينة عددها (320) مدرس بواقع (222) ذكور و (98) إناث، وطبقت عليهم مقياسين هما: مقياس التحكم والتركيز، إعداد محمد إبراهيم عيد (1995)، ومقياس إثبات الشخصية، إعداد الباحثة، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن هناك علاقة إيجابية بين مستويات التوتر (العالي، المتوسط، القليل) والسيطرة والتركيز. وأن هناك علاقة إيجابية بين مستويات التوتر وإثبات الشخصية، كما اتضح أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المدرسين (الذكور والإناث) في مستويات التوتر النفسي، بينما لا توجد فروق في مستويات التوتر النفسي تعزى إلى متغيرات (الحالة الاجتماعية والعمر أو سنوات خبرة التدريس).

وتناولت الدراسة التي أجراها (أحمد سعد الشيخ، 2000) برنامجاً إرشادياً في الدراما النفسية بهدف فحص أثره في تحسين الكفاءة الذاتية المدركة وخفض التوتر لدى عينة من طلبة الصف السابع الأساسي، والتي تألفت من مجموعتين مجموعة تجريبية وضابطة عدد كل منها (21) طالب وقد تلقى أفراد المجموعة التجريبية البرنامج الإرشادي في الدراما النفسية، في حين لم تتلق المجموعة الضابطة أي برنامج تدريبي، ومن المقاييس التي طبقتها الباحثة، مقياس الكفاءة الذاتية المدركة، ومقياس التوتر النفسي، وبحساب المتوسطات الحسابية القبلية والبعديّة لعلامات الطلبة على المقياسين، وإيجاد الدلالة الإحصائية لهذه الفروق باستخدام أسلوب تحليل التباين-ANCOVA- توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية

#### د. فتحية العربي محمد القصبي

والضابطة لصالح المجموعة التجريبية على جميع أبعاد مقياس الكفاءة الذاتية المدركة، واتضح وجود فروق دالة إحصائية على بعدين من أبعاد مقياس التوتر هما (البعد النفسي، والبعد العام) ولم تظهر فروق على بقية الأبعاد (المعرفي والفسيولوجي) كما خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن البرنامج الإرشادي كان فعالاً في تحسين مستوى الكفاءة الذاتية المدركة على جميع الأبعاد، وفعالاً في خفض مستوى التوتر النفسي على البعدين النفسي والعام.

وأجرى (بشير علوان، 2000) دراسة بغية التعرف على مستوى ومصادر التوتر النفسي لدى مدربي الأندية الرياضية في الأردن، واشتملت عينة الدراسة على (100) مدرباً، طبق عليهم مقياساً لقياس مصادر ومستوى التوتر النفسي من إعداد الباحث ومن خلال المعالجة الإحصائية، توصل إلى أن مدربي الأندية الرياضية للألعاب الجماعية يعانون من التوتر النفسي بدرجة متوسطة، وأن هناك فروقاً دالة إحصائية في مستوى التوتر النفسي وفقاً لمتغيرات (المؤهل العلمي، وتصنيف المدرب) بينما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية من حيث (الخبرة، ونوع اللعبة).

وتناولت دراسة (عماد عبد الحق، 2002) برنامجاً رياضياً بهدف الكشف عن مدى فاعليته في خفض مستوى التوتر النفسي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية ولتحقيق ذلك تم اختيار عينة قوامها (33) من الطلبة الذين تحصلوا على الدرجات المرتفعة على مقياس التوتر النفسي، ومن النتائج التي أشارت إليها الدراسة أن هناك فروقاً دالة إحصائية بين أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة في مستوى التوتر النفسي بعد أن تلقوا برنامجاً رياضياً لصالح المجموعة التجريبية، كما أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية وفقاً لمتغير المجموعة، في حين أنه لم تكن هناك فروق تعزى لمتغير الجنس، ولم يظهر تفاعل بين الجنس والمجموعة.

وقام (عبد محمد عساف، 2002) بدراسة سعى من خلالها إلى التعرف على مستوى التوتر النفسي والضغط النفسي، ومجالاته الأكاديمية والنفسية

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

والاجتماعية المترتب عن العدوان الإسرائيلي في انتفاضة الأقصى على عينة تألفت من (225) عضو من أعضاء هيئة التدريس في جامعتي النجاح الوطنية وبيرزيت، كما هدفت إلى التعرف على علاقة التوتر النفسي والضغط النفسي ببعض المتغيرات (كالجنس، وعدد أفراد الأسرة، ومكان السكن، والكلية والخبرة، والحالة الاجتماعية، والرتبة العلمية) وقد اتضح من خلال نتائج الدراسة أن الدرجة الكلية للتوتر النفسي عند أعضاء هيئة التدريس كانت عالية في الاعتبار النفسية، وأن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) في التوتر النفسي تبعاً لمتغيرات (مكان السكن، والتعرض للضرب والإصابة أثناء انتفاضة الأقصى، الكلية، والراتب) في حين اتضح عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) في التوتر والضغط النفسي وفقاً لمتغيرات (الجنس، وعدد أفراد الأسرة، والخبرة، والحالة الاجتماعية، والرتبة العلمية).

واستهدفت دراسة (محمود الأطرش، 2008) التعرف على مصادر التوتر النفسي لدى مدربي كرة القدم في الضفة الغربية، والكشف عن علاقتها ببعض المتغيرات والمتمثلة في (الدرجة، والخبرة، والعمر، والمؤهل العلمي) وتكونت عينة الدراسة من (50) مدرباً تم اختيارهم بطريقة الحصر الشامل من مجتمع البحث الأصلي، والمتألف من (62) مدرباً للدرجات الثلاثة (ممتازة - أولى - ثانية) وأوضحت نتائج الدراسة أن مستوى التوتر النفسي لدى مدربي كرة القدم في الضفة الغربية كان عالياً جداً، كما أوضحت أن أهم مصادر التوتر النفسي لديهم مرتبة ترتيبياً تنازلياً (الحكام - الإمكانيات - الجمهور - والإعلام - والظروف السياسية - والحوافز - والاعيين - والإدارة).

وأجرت (أسماء الدحدوح، 2010) دراسة بهدف الكشف عن علاقة الأساليب المعرفية (الاستقلال الإدراكي - والتروي / الاندفاع) بالتوتر النفسي لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، وما إذا كانت تختلف وفقاً لمتغيرات (الجنس - المستوى التعليمي - والتخصص علمي / أدبي) واشتملت عينة الدراسة على

(229) بواقع (128) طالب وطالبة من الجامعة الإسلامية و(101) طالب وطالبة، ومن الأدوات التي استخدمتها الباحثة في جمع البيانات، اختبار الأشكال المتضمنة (الصورة الجمعية) من إعداد (أولتمان، راكس وويتكن)، وترجمة (الشرقاوي، والشيخ) واختبار تزاوج الأشكال المألوفة من إعداد (الفرماوي، 1985)، ومقياس التوتر النفسي من إعداد (مجدي عبد الكريم) وفي ضوء ذلك توصلت إلى عدة نتائج أهمها: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) في كل من الأسلوبين المعرفيين (الاستقلال الإدراكي) و(التروي / الاندفاع) والتوتر النفسي لدى طلبة الجامعات الفلسطينية (الإسلامية والأقصى)، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) في مستوى التوتر النفسي تعزى لمتغيرات (الجنس، والمستوى التعليمي، والتخصص علمي / أدبي).

يتضح مما سبق أن معظم الدراسات السابقة تكاد تتفق من حيث طبيعة الموضوعات والأهداف التي سعت إلى تحقيقها فهي تنطلق من هدف عام ألا وهو التعرف على مستوى التوتر النفسي ومصادره، والكشف عن علاقته ببعض المتغيرات، غير أن هذه المتغيرات جاءت مختلفة من دراسة إلى أخرى باختلاف طبيعة كل دراسة والاهتمامات البحثية للباحثين، باستثناء البعض منها فقد تناولت برامج تدخلية بهدف التخفيف من حدة التوتر كدراسة (أحمد الشيخ 2000) ودراسة (عماد عبد الحق، 2002) ويتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة التي هدفت إلى تحديد مصادر التوتر النفسي، غير أنه يختلف عنها من حيث التركيز على أربعة أبعاد لمصادر التوتر النفسي والتي تم تحديدها في (مصادر التوتر النفسي المرتبطة بطبيعة الشخصية – ومصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الأسرية – ومصادر التوتر النفسي المرتبطة ببيئة العمل الأكاديمي – ومصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الاجتماعية) وفيما يتعلق بالعينات المعنية بالدراسة فقد اختلفت من حيث أحجامها والمراحل العمرية التي أجريت عليها في تلك الدراسات وفقاً لأهداف كل دراسة وحدودها

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

المكانية، فأكبر عينة يتكون عدد أفرادها من (320) معلم ومعلمة، وذلك في دراسة (أمال جودة، 1998) في حين بلغ حجم أقل عينة (21) كمجموعة تجريبية و(21) ضابطة من طلبة الصف السابع الابتدائي في دراسة (أحمد الشيخ، 2000) ويليها العينة التي تكونت من (33) طالب من طلبة الجامعة في دراسة (عماد عبد الحق، 2002) وقد جاءت هذه العينات صغيرة الحجم نظراً لأن طبيعة مثل هذه الدراسات تجريبية ولا تتطلب أعداداً كبيرة لإجراء التجربة كالدراسات الوصفية، كما يتضح من الدراسات السابقة أنها أجريت على شرائح عمرية ومستويات تعليمية مختلفة، ويتفق البحث الحالي مع الدراسات التي تناولت شريحة أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ولكنها كانت قليلة ومقتصرة على دراسة (عبد محمد عساف، 2002) التي استهدفت التعرف على مستوى التوتر النفسي والضغط النفسي ومجالاته الأكاديمية والنفسية والاجتماعية لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس بجامعتي النجاح الوطنية وبيروزيت الفلسطينية وذلك ما يدعم أهمية إجراء هذا البحث على شريحة الأساتذة بالجامعة في المجتمع الليبي لندرة الدراسات المحلية حولها فيما يتعلق بهذا الموضوع.

كما يتضح من خلال مراجعة الدراسات السابقة أن الغالبية العظمى منها استخدمت مقاييس لقياس مستوى ومصادر التوتر، من إعداد الباحثين أنفسهم أو من إعداد باحثين آخرين مثل مقياس التوتر النفسي (لمجدي عبد الكريم) إلى جانب استبيانات ومقاييس أخرى اختلفت من دراسة إلى أخرى كل حسب متغيرات بحثه، ويتفق البحث الحالي مع الدراسات التي استخدمت مقاييس لقياس مصادر التوتر النفسي، غير أنه يختلف عنها لكون أن الباحثة ستقوم بتصميمه بما يتمشى مع النمط الثقافي والاجتماعي السائد في المجتمع، وسيتم صياغته في ضوء متغيرات البحث وأهدافه وفيما يتعلق بالنتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات، اتضح وجود تأثير لبعض المتغيرات في علاقتها بالتوتر النفسي وعدم وجود تأثير لبعضها الآخر، فعلى سبيل المثال اتضح عدم وجود تأثير لمتغير الجنس في علاقه بالتوتر النفسي في دراسة كل من (أمال جودة



#### د. فتحية العربي محمد القصبي

(1998) ودراسة عماد عبد الحق، (2002) و(دراسة عبد محمد عساف، 2002) ودراسة (أسماء الدحوح، 2010).

وفي نطاق الدراسات التي استخدمت برامج تدخلية لتخفيف التوتر النفسي تبين أن لتلك البرامج فاعلية في خفض مستوى التوتر النفسي فكانت الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة لها دلالتها الإحصائية لصالح المجموعة التجريبية كما هو الحال في دراسة (أحمد الشيخ، 2000) ودراسة (عماد عبد الحق، 2002).

#### إجراءات البحث:

تم إتباع الإجراءات المنهجية التالية:

#### منهج البحث:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لأنه من أنسب المناهج ملائمة لدراسة موضوع البحث الحالي، ويمكن من خلاله وصف الظاهرة وتحليل بياناتها وتفسيرها، وإيجاد العلاقة بين المتغيرات، وقياسها قياساً إحصائياً علمياً دقيقاً. مجتمع البحث:

اشتمل مجتمع البحث الأصلي على جميع الأساتذة الذين يقومون بالتدريس في أقسام كليتي الآداب والعلوم بجامعة الزاوية خلال العام الجامعي (2013-2014م) والبالغ عددهم الإجمالي (282) بواقع (194) أستاذ وأستاذة بكلية الآداب و(88) أستاذ وأستاذة بكلية العلوم.

#### عينة البحث:

تكونت عينة البحث من (90) أستاذ جامعي تم اختيارهم بطريقة عشوائية طبقية نسبية لغرض الحصول على عينة ممثلة للمجتمع الأصلي، حيث تم حصر أعداد الأساتذة بكل قسم من أقسام كليتي الآداب والعلوم ومن تم اختيار

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

عينة عشوائية بنسبة 25% من كل قسم فبلغ بذلك عدد أفراد العينة (60) أستاذ وأستاذة من كلية الآداب، و(30) أستاذ وأستاذة من كلية العلوم.

#### خصائص عينة البحث:

في ضوء جمع البيانات وتفريغها لتحليلها إحصائياً تم تحديد مواصفات أفراد العينة على النحو المبين بالجدول التالية.

#### جدول ( 1 ) التوزيع التكراري لعينة البحث حسب متغير النوع

النوع	التكرار	%
ذكور	47	52.2
إناث	43	47.8
المجموع	90	100.0

يتضح من الجدول السابق أن نسبة الذكور من أفراد العينة بلغت (52.2%) بينما بلغت نسبة الإناث (47.8%).

#### جدول ( 2 ) التوزيع التكراري لعينة البحث حسب متغير الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	التكرار	%
أعزب	29	32.2
متزوج	61	67.8
المجموع	90	100.0

يتضح من الجدول السابق أن نسبة العزاب من أفراد العينة بلغت (32.2%) بينما بلغت نسبة المتزوجين منهم (67.8%).

#### جدول ( 3 ) التوزيع التكراري لعينة البحث حسب متغير الخبرة

الخبرة	التكرار	%
1 - 10 سنوات	44	48.9
11 سنة فأكثر	46	51.1
المجموع	90	100.0

#### د . فتحية العربي محمد القصبي

يتبين من الجدول السابق أن نسبة أفراد العينة من الذين تتراوح خبرتهم من (10-1) سنوات بلغت (48.9%) في حين جاءت نسبة الذين تتراوح خبرتهم من (11 سنة فأكثر) (51.1%).

#### أداة البحث:

للتعرف مبدئياً على مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي، تم استطلاع آراء عينة عشوائية بلغ عددها (50) أستاذ بواقع (25) من أساتذة كلية الآداب، و(25) أستاذ من أساتذة كلية العلوم، وروعي في اختيارها أن تكون ممثلة من جميع الأقسام ومن كلا الجنسين، وقد احتوى الاستبيان الاستطلاعي الذي طبق على أفراد العينة، على أربع صفحات، خصصت الصفحة الأولى منه لتوضيح الغرض من الاستبيان، بينما احتوت الصفحات الأخرى على أسئلة مفتوحة لكي يعبر الأستاذ الجامعي عن المصادر المسببة في شعوره بالتوتر النفسي، والتي تم تحديدها في أربعة مصادر وهي: مصادر التوتر النفسي المرتبطة بطبيعة الشخصية، ومصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الأسرية ومصادر التوتر النفسي المرتبطة ببيئة العمل الأكاديمي، ومصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الاجتماعية، وفي ضوء استجابات أفراد العينة على استمارة الاستبيان الاستطلاعي تم تحديد أهم مصادر التوتر النفسي التي حظيت بأعلى التكرارات وإعادة صياغتها في عبارات قصيرة وواضحة.

#### تصميم الاستبيان في صورته المبدئية:

في ضوء ما تجمع للباحثة من عبارات وفقاً لاستجابات أفراد العينة الاستطلاعية، بالإضافة إلى ما تم الإطلاع عليه من أدبيات البحث، والدراسات السابقة، وبعض المقاييس المتعلقة بالتوتر النفسي كالمقياس الذي أعده مجدي عبد الكريم حبيب ومقياس التوتر النفسي الذي أعده (بيتش، beech, 1982, p116) وقننته رنا زواوي، (1992) تم تصميم المقياس في صورته المبدئية بحيث احتوى على (100) فقرة موزعة بالتساوي على أربعة أبعاد لمصادر التوتر التي سبق ذكرها وبواقع (25) فقرة في كل بعد.

مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

### عرض المقياس على لجنة المحكمين (\*):

بعد إعداد المقياس في صورته المبدئية تم عرضه على مجموعة من المحكمين من أساتذة قسم علم النفس بكلية آداب جامعة الزاوية للاستفادة من خبراتهم في هذا المجال حول مدى مناسبة الفقرات لأبعادها ومدى ملاءمتها من حيث الصياغة اللغوية وقد اتفق المحكمون على مناسبتها وبلغت نسبة اتفاقهم حولها (100%) وفي ضوء ما أبداه المحكمين من ملاحظات تم الإبقاء على جميع الفقرات مع إجراء بعض التعديلات لبعض الفقرات التي تحتاج إلى التعديل من حيث صياغتها اللغوية، ومن تم صياغة المقياس في صورته النهائية.

### طريقة تصحيح المقياس:

إن الاستجابة على أداة البحث تتم وفق متصل ثلاثي (نعم، لا، أحياناً) وقد توزعت عليها ثلاثة درجات على التوالي (3، 2، 1) وبذلك تكون درجة المتوسط الفرضي للفقرة الواحدة (2.0) وهي حاصل جمع درجة أعلى بديل للإجابة مع درجة أدنى بديل للإجابة مقسوماً على اثنين ((2/(1+3)) حيث تمثل درجة المتوسط الفرضي الدرجة الوسطى لاستجابة المبحوثين على الفقرة الواحدة، أما درجة المتوسط الفرضي لكل بعد من أبعاد المقياس، فهي حاصل ضرب عدد الفقرات لكل بعد في المتوسط الفرضي للفقرة الواحدة.

### صدق المقياس:

#### 1- صدق المحكمين:

تم عرض المقياس على مجموعة من المحكمين وفقاً لما تم الإشارة إليه سابقاً للنظر في مدى تمثيل فقرات للسلوك المراد قياسه، وقد حظي المقياس باتفاق جميع المحكمين حول صدق مضمونه ومناسبته للاستخدام بعد التقيد بالملاحظات التي أبداه كل منهم، وتم أخذ ذلك بعين الاعتبار والالتزام بالتعديلات المقترحة.

2- صدق الاتساق الداخلي:

جدول ( 4 ) معاملات الارتباط ومستويات الدلالة - صدق الاتساق الداخلي

لفقرات مقياس مصادر التوتر النفسي

رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة	رقم الفقرة	المتجمعة
.703	.468	.467	.543	.745	.474	.359	.178	.14	.002	.14	.002	.14	.002	.14	.002
.000	.002	.002	.000	.000	.002	.017	.154	1		1		1		1	
.446	.092	.230	.389	.194	.377	.537	-.061	2		2		2		2	
.004	.300	.092	.010	.133	.013	.000	.363	15		15		15		15	
.381	.424	.464	.408	.330	.117	.311	.316	3		3		3		3	
.012	.006	.002	.008	.026	.252	.034	.032	16		16		16		16	
.305	.262	.236	.436	.355	.520	.269	.255	4		4		4		4	
.037	.064	.086	.004	.018	.001	.059	.070	17		17		17		17	
.303	.351	.147	.436	.402	.162	.474	.187	5		5		5		5	
.038	.019	.200	.004	.008	.177	.002	.140	18		18		18		18	
.329	.382	.255	.481	.499	.266	.422	.226	6		6		6		6	
.027	.012	.070	.002	.001	.061	.006	.096	19		19		19		19	
.361	.287	.355	.681	.376	.196	.560	.374	7		7		7		7	
.017	.047	.018	.000	.013	.130	.000	.013	20		20		20		20	
-.002	.457	.338	.332	.415	-.136	.240	.304	8		8		8		8	
.496	.003	.023	.026	.007	.218	.082	.038	21		21		21		21	
.407	.484	.075	.329	.376	.415	.395	.221	9		9		9		9	
.008	.002	.335	.027	.013	.007	.009	.101	22		22		22		22	
.156	.334	.345	.467	.580	.187	.092	.336	10		10		10		10	
.186	.025	.021	.002	.000	.141	.299	.024	23		23		23		23	
.202	.181	.257	.513	.571	.294	.540	.308	11		11		11		11	
.122	.150	.068	.001	.000	.043	.000	.036	24		24		24		24	
.056	.133	.329	.298	.340	.505	.611	.013	12		12		12		12	

مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

.374		.027		.041		.023		.001		.000		.471		.223	
		.654				.510				.311				.184	
		.000	13			.001	13			.034	13			.146	13

للتحقق من صدق الاتساق الداخلي للمقياس تم اختيار عينة بحجم خمسة وثلاثين (35) فرداً من مجتمع الدراسة وتم تطبيق أداة الدراسة عليهم. ولإيجاد معاملات الارتباط بين كل فقرة ومجموع البعد التي تنتمي إليه تم استخدام الارتباط البسيط بيرسون. ويتبين من الجدول (4) أن هناك أحد عشر (11) فقرة من بعد مصادر التوتر النفسي المرتبطة بطبيعة الشخصية، وتسعة (9) فقرات من بعد مصادر التوتر النفسي المرتبطة ببيئة الأسرة، وفقرة واحدة (1) من بعد مصادر التوتر النفسي المرتبطة ببيئة العمل الأكاديمي، وعشرة فقرات (10) من بعد مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الاجتماعية لم تحقق ارتباطاً دالاً إحصائياً حيث أن مستويات الدلالة المثبتة أسفل كل معامل ارتباط لهذه الفقرات كانت أكبر من مستوى دلالة (0.05). ولذلك تم حذفها من المقياس في صورته النهائية، أما بقية الفقرات وعددها تسعة وستون (69) فقرة فقد حققت جميعها معاملات ارتباط دالة إحصائياً مع مجموع البعد الذي تنتمي إليه.

– صدق الاتساق الداخلي لأبعاد مقياس مصادر التوتر النفسي:  
جدول (5) صدق الاتساق الداخلي لأبعاد مقياس مصادر التوتر النفسي

أبعاد المقياس	المؤشرات الإحصائية	مجموع المقياس	الشخصية	الأسرية	العمل الأكاديمي
الشخصية	معامل الارتباط	** .574			
	مستوى الدلالة	.000			
الأسرية	معامل الارتباط	** .761	.270		
	مستوى الدلالة	.000	.058		
العمل الأكاديمي	معامل الارتباط	** .830	.181	** .560	
	مستوى الدلالة	.000	.149	.000	
الاجتماعية	معامل الارتباط	** .750	** .493	* .350	** .473
	مستوى الدلالة	.000	.001	.020	.002

للتحقق من صدق الاتساق الداخلي لأبعاد المقياس تم إيجاد معاملات الارتباط بين مجموع كل بعد والمجموع الكلي للمقياس ويتبين من الجدول (5) أن جميع معامل الارتباط كانت دالة إحصائياً لأن مستويات دلالتها كانت أقل من مستوى (0.05). وبذلك حقق المقياس صدقاً عالياً.

– ثبات المقياس:

جدول (6) معامل ثبات ألفا كرونباخ لأبعاد مقياس مصادر التوتر النفسي

المعامل ثبات ألفا كرونباخ	البعد
.776	الشخصية
.738	الأسرية
.789	العمل الأكاديمي
.749	الاجتماعية
.895	مجموع المقياس

للتحقق من ثبات أبعاد المقياس تم استخدام بيانات العينة الاستطلاعية وتطبيق طريقة ألفا كرونباخ للثبات، ويمثل معامل ألفا متوسط المعاملات الناتجة عن تجزئة الاختبار بطرق مختلفة، وبذلك فإنه يمثل متوسط معاملات الارتباط بين أجزاء الاختبار. وكانت جميع قيم ألفا كرونباخ عالية. وبذلك حقق

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

المقياس ثباتاً عالياً وأصبحت أداة البحث مستوفية المعاملات العلمية للصدق والثبات.

### - المعالجات الإحصائية:

بعد جمع بيانات البحث تم ترميزها وتحميلها إلى برنامج الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS وقد استخدمت الأساليب الإحصائية (مقاييس النزعة المركزية، مقاييس التشتت، اختبار (ت) لعينة واحدة، اختبار (ت) لوسطين حسابيين مستقلين، الارتباط البسيط، الفا كرونباخ للثبات).

### نتائج البحث:

- عرض نتائج التساؤل الأول: "ما أهم مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي بكليتي الآداب والعلوم/ جامعة الزاوية"؟.

### جدول (7) نتائج اختبار (ت) لعينة واحدة بين متوسط العينة والمتوسط

### الفرضي لأبعاد مقياس مصادر التوتر النفسي

الأبعاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	عدد العبارات	المتوسط الفرضي	الفرق بين المتوسطين	قيمة اختبارات	مستوى الدلالة
الشخصية	26.277	4.94	14	28.0	-1.722	**3.307	.001
الأسرية	27.866	5.67	16	32.0	-4.133	**6.907	.000
العمل الأكاديمي	51.688	9.22	24	48.0	3.688	**3.793	.002
الاجتماعية	27.633	5.13	15	30.0	-2.366	**4.369	.000
مجموع المقياس	133.466	18.63	69	138.0	-4.533	*2.308	.023

للتعرف على أهم مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي بكليتي الآداب والعلوم/ جامعة الزاوية تم استخراج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعينة الدراسة في مجموع كل بعد من أبعاد مقياس



#### د. فتحية العربي محمد القصبي

مصادر التوتر النفسي، ويتبين من الجدول (7) أن قيم المتوسطات الحسابية في أبعاد مصادر التوتر النفسي (الشخصية – الأسرية – الاجتماعية) كانت أقل من ما يقابلها من قيم المتوسطات الفرضية. حيث كانت قيمة متوسط العينة على مصادر التوتر النفسي المرتبطة بطبيعة الشخصية (26.277) بينما كانت قيمة المتوسط الفرضي للبعد (28.0). وأيضاً كانت قيمة متوسط العينة على مصادر التوتر النفسي المرتبطة ببيئة الأسرة (27.866) أقل من المتوسط الفرضي للبعد (32.0)، وكذلك كانت قيمة متوسط العينة على مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الاجتماعية (27.633) أقل من المتوسط الفرضي للبعد (30.0) وكانت الفروق دالة إحصائياً ولصالح قيم المتوسطات الفرضية لأن قيم اختبارات لعينة واحدة كانت جميعها دالة إحصائياً لأن مستويات دلالتها كانت أقل من مستوى دلالة (0.05). ومن ذلك نستدل على أن مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالمصادر الثلاثة المذكورة كانت دون المستوى المتوسط أي أنها لم تكن تشكل توتراً ذا مستوى عال لدى المبحوثين.

وبخصوص مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالعمل الأكاديمي فقد كان متوسط العينة (51.688) وهذه القيمة تزيد على قيمة المتوسط الفرضي للبعد (48.0) وللتعرف على دلالة الفروق بين المتوسطين استخدم اختبار ت لعينة واحدة كانت قيمة الاختبار (3.793) دالة إحصائياً لأن مستوى دلالتها (0.002). كان أقل من مستوى دلالة 0.05. ومن ذلك نستدل على أن مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالعمل الأكاديمي كانت أعلى من المستوى المتوسط أي أنها تشكل توتراً ذا مستوى عال لدى المبحوثين. ولعل ذلك يرجع إلى إدراكهم المسبق لبعض الضغوط والصعوبات التي تعترضهم وتخلق لديهم نوعاً من التوتر سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، وبأنهم قادرين على التأقلم معها والتخفيف من وقعها على أنفسهم وأسرهم ببعض الأساليب التكيفية كالابتعاد عن مصدر التوتر، وإدارة الذات ومحاولة تغيير نمط الحياة الروتينية وفي المقابل قد يجدون بعض الصعوبات والعراقيل في محاولتهم التكيف مع

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

بيئة العمل الأكاديمي، لأن كل منهم يخضع في عمله لأنظمة وقوانين ولوائح تتعلق بطبيعة المهنة وما يرتبط بها من عمل إداري، فضلاً عن ثقل الأعباء التدريسية، مع ما يواجهه من مشكلات تتعلق بنمط العلاقات بالزملاء والطلبة، وقلة التجهيزات المادية المعينة على التدريس، فكل مثل هذه الأمور وغيرها من شأنها أن تجعله عرضة لمستوى عالي من التوتر النفسي.

وبخصوص مجموع مقياس مصادر التوتر النفسي فإن قيمة متوسط العينة (133.466) كانت أقل من قيمة المتوسط الفرضي للمقياس (138.00) وكانت قيمة اختبارات لعينة واحدة (2.308) دالة إحصائياً لأن مستوى دلالتها (0.023). كان أقل من مستوى دلالة 0.05. ومن ذلك نستدل على أن مصادر التوتر النفسي لدى المبحوثين كانت دون المستوى المتوسط أي أنها لم تكن تشكل توتراً ذا مستوى عال لدى المبحوثين.

### عرض نتائج التساؤل الثاني:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي وفقاً لمتغير الجنس (ذكور/ إناث)؟

### جدول (8) نتائج اختبارات بين متوسطي عينة البحث حسب الجنس في

#### مصادر مقياس مصادر التوتر النفسي

الأبعاد	الجنس	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار ت	مستوى الدلالة
الشخصية	ذكور	47	26.425	6.05	.295	.769
	إناث	43	26.116	3.38		
الأسرة	ذكور	47	26.659	5.44	*2.151	.034
	إناث	43	29.186	5.69		
العمل الأكاديمي	ذكور	47	50.829	9.21	.923	.359
	إناث	43	52.627	9.25		
الاجتماعية	ذكور	47	28.319	5.02	1.329	.167
	إناث	43	26.883	5.21		
مجموع المقياس	ذكور	47	132.234	19.11	.654	.515
	إناث	43	134.814	18.22		

وبخصوص الفروق بين المبحوثين حسب الجنس في مصادر التوتر النفسي فإن قيم متوسطات العينة ومن كلا الجنسين كانت بشكل عام متقاربة على أبعاد المقياس. وللتعرف على دلالة الفروق بين متوسطي المبحوثين حسب الجنس على أبعاد المقياس استخدم اختبار ت لوسطين حسابيين مستقلين وكانت جميع قيم الاختبار غير دالة إحصائياً لأن مستويات دلالتها كانت جميعها أكبر من مستوى دلالة (0.05). ونستدل من ذلك أن مصادر التوتر النفسي لدى المبحوثين كانت متقاربة المستوى وبغض النظر عن جنس المبحوث إلا في مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الأسرية حيث كان متوسط الإناث (29.186) أعلى من متوسط الذكور (26.186) وكانت قيمة الاختبار (2.151) دالة إحصائياً لأن مستوى دلالتها كان أقل من مستوى دلالة (0.05). وبناءً على ذلك يمكن القول أن عضوات هيئة التدريس من أفراد عينة البحث كن يستشعرن بتوتر من بيئة الأسرة أكثر من أقرانهم الذكور. وترى الباحثة أنه من الأمر الطبيعي والمتوقع بشكل عام، أن تعاني المرأة العاملة بصفة عامة والأستاذة الجامعية بصفة خاصة من ضغوط أسرية لكثرة الأعباء والمسؤوليات الملقاة على عاتقها في البيت مقارنةً بدور الرجل من حيث الإعتناء بالأولاد ومتابعة دراستهم، والاهتمام بشؤون البيت من تنظيف وترتيب وإعداد الطعام إلى جانب التزامها وحرصها على أداء عملها التدريسي بالجامعة على أكمل وجه ممكن، وهذا ما قد يجعلها تشعر بأن البيئة الأسرية من المصادر المسببة في شعورها بالتوتر وكان ذلك بدرجة أعلى مما يشعر به عضو هيئة التدريس. واتفقت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه بعض الدراسات السابقة من نتائج كدراسة (أمال جودة، 1998) حيث كانت الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بمستوى ومصادر التوتر النفسي لصالح الإناث، بينما تتعارض مع النتائج التي أشارت إليها دراسة كل من (أسماء الدحدوح، 2010) ودراسة عبد محمد عساف، (2002) في عدم وجود فروق تعزى لمتغير الجنس في مستوى التوتر النفسي ومصادره.

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

وكذلك لم تكن مستويات التوتر النفسي لدى المبحوثين حسب الجنس والتي يعكسها متوسطي المبحوثين على مجموع المقياس ذات فروق دالة إحصائية لأن قيمة الاختبار (654). كانت غير دالة إحصائية لأن مستوى دلالتها كان أكبر من مستوى دلالة 0.05. ولذلك نستدل على أن أعضاء هيئة التدريس من أفراد عينة البحث كانوا يستشعرون بتوتر بمستوى متقارب جداً.

### عرض نتائج التساؤل الثالث:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعية (أعزب/متزوج)؟

### جدول (8) نتائج اختبار (ت) بين متوسطي عينة البحث حسب الحالة الاجتماعية (أعزب/متزوج) في مصادر مقياس مصادر التوتر النفسي

الأبعاد	الحالة الاجتماعية	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار ت	مستوى الدلالة
الشخصية	أعزب	29	26.275	4.03	.003	.998
	متزوج	61	26.278	5.34		
الأسرة	أعزب	29	29.655	6.72	*2.100	.039
	متزوج	61	27.016	4.94		
الأكاديمي	أعزب	29	50.275	10.45	1.002	.319
	متزوج	61	52.360	8.59		
الاجتماعية	أعزب	29	28.448	5.30	1.038	.302
	متزوج	61	27.245	5.05		
مجموع المقياس	أعزب	29	134.655	21.37	.415	.679
	متزوج	61	132.901	17.34		

وبخصوص الفروق بين المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية في مصادر التوتر النفسي فإن قيم متوسطات العينة ومن العزاب والمتزوجين كانت بشكل عام متقاربة على أبعاد المقياس. وللتعرف على دلالة الفروق بين متوسطي المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية على أبعاد المقياس استخدم اختبار ت لوسطين حسابيين مستقلين وكانت جميع قيم الاختبار غير دالة إحصائية لأن مستويات دلالتها كانت جميعها أكبر من مستوى دلالة (0.05) مما يدل على أن

#### د . فتحية العربي محمد القصبي

مصادر التوتر النفسي لدى المبحوثين كانت متقاربة المستوى وبغض النظر عن الحالة الاجتماعية للمبحوث إلا في مصادر التوتر النفسي المرتبطة بالبيئة الأسرية حيث كان متوسط العزاب (29.655) أعلى من متوسط المتزوجين (27.016) وكانت قيمة الاختبار (2.100) دالة إحصائياً لأن مستوى دلالتها كان أقل من مستوى دلالة (0.05). وكانت الفروق لصالح العزاب. وقد ترجع تلك الفروق إلى ما يعانيه الأعزب من ضغوط ترتبط أحياناً بصعوبة التكيف مع الحياة الأسرية في ظل تواجده مع والديه وأفراد أسرته فهو بطبيعة الحال قد وصل إلى مرحلة الرشد التي يحتاج خلالها إلى الاستقلالية عن الوالدين بالزواج وتكوين الحياة الأسرية والاعتماد على نفسه في تأمين مستقبله وشؤون حياته، ولعل هذا ما يجعله يشعر بأن البيئة الأسرية تشكل مصدراً للتوتر لديه وبدرجة تميزه عن المتزوجين فهم على الرغم من ما يعانونه من توتر نفسي ناشئ عن بعض الضغوط الأسرية والاجتماعية، إلا أنهم على درجة من الاطمئنان والارتياح لوضعهم الاجتماعي في ظل تأمينهم لمستقبلهم بالزواج وإنجاب الأولاد وتربيتهم وتعليمهم، فكثيراً ما ينشغل تفكير الشاب أو الفتاة بصفة عامة بغض النظر عن مهنته كأستاذ جامعي أو أية مهنة أخرى، نحو تأمين وضعه الاجتماعي واستكمال نصف الدين بالزواج والاستقلالية عن أسرهم.

وكذلك لم تكن مستويات التوتر النفسي لدى المبحوثين وحسب الحالة الاجتماعية والتي يعكسها متوسطي المبحوثين على مجموع المقياس ذات فروق دالة إحصائياً لأن قيمة الاختبار (4.15) كانت غير دالة إحصائياً لأن مستوى دلالتها كان أكبر من مستوى دلالة (0.05). ولذلك نستدل على أن أعضاء هيئة التدريس من أفراد عينة البحث كانوا يستشعرون بتوتر بمستوى متقارب جداً.

#### عرض نتائج التساؤل الثالث:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي وفقاً لمتغير الخبرة (من سنة إلى 10 سنوات / 11 سنة فأكثر).

مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

جدول (8) نتائج اختبارات بين متوسطي عينة البحث حسب الخبرة في مصادر مقياس مصادر التوتر النفسي

الأبعاد	الخبرة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار ت	مستوى الدلالة
الشخصية	1- 10 سنوات	44	26.568	5.63	.543	.588
	11 سنة فأكثر	46	26.000	4.21		
الأسرة	1- 10 سنوات	44	29.045	6.16	1.957	.054
	11 سنة فأكثر	46	26.739	4.97		
الأكاديمي	1- 10 سنوات	44	51.636	7.42	.053	.958
	11 سنة فأكثر	46	51.739	10.75		
الاجتماعية	1- 10 سنوات	44	27.886	5.33	.455	.650
	11 سنة فأكثر	46	27.391	4.99		
مجموع المقياس	1- 10 سنوات	44	135.136	16.97	.830	.409
	11 سنة فأكثر	46	131.869	20.14		

وبخصوص الفروق بين المبحوثين حسب الخبرة في مصادر التوتر النفسي فإن قيم متوسطات العينة من ذوي الخبرة (1-10 سنوات) وأقرانهم من ذوي الخبرة (11 سنة فأكثر) كانت بشكل عام متقاربة على أبعاد المقياس. وللتعرف على دلالة الفروق بين متوسطي المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية على أبعاد المقياس وكذلك على مجموع المقياس استخدم اختبار (ت) لوسطين حسابيين مستقلين وكانت جميع قيم الاختبار غير دالة إحصائياً لأن مستويات دلالتها كانت جميعها أكبر من مستوى دلالة (0.05). ولذلك نستدل على أن أعضاء هيئة التدريس من أفراد عينة البحث كانوا يشعرون بتوتر بمستوى متقارب جداً بغض النظر عن الخبرة.

ولعل ذلك يعني أن جميع أفراد العينة سواء من ذوي الخبرة القديمة أو الملتحقين حديثاً بمجال العمل هم عرضة لنفس الظروف والصعوبات في إطار البيئة الجامعية والعمل الأكاديمي، وأيضاً قد يتأثرون بنفس مصادر التوتر النفسي الناجمة عن ما يعانیه مجتمعنا من ظروف وأحداث راهنة قد تنعكس

#### د . فتحية العربي محمد القصبي

أثارها سلباً على مستوى توافقه الشخصي والاجتماعي في ظل الحياة الأسرية والجامعية والاجتماعية بصفة عامة.

وقد جاءت هذه النتيجة متفقة مع ما أثبتته بعض الدراسات السابقة من نتائج حول عدم دلالة الفروق في مستوى التوتر النفسي وفقاً لمتغير الخبرة، كدراسة (أمال جودة، 1998) ودراسة (عبد محمد عساف، 2002).

#### التوصيات والمقترحات:

في ضوء ما كشف عنه البحث من نتائج تم صياغة بعض التوصيات والمقترحات على النحو التالي:

1- ضرورة اهتمام الجامعة بإنشاء مكاتب خاصة لتقديم خدمات الإرشاد النفسي والاجتماعي والمهني بإشراف مجموعة من الخبراء والاختصاصيين في هذا المجال لمساعدة الأستاذ الجامعي على حل ما يواجهه من صعوبات مختلفة تسبب في شعوره بالتوتر النفسي وخاصة في إطار العمل الأكاديمي.

2- لفت نظر المسؤولين بوزارة التعليم وإدارة الجامعة على ضرورة المساهمة في توفير فرص النمو المهني للأستاذ الجامعي بتقديم الحوافز المادية والمعنوية والاهتمام بالأنشطة الرياضية والثقافية والندوات العلمية وتهيئة المناخ البيئي المشبع بالأمن والباعث على الاستقرار الوظيفي.

3- ضرورة اهتمام الأستاذ الجامعي بصحته النفسية إزاء ما قد يعانيه من ضغوط مهنية والأخذ في الاعتبار أن علاج أية مشكلة يبدأ من الفرد نفسه من خلال تحليه بالصبر وقوة الإيمان والإيحاء إلى النفس بأنه قادر على الصمود أمامها بعدة استراتيجيات تقترح الباحثة منها الآتي:

- التقرب إلى الله بكثرة العبادات والطاعات والدعاء فهو أفضل علاج للتخلص من الهموم والتوتر النفسي.

- محاولة الابتعاد عن مصادر التوتر النفسي بقدر الإمكان وعدم التركيز عليها وانشغال التفكير فيها، من خلال القيام بأنشطة ترويحية كمزاولة الأنشطة الرياضية والمطالعة والاختلاط ببعض الزملاء المريحين.

### **مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...**

- في ظل ما قد يعانيه الأستاذ الجامعي من إرهاق ناتج عن ثقل أعباء الدور الأسري والمهني والاجتماعي، فإنه من الضروري العمل على تنظيم شؤون الحياة وترتيبها أثناء أدائها حسب أولوياتها حتى لا تكون باعثة على القلق والتوتر النفسي.

- إتباع بعض الأساليب التكيفية للتخفيف من حدة التوتر النفسي، كالحوار الذاتي ومحاولة إدارة الذات وضبط الانفعالات وكتابة التقارير الذاتية والاسترخاء التام والهدوء النفسي، وتعتمد الصمت في المواقف المثيرة للقلق والتوتر وطلب الدعم النفسي والمساندة الاجتماعية من الأقارب والزملاء.

### **المقترحات:**

يُأمل أن تجرى بحوث مستقبلية مماثلة لدراسة وتحديد أهم مصادر التوتر النفسي للقائمين بمهام التدريس في مختلف المراحل التعليمية لما لها من آثار سلبية خطيرة على العملية التعليمية بصفة عامة. كما يُأمل إجراء بحوث للتخفيف من حدة الضغوط النفسية والتوتر النفسي للمعلمين باستخدام برامج تدخلية قائمة على فنيات وأساليب علاجية مختلفة.



الهوامش:

- 1- علي عسكر وأحمد عباس (1998): مدى تعرض العاملين لضغوط العمل في بعض المهن الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 4، المجلد 16، الكويت.
- 2- أمال، جودة (1998): مستوى التوتر النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى معلمي المرحلة الثانوية في محافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية.
- 3- طلعت منصور وفيولا البيلاوي (1989): قائمة الضغوط النفسية للمعلمين، كراسة تعليمات، القاهرة، الأنجلو المصرية.
- 4- Feldman, R.S.(1989): Adjustment New York Mcgraw Hill, 527.
- 5- مدحت عبد اللطيف (1990): الصحة النفسية والتفوق الدراسي، بيروت دار النهضة العربية.
- 6- أسعد رزق (1992): موسوعة علم النفس (ط4)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 7- Seamon, J.G. of kenrink, D.T. (1994): psychology. 2nd ed. new jersey hall, Inc. 454.
- 8- أمال جودة، مرجع سابق، 7.
- 9- نعيمة الرواغ (2007) لقاءان جماهيريان حول الصدمة والتوتر النفسي، مجلة أمواج، العدد 73، 11.
- 10- مدحت عبد اللطيف، مرجع سابق، 45.
- 11- حسين طاهر (1993)، نقلاً عن: إسماعيل طه، وألطف ياسين، الضغوط المهنية وعلاقتها بالتوافق المهني لدى أساتذة الجامعة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، بغداد، العدد الثاني عشر.

### مصادر التوتر النفسي كما يدركها الأستاذ الجامعي ...

- 12- سوسن شاكر (2012): مصادر الضغوط النفسية واتجاهات تفسيرها لدى علماء النفس، مجلة الحوار المتمدن، العدد (3740)، 12-18.
- 13- حمدي الفرماوي، ورضا أبو سريع (1993): الضغوط النفسية تغلب عليها وابدأ الحياة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 68-77.
- 14- نعيم الرفاعي (1987): الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف، ط7، دمشق، جامعة دمشق.
- 15- نسيمه داود (1995): الضغوط التي يعاني منها طلبة الصفوف من السادس حتى العاشر في المدرسة الأردنية وعلاقتها بمتغيرات التحصيل الأكاديمي والجنس والصف، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون (أ) العدد السادس ن عمان، الأردن.
- 16- سوسن شاكر، مرجع سابق، 12-18.
- 17- سعيد المدلل (2004): التوتر النفسي من مسببات حوادث الطرق، مجلة أخبار، غزة، العدد الثاني، 45.
- 18- زهير الصباغ (1999) مستويات ضبط العمل بين الممرضين القانونيين، دراسة مقارنة بين المستشفيات العامة والمستشفيات الخاصة، مجلة البصائر، العدد 2، المجلد 3، البتراء، الأردن، 114.
- 19- عائشة مصلح (2003): اثر برنامج إرشادي نفسي جماعي في خفض مستوى التوتر النفسي لدى طالبات المرحلة الأساسية العليا بمدارس وكالة الغوث الدولية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية.
- 20- حمدي الفرماوي، ورضا أبو سريع، مرجع سابق.
- 21- سلمى الملا (1982): التوتر النفسي كمقياس للدافعية، الكويت، دار القلم.
- 22- بيورك يرس (2001): الحد من ضغوط العمل، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.
- 23- أمال جودة، مرجع سابق.

#### د . فتحية العربي محمد القصبي

- 24- أحمد الشيخ (2000): فعالية برنامج إرشادي في الدراما النفسية في خفض التوتر وتحسين الكفاءة الذاتية المدركة لدى عينة من طلبة الصف السابع الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
- 25- بشير علوان (2000): مصادر التوتر والضغط النفسي لدى مدربي الندية الرياضية في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان.
- 26- عماد عبد الحق (2002): فاعلية برنامج لخفض مستوى التوتر النفسي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 18، العدد B.
- 27- عبد محمد عساف (2002): مجالات التوتر والضغط النفسي عند أعضاء الهيئة التدريسية في جامعتي النجاح وبيرزيت أثناء انتفاضة الأقصى نتيجة العدوان الإسرائيلي، الأردن، عمان.
- 28- محمود الأطرش (2008): مصادر التوتر النفسي لدى مدربي كرة القدم في الضفة الغربية والخلول المقترحة لها، مجلة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية، مجلد 22، العدد الأول.
- 29- أسماء الدحدوح (2010): الأساليب المعرفية وعلاقتها بالتوتر النفسي لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية.
- 30- أسماء الدحدوح، المرجع سابق.
- 31- رنا زواوي (19921): أثر الإرشاد الجمعي للتدريب على المشكلات في خفض التوتر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- 32- \* - أسماء الأساتذة المحكمين، د- عمر الطويبي، د- سعد المقدم، د- جمعة الحجاج، د- لطيفة أبو ذينة، د- أحمد همومة.

الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

## الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية والواقعية

أ. بهية القمودي البشتي  
قسم علم الاجتماع  
كلية الآداب - الزاوية

### مقدمة:

يعتبر العنصر البشري في العمل، من أهم العناصر التي تقوم عليها العملية التنظيمية في المؤسسات، وذلك من حيث ديناميكية وتفاعلات هذا العنصر فيها ومن ثم فإن مختلف الجهات المسؤولة على هذه العملية التنظيمية في أي مؤسسة، في حاجة ماسة إلى تفهم الطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنها في نطاق عملية الأداء الوظيفي للفرد الموظف بمختلف ضروب ذلك السلوك وعلاقاته . بمعنى آخر ضرورة تفهم هذا السلوك ودراسة آثاره على مختلف القرارات والسياسات سواء من حيث تنظيم عملية الأفراد أو من ناحية تحليل ودراسة السلوك بشكل عام .

فسلوك المؤسسة يتحدد من خلال مجموع سلوكيات الأفراد العاملين بها وذلك من خلال ممارستهم للأنشطة التفصيلية اليومية لأدائهم أعمالهم المكلفين بها .

وفي نفس الوقت الذي ينعكس فيه سلوك المؤسسة من خلال سلوك أفرادها العاملين، فإن سلوك وتصرفات هؤلاء الأفراد لا تحدث ، بشكل عفوي غير مبرمج ، حيث إن المؤسسة ذاتها تؤثر في هذا السلوك والتصرفات مثلما تتأثر بها<sup>(1)</sup> . فالفرد الموظف له خصائص ذاتية مثل القدرة على العمل والخبرة والدوافع والرغبات المشكلة لسلوكه، وكل هذه الخصائص تمارس المؤسسة قدرا كبيرا من التأثير عليها وذلك من خلال نظم التعيين والاختيار التي تطبقها لاختيار الأفراد الأكثر تناسبا مع حاجتها لشغل المراكز الوظيفية الشاغرة، وكذلك من خلال ما توفره لهم من ظروف عمل بيئية، وأيضا من خلال قواعد النقل والترقية والتحفيز ، وما توفره من إمكانات و موارد و مستلزمات مادية لتسهيل أداء الأفراد لأعمالهم المكلفين بها .

## أ. بهية القمودي البشتي

فالعلاقة إذاً : تبادلية في التأثير بين الموظف والمؤسسة، تهدف في مجملها إلى تحقيق الأهداف الخاصة بالموظف والأهداف العامة للمؤسسة بشكل عام ومن هنا تهدف هذا الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مدى أهمية المحددات البيئية، وخصائص الموقف الذي يوجد فيه الموظف، وكذلك الظروف المختلفة المحيطة به في تحديد سلوكه الوظيفي في العمل وعلاقة ذلك بالمتغيرات التي تحكم ذلك السلوك.

### السلوك الوظيفي والأبعاد المحددة له :

يعد السلوك الوظيفي نسقاً فرعياً لنسق فرعي أكبر وهو المؤسسة التنظيمية الرسمية التي هي تعد نسقاً فرعياً لنسق أكبر وأشمل وهو المجتمع ومن هذا المنطلق، فإنه يخضع لمؤثرات عديدة تتخذ أشكالاً مختلفة ومسؤوليات متباينة، وفقاً لتباين المجتمع ذاته، من حيث أنه المصدر الأساسي "الإنسان - الموظف" لنشوء تلك المؤسسات، وهي تعتمد عليه في رسم أبعاد سياستها. يقود هذا القول لحقيقة مفادها العلاقة المتبادلة بين المؤسسة وما فيها من موارد بشرية ومادية وتكنولوجية وبين المجتمع الأكبر، فالمؤسسة تضم عدداً من العاملين ينتظمون في جماعات من أجل تحقيق أهدافهم، مع تحمل قدر من المسؤولية في أداء وظائفهم لتحقيق أهداف المؤسسة والقيام بوظائفها . ومن هنا فإن سلوك الموظف ليس عشوائياً، وإنما هو خاضع لعدد من اللوائح والنظم والقوانين المحددة لهذا السلوك في مجال العمل، أي أثناء تأدية الموظف لعمله .

فبما أن الوظيفة الأساسية لأية مؤسسة تنظيمية رسمية يعمل بها الفرد سواء كان موظفاً أو عاملاً، تتمحور في كيفية تعليمه وتدريبه على أداء وظيفته وواجباته وتحمل مسؤولياته على مستوى عالٍ نسبياً من القدرة والكفاءة وذلك لكي يتمكن من التعامل أو مواجهة وتحمل أعباء وظيفته ومسؤولياته المتزايدة والمستمرة، حتى تتوفر له إمكانية الترقية والتقدم والحركة إلى الوظائف العليا فهذا بالتالي يتطلب البحث في ما يحمله الفرد نفسه من معارف ومهارات وإتجاهات تكون هي في حاجة إلى التطوير والنمو، بمعنى أن هناك سؤالاً يطرح نفسه :

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

- هل يبلغ أداء الفرد المعايير المحددة؟ إذا كان الجواب بلا، فهل يرجع هذا إلى عدم معرفة وإتقان الفرد لواحدة أو أكثر من مكونات الواجب؟ أو يرجع ذلك إلى عدم فهمه لتوقعات الوظيفة المتعلقة بالأداء؟ أو إلى مهارات ومعرفة سابقة غير كافية؟

ومن الملاحظ أن نجاح الموظف في مؤسسته التي يشتغل فيها يتوقف بدرجة كبيرة على مدى أدائه لوظيفته على الشكل المطلوب، وهذا بالتالي يتطلب أن يكون الموظف أو العامل على دراية بمتطلبات الوظيفة، ومن ثم المعايير التي تحكمها وتحدد طريقة أدائها، فنمط السلوك الوظيفي يتأثر بالعديد من العوامل المهنية والبيئية، مما يظهر بين الموظفين فروقاً فردية من حيث قدراتهم ورغباتهم ومؤهلاتهم العلمية وخبراتهم ... الخ، إلى جانب تأثيرات الجوانب الاجتماعية المتمثلة في القيم والمعتقدات، مما قد يفرض عليهم مطاً معيناً من السلوك في العمل، وهذا ما يجعل نسق الأداء كسلوك يتأثر تبعاً لذلك .

فنسق السلوك الوظيفي باعتباره نسقاً من أنساق المؤسسة يعمل على تحقيق أهدافها بكفاءة وفاعلية، لا يعتبر انعكاسات لقدرات ودافعية مع كفاءة الموظف فقط، وإنما هو تعبير حقيقي لأداء المؤسسة والحكم عليها بالنجاح أو الفشل في تحقيق أهدافها .

فحسب وجهات نظر العديد من المفكرين أمثال " ماكس فيبر - وتالكوت بارسونز - وروبرت ميرتون "تحديداً، أن السلوك الوظيفي يتضمن الفاعلية والكفاءة من خلال القيام بأعباء الوظيفة، من مسؤوليات وواجبات وفقاً للمعدل المطلوب من الموظف الكفاء المدرب، ويجب أن يراعى هذا المعدل الدقة التامة<sup>(2)</sup>، ومن ثم يتحدد السلوك الوظيفي بثلاثة عوامل رئيسية<sup>(3)</sup> :

- 1- الجهد المبذول، ويعكس في الواقع درجة حماس الموظف في أدائه لوظيفته.
- 2- قدرات وخصائص الموظف وخبراته السابقة التي تحدد درجة فاعلية الجهد المبذول.
- 3- إدراك الموظف لدوره الوظيفي، ونعني تصورات وتوقعاته عن السلوك والأنشطة التي يتكون منها عمله .

## أ. بهية القمودي البشتي

أي أن السلوك الوظيفي الذي يتم داخل " مؤسسة " محدد في إطار معين ووفق مواصفات محددة بشكل دقيق، مما يؤكد على أن نسق السلوك يتطلب الكفاءة والفاعلية حسب ما أكد عليه فيبير في دراساته عن السلوك الانساني داخل المؤسسات التنظيمية الرسمية.

وبهذا فإنه لدراسة السلوك الوظيفي في أية مؤسسة تنظيمية رسمية، يمكن التركيز على مجموعة نقاط تعتبر محددات لازمة ليكون السلوك مميّزاً، وتلك المحددات هي :-

- 1 - الموضوعية والتمسك بأخلاق المهنة .
  - 2 - المساواة في المعاملة وعدم المحاباة والتحيز .
  - 3 - احترام المهنة وتقديرها .
  - 4 - اتباع اللوائح والمركزية واللاشخصية " إنكار الذات " .
- وكل هذه المعايير نجد لها وضحة من خلال النموذج الفيبري " للبيروقراطية "، ولكن هذا على المستوى النظري، حيث إن - الموضوعية- بمعناها العلمي التي تعني تجرد الموظف من الأحكام الذاتية، أي قيامه بأداء واجباته كما هي محددة ووفقاً لما هو محدد لها، تتلازم بنفس الوقت مع الخاصية الثانية أو البعد الآخر وهو معاملة جميع الأفراد الآخرين بدرجة واحدة، أي دون تخصيص أو مفاضلة، والتي يطلق عليها أحياناً "التحيز"، وهو يعبر عن الحكم المسبق الخاص بمجموعة من الأحداث<sup>(4)</sup>. أي الميل نحو التصرف بشئ يوافق الرغبة أو العواطف .

وقد أثبتت كثيراً من الدراسات أن هناك عدة عوامل تجعل - الموظف - يتحيز أو يحابي إن صح التعبير، ومنها الشخصية كذلك المؤثرات الاجتماعية التهديد،... الخ.

إلى جانب ذلك هناك عدة أساليب يرى علماء السلوك أنها قد تقلل من عمليات المحاباة والتحيز عند القيام بأداء الوظائف ومنها على سبيل المثال التعليم كأحد الأساليب التي تؤدي إلى القضاء على التحيز ، وذلك على أساس أن التعليم يؤدي إلى إقلال الأفراد من تحيزاتهم عن طريق مدهم بالحقائق اللازمة التي ترتبط بالموقف موضوع التحيز .

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

ولكن نظراً لأن التحيز لا يبنى على أسس عقلية بقدر إيمانه على أسس عاطفية إلى جانب أن العواطف يمكن أن تكون راسخة الجذور، فإن هذا سيبيّن صعوبة تحقيق هذا التغيير بالاعتماد على التعليم، ومن ثم فقد جاءت العديد من الدراسات التي توصلت إلى أساليب أخرى أكثر إيجابية للحد من عملية التحيز والالتزام بالموضوعية عند أداء الوظائف والتي منها التشديد في نشر الوعي التثقيفي بضرورة التقيد بمحددات ومتطلبات الوظيفة، إلى جانب تطبيق اللوائح والمعايير بشكل دقيق حتى تتم عملية المساواة واللامحاباة، وهذا هو البعد الثالث الذي يعتبر من الأسس اللازمة لمعرفة ما إذا كان الأداء الوظيفي أداءً عقلانياً رشيداً أم لا؟.

فالالتزام باللوائح والمعايير يعني تقيد الموظف بكافة القرارات والأسس التي توضع من قبل المسؤولين في العمل ليسير عليها الموظف عند تأديته لعمله، إذا إن نكران الذات واللاشخصية كبعدين رئيسيين يفسران مدى الالتزام باللوائح والمعايير المطلوب اتباعها عند أداء المهام والواجبات، سيؤدي هذا إلى أن يكون سلوك الموظف سلوكاً مميزاً بمعنى أن تؤدي الوظائف حسب ما هو مخطط لها حتى يتم تحقيق الأهداف المرغوب في تحقيقها سواء بالنسبة للموظف بشكل خاص أو للمؤسسة بشكل أعم .

وانطلاقاً من تلك المحددات سينعكس هذا بالتالي على شخصية الموظف ذاتها وذلك من خلال ما سيتصف به من احترام لمهنته التي يؤديها وتقديره لإنجازه الوظيفي، حيث إن الكل مهنة دستوراً أخلاقياً ينبع أساساً من الإطار الأخلاقي في المجتمع، ويتضمن المسؤوليات التي تقوم عليها ممارسة أي مهنة فقد أثبتت كثير من الدراسات العلمية أن للأخلاق المهنية أساسين :-

**الأساس الأول :** سمعة المهنة وشرفها، فالمهنة تلقى الاحترام والتقدير من المجتمع، إذا قام أفرادها بعملهم عن إخلاص واضعين نصب أعينهم شرف المهنة وسمعتها .

**الأساس الثاني :** القيمة الذاتية للمهنة، فالموظف يتدرج في وظيفة معينة إذ يجد قيمة ذاتية وإحساساً بالإنجاز .



## أ. بهية القمودي البشتي

وتأسيساً على ما سبق نصل إلى أن تلك الوضعية نجدتها في التنظيم الرسمي من خلال سلوكيات الموظفين داخل المؤسسة، ولكن الموظف أو العامل أو المنتج الذي هو عصب المؤسسة أو التنظيم ومحركه، هو بالدرجة الأولى كائن اجتماعي له تقاليده، وسلوكياته، وعلاقاته التي تصحبه إلى داخل العمل وتؤثر أيضاً على تصرفاته وأعماله فالموظف ما هو إلا إنسان أولاً وقبل كل شيء بمعنى أنه يؤثر ويتأثر بغيره سواء في مجال عمله أو في محيطه الاجتماعي الذي يعيش فيه .

ولتحليل هذه الفرضية وهي "إن الإنسان عضو اجتماعي" جاءت كثير من الدراسات والبحوث لتوضيح وبيان تأثير الجماعات Groups التي ينتمي إليها الفرد على أدائه وسلوكه أثناء تأديته لعمله أو وظيفته .

فالإنسان يميل بطبعه إلى العيش وسط جماعة أو مجتمع، لأنه يحتاج لغيره وغيره يحتاج إليه، وأنه بقدر تعاون الناس ودخولهم في علاقات تعاونية لتحقيق مصالح أو أهداف اجتماعية سامية، بقدر ما يستطيعون إشباع حاجاتهم بطرق مشروعة ويسهمون في تنمية المجتمع والنهوض به.

وخير دليل على اجتماعية الإنسان قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَنُفُوسٍ كَثِيرَةٍ وَرَبَّائِلٍ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. صدق الله العظيم [الحجرات]13<sup>(5)</sup>.

فمن السمات المميزة للإنسان شعوره بالحاجة إلى الاتصال بغيره من خلال عيشه في جماعة، ويشير تاريخ البشرية إلى أن الحياة صراع من أجل الاحتفاظ بالذاتية أو الهوية الشخصية من ناحية، مع الرغبة في المحافظة على الانتماء بشكل كلي للآخرين من ناحية أخرى.

هذا الوضع، فرضته التحولات البنوية في التركيب الاجتماعي للمجتمع والتي ينتج عنها تحولات في شكل العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد فسلوك الإنسان ما هو إلا انعكاس للمجتمع الذي يعيش فيه، بما لهذا المجتمع من مؤسسات وقيم وأفكار وعادات وتقاليده.

إن أغلب البحوث العلمية في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإدارية، تثبت أن البيئات والمؤسسات والأوساط التي يتفاعل

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

معها الفرد الموظف، يتأثر بها ويؤثر فيها، كثيرة ومتنوعة وخصوصاً تأثير البيئة الاجتماعية وما تحويه من تفاعلات اجتماعية من خلال الاحتكاك بالجماعات الأولية من قبل الموظف ذاته، لأنها هي التي يتفاعل معها أثناء عمله وفي غير أوقات عمله، ويتأثر بما فيها من مكونات وعناصر وقوى ومؤثرات. فالجماعة والتي يقصد بها: "وحدة اجتماعية متميزة عن الخصائص الذاتية للأفراد المكونين لها، وينشأ بين أفرادها تفاعل اجتماعي ونسق معين من العلاقات والمعايير" (6)، تعتبر هي المحيط الذي تنمو فيه العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. والجماعة الأولية والتي يتفاعل معها الفرد الموظف، تؤثر في نشاطه أثناء عمله برغم من أن أداءه الوظيفي يتم في بيئة مختلفة عن البيئة التي يتفاعل فيها مع تلك الجماعات، ويأتي هذا الاختلاف في الخصائص والمعوقات بشكل ذي تأثير مباشر وغير مباشر، وقد يكون إيجابياً أو سلبياً على سلوك الموظف وعلى إنتاجيته وعلى إنجازه للمسؤوليات والمهارات الموكلة إليه، وهذا ما أكد عليه "إلتون مايو" ومن معه، عندما حاولوا الكشف عن العلاقة بين جوانب السلوك الوظيفي المختلفة، وعلاقتها بعضوية الموظف في الجماعات الأولية وتأثيراتها المختلفة عليه وخصوصاً جماعة الأصدقاء. كما جاءت كثير من المحاولات من قبل علماء السلوك، تناولوا فيها دور العوامل الاجتماعية كالعلاقات الاجتماعية التي تربط الموظف أو العامل بغيره من أفراد الجماعات الأولية "كالأسرة، الأصدقاء، والجيران" في مقابل علاقتها بالسلوك الوظيفي، فأجمعت أغلبها على دورها بالنسبة للفرد الموظف، وعلى الدور الحيوي الذي تلعبه للفرد والمجتمع على حد سواء.

فعلى المستوى الفردي تسهم العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد - الموظف - بغيره من الجماعات الأولية كجماعة الأسرة، والجيرة والأصدقاء كثيراً في تشكيل شخصية الموظف، وتحديد قيمه وأفكاره، وأنماط سلوكه، وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، التي تهدف إلى إعداد الطفل ثم الصبي فاليافع فالراشد، للاندماج في أنساق البناء الاجتماعي والتوافق مع المعايير الاجتماعية والقيم السائدة ولغة الإتصال والاتجاهات الخاصة بالأسرة التي ولد فيها، وبالجماعات التي ينضم إلى عضويتها، كما يتفهم الحقوق والواجبات

## أ. بهية القمودي البشتي

الملزمة المتعلقة بمجموعة المراكز، ويتفهم بالتالي أدوار الآخرين الذين يتعامل معهم في المواقف الاجتماعية المتنوعة، وهذا يتفق مع " هربرت سيمون " عندما أكد أنه في حالة عدم تفهم الشخص لتلك الحقوق والواجبات تكون العلاقات الاجتماعية بمثابة ضغوط تنشأ عن الدوافع والقيم وانتماءات الأفراد وتؤدي إلى عدم تماثل السلوك وانحرافه عن سلوك المجموع .

وعلى المستوى المجتمعي، يمثل هذا النوع من العلاقات الاجتماعية الوحدات الأساسية التي يتركب منها المجتمع، وقد يبدو ذلك واضحاً في الثقافات التقليدية بصفة خاصة، حيث إن أي تفكك أو ضعف في العلاقات الاجتماعية أمر من شأنه أن يجعل المجتمع أكثر عرضة لمواجهة مشكلات التفكك وفقدان المعايير<sup>(7)</sup> .

إذ أن لكل جماعة هدفاً أو أهدافاً تسعى لتحقيقها وتعمل على الوصول إليها من خلال جهود أعضائها، ومن ثم فالجماعة: لكي تحافظ على بقائها وتحقق أهدافها تحدد للأعضاء بها أنماطاً من التفاعل والأنشطة والمشاعر، يجب أن يلتزموا بها، ويعبر عن تلك الأنماط المتوقعة Expected بفكرة " النظام المطلوب " فكل جماعة - أسرة ، أصدقاء ... الخ ، نظام مطلوب يقابله النظام الشخصي **The Personal System** لكل عضو من أعضاء الجماعة وهو يعبر عن القيم والمعتقدات والمعارف وأساليب التفكير والمشاعر والأهداف والمهارات والخبرات التي يختزنها الفرد ويؤمن بها .

ومن خلال التفاعل بين "النظام المطلوب" وبين "النظام الشخصي" أي بين ما تطلبه وتفرضه الجماعة، وبين ما يتخذه الفرد لنفسه، يتحدد السلوك الفعلي للفرد ومن ثم تحقيق الجماعة لأهدافها والتي من خلالها يبقى المجتمع ويستمر . فما الجماعة إذاً، إلا نتاج النشاط المنبعث عن إرادات الأفراد، والذي يدفعهم إلى أن يرتبط بعضهم ببعض بشكل مستمر . وهذا ما أكد عليه "جورج هومانز" بتعبيره القائل :

بأن السلوك الاجتماعي سواء داخل الجماعة الأولية أو المؤسسة الرسمية، ما هو إلا نتاج تفاعل مجموعة أفراد مجتمعة في جماعات وليسوا بشكل فردي .

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

ويقسم العلماء السلوكيون الجماعات إلى نوعين رئيسيين على أساس طبيعة العلاقات التفاعلية السائدة بين أعضائها وهما : **الجماعة الأولية** : ومن أمثلتها جماعات الأقارب والأصدقاء والجيران، و**الجماعة الثانوية** : مثل جماعة المهنة والعمل وغيرها . وتوجد عدة أسس لتصنيف هذين النوعين الشائعين من الجماعات والتي منها تصنيف "جورج جورفيتش"<sup>(8)</sup>، إذ يقرر في هذا الصدد أن أشكال الجماعات يمكن أن تتداخل باعتبارها مجرد إطارات يرجع إليها عند أي دراسة علمية للجماعات الخاصة لغرض من الأغراض، ومن ثم يقترح خمسة عشر معياراً للتصنيف وهي<sup>(9)</sup> : المحتوى / الحجم / الاستمرار / الإيقاع / تقارب الأعضاء / أساس التكوين "الطوعية مثلاً" / الانضمام إلى العضوية/ مفتوحة / أو شبه مغلقة / درجة التنظيم / الوظيفة / التوجيه / العلاقة بالمجتمع الأكبر/ والعلاقة بالجماعات الأخرى / نمط السلطة / درجة الوحدة.

ومهما يكن من أمر المعيار المتخذ كأساس للتمييز بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية، فإن أهم ما يذكر هو أن كلاً منها يتميز بخصائص تختلف عن الأخرى، فمنها ما هو منظم بحكم اللوائح والنظم وتكون العلاقات فيها غير شخصية وهي الجماعات الرسمية المنظمة "الثانوية"، ومنها ما تكون فيه العلاقات تلقائية غير منظمة كجماعة الأصدقاء "الأولية"، والتي تمارس التأثير الأولي أو المبدئي العميق على الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية وتمتاز أيضاً بأن العلاقات فيها تقوم على أساس التفاعل وجهاً لوجه وفيها تقارب وإستمرار وتآلف وصلات قوية وتعاون لمواجهة مطالب الحياة .

ويتخذ كثير من علماء الاجتماع "العلاقات الاجتماعية" أساساً لدراسة وتصنيف الجماعات الاجتماعية في مختلف مراحلها وبتعدد أحجامها، فيتفق أغلبهم على أهميتها، لذا فهي تدخل أي العلاقات الاجتماعية، في صميم دراسة الجماعات الأسرية، وجماعات الجوار، والمجتمعات المحلية والمجتمع وخصوصاً الجماعات الأولية المحدودة الحجم كالأقارب والجيران والأصدقاء وذلك لما لها من دور أساسي في حياة الأفراد والمجتمعات .

وتوجد كثير من المحاولات الأولى لدراسة الجماعات الأولية من خلال دراسة العلاقات الاجتماعية والتي من بينها دراسة رادكليف براون الذي درس

## أ. بهية القمودي البشتي

العلاقات الاجتماعية بوصفها أساساً لتحليل البناء الاجتماعي ككل وذلك من خلال تعريفه لها بأنها ” العلاقة التي تقوم بين كائنين عضويين أو أكثر إذا أمكن تحقيق الملاءمة بين مصالحهم المختلفة، إما عن طريق تحويل هذه المنافع، أو عن طريق الحد والتقليل من الصراعات التي قد تنشأ نتيجة لتصادم هذه المصالح<sup>(10)</sup>.

فعلى حد تعبيره، أن دراسة البناء الاجتماعي تؤدي إلى دراسة المصالح أو القيم باعتبارها أساساً محدودة للعلاقات الاجتماعية. أما ماكس فيبر: فقد ربط بين العلاقة الاجتماعية من جهة، وبين الفعل الاجتماعي Social Action من جهة أخرى من خلال تعريفه للعلاقات الاجتماعية بأنها: ”سلوك لمجموعة من الأفراد، يواجه فيه بعضهم البعض الآخر، وهو سلوك يتخذ من حيث معناه وبالتالي من حيث توجهه، شكل الموقف الذي يستند فيه كل فرد من أفراد الجماعة، إلى موقف كل فرد آخر من أفراد تلك الجماعة”<sup>(11)</sup>. ومن هنا، نجد أن ” فيبر ” يعطي للعلاقة الاجتماعية صيغاً مختلفة من أشكال التنظيم الجمعي، إذ يمكن أن تكون كياناً اجتماعياً Social Entity مثل الدراسة أو الكنيسة، كما يمكن أن تأخذ طابعاً مؤسسياً INSTITUTION مثل الزواج وغير ذلك.

كما يمكن أن تكون العلاقة الاجتماعية من حيث مداها، ذات طابع أني أو ذات سمة مستمرة.

أما من حيث مضامينها، فيبدو أن فيبر في ذلك قد تأثر كثيراً بتحليلات (جورج زيميل G. ZIMMEL)، وتحديده الصوري لأشكال التنظيم الجماعي. إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن فيبر لا يعني في هذا الخصوص بمقومات العلاقة الاجتماعية من حيث مضامينها بناتاً، فالعلاقات الاجتماعية فيما يذهب إليه يمكن أن تتضمن الصراع، أو الحب، أو الكراهية، أو علاقات الصداقة والوئام... الخ كما يمكن أن تتضمن علاقات التضامن والتعاطف والتآخي<sup>(12)</sup>. وبشكل أدق فإن العلاقة الاجتماعية عنده يمكن فهمها كصيغة من صيغ الفعل الاجتماعي؛ إذ أن ما يحدد هذه الصيغة المتميزة هو بالأساس الطابع التبادلي لمواقف الأفراد إتجاه بعضهم البعض فيما يتعلق بمعنى سلوك كل منهم إتجاه الآخر.

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

من جهة أخرى نجد تشارلز كولي<sup>(13)</sup> من أبرز الذين تناولوا " موضوع الجماعات الأولية " بالشرح والتحليل، فقد أكد على دور الجماعات الأولية والتفاعل الاجتماعي، وبخاصة الاتصال في نشأة الشخصية ونموها، ومعنى ذلك أن " الذات - Self " تنمو داخل سياق العلاقات الاجتماعية . كما أن " كولي " يركز على أن الخاصية الأساسية للجماعات الأولية تقوم على علاقات المواجهة المباشرة الوثيقة، والتعاون الواضح، والصراع، وحرية التعبير عن الشعور والعواطف. كما ركز بصفة خاصة، على جماعة الأسرة وجماعات اللعب والجوار كنماذج واضحة للجماعة الأولية .

فالجماعة الأولية Primary Group ] أو كما تسمى اليوم غير الرسمية In formal تعتبر عند كولي ظاهرة عامة في كافة التنظيمات الاجتماعية ومن ثم فهو يعطيها بعض السمات المميزة لها عن الجماعات الثانوية، وتعتبر في ذات الوقت كوظائف تؤديها ومنها مثلاً، أنها أولية من حيث إنها قادرة على تشكيل الطبيعة الإنسانية، وتؤثر على خبرات الشخص المبكرة، هذا إلى جانب أنها تنمي لديه الشعور بالوحدة الاجتماعية . بالإضافة إلى ذلك يضع "كولي" ثلاثة شروط لتكون الجماعة أولية وهي<sup>(14)</sup> : التقارب الفيزيقي بين الأعضاء صغر حجم الجماعة، بالإضافة إلى الطابع الاستمراري للعلاقة . ومن خلال تلك الشروط نطلق على خط العلاقات السائدة " العلاقات الأولية "، إذ أنه من خلال الجماعات الأولية التي ينتمي إليها الفرد - الموظف - يمكن له أن يستدمج في ذاته المثاليات الاجتماعية العامة ويدعمها، والتي تشمل: "الإيمان، الشفقة، الامتثال للمعايير الاجتماعية، الحرية ..... الخ"، فلا يمكن أن تنمو هذه المثاليات إلا من خلال الجماعات الأولية وبممارستها من خلال العلاقات الاجتماعية الأولية .

وبهذا فقد ظلت معالجة " كولي " للجماعة الأولية إضافة جوهرية لعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، فقد أصبحت الجماعة الأولية مقولة أساسية في تصنيف الجماعات الاجتماعية، إذ يتضح ذلك بجلاء في تحليلات كل من "فرديناند تونيز" و " جورج زيمل " حيث إستخدم " تونيز " نفس الشروط التي وضعها " كولي " كأساس لتصنيف الجماعات، إذ طبقها في التفرقة التي

## أ. بهية القمودي البشتي

أقامها على كافة الجماعات الإجتماعية، كالأمتلة التي ذكرها للمجتمع المحلي "الأسرة / القرية / جماعة الأصدقاء ..... الخ" ويرى "تونيز" أنها تتحقق لها - بدرجات مختلفة - تلك الشروط التي وضعها كولي عند التصنيف .

أما "زيمل" فيرى بأن استفادته من تحليلات "كولي" تظهر من خلال دراسته للجماعة عندما رأى بأنه يمكن التمييز بين أنواع الجماعة بناءً على طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تسودها، فالعلاقة الاجتماعية القوية تسود الجماعة الأولية، بينما تضعف العلاقة بين أفراد الجماعة الثانوية، وقد توصل لهذه النتائج في دراسته المعنونة بـ "العاصمة والحياة العقلية" .

إلى جانب كولي، تعد تحليلات كنجزلي دافيز<sup>(15)</sup> للعلاقات الاجتماعية بنمطها الأولي، والثانوي، كميزين للجماعات الأولية والثانوية على التوالي، من أبرز مساهماته في هذا المجال إذ يحدد لها معايير للتمييز بينها، يطلق عليها الجوانب الكمية والجوانب الكيفية للعلاقة، وتتضمن العناصر الكمية في المقام الأول عدد الأشخاص المشتركين في نسق الفعل "أي أعضاء الجماعة" وتركزهم أو انتشارهم في منطقة جغرافية معينة، ودرجة كثافة تفاعلهم مع بعضهم بعضاً، والاستمرار النسبي للارتباط بينهم. في حين أن الجوانب الكيفية، تعتبر ذات صعوبات عند محاولة تحديدها، وقد حدد "دافيز" خمس صفات أو سمات يمكن الاعتماد عليها إذا اجتمع إليها بعض المعلومات عن الجوانب الكمية التي يسميها "الظروف المادية" كأساس لتمييز العلاقات الأولية عن العلاقات الثانوية، ويقدم أمثلة لتلك العلاقات على المستوى الثنائي، وعلى مستوى الجماعة الكبيرة، والجدولان التاليين "أ- ب" يوضحان تصور "دافيز" الذي تحدثنا عنه(16).

## الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

### جدول (أ) العلاقات الأولية :

الظروف المادية	السمات الاجتماعية	نماذج العلاقات	نماذج الجماعات
التجاور المكاني العدد الصغير الإستمرار الطويل	- تماثل الغايات التقويم الداخلي للعلاقات التقويم الداخلي للأشخاص الآخرين المعرفة الشاملة بالأشخاص الآخرين الشعور بالحرية والتلقائية تأثير وسائل الضغط الغير رسمية	الصديق - بالصديق الزوج - بزوجته الأب - بابنه المدرس - بالتلميذ	جماعة اللعب الأسرة القرية أو جماعة الجوار فريق العمل

### جدول (ب) العلاقات الثانوية :

الظروف المادية	السمات الاجتماعية	نماذج العلاقات	نماذج الجماعات
الاتساع المكاني العدد الكبير الاستمرار القصير	تباين الغايات التقويم الخارجي للعلاقة التقويم الخارجي لأشخاص الآخرين المعرفة الخاصة والمحدودة بالآخرين الشعور بالقيود الخارجية تأثير وسائل الضبط الرسمية	البائع والعميل المذيع والمستمع الممثل والمتفرج الضابط وجنوده المؤلف والقارئ	الأمة الإكليريكية الاتحاد المهني الشركة

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا وجود فوارق بين تحليلات دافيز ومن سبقه وتحديدًا تشارلز كولي، وفرديناند تونيز، إذ يوجه " دافيز " انتقادات لكولي من ضمنها أن تأكيد الأخير على الشعور بالنحن لا يمكن أن يعتبر العنصر المميز في الجماعة الأولية، طالما أن نفس هذا الشعور يلزم إلى حد ما لأي مجتمع محلي مستمر في البقاء، بل أن هذا الشعور ينبغي أن يكون موجوداً في الأمم الكبرى، التي لا يمكن أن يقوم فيها اتصال مباشر ووثيق - كما هو واضح - إلا بين شريحة صغيرة فقط من أعضائها .

وذاً الوضع ينطبق على تحليل " تونيز " عند وصفه للمجتمع المحلي بأنه مجتمع التجمعية والتكتل، دون تحديد دقيق للأمثلة الأمبيريقية مما يجعل دراسته ذات وجهة نظرية وفرضية أكثر منها إمبيريقية - هذا حسب رأي كنجولي دافيز .

وبالإضافة لمن سبق عرض تحليلاتهم بشكل مختصر فيما يخص الجماعة الأولية والعلاقات الاجتماعية، توجد دراسات أخرى ذات تأثير في التراث الأنثروبولوجي الاجتماعي ومنها دراسات كل من: " بارنر " و " اليزابيث بوث " إذ قدما نتائج جيدة كل في مجاله فيما يخص شبكة العلاقات الاجتماعية



## أ. بهية القمودي البشتي

وتحليلها كأساس لتحليل الأبنية الاجتماعية، فقد توصل "بارنر" إلى فكرة رئيسة مفادها تقديم صور وأشكال الروابط الشخصية المرتبطة بسبب ما بأفعال الأشخاص كطريقة للاستخدامات التحليلية والمجازية لشبكة العلاقات الاجتماعية .

أما " بوث " فقد توصلت من تحليلاتها لشبكة العلاقات الاجتماعية السائدة إلى أنه توجد مجموعة من الاتصالات أو العلاقات الشخصية بين أفراد الجماعات الأولية تتباين بتباين الجماعة ذاتها من خلال تباين أفرادها . هذا وقد ركزت العديد من الدراسات التي تناولت موضوع العلاقات الاجتماعية بالتحليل على مجموعة معايير تعتبر أساساً لتحليل أي شبكة للعلاقات وهي<sup>(17)</sup> :

1- **قوة العلاقات الاجتماعية** من خلال وضوح السلوكيات الصادرة عن الأفراد الأعضاء في الجماعة الأولية، ومثال ذلك (التضامن، مراعاة الحقوق والواجبات، التعاون).

2- **الحجم** : وذلك من خلال معرفة عدد الأشخاص " الأصدقاء، الجيران، الأقارب " .

3- **الكثافة** وذلك من خلال معرفة شدة وقوة العلاقة التي تربط الأشخاص كمعرفة قوة وشدة العلاقة بالأقارب من ناحية الأب، أم بالأقارب من ناحية الأم عن طريق الزواج والمصاهرة ..... الخ .

4- **المركزية** : وذلك من خلال التعرف على ما تتركز فيه العلاقة الشخصية كالاعتماد على الأقارب ذوي السطوة وعلى الأصدقاء الذين يتجمع حولهم البقية وأي الجيران الذين تتمركز عندهم العلاقات ... وهكذا .

5- **التجمع** : ويقصد بها الدرجة التي يكون أعضاء العلاقة قادرين عندها على تكوين تجمعات بينهم ذات تأثيرات خاصة وتحمل معايير مختلفة إختلافاً طفيفاً ينبغي على كل شخص منهم أن يضبط سلوكه تبعاً له .

ومن هنا، نجد أن أغلب المحاولات التي تناولت تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية أوضحت أنها تستخدم كوسيلة من وسائل دراسة العلاقات الرسمية وغير الرسمية، ومدى الترابط بينها وبين العلاقات الشخصية داخل المؤسسات

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

التنظيمية الرسمية إلى جانب الاهتمام بالتركيز على دور جماعة العمل في التأثير على مستويات الأداء داخل المؤسسات التنظيمية الرسمية، أي دور عامل أو متغير داخل المؤسسة على متغير ناتج في المؤسسة، في حين نجد أن التركيز على دور الجماعات الأولية الأخرى " كالأصدقاء، الجيران، الأقارب " ومالها من تأثيرات - قد تكون - بنفس درجة تأثير جماعة العمل على السلوك الوظيفي للعاملين إلا أنها لم تنل جانباً كبيراً من الاهتمام. وعليه، جاء الاهتمام في هذه الورقة على ضرورة التوضيح لتلك الجماعات من خلال الربط بين العضوية فيها وعلاقة ذلك بالانتماء لها وماله من دور في المجتمع الحديث. فجماعات الأصدقاء تشير إلى مجموعة من الأفراد " ثلاثة فما فوق " يختارون بعضهم بصفة حية مطلقة نظراً لعوامل متباينة كالانجذاب أو التشابه سواء في العمر أو النوع ..... إلخ. وتتطوي هذه الجماعات من وجهة النظر السوسولوجية على علاقات اجتماعية أكثر تعقيداً من علاقات القرابة والزمالة والجوار، حيث هذا النوع من الجماعات - كما سبق الذكر يقوم على الاختيار الحر من جانب الأفراد دون تدخل من عوامل خارجية، بل عادةً ما تتم عملية الاختيار من مجالات أخرى تبتعد كثيراً عن مجال العمل أو القرابة أو الجيرة . ونظراً لما حدث للمجتمعات من تغيرات وتطورات ناتجة عن كبر حجمها وزيادة عدد السكان كنتيجة للتصنيع والحدثة، فإن هذا أتاح فرصاً أكثر إتساعاً وملائمة لإختيار الأصدقاء، ومن المتوقع تبعاً لذلك ألا تختلط روابط الصداقة فيها بعلاقات القرابة والجوار ويلجأ الأفراد لتكوين الصداقات لغرض إشباع الإحساس العاطفي والتخلص من العزلة وتكوين الذات الاجتماعية . ويشير " فيشر " أن جماعات الأصدقاء قد تأثرت تأثيراً كبيراً بالحدثة والتطور، بمعنى أن علاقات الألفة والمودة التي كانت تسود بين جماعات الأصدقاء في المجتمعات التقليدية قد تحولت بمرور الوقت إلى علاقات مصلحة وإنحياز<sup>(18)</sup> .

ويؤكد من ناحية أخرى كل من " جانز "، و " أوسكار لويس " أن جماعات الأصدقاء شأنها شأن الجماعات الأولية الأخرى ليست بأقل أهمية أو مغزى في المجتمع الحديث، بل ربما فاق ما يسودها من علاقات الألفة والروابط

## أ. بهية القمودي البشتي

الشخصية غيرها من الجماعات الأخرى، لأنها تنبثق عنه - أي المجتمع الحديث - ثقافات فرعية متميزة ومتجانسة، ولأن فرص الاختيار في مجالها أكثر اتساعاً ووفرة<sup>(19)</sup>.

ومن البديهي أن يكون للعضوية في تلك الجماعة - أي الأصدقاء- دور كبير في تحديد وتشكيل السلوك الفردي لأعضائها مما ينتج عنه ضرورة التماثل في السلوك وفقاً لمنظومة التوقعات والمعايير السائدة في الجماعة حتى لا يكون هناك شواذ بين الأفراد مما يؤثر في بنية الجماعة، ومن ثم في تكوين الاتجاهات حولها وهذا بالتالي يتحدد وفقاً لدرجة الانتماء والولاء لهذه الجماعة. أما بالنسبة لجماعات الجيرة، فيشير مصطلح الجيرة والمجاورة في العادة إلى جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلي منها ويسودها إحساس بالوحدة والكيان المحلي إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة وأولية وثيقة ومستمرة نسبياً<sup>(20)</sup>. ويتضمن التصور الشائع عن المجاورات أو جماعات الجيرة فكرة أن النوعية الخاصة والمميزة لعلاقات الجوار - تلك العلاقات التي تجعل الجيران يشكلون جماعة أولية - قد تغيرت بدرجة ملحوظة بفعل عوامل التحضر والتطور.

ويؤكد " ويرث " و " بارك " في هذا الخصوص أن عوامل الحداثة والتطور قد جعلت من المجتمع الحديث مجرد تكس للمساكن المتجاورة لأفراد قد لا يعرف الواحد اسم الآخر، وأشار بارك أن جماعات الجوار فقدت في المجتمع الحديث ما كان لها من مغزى في الأشكال البسيطة التقليدية للمجتمع<sup>(21)</sup>.

فالحداثة في رأيه ورأي أتباعه من مدرسة شيكاغو قد أضعفت إلى حد بعيد المدى من العلاقات الوثيقة التي كانت تتسم بها هذه الجماعات الأولية وحل محلها التأكيد على علاقات الاستقلال والغفلة بين الجيران. ويحدد كل من يونغ Young و ويلموت F. Willmot أن هناك مجموعة سمات تميز شخصيات الأفراد الذين يميلون إلى توطيد علاقات الجوار بغيرهم، منها طول مدة الإقامة بالمجاورة، وزيادة الميل نحو الأطفال، وكبار السن، ووضوح الميل نحو

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

المشاركة الاجتماعية، فمن ناحية يلاحظ أن عنصر الوقت يساعد بالضرورة على تأكيد الروابط الوثيقة بالجيران والمجاورة، كما أن وجود الأطفال يمكن بدوره من توطيد هذه الروابط بين الآباء بطرق متعددة، بالإضافة إلى أن تقدم الأفراد في السن وتقاعدهم عن العمل في كثير من الأحيان - يجعلهم " موجهين نحو منزل الأسرة " بما يتيح لهم فرصاً أكبر لتوثيق صلاتهم بجماعة الجيرة ، هذا فضلاً عن أن المشاركة في قيم عامة وحاجات مشتركة تخلق بدورها قنوات للتفاعل والارتباط الوثيق بالآخرين<sup>(22)</sup>. وهذا ما يحدد بالتالي درجة الانتماء والولاء لجماعات الجيران وفقاً لعوامل الارتباط الوثيقة بين الأفراد .

وأشار " أليكس انكلز " إلى أن جماعة الجوار تشكل أصغر وحدة سكنية يتناولها علم الاجتماع بعد الأسرة إذ أنها تتضح فيها مستويات الولاء المختلفة بشكل جلي كما في باقي الجماعات .

أما جماعات القرابة، فنجد أنها تحتل أهمية كبيرة في المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة غير الصناعية، وذلك لما تلعبه من دور في تحديد الأنساب وتوضيح الحدود الأسرية إذ أدى ظهور أنساق القرابة إلى تشعبها وتفرعها ومما جعلها من الأمور المألوفة تماماً، فلكل فرد قرابة من الدرجة الأولى في الأسر النووية التي ينتمي إليها، وخارج نطاق هذه الأسر يستطيع الفرد أن يجد ثلاثة وثلاثين نمطاً من قرابة الدرجة الثانية ، ومائة وواحداً وخمسين نمطاً من قرابة الدرجة الثالثة، وهكذا يزداد عدد أنماط القرابة بإنخفاض درجاتها ، ورغم هذا فلا يوجد مجتمع يأخذ في اعتباره عند تحديد نسق القرابة كل الدرجات التي يشتمل عليها هذا النسق، لذلك يمكن القول إن أغلب الباحثين يأخذون عند تحليلهم لتطور الجماعات الاجتماعية بنسق محدد فقط دون غيره .

ولقد ميز " لوي Lowie " و " كيرشوف Kirchoff " بين أربعة أنماط أساسية من مصطلحات القرابة استناداً إلى طريقة تناول جيل الآباء لها ، أما " ميردوك " فقد قدم تصنيفاً أكثر وضوحاً يشتمل على أحد عشر نمطاً للتنظيم الاجتماعي، ثم أقام تصنيفاً داخلياً لها بحيث أصبح هناك ستة أنماط متباينة طبقاً لمصطلحات القرابة والخمس الأخرى متباينة طبقاً لخط الانتساب<sup>(23)</sup> .

## أ. بهية القمودي البشتي

وتعتبر القرابة - حسب رأي الأنثروبولوجيين - عاملاً هاماً من عوامل تحقيق الوحدة الاجتماعية، وهي الإطار الذي من خلاله يعهد المجتمع إلى الفرد بوظائف اقتصادية وسياسية هذا في المجتمعات البدائية طبعاً أو يتخذ العامل القرابي كأساس للتحليل فيها .

وتلعب العلاقات القرابية دوراً مهماً في المجتمع وفي بناء شبكة العلاقات الاجتماعية، وفي هذه الحالة نجد ولاء الموظف مثلاً يتوزع بين جماعته الأولية "أسرة - أقارب" وبين عمله مما قد يؤدي إلى ظهور ازدواجية تختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر .

ونظراً لتعدد موضوع أنساق القرابة وتشابكه، فإننا نجد أن الدراسات في هذا المجال لا زالت قليلة، وهذا ما دفع " لوي " إلى القول إن كل نقطة تقريبا في هذا الميدان بحاجة على دراسة.

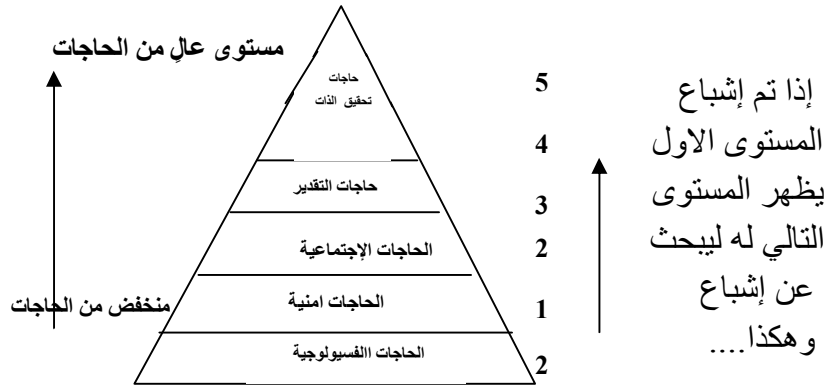
فعلماء الاجتماع المحدثون لا يهتمون كثيراً بموضوع القرابة طالما أنها تلعب دوراً ضئيلاً - حسب رأيهم - في المجتمعات الصناعية التي هي بطبيعتها الحال المجال الخصب لدراساتهم . وربما كان سبب إهمال دراسة ظاهرة القرابة انشغالهم الشديد " وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية " بأسر الطبقة المتوسطة الحضرية التي تعبر بحق عن أبرز خصائص الأسرة النووية المستقلة بيد أن القرابة تلعب دوراً هاماً لدى الطبقات العاملة الصناعية من حيث أنها تمثل ضابطاً لسلوك الفرد ومجالاً للمساعدة المتبادلة ، فضلاً على ذلك فإن القرابة قد لعبت - ولا تزال تلعب - دوراً في تدعيم وحدة الطبقات العليا وربط الصفوات المختلفة في المجتمع<sup>(24)</sup> .

وطالما أن أي مجتمع لا يخلو من وجود جماعات الأصدقاء والقرابة والجيرة وما تفرضه من ضرورة العضوية فيها بناءً على متطلبات بيولوجية واجتماعية للأفراد فإن تلك العضوية ينتج عنها ولاءات لتلك الجماعات تتباين وفقاً لتطور المجتمع وحداثته ومن الذين اهتموا بمجال ضرورة الجماعات والانتماء إليها " أبراهام ماسلو " الذي صنف الحاجات التي يتطلبها الفرد في سلم عرف " بسلم الحاجات " والذي يحدد فيه الحاجات الأساسية التي تحت الفرد وتدفعه إلى الشروع في سلوك أو عمل معين ومن ثم الانضمام لجماعة معينة. حيث

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

افترض ماسلو وجود تنظيم هرمي لحاجات خمس داخل كل فرد تكون ذات تأثير كبير على تنميط سلوكه الخارجي أو الظاهري، بمعنى أن سلوك الإنسان يتأثر بمدى إشباع تلك الحاجات، فإذا لم يتم إشباع الحاجة يكون هناك تأثير على السلوك، أما إذا تم إشباعها فلن يكون لها تأثير على سلوكه، وقام " ماسلو " بترتيب حاجات الإنسان في شكل هرم يأتي في قاعدته الحاجات الأساسية، المادية ثم يتدرج إلى كل من الحاجات النفسية ثم المعنوية، كما أوضح أن الحاجة لا تظهر لدى الإنسان إلا عندما يتم إشباع الحاجات التي تسبقها من حيث الأهمية ودرجة الإلحاح، وتلك الحاجات هي: الحاجات الفسيولوجية، حاجات الأمن، الحاجات الاجتماعية، حاجات التقدير، وحاجات تقدير الذات (25).

والشكل التالي يوضح تلك الحاجات كما تصورها ماسلو في شكل هرمي .



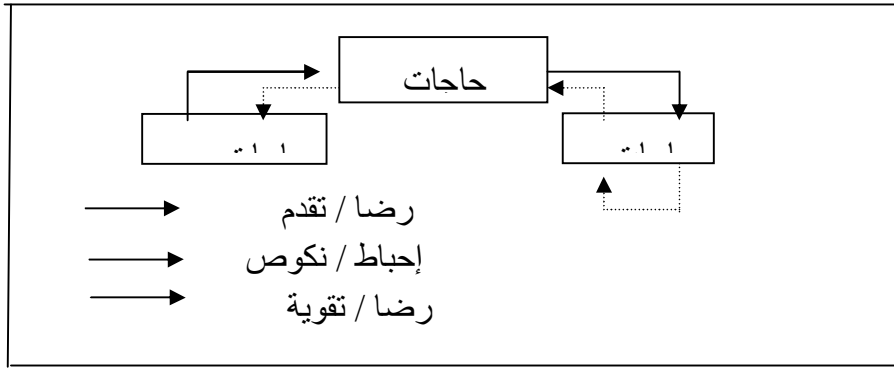
شكل (1) يوضح السلم الهرمي للحاجات الإنسانية وفقاً لـ ماسلو (26) .  
كما جاءت دراسة "كلتين ألدرفر" "1969-1972" لتشير إلى أن هناك ثلاث فئات رئيسة للحاجات وهي (27) : الحاجة إلى الوجود - الحاجة إلى الانتماء - الحاجة إلى النمو .

ويفترض الدرفر أن هذه الحاجات نشطة في كل الأفراد الذين هم على قيد الحياة، فهم متشابهون في امتلاكها، ومختلفون في قوة حاجاتهم، ومن ثم فإن

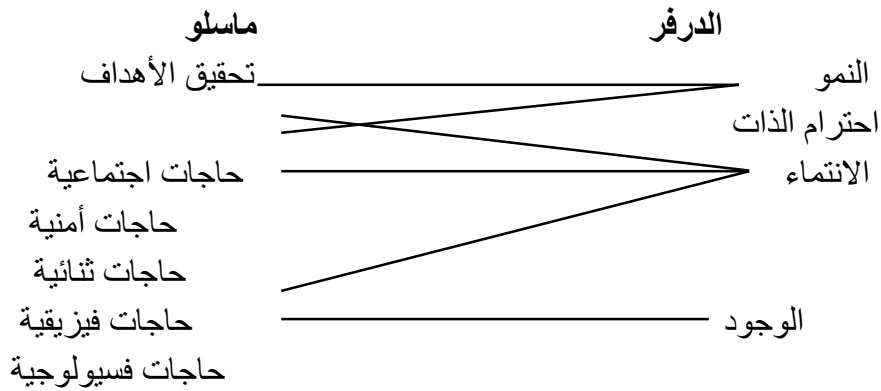
## أ. بهية القمودي البشتي

كل حاجة من الحاجات تتعقد وتتشابك مع غيرها في درجة إشباعها من أجل تحقيق الأهداف المرغوبة من خلالها .

شكل ( 2 ) يوضح نظرية الوجود والانتماء والنمو لألدرفر<sup>(28)</sup>



وإذا ما قارنا بين نظريتي كل من ألدرفر و ماسلو لوجدنا أن الأول قد بنى نظريته على أساس نظرية " ماسلو " لكنها تخلصت من بعض الغموض الذي كانت تعاني منه بعض فئات نظرية " ماسلو "، حيث وضع " ألدرفر " الحاجات الأمنية إما تحت الأمور المادية أما القضايا الثنائية، وتقدير الذات يمكنه أن يكون ثنائياً أو مؤكداً ذاتياً . كما في الشكل التالي<sup>(29)</sup> :



شكل ( 3 ) يبين مقارنة بين حاجات ماسلو وحاجات الدرفر

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

وتأسيساً على ما سبق: نجد أن موضوع انتماء الفرد إلى جماعة رسمية كانت أو غير رسمية، بالنسبة لاهتمام الباحثين في الاتجاهات النظرية لعلماء النفس والاجتماع، تنتهي كلها إلى التأكيد على أن للإنسان قوة دافعة هي حاجته إلى التفاعل مع الآخرين، وإقامة علاقات معهم، ثم قبولهم له، فالإنسان حيوان اجتماعي كما أكد جورج هومانز ووزاليزيتك عندما ركزا على دراسة آثار العضوية في الجماعة كمدخل للتعرف على تشكيل اتجاهات الأفراد وقراراتهم بالإضافة إلى معرفة العوامل التي تؤدي بتفاعل الفرد مع الجماعة وما يرتبط بذلك من عمليات اجتماعية .

ومن الدراسات التي أكدت على ذلك دراسات الهاوثورن إلى جانب الاتجاه السيكولوجي الذي عنى بدراسة العلاقات الإنسانية غير الرسمية داخل الجماعات الأولية التي تنشأ في التنظيمات الرسمية مستندواً إلى تصور خاص هو حاجة الإنسان إلى عضوية الجماعة .

ونجد أنفسنا هنا أننا أمام سؤال مهم وهو : ما دور الانتماء للجماعات الأولية في المجتمع الحديث في سلوك الموظف ؟

للإجابة على هذا التساؤل : نجد أنه من بين الذين اهتموا بمسألة الانتماء والولاء "اميتاي اتزيونى" إذ أنه أقام تفرقة بين ثلاثة أنماط للانتماء إلى التنظيمات -أياً كانت رسمية أو غير رسمية - مع الفارق من حيث الحجم والهدف ، وهذه الأنماط هي<sup>(30)</sup> :

- أ- الانتماء الآلي : الذي لا يتطلب التزاماً كبيراً بأهداف التنظيم .
- ب - الانتماء الأخلاقي : الذي يتطلب ارتباطاً أخلاقياً بالتنظيم .
- ج - الانتماء الإغترابي : وهو يعكس ارتباطاً سلبياً بالتنظيم .

فالانتماء يكون قوياً عندما تكون الجماعة منسقة، على عكس الجماعات التي تكون غير مترابطة، إذ يكون انتماء الأفراد لها ضعيفاً، والجماعة تكون منسقة عندما يجد أفرادها في عضويتهم لها أمراً مرغوباً فيه، جذاباً، وعندما تحقق لهم حاجاتهم ويشتركون في مفاهيم عامة عن المعايير الاجتماعية بها . فالجماعة التي يكون لدى أفرادها هذه الصفات المميزة للانتماء لها، تتصف ولاشك بصفة تختلف عن الجماعات التي لا يكون فيها مثل هذا النوع من الأفراد، إذ أن التزام



## أ. بهية القمودي البشتي

الأفراد بالقواعد والمعايير يعود إلى حاجاتهم إلى الانتماء إلى جماعة يشعرون فيها بالأمن والطمأنينة من ناحية أخرى، هذا على المستوى الفردي، أما على الصعيد المجتمعي فدرجة صلابة المجتمع تعتمد إلى حد كبير على درجة انتماء الفرد لها فالناس جميعاً يقدرّون علاقتهم بالجماعة التي ينتمون إليها، فهم يسلكون سلوكاً يتفق مع معايير هذه الجماعة.

وهكذا نجد أن كثيراً من الأفراد يكتسبون اتجاهات مقبولة نحو عضويتهم في الجماعة التي ينتمون إليها. ويشير الدكتور "علي السلمي" إلى أن انتماء الفرد للجماعة يتحقق إلى درجة كبيرة على أسس ثلاثة هي (31) :-

1\_ إذا كانت الثقافة التي ينتمي إليها الفرد تحقق له حاجاته ، فالفرد يجد راحة نفسية عندما يندمج في جماعة تتفق فيها المعايير والقيم ، ويشعر الفرد أيضاً بالرضا عندما يقوم بعمل من الأعمال وتقبله الجماعة بالقبول والاستحسان.

2\_ أن يكون لدى الفرد استعداد للقيام بدوره كعضو في الجماعة وهذا لا يتضمن فقط أنواعاً معينة من السلوك من جانب الفرد، ولكنه يتضمن أيضاً استجابات معينة من الآخرين وعندما يحصل الفرد على الرضا بالانتماء للجماعة فهذا بالتالي يسهل عليه القيام بدوره كعضو في الجماعة .

3\_ أن يثق الفرد أن فهمه للمعايير الاجتماعية يشترك فيه مع الآخرين ، فهو لا يقوم بدوره الاجتماعي دون أن يستعمل المعايير المشتركة التي تتحدد على أساسها الأدوار الاجتماعية والثقة في القيام بدور مرغوب فيه تفرض وجود خبرة مع الجماعة لمعرفة معاييرها وقيمها ومستوياتها.

وبمعنى آخر : أن أداء الفرد لدوره الاجتماعي يقوم على فهمه لمعايير الجماعة ، ومن ثم يقوم هذا الفهم على ثقة تؤدي إلى انتماء الفرد للجماعة وتكيفه معها . والانتماء للجماعة يؤدي ولاشك إلى اتساقها وتكاملها فقيام الأفراد بأدوارهم الاجتماعية قيماً عاماً يعطي هذه الأدوار أهمية كبرى .

ومن نتائج الانتماء للجماعة على أسس سليمة ، أن يصبح ما يرغب الفرد في عمله هو نفسه ما يدركه على أنه مطلوب منه نتيجة للقيام بدوره في المجتمع، فإذا ما تكررت إثارته على مدى واسع للقيام بدور معين فإنه يقتنع بأن هذا الدور المطلوب منه هو الدور الوحيد الذي يمكنه القيام به ولأول مرة في

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

حياته يتوقع منه الآخرون ما يرغب هو تماماً في أن يكونه ويدركه العالم الخارجي " الواقع الاجتماعي " تماماً، ما يدركه هو نفسه .  
فإذا نظرنا إلى هذا الواقع الاجتماعي على أنه الأطر المرجعية المشتركة التي تساعدنا على التعامل مع الآخرين، فإن الانتماء يتكون في جزء كبير منه من الاعتقاد بأن دور الفرد له مكانة في عالم الواقع<sup>(32)</sup> .

ومن الدراسات البارزة في هذا المجال- أي مجال دراسة الانتماءات والولاءات- دراسة الدكتور مصطفى عمر التير المعنونة بـ " التنمية والتحديث في المجتمع الليبي " والتي اتخذ فيها الولاء للجماعات كمؤشر لعملية التحديث من حيث قوته وضعفه فيرى أن الولاء لجماعة الأسرة هو أقوى بكثير من الولاء لزملاء العمل والوطن بدرجات مختلفة. واتخذ كذلك مؤشر الولاء للجيران كمعيار لتحديد درجة التحديث وتوصل إلى أن درجة الولاء منخفضة نسبياً نحو الجيران وخصوصاً في الأحياء السكنية الحديثة نوعاً ما. وإلى جانب ذلك تم التعرف لمتغيرات أخرى كالنوع والتعليم والمهنة ... إلخ لتحديد أثرها على درجة الولاء ومن ثم علاقتها بالتنمية والتحديث من خلال قياس سلوكيات وممارسات محددة<sup>(33)</sup> .

### خلاصة:

بما أن الموظف الفرد هو اللبنة الأساسية في بناء المؤسسة ، نجد أن الأداء التنظيمي للمؤسسة كله يعتمد بدرجة كبيرة للغاية على الأداء الفردي لجميع أعضائها، ورغم أن الصلة بين مستوى الفاعلية الفردية والفاعلية التنظيمية الشاملة ليست مجرد جمع أداء الأفراد، بل من الواضح أن الأداء الناجم على المستوى الفردي ضروري (رغم أنه قد يكون غير كافٍ) للنجاح التنظيمي<sup>(34)</sup> ومن ثم، فإن السؤالين الأساسيين اللذين يحاول حقل السلوك الوظيفي الإجابة عليهما هما:- لماذا يتصرف الموظفون في المؤسسات بالشكل الذي يتصرفون فيه؟ وكيف يمكننا جعلهم يتصرفون بطريقة مختلفة؟ ولا مبالغة في تبسيط الأمور إذا تم القول بأن أهمية طرح السؤال الأول لم تُدرك إلا بعد دراسات الهاوثورن في ( ويسترن اليكتريك ) قبل أكثر من ستين عاماً .

## أ. بهية القمودي البشتي

لذا فإن دراسة السلوك الوظيفي تتطلب إدراك مختلف النواحي التي تشكل ذلك السلوك وتحركه، وتتضمن المتغيرات ذات الأهمية البالغة في تحديد السلوك الوظيفي لأي موظف -أيًا كانت مكانته الوظيفية - القدرات والمهارات الفردية، والتكوين الشخصي، والمتغيرات السيكولوجية للإدراك الحسي والمواقف، والحاجات وتجارب التكيف، وحتى مسائل المتغيرات الديموغرافية مثل السن والجنس، والعرف .. إلخ، كما يجب ، أن لا يغيب عن الانتباه ضرورة إدراك ما للتلاؤم بين الموظف والمؤسسة من أهمية كبيرة من حيث مدى تناسب حاجات الموظف مع المكافآت التنظيمية وتناسب مهارات الفرد وقدراته وخبراته مع متطلبات العمل وتوقعاته. هذا إلى جانب دراسة العواقب المحتملة للاختلال الوظيفي الناجم عن عدم التناسب هذا . وتشمل هذه العواقب ازدياد التغيب عن العمل، واستبدال الموظفين، وازدياد الهدر، والتهرب من المسؤولين، وكثرة الأخطاء، في مقابل تقليل ذلك في حالة ما تم اعتبار مدى تناسب العوامل السابقة لكل موظف بشكل مناسب .

من ناحية أخرى، يجب عدم إغفال أن التوجه نحو حياة التحديث الاجتماعي في إطار هوية حضرية أفرزتها حركة التصنيع والتكنولوجيا المتغيرة بصفة مستمرة ، جعل الأفراد يعجزون عن استيعابها والتعامل معها، ومن ثم فإن التحول من المجتمع الزراعي التقليدي إلى المجتمع الصناعي، فرض قيود على سلوك وتصرفات الأفراد، وذلك لظهور المؤسسات الرسمية المتصفة بالبيروقراطية - إلى حد ما - والتي اعتبرت كتنظيمات إدارية فرضتها طبيعة التحول المجتمعي . حيث اتصفت شخصية الفرد هي الأخرى بالطابع البيروقراطي الذي جعلها تختلف عما كانت تتصف به من تقليدية متمثلة في انتمائه لجماعته الأولية، التي كانت تقوم بأداء الوظائف وإشباع الحاجات الإنسانية في مختلف مستوياتها وأشكالها، والتي بدورها سيكون لها انعكاسا واضحا على السلوك الوظيفي للفرد داخل المؤسسة التي يعمل بها .

لذا، فإن البحث في طبيعة العلاقة بين علاقات الأفراد بجماعاتهم الأولية " الأصدقاء، الجيران، الأقارب ... إلخ" من ناحية، وعلاقة ذلك بسلوكهم الوظيفي داخل المؤسسات الرسمية التي يعملون فيها والتي فرضتها عليهم روح التطور

### **الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...**

والعصر من ناحية أخرى، وذلك باعتبارها – أي الأخيرة – متطلبات وظيفية اقتضتها تطورات العصر الحديث يعتبر من المواضيع ذات الأهمية بمكان بحيث قد تساعدنا في الإجابة على السؤال الذي يطرح نفسه وهو: متى نصل إلى أفضل أداء في المؤسسات التنظيمية الرسمية؟

## أ. بهية القمودي البشتي

### الهوامش:

- 1- أحمد صقر عاشور، إدارة القوى العاملة: الأسس السلوكية وأدوات البحث التطبيقي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 47.
- 2\_ أحمد زكي بدوي، علاقات العمل والخدمة الإجتماعية العمالية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1986، ص.185
- 3\_ أحمد صقر عاشور، السلوك التنظيمي في المنظمات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص.39
- 4\_ إبراهيم الغمري، السلوك الإنساني في الإدارة الحديثة، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1989، ص147
- 5\_ الآية الكريمة رقم (13) من سورة الحجرات، مصحف الجماهيرية، ص.514
- 6\_ معن خليل عمر، البناء الاجتماعي-أنساقه ونظمه- دار الشروق للنشر والتوزيع، 1992، ص.93
- 7\_ السيد عبدالعاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص.247
- 8\_ علي الحوات، وأحمد النكلاوي، علم الاجتماع، منشورات جامعة الفاتح، 1982، ص.161
- 9\_ المرجع السابق، 145.
- 10\_ غريب سيد أحمد، دراسات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص.229
- 11\_ علي ليلة، النظرية الإجتماعية المعاصرة-دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993، ص.305
- 12\_ المرجع السابق، ص.305
- 13\_ نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع\_ طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة، وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 8، 1983، ص ص218-219.

### الجماعات الأولية والسلوك الوظيفي بين العوامل المعيارية ...

- 14\_ محمد الجوهري، وآخرون، تمهيد في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص122
- 15\_ علي الحوات، مرجع سابق، ص.154
- 16\_ محمد الجوهري، وآخرون، مقدمة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1981، ص ص181-183.
- 17\_ بتصرف عن : غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ص238-241.
- 18\_ السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص.158
- 19\_ المرجع السابق، ص.157
- 20\_ المرجع السابق، ص.263
- 21\_ المرجع السابق، ص.264
- 22\_ محمد الجوهري، مقدمة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص.174
- 23\_ علي أحمد فاضل، علم الاجتماع العائلي، منشورات المركز الثقافي التونسي، نابل، 1999، ص ص 65-66.
- 24\_ المرجع السابق، ص ص101-102.
- 25\_ عمار الطيب كشرود، علم النفس الصناعي والتنظيمي الحديث : مفاهيم، ونماذج، ونظريات، الجزء الثاني، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي، 1995، ص63.
- 26\_ إبراهيم الغمري، مرجع سابق، ص.184
- 27\_ عمار الطيب كشرود، مرجع سابق، ص.86.
- 28\_ المرجع السابق، ص.65
- 29\_ المرجع السابق، ص.66
- 30\_ السيد الحسيني، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1994، ص ص125-126.
- 31\_ علي السلمي، مرجع سابق، ص.209
- 32\_ محمد لبيب النجيجي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار الأنجلو المصرية، 1986، ص245.

**أ. بهية القمودي البشتي**

- 33\_ مصطفى عمر التير، التنمية والتحديث، منشورات معهد الإنماء العربي، قاريونس، 1980، ص155.
- 34\_ هشام عبدالله، كلاسيكيات الإدارة والسلوك التنظيم، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ط2، 1999، ص270.

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

## الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة بكلية الآداب

د. محمد أحمد المصراي  
قسم المكتبات  
كلية الآداب - الزاوية

### تمهيد :

تختلف أوعية المعلومات باختلاف ما تتضمنه من معلومات، وطريقة طرحها لتلك المعلومات، فقد كانت الأوعية قديماً عبارة عن ألواح طينية، وورق بردي وغيرها، ثم جاء عصر الأوعية التقليدية المتمثلة في الكتب المطبوعة، والدوريات والأطروحات العلمية، ثم جاء بعدها الأوعية غير التقليدية ومن بعدها الأوعية الإلكترونية.

وما يهمنا هنا من بين تلك الأوعية هو الأطروحات باعتبارها وعاء من أوعية الفكر، لما تحتويه من إضافات جديدة للمعرفة في مختلف المجالات، حيث تعتبر الأطروحات العلمية مصدراً خصباً من مصادر المعلومات، فهي تعد من الأعمال المبتكرة وغير المسبوق إليها، وقد أولت الجامعات الغربية أهمية كبيرة واهتماماً خاصاً لهذه الأوعية وكونت لها أكثر من مرصد ببيوجرافي لتتيح للباحثين والهيئات والمؤسسات الحصول على معلومات ببيوجرافية، ومستخلصات لأطروحات الدكتوراه المخزنة بتلك المراد، بل تجاوزت ذلك بإتاحة الأطروحات على هيئة مصغرات. أما العالم العربي فلا يزال في بداية المشوار.

### نبذة عن الرسائل الجامعية

وتعتبر الرسائل الجامعية من مصادر المعلومات الغنية والخصبة، ويشترط لإجازتها ومنح درجتها العلمية أن تكون الرسالة مبتكرة وأصيلة وغير مسبوق إليها (1) ومع الأهمية الكبيرة للرسائل فإن القليل منها هو ما يخرج إلى الوجود عن طريق النشر في شكل كتب، إذ يعد حصر وتسجيل الرسائل في أدوات ببيوجرافية عملاً بالغ الأهمية.



وللرسالة الجامعية أو الأطروحة مصطلحان في الإنجليزية - Dissertation Thesis يستعملان تبادلياً في أغلب الأحيان، وإن كان ثانيهما أكثر رواجاً في الولايات المتحدة الأمريكية، لكونه يستعمل للدلالة على جميع مستويات الرسائل، أما في بريطانيا فإنه يفضل استعمال Thesis مع رسائل الدكتوراه واللفظ الآخر مع الدرجات الجامعية، وأياً كانت التسمية، فالأطروحة عمل علمي يتقدم به الدارس للحصول على درجة جامعية معينة. (2)

وتطلب الجامعات من المرشحين للحصول على درجات أكاديمية عليا (ماجستير - دكتوراه) إعداد بحث يشترط أن يكون تحت إشراف أستاذ متخصص، وهي تحتوي على فئة مهمة من المصادر التي تمد الباحثين بالمعلومات في مجال موضوعاتهم على اعتبار أن الرسائل تتناول في العادة موضوعات لم يسبق بحثها أو دراستها على مستوى أكاديمي، ومن ثم فهي تعد إضافة حقيقية للمعرفة وجهدا علميا(3).

وعادةً ما تتضمن الرسائل الجامعية معلومات وبيانات عن الأعمال ذات فائدة كبيرة، وهذه الرسائل مكتوبة بطريقة لا تصلح للنشر كما هي، وفي حالة نشرها ككتاب تجرى بعض التعديلات عليها، ولكن يمكن لمعد الرسالة نشر أجزاء منها على هيئة مقال(4).

### تعريف الرسائل الجامعية

تعرف الرسائل الجامعية بأنها عمل علمي يتقدم به طالب الدراسات العليا في الجزء الأخير من مدة دراسته والتي تختلف من دولة إلى أخرى ومن نظام جامعي إلى آخر لغرض الحصول على درجة جامعية معينة في الغالب تكون ماجستير أو دكتوراه، وتختلف أهمية الرسالة الجامعية من حيث كونها إسهاماً علمياً متميزاً تبعاً للمستوى الذي تعد فيه، ومما لا شك فيه أن رسائل الدكتوراه إسهاماً أكثر فاعلية من رسائل الماجستير على اعتبار أن طالب الدكتوراه قد اكتسب من الخبرة ما يؤهله لإنجاز رسالته بشكل أفضل، فهو قد

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

أعد رسالة ماجستير سابقاً، كما أن دخوله لميدان البحث العلمي بعد الماجستير قد اكسبه خبرة جيدة من خلال ممارسة البحث العلمي والتي سيستثمرها بكل تأكيد في إعداد رسالة الدكتوراه في الوقت الذي يفتقر فيه طالب الماجستير لهذه الخبرة فهو يخوض تجربته الأولى في إعداد بحث أكاديمي متكامل لهذا تنظر الأوساط العلمية لرسائل الدكتوراه نظرة خاصة وفق هذه الاعتبارات.<sup>(5)</sup>

كما عرفها بـرجس عزام بأنها حصيلة جهد علمي قام به أحد طلبة الدراسات العليا للحصول على درجة جامعية معينة.<sup>(6)</sup>

#### تعريف إجرائي للرسائل الجامعية

هي بحوث أكاديمية مبتكرة تعالج مواضيع في مجالات معينة من فروع المعرفة المختلفة وتضيف لها أفكاراً ورؤى وحلولاً .

#### أهمية الرسائل الجامعية

تعتبر الرسائل الجامعية من أهم أشكال الإنتاج الفكري الذي يخرج من الجامعات، فرسائل الماجستير والدكتوراه حصيلة للدراسات والأبحاث التي يقوم بها طلاب الدراسات العليا بفئاتهم وتخصصاتهم المختلفة، وهي مجهود علمي أصيل أو إضافة حقيقية للمعرفة الإنسانية، إذ إنها تتناول موضوعات لم يسبق بحثها أو دراستها على مستوى أكاديمي جاد.

والواقع إن بعض الرسائل الجامعية تكون إسهاماً علمياً، وإضافة حقيقية لرصيد المعرفة البشرية، فعادة ما يقوم بإعداد الرسائل طلبة من المتفوقين في مرحلة الدراسة الجامعية، ولا بد للطالب أن يجتاز المرحلة التمهيدية فيثبت فيها قدراته على الابتكار والبحث، وتتم الدراسات والبحوث المؤدية إلى الحصول على الماجستير أو الدكتوراه تحت إشراف أساتذة يمثلون قمة الهرم التعليمي في تخصصاتهم وعادةً ما تكون الموضوعات التي يقع عليها الاختيار محددة ومتخصصة، بحيث تستلزم معالجة متعمقة. وهذا كله يعطي أهمية للرسائل ليس

للأوساط الجامعية والأكاديمية فحسب، وإنما لمتخذي القرار، وذلك لما في الرسائل الجامعية من نتائج وتوصيات.<sup>(7)</sup>

وتعتبر الرسائل العلمية من ضمن محتويات المكتبة وخاصة المكتبات الجامعية وعلى الرغم من الأهمية البارزة التي تحتلها مثل هذه الدراسات فإن الإنتاج الفكري لا يزال يفتقر إلى الكثير لدراسة الضبط الببليوجرافي للرسائل الجامعية والإفادة منها مما يجعل الوصول إليها أمراً يسيراً، فقد أصبح موضوع السيطرة على المعلومات وتسخيرها للباحثين والمستفيدين من المواضيع ذات الأهمية.<sup>(8)</sup>

وفي دراسة لطلبة الدراسات العليا في بريطانيا، ممن تحصلوا على درجة الدكتوراه في العلوم سنة 57/1958، تبين أنه بعد مرور ثماني سنوات قام ما نسبته 82% بنشر نتائج رسائلهم، نشرا كاملاً أو جزئياً، وكذلك الحال بنسبة 72% من الحاصلين على الدكتوراه في التكنولوجيا. بينما كانت نسبة من نشروا نتائج بحوثهم للدكتوراه من المتخصصين في العلوم الاجتماعية مماثلة لنسبة أقرانهم في العلوم في حين كانت نسبة من نشروا نتائج بحوثهم للدكتوراه من المتخصصين في العلوم الإنسانية أقل من ذلك.

والواقع إن نشر الرسائل جزئياً، كمقالات في الدوريات، لا يغنى عن الأصل فعادة ما يحول مقدار الحيز المحدود المتاح في الدوريات دون نشر البيانات التجريبية وبعض التفاصيل الأخرى.

وهناك سبيل آخر لتيسير تداول الرسائل والإفادة منها، وهو التبادل والإعارة بين المكتبات، وذلك من خلال الاتفاق الذي تبرمه المكتبات فيما بينها والمتعلق بالتعاون، كما توجد أيضاً أدوات التعرف على أماكن وجود هذه الرسائل. وقد تكفل الحصر الوراق للرسائل بتوفير هذه الأدوات. بالإضافة إلى وجود مؤسسة تجارية عالمية تعمل على توفير هذه النسخ لبعض الرسائل

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

وذلك بالاتفاق مع الجامعات التي أجازتها. ولقد كان لهذه الهيئة university microfilms international أثرها في تطور برنامج عالمي للحصر الوراقى للرسائل.<sup>(9)</sup>

ولا شك أن للرسائل أهمية لدى طلبة الماجستير والدكتوراه نظراً لإقبالهم عليها والاستعانة بها في بحوثهم المتصلة باهتماماتهم الموضوعية والمعرفية في البحث العلمي.<sup>(10)</sup>

### الأطروحات التي أجازتها كلية الآداب بجامعة الزاوية:

#### تمهيد:

تعد كلية الآداب من أقدم كليات جامعة الزاوية من حيث النشأة، حيث أنشئت عام 1983 وكانت تابعة آنذاك لجامعة طرابلس، وبدأت الدراسة بها عام 1983 كفرع من جامعة طرابلس، وفي عام 1988م أصبحت كلية الآداب تتبع جامعة الزاوية، وبعد سنوات قليلة تم ضم جامعة زوارة لجامعة الزاوية ليصبح عدد كليات الآداب ثلاث كليات وهي كلية الآداب الزاوية وكلية الآداب صبراتة وكلية الآداب زوارة، ولكلية الآداب بالزاوية اثنا عشر قسماً، أما كلية الآداب بصبراتة فتضم أحد عشر قسماً، في حين كان عدد أقسام كلية الآداب زوارة ثمانية أقسام علمية<sup>(11)</sup>.

وتهدف كلية الآداب إلى إعداد المتخصصين في مجالات العلوم الإنسانية بتقديم برامج دراسية تكفل الحصول على الدرجات العلمية التي تمنحها الكلية لسد حاجة المجتمع ومتطلباته في المجالات التربوية، وتمنح الكليات درجتي البكالوريوس في بعض الأقسام كالإعلام مثلاً ودرجة الليسانس في أقسام أخرى، وتمنح أيضاً درجة الدبلوم والماجستير والدكتوراه.

أما فيما يتعلق ببرنامج الكلية للدراسات العليا فقد بدأ مبكراً مقارنة بالكليات الأخرى بالجامعة، فقد أجازت أول أطروحة عام 1994م، ومنذ ذلك العام توالى إجازة الأطروحات بدرجتي الماجستير والدكتوراه، ليصل رصيد الأطروحات بكلية

#### د. محمد أحمد المصراطي

الأدب حتى تاريخ 2009م إلى (724) أطروحة، تمثل (85.6%) من إجمالي الأطروحات المجازة بالكليات النظرية، و (32) أطروحة دكتوراه، تمثل (100%) من إجمالي الأطروحات المجازة لدرجة الدكتوراه ليس على مستوى الكليات النظرية بل على صعيد الجامعة، وفي هذه الدراسة يقوم الباحث بدراسة رصيد هذه الكلية من الأطروحات وفقاً لاتجاهاته المختلفة لغرض تحليله، ومعرفة سماته المميزة.

#### رصيد الأطروحات المجازة

عام 1994م هو تاريخ إجازة أول أطروحة أجازتها كلية الآداب بجامعة الزاوية، تم أخذت الأطروحات في تزايد مستمر منذ ذلك التاريخ ليصل حجم الأطروحات المجازة حتى تاريخ 2009م عدد (724) أطروحة، لتمثل النسبة الأكبر أو الأعلى في حجم الأطروحات المجازة بالكليات النظرية بالجامعة موضوع الدراسة، وتمثل نسبة (85.6%) من إجمالي الأطروحات المجازة بالكليات النظرية، وبنسبة (77.7%) من إجمالي الأطروحات التي أجازتها الجامعة.

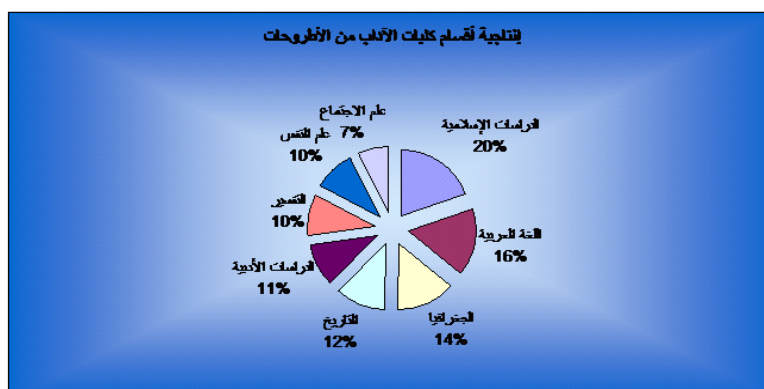
#### إنتاج الأقسام بكلية الآداب

من خلال الجدول (1) والشكل (1) يتضح لنا أن قسم الدراسات الإسلامية نال اهتمام عدد كبير من الباحثين، مما جعله يحتل المرتبة الأولى ليس فقط بين الأقسام العلمية بالكليات موضوع الدراسة، بل أيضاً بين الوحدات الأكاديمية على مستوى الجامعة كلها، فقد سجل (143) أطروحة تمثل (15.4%) من رصيد الأطروحات بالجامعة، منها عدد (126) أطروحة ماجستير، و(17) أطروحة دكتوراه.

## الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

جدول (1) إنتاجية أقسام كليات الآداب من الأطروحات

القسم/الدرجة	ماجستير		دكتوراه		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الدراسات الإسلامية	126	18.20	17	53.12	143	20
اللغة العربية	116	16.76	2	6.25	118	16
الجغرافيا	99	14.31	4	12.5	103	14
التاريخ	86	12.43	0	0	86	12
الدراسات الأدبية	73	10.55	4	12.5	77	11
التفسير	73	10.55	0	0	73	10
علم النفس	66	9.54	5	15.63	71	10
علم الاجتماع	53	7.66	0	0	53	7
المجموع	692	100	32	100	724	100



شكل (1) يبين النسبة المئوية من إنتاج أقسام كلية الآداب من الأطروحات

ويرجع سبب ارتفاع إنتاجية هذا القسم إلى تاريخه القديم، فقد أجاز أول أطروحة من بين الأقسام العلمية في الجامعة منذ عام 1994م وقد توافر أعضاء هيئة التدريس بهذا التخصص مما شجع الباحثين على التسجيل به، بالإضافة إلى أن هذا القسم يقبل طلاباً من جامعة أخرى.

أما المرتبة الثانية فقد حظي بها قسم اللغة العربية، إذ بلغ عدد الأطروحات المجازة فيه (118) أطروحة، منها أطروحتان دكتوراه. في حين جاء قسم الجغرافيا بـ (103) أطروحة منها (99) أطروحة ماجستير، و (4) أطروحات دكتوراه، واحتل قسم التاريخ المرتبة الرابعة بـ (86) أطروحة جاءت جميعها بدرجة الماجستير، ولم تسجل أية أطروحة دكتوراه بهذا القسم، ويرجع ذلك إلى عدم وجود الدرجة العلمية لأعضاء هيئة التدريس التي تخول لهم الإشراف على أطروحات الدكتوراه، أما المرتبة الخامسة فكانت لقسم الدراسات الأدبية بواقع (77) أطروحة، تمثل (11%) من إجمالي الأطروحات التي أجازتها كلية الآداب، منها (73) أطروحة ماجستير و(4) دكتوراه. وجاء بعد ذلك قسم التفسير بـ (73) أطروحة، تمثل نسبة (10%) من إجمالي الأطروحات التي أجازتها كلية الآداب، ولم يسجل هذا القسم إجازة أية أطروحة دكتوراه حتى تاريخ 2009م. تلاه قسم علم النفس حيث سجل (71) أطروحة منها (66) أطروحة ماجستير، و (5) أطروحات دكتوراه. وجاء في ذيل المجموعة قسم علم الاجتماع بـ (53) أطروحة ماجستير، تمثل نسبة (7%)، ولم تسجل به أية أطروحة دكتوراه، وهذا راجع إلى عدم وجود أعضاء هيئة تدريس للإشراف على درجة الدكتوراه.

#### معدل نمو الأطروحات

##### التوزيع الزمني وفقاً للفترات الزمنية

وُزعت الأطروحات التي أجازتها كلية الآداب بجامعة الزاوية موضوع الدراسة على ثلاث فترات زمنية تشتمل كل فترة على خمس سنوات، فيما عدا الفترة الثالثة التي اشتملت على ست سنوات، والجدول (2) والشكل (2) يوضحان ذلك. ولقد تم التوزيع على هذه الكيفية لأن عدد سنوات الدراسة من 1994م - 2009م بلغ ستة عشر عاماً فقسمت على فترات متساوية أو متقاربة، سجل المتوسط السنوي لإجازة الأطروحات (45) أطروحة، في حين يصل المتوسط

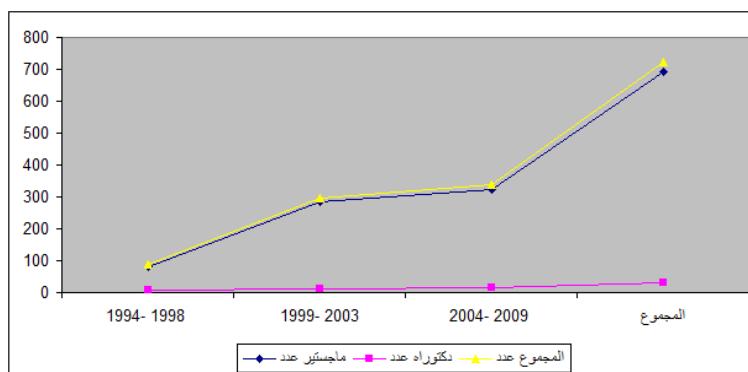
### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

لأطروحات الماجستير (43) أطروحة سنوياً، أما عدد أطروحات الدكتوراه فيقل بكثير حيث يصل إلى أطروحتين سنوياً.

جدول (2) يبين التطور التاريخي للأطروحات بكلية الآداب خلال فترات الدراسة

الفترة/الدرجة	ماجستير		دكتوراه		المجموع					
	عدد	المتوسط	عدد	المتوسط	عدد	%	المتوسط	مج تراكمي	% تراكمي	معدل الزيادة
98-94	82	16.4	6	1.2	88	12.2	17.7	88	12.2	0
03-99	286	57.2	12	2.4	298	41.1	59.6	386	53.3	238.6
09-04	324	54	14	2.3	338	46.7	56.3	724	100	13.4
المجموع	692	43.3	32	2	724	100	45.25			

وفي الواقع إن متوسط الأطروحات المجازة لا ينتظم بمعدل (45) أطروحة سنوياً، وإنما يوجد تفاوت من فترة لأخرى حيث يصل المتوسط السنوي للأطروحات في الفترة الأولى إلى (17.7) أطروحة، في حين حققت الفترة الثانية أعلى متوسط حيث بلغ (59.6) أطروحة خلال هذه الفترة، وقد سجلت الفترة الثالثة (56.3) أطروحة مسجلة تقارباً مع الفترة التي سبقتها.



شكل (2) يبين التطور التاريخي للأطروحات بكلية الآداب خلال فترات الدراسة



يلاحظ من الجدول السابق أن الفترة الثانية تعتبر أزهى فترة بين فترات الدراسة في إجازة الأطروحات بدرجةها الماجستير والدكتوراه، فقد سجلت إجازة (286) أطروحة ماجستير خلال الخمس سنوات الثانية، وسجلت (12) أطروحة دكتوراه بمتوسط (2.4) أطروحة للدكتوراه.

وقد لاقت هذه الفترة اهتماماً واضحاً من جانب الباحثين، وسجلت زيادة ملحوظة عن الفترة التي سبقتها، حيث وصل معدل الزيادة إلى (238.6) عن الفترة السابقة عليها. ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى استقرار برنامج الدراسات العليا في هذه الفترة، كما يرجع السبب في ذلك إلى زيادة فتح برنامج الدراسات العليا في أقسام وشعب أخرى نذكر منها على سبيل المثال: (علم الاجتماع، والدراسات التربوية) ما ساهم في زيادة إنتاجية الرسائل في تلك الفترة.

#### التوزيع الزمني وفقاً لسنوات الإجازة

كانت بداية كلية الآداب مع إجازة أول أطروحة بتاريخ 30/7/1994 لدرجة الدكتوراه شعبة الدراسات الإسلامية، ثم شهد العام الذي تلاه أي عام 1995م ومن نفس الشعبة إجازة أول أطروحة ماجستير، حين تقدم الطالب الهادي محمد سريط بأطروحته بعنوان " الشهادة ودورها في إثبات أحكام الزواج والطلاق وآثارهما : دراسة مقارنة" وأخذت الأطروحات في تزايد عاماً بعد عام، حتى بلغ رصيد الأطروحات (724) أطروحة بمتوسط (45.25) أطروحة سنوياً خلال فترة الدراسة. باستثناء عام 1995م فقد سجل أقصى معدل زيادة خلال فترة الدراسة ليصل إلى (1800%)، كما سجل عام 2000م زيادة مرتفعة عن العام الذي سبقه بمقدار (178.9%)، جدول (3) وشكل (3).

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

جدول (3) التطور الزمني للأطروحات المجازة بكلية الآداب

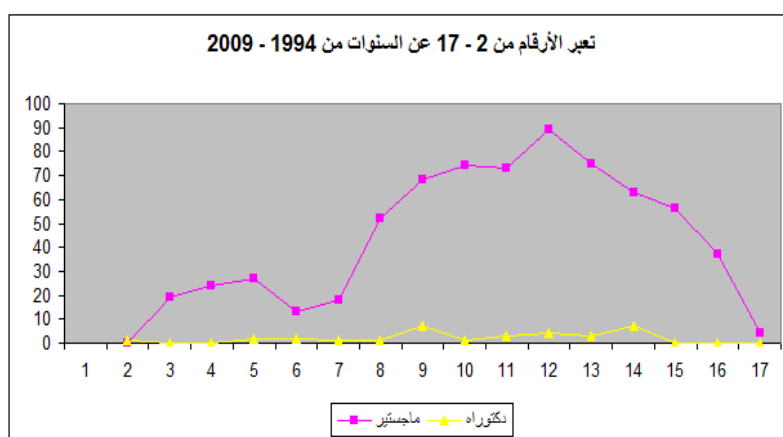
السنة/ الدرجة	ماجستير عدد	دكتوراه عدد	عدد	%	المجموع		معدل النمو
					مج تراكمي	% تراكمي	
1994	0	1	1	0.1	1	0.1	0
1995	19	0	19	2.6	20	2.7	1800
1996	24	0	24	3.3	44	6	26.3
1997	27	2	29	4	73	10	20.8
1998	13	2	15	2.1	88	12.1	- 48.2
1999	18	1	19	2.6	107	14.7	26.7
2000	52	1	53	7.3	160	22	178.9
2001	68	7	75	10.4	235	32.4	41.5
2002	74	1	75	10.4	310	42.8	0
2003	73	3	76	10.5	386	53.3	1.3
2004	89	4	93	12.8	479	66.1	22.4
2005	75	3	78	10.8	557	76.9	- 16.1
2006	63	7	70	9.7	727	86.6	- 10.3
2007	56	0	56	7.7	683	94.3	- 20
2008	37	0	37	5.1	720	99.4	- 33.9
2009	4	0	4	0.6	724	100	- 89.1
المجموع	692	32	724	100			1900.3
المتوسط	43.25	2	45.25	6.25			118.75

وقد سجل عام 1999م معدل زيادة عن العام الذي سبقه تصل إلى (26.7%)، كما سجل عام 2004م بمعدل زيادة عن العام الذي يسبقه تصل إلى (22.4%)، وشهد عام 2002م استقراراً في الإنتاجية على العام السابق عليه دون زيادة أو نقصان وذلك بعدد 75 أطروحة.

وعلى الجانب الآخر فقد تناقصت الأطروحات المجازة بالكلية خلال تسعة أعوام عن الأعوام السابقة عليها، وهذا مؤشر على أن نظم الدراسات العليا بهذه الكلية لم تصل إلى درجة الاستقرار بعد، حيث سجلت أقصى درجة للتناقص في عام 2009م بمقدار (89.1%)، ثم عام 1988م بمقدار (48.2%)، وسجلت كحد أدنى للتناقص خلال فترة الدراسة في عام 2006م بمقدار (10.3%). ويلاحظ مما

#### د. محمد أحمد المصراطي

سبق أنه يوجد تذبذب في إنتاج الأطروحات، وهذا راجع لعدم استقرار نظم الدراسات العليا بهذه الكلية.



شكل (3) التطور الزمني للأطروحات المجازة بكلية الآداب

#### التوزيع الموضوعي الزمني للأطروحات

احتلت شعبة الدراسات الإسلامية المقدمة من بين الأقسام العلمية بكليات الجامعة من حيث اهتمام الباحثين، فقد سجل الأسبقية في إجازة أولى الأطروحات ليس على مستوى الكليات النظرية فحسب بل على مستوى الجامعة كلها، وذلك في منتصف عام 1995م، وفي العام الذي يليه شهد قسما اللغة العربية، والدراسات الأدبية مولد أولى الأطروحات المجازة فيهما، ثم جاء قسم علم النفس، والجغرافيا، والتاريخ في عام 1996م ليشهدوا إنتاج أولى أطروحاتهم بهذا العام، أما قسم التفسير فقد سجل أول أطروحة له عام 1997م ثم يأتي آخر الأقسام في إنتاج أول أطروحة له في عام 1998م وهو قسم علم الاجتماع.

وبما أن شعبة الدراسات الإسلامية هي السبّاقة من حيث الإنتاجية للأطروحات، فقد سجلت أقصى إنتاجية لها عام 2001 بـ (25) أطروحة، في

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

حين جاء العام الذي يليه بالمرتبة الثانية من حيث الإنتاجية مسجلاً (15) أطروحة، وفي عامي 2004 ، 2005 سجل عدد (12) أطروحة في كل عام منهما، أما أدنى إنتاجية فكانت في عامي 1994 ، 2008م بأطروحة واحدة لكل عام، في حين لم يسجل عام 2009م أية أطروحة، وبهذا يكون الإجمالي (143) أطروحة خلال فترة الدراسة ليحتل المرتبة الأولى من بين أقسام كلية الآداب.

جدول (4) توزيع الأطروحات المجازة بأقسام كلية الآداب زمنياً

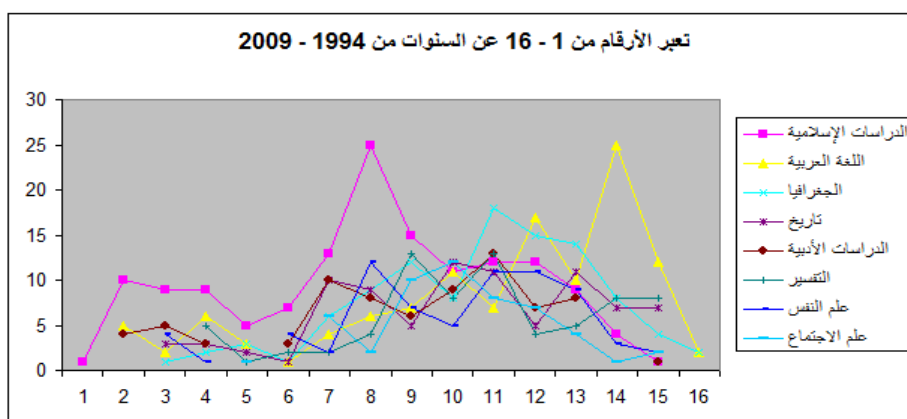
السنة / القسم	الدراسات الإسلامية	اللغة العربية	الجغرافيا	تاريخ	الدراسات الأدبية	التفكير	علم النفس	علم الاجتماع	المجموع
1994	1	0	0	0	0	0	0	0	1
1995	10	5	0	0	4	0	0	0	19
1996	9	2	1	3	5	0	4	0	24
1997	9	6	2	3	3	5	1	0	29
1998	5	3	3	2	0	1	0	1	15
1999	7	1	1	1	3	2	4	0	19
2000	13	4	6	10	10	2	2	6	53
2001	25	6	9	9	8	4	12	2	75
2002	15	7	12	5	6	13	7	10	75
2003	11	11	8	12	9	8	5	12	76
2004	12	7	18	11	13	13	11	8	93
2005	12	17	15	5	7	4	11	7	78
2006	9	10	14	11	8	5	9	4	70
2007	4	25	8	7	0	8	3	1	56
2008	1	12	4	7	1	8	2	2	37
2009	0	2	2	0	0	0	0	0	4
المجموع	143	118	103	86	77	73	71	53	724
متوسط كل قسم	8.94	7.37	6.44	5.37	4.81	4.56	4.44	3.31	45.24

أما المرتبة الثانية من حيث الإنتاجية فقد احتلها قسم اللغة العربية بنصيب (118) أطروحة، وبمتوسط قدره (7.37%)، فقد شهد هذا القسم أقصى إنتاجية له عام 2007م بـ (25) أطروحة، أما أدنى إنتاجية له فكانت عام 1999م بأطروحة واحدة فقط، ليسجل متوسط قدره (7.37%).

وجاء في المرتبة الثالثة قسم الجغرافيا بإجمالي (103) أطروحة خلال فترة الدراسة، ليسجل أقصى إنتاجية له عام 2004م بـ (18) أطروحة، وفي عامي

#### د. محمد أحمد المصراطي

1996 ، 1999م سجل أدنى إنتاجية له بأطروحة واحدة فقط في كل عام، وبمتوسط سنوي يصل إلى (6.44%). واحتل قسم التاريخ المرتبة الرابعة مسجلاً (86) أطروحة بمتوسط سنوي (5.37%)، وسجل أقصى إنتاجية له عام 2003م بـ (12) أطروحة، أما الحد الأدنى للإنتاجية فكان عام 1999 بأطروحة واحدة فقط، ولم يسجل أية أطروحة في العامين الأولين والعام الأخير خلال فترة الدراسة. أما المرتبة الخامسة فكانت لشعبة الدراسات الأدبية بإجمالي قدره (77) أطروحة، وبمتوسط (4.81%)، أما أقصى درجات الإنتاجية بهذه الشعبة فكانت عام 2004 بثلاث عشرة أطروحة وفي عام 2008م سجلت أدنى إنتاجية لها.



شكل (4) توزيع الأطروحات المجازة بأقسام كلية الآداب زمنياً

في حين لم تسجل أية أطروحة في الأعوام (1994م ، 1998م ، 2007م) واحتل قسم التفسير المرتبة السادسة مسجلاً أقصى إنتاجية له من الأطروحات عامي 2002م، 2004م بـ (13) أطروحة، فيما سجل أدنى إنتاجية له عام 1998م بأطروحة واحدة فقط، ولم يسجل أية أطروحة في الأعوام الثلاثة الأولى والعام الأخير خلال فترة الدراسة، وبهذا يسجل إجمالاً

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

(73) أطروحة بمتوسط قدره (4.56%). أما المرتبة قبل الأخيرة فجاءت لقسم علم الاجتماع بحصيلة (53) أطروحة وبمتوسط (3.31%)، وكانت أقصى إنتاجية له عام 2003 بـ (12) أطروحة، أما أقل إنتاجية لهذا القسم فكانت عامي 1998 م، 2007م بأطروحة واحدة في كل عام.

**يلاحظ مما سبق** أن الفترة الزمنية الأولى من عمر الدراسة لاقت إنتاجية ضئيلة، وهذا شيء طبيعي باعتبار تلك الفترة بداية برنامج الدراسات العليا وعدم استقراره بالشكل المطلوب، فيما شهدت الفترة الوسطى والتي تبدأ من عام 1999م إلى 2003م استقرار نظام الدراسات العليا بشكل ملحوظ لتسجل أطروحات بكل الأقسام وفي كل الأعوام، ما عدا 1999 فلم يسجل لقسم علم الاجتماع أية أطروحة، فيما سجلت تفاوتاً في الإنتاجية في عامي 1994م 2000م لتسجل في عام 1999م (19) أطروحة، بينما سجل عام 2000م (53) أطروحة. فيما سجلت الأعوام الست الأخيرة إنتاجية تتضاءل من عام لآخر فتبدأ عام 2004م بـ (93) أطروحة، ثم يأخذ في التناقص العام الذي يليه ليصل إلى (78) أطروحة، ثم يأتي العام الذي بعده بـ (70) أطروحة، وهكذا حتى تصل في آخر عام إلى إنتاج (4) أطروحات فقط.

**ويكمن السبب وراء ذلك** في عدم الاستقرار التام في برنامج الدراسات العليا في بعض الأقسام من جهة، وقلة أعضاء هيئة التدريس للإشراف على الرسائل من جهة أخرى، إضافة إلى برنامج إيفاد الطلبة بمنح دراسية خارج البلد.

### التوزيع اللغوي للأطروحات:

باعتبار أن العربية هي لغة التعليم والبحث العلمي في كلية الآداب موضوع الدراسة، فقد حظيت اللغة العربية بمكان القمة، حيث أعدت كل الأطروحات بهذه الكلية موضوع الدراسة باللغة العربية، فمثلت نسبة (100%) (جدول 5) وشكل (5)

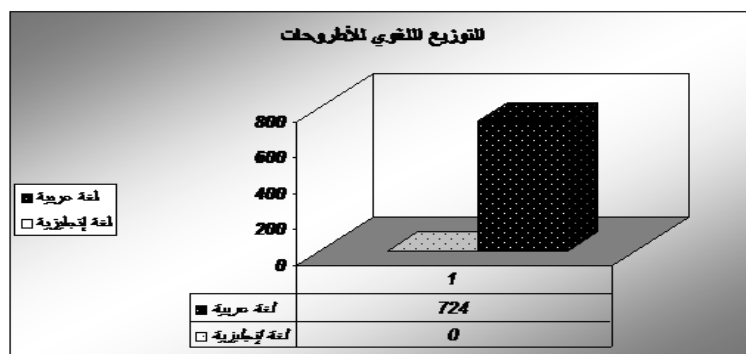
المجموع		باحثة		باحث		اللغة/جنس الباحث
%	عدد	%	عدد	%	عدد	
100	724	32.87	238	67.13	486	لغة عربية
0	0	0	0	0	0	لغة إنجليزية
100	724	32.87	238	67.13	486	المجموع

جدول (5) التوزيع اللغوي للأطروحات

ومن خلال الجدول السابق والشكل القادم اللذين يوضحان التوزيع اللغوي وفقاً لجنس الباحث، يتبين أنه توجد علاقة بين اللغة المستخدمة وهي بالطبع العربية التي أعدت بها الأطروحات ونوع الباحث سواءً أكان باحثاً أم باحثة، ففئة الباحثات بالنسبة لفئة الباحثين بمعدل (49%) وهذه النسبة تصل إلى النصف تقريباً.

أما فيما يخص قسم اللغة الإنجليزية والفرنسية، فإن قسم الفرنسي لم يتم فيه فتح الدراسات العليا حتى عام 2009م، أما قسم اللغة الإنجليزية فقد بدأ مشواره بفتح برنامج الدراسات العليا عام 2006م وحتى تاريخ 2009م لم يجز أية أطروحة.

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...



شكل (5) التوزيع اللغوي للأطروحات

ومن خلال العرض السابق يتضح الاعتماد الكامل على اللغة العربية بنسبة (100%) في إعداد الأطروحات بكلية الآداب بجامعة الزاوية، ويرجع ذلك إلى أن اللغة العربية هي اللغة الأساسية في التدريس والبحث.

#### توزيع الأطروحات وفقاً لجنس الباحث

يلاحظ أن حجم فئة الإناث يتفوق على حجم فئة الذكور في كلية الآداب بالمرحلة الجامعية الأولى، إلا أن هذه الفئة لم تسجل تفوقاً على فئة الذكور في مرحلة الدراسات العليا، حيث بلغ رصيد فئة الإناث من الأطروحات بهذه الكلية (238) أطروحة من إجمالي (724)، تمثل نسبة (32.9%)، أي ما يقرب من نصف نسبة فئة الذكور، فقد سجلت أقصى نسبة لها بقسم التفسير (46.6%) مقابل (53.4%) لفئة الذكور، أما أدنى نسبة فسجلتها بشعبة الدراسات الإسلامية وهي (11.9%) مقابل (88.1%) لفئة الذكور (جدول 6، شكل 6).

ويرجع عزوف فئة الإناث عن مواصلة دراستهن العليا، إلى أسباب اجتماعية كزواج البنات وانشغالهن بأمر البيت، كما يرجع السبب في بعض الأحيان إلى أن البنات يطمحن إلى استكمال دراستهن في المرحلة الجامعية الأولى

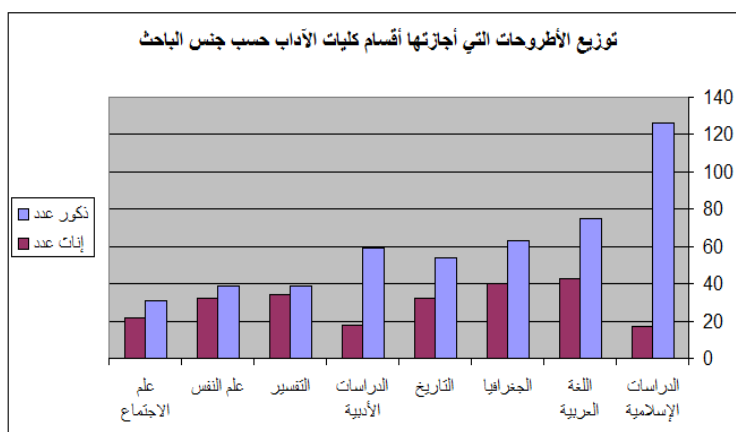


**د. محمد أحمد المصراطي**

وحصولهن على الليسانس أو البكالوريوس للحصول على وظيفة، وقد تؤدي العادات والتقاليد الاجتماعية دوراً كبيراً في ذلك.

جدول (6) توزيع الأطروحات التي أجازتها أقسام كلية الآداب حسب جنس الباحث

المجموع	باحثة		باحث		القسم / الجنس
	%	عدد	%	عدد	
143	11.9	17	88.1	126	الدراسات الإسلامية
118	36.4	43	63.6	75	اللغة العربية
103	38.8	40	61.2	63	الجغرافيا
86	37.2	32	62.8	54	التاريخ
77	23.4	18	76.6	59	الدراسات الأدبية
73	46.6	34	53.4	39	التفسير
71	45.1	32	54.9	39	علم النفس
53	41.5	22	58.5	31	علم الاجتماع
724	32.9	238	67.1	486	المجموع



شكل (6) التوزيع اللغوي حسب جنس الباحث

### الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...

وقد شكلت كلية الآداب استيعاباً أكبر لفئة الباحثين منه لفئة الباحثات في مرحلة الدراسات العليا، لتسجل أقصى معدل لها في شعبة الدراسات الإسلامية بنسبة (88.1%).

من خلال ذلك يتضح أنه توجد علاقة بين مستوى الدرجة ( ماجستير ودكتوراه) وجنس الباحث ( ذكور ، إناث ) فنجد أن فئة الباحثات قد مثلت (34%) من إجمالي أطروحات الماجستير المجازة، في حين انخفضت النسبة في أطروحات الدكتوراه لتصل إلى (9.4%)، وسجلت فئة الذكور نسبة (66%) من إجمالي أطروحات الماجستير المجازة، وترتفع في أطروحات الدكتوراه لتصل إلى (90.6%).

#### الخلاصة:

يلاحظ من العرض السابق لرصيد الأطروحات التي أجازتها كلية الآداب بجامعة الزاوية الآتي:

احتلت كلية الآداب المرتبة الأولى من حيث حجم الأطروحات المجازة بـ (724) أطروحة، ويرجع ذلك إلى النشأة المبكرة وكثرة التخصصات، أما فيما يخص الوحدات الأكاديمية فجاءت شعبة الدراسات الإسلامية في المقدمة من حيث حجم الأطروحات، وإجازة أول أطروحة على مستوى الجامعة، وجاءت الأطروحات كلها باللغة الرسمية للدولة وهي العربية لغة التدريس والبحث، وقد تفوقت فئة الباحثين الذكور على فئة الباحثات الإناث.

د. محمد أحمد المصراطي

### الهوامش:

- (1) شعبان عبدالعزيز خليفة. الرسائل الجامعية والمطبوعات الحكومية - القاهرة : العربي للنشر والتوزيع، 1979 . - ص5.
- (2) حشمت قاسم. مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات . - ط2 . - القاهرة . - مكتبة غريب . ( د . ت ) ص ص 157 - 158
- (3) محمد فتحي عبد الهادي . مقدمة في علم المعلومات . - القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . ( د . ت ) ص 92
- (4) احمد بدر . مصدر المعلومات في العلوم والتكنولوجيا . - الرياض : دار المريخ . 1991 . ص ص 83 - 84
- (5) عامر قديلجي . البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات . - عمان : دار البازوري العلمية ، 1999 ، ص 228.
- (6) برجس عزام . مراكز المعلومات . - دمشق : دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع ، 1992 . - ص 92
- (7) احمد بدر ، محمد فتحي عبدالهادي . المكتبات الجامعية : تنظيمها وإدارتها وخدماتها ودورها في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي . - ط4 . - القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001 . ص 190.
- (8) عامر إبراهيم قديلجي . "بناء شبكة مكتبات جامعية عربية : عبر القمر الصناعي العربي . - مج 14 ، ع 1 ، تونس ، 1993 ، ص ص 5 - 6
- (9) حشمت قاسم . مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات . - مصدر سبق ذكره . - ص ص 160 - 161
- (10) محمد محمد أمان . خدمات المعلومات : مع إشارة خاصة إلى الإحاطة الجارية . - الرياض : دار المريخ للنشر ، 1980 . - ص ص 38 - 87

**الاتجاهات العددية والنوعية للرسائل الجامعية المجازة ...**

(11) دليل جامعة السابع من أبريل. مركز البحوث والدراسات العليا : دليل خريجي الدراسات العليا الإجازة العالية – الماجستير، والإجازة الدقيقة – الدكتوراه 1994 – 2006، 2007. - ص ص. 66-67.

أ. جمال أحمد حواص

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها في خدمة البحث العلمي دراسة مطبقة علي مكتبات جامعة طرابلس

ا. جمال احمد حواص  
قسم المكتبات  
كلية الآداب - الزاوية

### تمهيد:

تحتل الدوريات مكانة علمية خاصة في دنيا المطبوعات في عصرنا الحالي المشهور بعصر انفجار المعلومات وبالتالي أصبحت الدوريات تشكل العمود الفقري لمقتنيات معظم المكتبات لما لها من خصائص تميزها من غيرها من المطبوعات والتي لها اثر كبير في تقدم البحث العلمي في اغلب الدول المتقدمة. وتشير معظم الدراسات إلى الإفادة من أوعية المعلومات إلى أن كثافة الاعتماد علي الدوريات كمورد أساسي للمعلومات تتجاوز كثافة الاعتماد علي ما عداها حيث تستأثر الدوريات بحوالي 50 % من الاهتمامات القرائية، وقد أظهرت الدراسات ان نسبة كبيرة من الاستشهادات المرجعية التي يقتبسها العلماء هي دوريات علمية ومطبوعات صادرة عن جمعيات علمية . ومن هذه الأهمية أصبحت الدول المتقدمة تهتم بهذا النوع من الأوعية وذلك بإنشاء أقسام خاصة بها في المكتبات ورسم السياسة والاحتياجات لاقتنائها وتنظيمها وحفظها في ما يخدم أغراض البحث العلمي والتطوير

### 1 - مشكلة الدراسة: -

للدوريات أهمية كبيرة كمصدر أولي للمعلومات لأنها تتميز عن باقي مصادر المعلومات الأخرى بحداثة المعلومات وسرعة نشرها وتجديدها باستمرار بفعل طبيعة صدورها علي فترات متقاربة وكذلك تنوعها الموضوعي وملاحقتها للتطورات العلمية وخاصة في مجالات التكنولوجيا الحديثة وبالتالي فهي تشكل المنطلق الأساسي للباحثين في مختلف مجالات البحث العلمي ومن هذه الأهمية تعمل أغلب المكتبات الجامعية علي تخصيص وتجهيز أقسام مستقلة لها ورسم سياسة خاصة لطرق اختيارها واقتنائها

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

وتنظيمها الفني ومدى بقاءها عاملة مؤهلة. ومن خلال معايشة الباحث لواقع المكتبات وأقسامها بجامعة طرابلس وخبرته الشخصية العملية والعلمية في مجال المكتبات والمعلومات تبين إن هناك قدماً وضعفاً في نوعية وكمية مجموعات هذه الأقسام وقصوراً فيما تقدمه من خدمات وعدم استخدامها لتكنولوجيا المعلومات الحديثة وكذلك لاحظ الباحث من خلال اطلاعه علي أدبيات الموضوع ان هناك قلة فيماكتب حول هذا الموضوع مما استثاره لدراسته والتعريف به ومدى مساهماته في البحث العلمي.

عليه فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة علي سؤالين: أولهما هل أقسام الدوريات بمكتبات جامعة طرابلس قادرة علي تحقيق أهدافها التي وضعت من أجلها؟ وثانيهما هل مجموعات أقسام الدوريات تلبي احتياجات المستفيدين والباحثين منها في المجالات المختلفة؟ وذلك للوصول إلي توصيات تسهم في تطوير وتحسين الوضع الحالي.

### 2 - أهمية الدراسة: -

تتناول هذه الدراسة أحد الموضوعات الذي لم ينل قسطاً وافراً من البحث والتحليل رغم أهميته البالغة في المكتبات الجامعية وهوأقسام الدوريات، علي اعتبار أن الدوريات تمثل العمود الفقري لمجموعات المكتبة ومن المصادر الأولية التي يعتمد عليها الباحثون عند إعداد أبحاثهم العلمية فضلاً علي ان هذا النوع من مصادر المعلومات له خصائص ومميزات وأنواع وأشكال وارتباط ذلك بخصائص مجتمع الباحثين. وبذلك تحاول هذه الدراسة إعطاء صورة واضحة عن هذا الموضوع والتعريف به وبأبعاده وجوانبه. وبالتالي فإن الباحث اختار هذا الموضوع سعياً للفت انتباه صناع القرار بالجامعة علي الدور الذي تلعبه أقسام الدوريات بمكتبات جامعة طرابلس في خدمة البحث العلمي وتلبية احتياجات ورضا المستفيدين والباحثين في هذه الجامعة.

### 3 - أهداف الدراسة: -

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف تمثلت في الآتي: -  
1 - دراسة الوضع الحالي لأقسام الدوريات موضوع الدراسة من حيث الموقع والمبني والأثاث والتجهيزات والقوي العاملة والمجموعات .

## أ. جمال أحمد حواص

2 - التعرف علي الإجراءات الفنية المتبعة في هذه الأقسام من اختيار وتزويد وفهرسة وتصنيف .

3 - التعرف علي نوعية وأشكال الخدمات التي تقدمها أقسام الدوريات

4 - التعرف علي مدي استخدام تكنولوجيا المعلومات بأقسام الدوريات

### 4 - تساؤلات الدراسة: -

1 - ما هو الوضع الحالي لأقسام الدوريات موضوع الدراسة من حيث الموقع والمبني والأثاث والتجهيزات والقوي العاملة والمجموعات .

2 - هل هناك إجراءات فنية معينة تتبعها أقسام الدوريات في اقتناء وتنظيم مجموعاتها؟

3 - ما هي نوعية الخدمات التي تقدمها أقسام الدوريات موضوع الدراسة؟

4- هل تم استخدام تكنولوجيا المعلومات بأقسام الدوريات ؟

### 5 - المفاهيم والمصطلحات: -

#### المكتبات الجامعية:

هي مكتبات تنشأ داخل الجامعات لتقديم مصادر المعلومات لطلاب الجامعة علي المستويين: الدرجة الجامعية الأولى والدراسات العليا وكذلك لأعضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعة وربما تمتد خدماتها للباحثين خارج الجامعة<sup>(1)</sup>

#### الدوريات: -

عرفتها منظمة اليونسكو: بأنها تلك المطبوعات التي تصدر علي فترات محددة اوغير محددة ولها عنوان واحد ينظم جميع حلقاتها ويشترك في تحريرها كثير من الكتاب . ويقصد بها أن تصدر إلي مالا نهاية أي لا يوضع حد معين تقف عنده الدورية.<sup>(2)</sup>

عرفها معجم اكسفورد: - كل ما يصدر علي فترات منتظمة تتجاوز اليوم الواحد كالشهريات والفصليات ..... الخ<sup>(3)</sup>

وهناك شبه إجماع علي تعريف الدورية بأنها أي مطبوع يصدر في أجزاء متتالية وعلى فترات منتظمة في العادة وفق فترات زمنية محددة أو متتابعة وعلى أساس استمرار إلى ما لانهاية كقاعدة.

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

### 6 - أدوات جمع البيانات: -

- استعان الباحث بعدد من أدوات جمع البيانات تمثلت في: -
- الاستبيان: وجه لأمناء المكتبات للتعرف علي الوضع الحالي لأقسام الدوريات بالمكتبات موضوع الدراسة .
- المقابلة الشخصية: مع المسؤولين عن أقسام الدوريات لاستكمال بعض البيانات التي لم تدرج في الاستبيان .
- الزيارات الميدانية: نظراً لأن هذه الدراسة اعتمدت علي المنهج المسحي فالأمر تطلب زيارات ميدانية للمكتبات لتسجيل الملاحظات التي تخدم الدراسة.

### 7 - المنهج المستخدم:-

وفق لطبيعة هذه الدراسة اختار الباحث تطبيق المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد علي دراسة حقائق وسمات المجتمع موضوع الدراسة ثم تحليلها للإجابة علي التساؤلات والخروج بمؤشرات مع الملاحظة أن الباحث يستعين في جمع البيانات بمنهج الدراسات المسحية الميدانية الذي يهدف الي الحصول علي معلومات مفصلة ودقيقة عن الوضع الحالي<sup>(4)</sup>.

### 8 - مجتمع الدراسة: -

من خلال الزيارات الميدانية المتكررة للباحث لمكتبات جامعة طرابلس وعددها حوالي (13) مكتبة، وهذا العدد يمثل مجتمع الدراسة، ومن خلال هذه الزيارات اتضح أن بعض المكتبات لا يوجد بها أقسام للدوريات وكذلك إغلاق بعضها للصيانة ( مكتبة العلوم ) أثناء إجراء الدراسة(عام 2013).  
عليه فإن هذه الدراسة ركزت علي المكتبات التي تضم أقسام للدوريات وهي:

- 1 - مكتبة كلية الطب البشري (القاطع أ)
- 2 - مكتبة كلية الهندسة (القاطع أ)
- 3 - مكتبة كلية الزراعة (القاطع أ)
- 4 - مكتبة الدراسات العليا (القاطع أ)
- 5 - مكتبة كلية الآداب (القاطع ب )



### الإطار النظري للدراسة:

#### أولاً: أهمية الدوريات:-

للدوريات أهمية كبيرة في مختلف أنواع المكتبات بصورة عامة وفي المكتبات المتخصصة والجامعية ومكتبات البحث ومراكز المعلومات بصورة خاصة حيث تشكل العمود الفقري بالنسبة لمجموعاتها وبذلك تحددت أهمية ودور الدوريات في الآتي: (5)

1- توفر الدوريات والمعلومات الحديثة المتجددة باستمرار بفضل طبيعة صدورها على فترات متقاربة، بالمقارنة بالكتب وغيرها من مصادر المعلومات.

2- توفر الدوريات كثيراً من المعلومات التي قد لا تجد طريقها للنشر في مصادر المعلومات الأخرى، مثل المعلومات الحديثة عن كثير من المستجدات والمخترعات والاكتشافات والمؤتمرات والأخبار وتقارير الأبحاث وغيرها...

3- تعرض الدوريات في أبواب خاصة قد تكون ثابتة في أعدادها تقييم وعرض مصادر المعلومات التي تنتشر حديثاً وتنتشر الإخطارات المهنية والإعلانات وفرص العمل وغيرها من المعلومات التي تفيد المتخصصين في مجال اهتمام الدورية.

4- تغير صفحات الدوريات مكاناً للحوار يتبادل فيه المتخصصون وجهات النظر والآراء في الموضوعات المختلفة، ويتعاونون على التغلب على المشكلات والعقبات والصعوبات التي تواجههم، ويقدمون مقترحاتهم لتطوير أساليب العمل والرقي بالممارسات المهنية.

#### ثانياً: خصائص الدوريات:-

1- تتابع الصدور، ويقصد بذلك استمرارية صدور الدورية دون توقف.

2- العنوان المميز، لكل دورية اسم عنوان يميزها من غيرها من الدوريات.

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

3- للرقم المميز، كل عدد يصدر من الدورية يحمل تحديداً رقمياً مميزاً عن الأعداد الأخرى من الكتب، يسهم كل واحد منهم في إبراز موضوع أو مناقشة قضية.

4- الانتشار الواسع. (6)

#### ثالثاً: مميزات الدوريات:-

تتميز الدوريات عن مصادر المعلومات الأخرى بعدة مميزات أهمها:-

1- سرعة نشر المعلومات وحداثتها، فالدوريات تصدر إما أسبوعية وإما شهرية وإما فصلية... الخ.

2- التنوع الموضوعي حيث تعالج الدوريات مواضيع متعددة تغطي معظم جوانب المعرفة البشرية.

3- تمتاز المقالات والبحوث المنشورة في كثير من الدوريات بالإيجاز مقارنة مع غيرها من مصادر المعرفة كالكتب مثلاً.

4- ظهور بعض الدوريات على شكل كشافات أو مستخلصات مما يسهل الوصول إلى المعلومات المطلوبة.

5- تكتب الدوريات عادة بأقلام متعددة وهذا معناه وجهات نظر متعددة وأفكار مختلفة.

6- تحوي الدوريات معلومات لا توجد في غيرها كالأبحاث والتقارير ومحاضر المؤتمرات والإعلانات ورسائل القراء والمناقشات وغير ذلك.

7- تعتبر الدوريات وسيلة لنشر وبحث المعلومات والاكتشافات العلمية.

8- من الناحية الشكلية والمادية تمتاز بسهولة الحمل وإمكانية قراءتها في أي مكان مقارنة مع غيرها من مصادر المعلومات. (7)

#### رابعاً: أنواع الدوريات:-

هناك أكثر من أساس متبع في تقسيم الدوريات إلى أنواع مختلفة ومن

هذه التقسيمات ما يلي:-

1 : الدوريات حسب الموضوع: وتقسّم الدوريات حسب الموضوع إلى:

أ) الدوريات المتخصصة: وهي الدوريات التي تهتم بنشر البحوث والمقالات والدوريات الدقيقة والمتعمقة في موضوع محدد، ويكتب هذه البحوث عادة

## أ. جمال أحمد حواص

جملة من المتخصصين في الموضوع، وتمتاز مقالاتها بعمليتها وتركيزها واحتوائها على قائمة بالمصادر التي استند عليها الباحث في كتابة بحثه.

**ب ( الدوريات العامة:** وهي الدوريات التي تهتم بنشر مقالات وتحقيقات وأخبار عامة ومتنوعة وفي شتى الموضوعات بأسلوب مبسط ومفهوم وموجه لشرائح المجتمع والغرض منها في الغالب ترفيهي أو للمعلومات العامة، وتمتاز مقالاتها بالإيجاز والبساطة وعدم احتوائها على المصادر.

**2 : الدوريات حسب فترات الصدور: وتقسم الدوريات حسب فترات الصدور إلى الأنواع التالية:-**

- الدوريات اليومية Daily وهي الصحف والجرائد اليومية.
- الدوريات نصف الأسبوعية semi-weekly وتصدر مرتين في الأسبوع.
- الدوريات الأسبوعية weekly وتصدر أربع مرات في الشهر.
- الدوريات الشهرية Monthly تصدر مرة في الشهر.
- الدوريات الفصلية quarterly وتصدر مرة كل ثلاثة أشهر.
- الدوريات نصف السنوية semi-annually وتصدر مرتين في السنة.
- الدوريات السنوية annually وتصدر مرة في السنة.
- الدوريات غير منتظمة الصدور irregular وهذه لا يتحدد ظهورها بفترة زمنية محددة أو منتظمة.

**3: الدوريات حسب جهات الصدور: وتقسم الدوريات حسب جهات الصدور إلى:**

### أ ( الدوريات التجارية:

وتشمل الدوريات التي تصدر عن جهات تجارية مثل دور النشر والشركات والمؤسسات الإعلامية والأفراد ويكون هدفها الرئيسي تجارياً أو إعلامياً أو مادياً.

### ب (الدوريات غير التجارية:

وهي الدوريات التي لا تهدف إلى الربح المادي وتصدر عادة عن جهات تجارية وتشتمل:

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

- الدوريات الصادرة عن الجامعات والمعاهد والمراكز والجمعيات العلمية.
- الدوريات الصادرة عن المؤسسات الحكومية المختلفة.
- الدوريات الصادرة عن المنظمات والهيئات المهنية. (8)

#### خامساً: اختيار الدوريات:

تعتبر عملية بناء وتطوير مجموعات الدوريات عملية ليست سهلة بسبب طبيعة الدوريات وكثرة مشاكلها فالخطوة الأولى في الحصول على الدوريات هي عملية الاختيار والتي تنبع من سياسة واضحة ومكتوبة للاختيار تتأثر بعدة عوامل منها:

- نوع المكتبة وطبيعة أهدافها ووظائفها الأساسية .
- الميزانية المخصصة للدوريات .
- نوعية وخصائص مجتمع المستفيدين من المكتبة وطبيعة حاجتهم للمعلومات
- المساحة المخصصة لعرض الدوريات الجارية والقديمة .
- مدى توفر الكادر البشري القادر على التعامل مع الدوريات. (9)

وهناك عدة أدوات يمكن التعرف من خلالها على الدوريات منها:

- 1- أدلة الدوريات periodical directories
- 2- الفهارس الموحد للدوريات union catalog periodicals
- 3- الكشافات والمستخلصات indexes and abstracts
- 4- قواعد البيانات المتوافرة في مرصد وبنوك المعلومات .
- 5- قواعد البيانات المتوافرة على الأقراص المتراسة CD - ROOM
- 6- شبكة الانترنت .

#### سادساً: طرق الحصول على الدوريات:-

- 1- الشراء من الموردين المحليين .
- 2- الاشتراك بالتعامل المباشر مع الناشر أو مع وكيل أتهم موزع .
- 3- عضوية الجمعيات العلمية التي تصدر الدوريات المطلوبة .
- 4- الهدايا من الناشرين وغيرهم من الهيئات .
- 5- عن طريق الموردين المتخصصين في الدوريات.
- 6- التبادل مع الهيئات الناشرة .

### سابعاً: عرض الدوريات:-

تحرص معظم المكتبات على عرض الأعداد الجارية من الدوريات حتى تكون في متناول أيدي القارئ، ويحدث في أغلب الأحيان أن تعرض الدوريات قبل إعدادها، وهناك ثلاثة طرق لترتيب الدوريات الجارية على حوامل العرض:

1- الترتيب هجائياً بالعنوان.

2- مصنفة.

3- في نظام رقمي إذا كان لكل عنوان رقم كودي.

وتهتم معظم المكتبات في العالم بعرض دورياتها الجارية، وإن طرق العرض وأنواع العارضات المستعملة تحدد بالمساحة والمكان المتوفر والمخصص لعرض الدوريات، ومن أشهر العارضات المستعملة في المكتبات بخاصة ذات المجاميع الكثيرة من الدوريات هي الدواليب الخشبية أو المعدنية ذات الألواح المتحركة والتي تثبت بشكل مائل من الجهة العليا من كل رف من رفوف الدواليب الاعتيادية، وينتهي اللوح من الجهة السفلي بمسافة صغيرة لكي تستند عليها الدورية وهي معروضة بشكل مائل، ومن الممكن رفع هذا اللوح وتحريكه إلى الأعلى بسهولة وتضمن هذه الطريقة عرض الأعداد الجارية بشكل واضح تماماً وحفظ الأعداد السابقة للدورية على الرف خلف اللوح المائل في الوقت ذاته . وتساعد هذه الطريقة على جمع أعداد السنة الواحدة وتهيئتها للتجليد . (10)

### ثامناً: استخدام الحاسب في ضبط الدوريات:

تعتبر الدوريات من أكثر المواد المكتبية إثارة للمشكلات في المكتبات ومراكز المعلومات ومن المشكلات الخاصة لضبط الدوريات ما يلي:

1- كثرة أعدادها .

2- تباين تواريخ صدورها .

3- تغيير عناوين الدوريات أو التي توقفت عن الصدور .

4- صعوبة المطالبة بالأعداد المتأخرة أو المنفردة .

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

ومن هنا نجد أن حوسبة الدوريات تهدف إلى ضبط وملاحقة اشتراكات الدوريات والطلبات القائمة ومن الملاحح الرئيسة المرغوب فيها في استخدام نظام الدوريات المحوسب ما يلي(11):-

- 1- اختيار العناوين المناسبة للشراء ( الاشتراك )
- 2- إعداد طلبات الشراء ( الاشتراك ) ورسائل المطالبات ومراسلات التجليد .
- 3- ضبط الاشتراكات وملفات التجديد .
- 4- ضبط عملية التجليد وإجراءاتها .
- 5- ضبط الأمور المالية .
- 6- متابعة الأعداد المتأخرة من الدوريات .
- 7- متابعة الدوريات المفقودة .
- 8- إتاحة الوصول المباشر إلى التفصيلات عن مقتنيات جارية من الدوريات .
- 9- طباعة قوائم تداول الدوريات (12)

### تاسعا": أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية:

لأقسام الدوريات في هيكلية المكتبات الجامعية مكانة وأهمية بارزتان في توفير الدوريات المتخصصة لخدمة البحث العلمي، حيث تقوم كثير من المكتبات الجامعية بإفراد قسم خاص للدوريات، ولذلك فإنها تحتاج إلى معاملة خاصة. هذا ويختلف قسم الدوريات تبعاً لي:- (13)

- 1- تخصص المكتبة وأهدافها ووظائفها.
  - 2- حجم المكتبة من حيث البناء والمساحة.
  - 3- الميزانية المخصصة للدوريات.
  - 4- عدد القوى العاملة.
  - 5- نوع وشكل الخدمات المكتبية والمعلوماتية التي تقدمها المكتبة الجامعية.
  - 6- نوعية مجتمع المستفيدين من المكتبة وخصائصهم وطبيعة حاجتهم إلى المعلومات من الدوريات.
- والمكتبة الجامعية مجموعة من الوظائف أهمها بناء وتنمية المجموعات أي توفير مصادر المعلومات ومن أهمها مجموعات الدوريات التي تخصص لها

## أ. جمال أحمد حواص

أقسام، والتي بدورها تؤدي عدة وظائف تنبثق من مهمة المكتبات الجامعية نذكرها في الآتي:- .

- 1- اختيار الدوريات المناسبة من مصادرها المختلفة .
  - 2- الاشتراك في الدوريات .
  - 3- تسجيل الدوريات المشترك بها في السجلات الخاصة بها .
  - 4- متابعة وصول الأعداد المختلفة من الدوريات المشترك بها .
  - 5- متابعة الأعداد المتأخرة والناقصة من الدوريات .
  - 6- الحصول على الأعداد القديمة من الدوريات .
  - 7- متابعة الأمور المالية المتعلقة بتسديد الاشتراكات .
  - 8- إرسال الأعداد المختلفة من الدوريات للتجليد .
  - 9- عرض وتنظيم وحفظ الأعداد المختلفة من الدوريات .
  - 10- توفر الكشافات والمستخلصات وغيرها .
  - 11- الاحتفاظ بأدوات اختيار الدوريات كأدلة الدوريات والقوائم الموحدة للدوريات والكشافات والمستخلصات وغيرها .
  - 12- تقديم خدمات الإحاطة الجارية والبرث الانتقائي للمعلومات للمستخدمين وخاصة فيما يتعلق بالدوريات .
  - 13- تقييم الدوريات .
  - 14- التعاون مع أقسام الدوريات الموجودة في المكتبات الجامعية الأخرى سواء من حيث الاشتراك أو تبادل الدوريات
- الإطار الميداني للدراسة:-**

واقع أقسام الدوريات بمكتبات جامعة طرابلس:-

1 - مواقع ومباني أقسام الدوريات:-

1/1 موقع أقسام الدوريات:-

يمثل موقع المكتبة الجيد أحد المقومات الأساسية في تقديم الخدمات المكتبية بصورة فعالة، حيث يؤثر الموقع تأثيراً أساسياً في تردد جمهور المستخدمين على المكتبة والاستفادة من مجموعاتها، وهذا ينطبق على أقسام المكتبة، حيث تشير المعايير التي وضعتها اللجنة المشتركة بين جمعية المكتبات الأمريكية

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

في تعديلاتها الصادرة 1995م، والتي (ACRL) وجمعية مكتبات البحث والكليات الجامعية (ALA) نصت في مضمونها على أن متطلبات نظام الدراسة والبحث وفهم احتياجات الطلاب وغيرها قد أحييت الاهتمام بوحدة المكتبة المتفرقة والمتمركزة، كي تقوي عملية الاحتكاك بالمصادر، ومن المهم أن يكون وضع موقع المكتبات مقللاً من العقبات التي تواجه القراء، كما يجب مراعاة وضع أكثر أقسام المكتبة استعمالاً في مستوى الطابق الرئيسي أو بالقرب منه. حيث كشفت الدراسة أن معظم أقسام الدوريات تقع في الدور الأول كما يوضحها الجدول (1) وهي مكتبات (كلية الهندسة، كلية الزراعة، الدراسات العليا، وكلية الآداب)، بينما مكتبة واحدة فقط تقع في الدور الثاني وهي مكتبة (كلية الطب البشري).

جدول رقم (1) يبين موقع أقسام الدوريات بالمكتبات

موقع أقسام الدوريات				المكتبات
الدور الثالث	الدور الثاني	الدور الأول	الدور الأرضي	
	√	-	-	مكتبة كلية الطب البشري
-	-	√		مكتبة كلية الهندسة
-	-	√	-	مكتبة كلية الزراعة
-	-	√	-	مكتبة الدراسات العليا
-	-	√	-	مكتبة كلية الآداب*

#### • المكتبة المركزية سابقاً بالقاطع ب

وبالإشارة إلى المعايير سابقة الذكر فإن مواقع أقسام الدوريات في مكتبات موضوع الدراسة لا تتطابق مع ما أوصت بها تلك المعايير.

#### 1/ 2 مباني أقسام الدوريات:

لا توجد خدمة مكتبية بدون مكان مناسب تؤدي فيه العمليات والاجراءات الفنية، ويستوعب مجموعات ومصادر المعلومات، فضلاً عن استيعابه فئات المترددين من طلاب وباحثين وأعضاء هيئة تدريس وكشفت الدراسة الميدانية المتعلقة بمباني أقسام الدوريات بمكتبات جامعة طرابلس بأنها عبارة عن قاعات



### أ. جمال أحمد حواص

تتفاوت فيما بينها في حجم مساحة في كل منها، حيث اتضح أن أكبر مساحة كانت بمكتبة كلية الطب البشري وبلغت (400 م<sup>2</sup>)، ويليهما قسم الدوريات بمكتبة كلية الزراعة حيث بلغت مساحته (250 م<sup>2</sup>)، ثم قسم الدوريات بمكتبة كلية الآداب، حيث بلغت مساحته (98 م<sup>2</sup>)، بينما مساحة قسم الدوريات بمكتبة كلية الهندسة (75 م<sup>2</sup>)، وأخيرا مساحة قسم الدوريات بمكتبة الدراسات العليا بلغت (39 م<sup>2</sup>)، كما يبينه جدول رقم (2) التالي:-

#### جدول رقم (2) يبين مساحة أقسام الدوريات بالمكتبات

وكشفت الدراسة الميدانية أيضا أن مزار أقسام الدوريات بمباني المكتبات

المكتبات	المساحة	الترتيب النسبي
مكتبة كلية الطب البشري	400 م <sup>2</sup>	1
مكتبة كلية الهندسة	75 م <sup>2</sup>	4
مكتبة كلية الزراعة	2250 م <sup>2</sup>	2
مكتبة الدراسات العليا	39 م <sup>2</sup>	5
مكتبة كلية الآداب	98 م <sup>2</sup>	3
المجموع		

موضوع الدراسة تعاني العديد من العيوب أهمها المبينة في الجدول رقم (3): وكشفت الدراسة الميدانية أيضا أن مزار أقسام الدوريات بمكتبات جامعة

طرابلس تعاني من العديد من العيوب أهمها المبينة في الجدول (3)

#### جدول رقم (3) يوضح عيوب أماكن أقسام الدوريات

المكتبات	عيوب المقار			
	سوء التهوية	ضيق المكان	قلة الإضاءة الطبيعية	عيوب أخرى
مكتبة كلية الطب البشري	√	×	×	×
مكتبة كلية الهندسة	√	√	√	×
مكتبة كلية الزراعة	×	×	×	وجود حشرات وقلّة النظافة
مكتبة الدراسات العليا	×	√	√	×
مكتبة كلية الآداب	×	×	×	×

وهذه العيوب هي:

1- سوء التهوية وكان ذلك في مكتبة كلية الطب البشري ومكتبة كلية الهندسة .

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

2 - قلة الإضاءة الطبيعية وكان ذلك في مكتبة كلية الهندسة ومكتبة الدراسات العليا .

3 - طبيعة المكان وكان ذلك في مكتبة كلية الهندسة ومكتبة الدراسات العليا .  
كما توجد عيوب اخري من بينها وجود الحشرات وسوء النظافة وكان ذلك في مكتبة ( كلية الزراعة ) .

### 2 - الأثاث والتجهيزات:

يعتبر الأثاث والتجهيزات من المقومات المادية اللازمة لتقديم الخدمة الجيدة للمستخدمين، حيث إن للأثاث أهمية كبيرة من ناحية توفير الراحة والجو المناسب الذي يساعد القارئ على الدخول للمكتبة والبقاء فيها لمدة أطول، ومن أهمها (الرفوف، المقاعد، المناضد)، ومن أمثلة الأجهزة (التكييف، الحواسيب، آلات تصوير، ميكروفيلم وميكروفيش)، بالإضافة إلى الفرش والإضاءة والتهوية الطبيعية وغيرها.

### 1/2 - الأثاث:

كشفت الدراسة الميدانية بخصوص نوعية الأثاث المتوفر بأقسام الدوريات بالمكتبات موضوع الدراسة كما يبينها الجدول رقم (4) أن:  
مجموع الأثاث المتوفر بأقسام الدوريات ( 530 ) قطعة، حيث تمثل ارفف الدوريات العدد الاكبر وبلغت (269)) رفاً، ثم المقاعد بعدد ( 195 ) مقعداً وتليها المناضد بعدد ( 60 ) منضدة ثم فهارس الدوريات كارديكس بعدد (4) وتأتي لوحات الاعلانات في المرتبة الأخيرة بعدد لوحتين. اما فيما يخص التوزيع النوعي للأثاث فحسب مكتبات الكليات، والجدول رقم(4) يبين أن أكثر عدد من قطع الأثاث موجود بمكتبة كلية الطب البشري بعدد ( 272 ) قطعة، بينما مكتبة كلية الدراسات العليا بأقل عدد من قطع الأثاث بعدد(17) قطعة.

أ. جمال أحمد حواص

#### جدول رقم (4) يوضح فئات الأثاث المستخدم بأقسام الدوريات

فئات الأثاث						المكتبات
الترتيب الإجمالي حسب الأعلى	لوحة إعلانات	فهارس الدوريات (كارديس)	المناضد	المقاعد	أرفف الدوريات	
272	1	1	20	50	200	مكتبة كلية الطب البشري
107	1	1	17	70	18	مكتبة كلية الهندسة
79	0	1	10	40	28	مكتبة كلية الزراعة
17	0	1	3	5	8	مكتبة كلية الدراسات العليا
55	0	0	10	30	15	مكتبة الآداب
530	2	4	60	195	269	الإجمالي

#### 2/2 التجهيزات:

كشفت الدراسة الميدانية أن أقسام الدوريات بالمكتبات موضوع الدراسة كما يظهرها الجدول رقم (5)، تضم فئات الأجهزة التالية:

- أجهزة التكييف هي أكثر أنواع التجهيزات بأقسام الدوريات، حيث بلغ عددها خمسة أجهزة تكييف، حيث توفر أكثر عدد من أجهزة التكييف بمكتبة (كلية الزراعة) بعدد جهازين، تليها مكتبات (كلية الطب البشري، كلية الدراسات العليا، المكتبة المركزية) بعدد جهاز تكييف واحد لكل منها، ويتضح ان قسم الدوريات بمكتبة كلية الهندسة لا يمتلك أي جهاز تكييف .

جدول رقم (5) يبين فئات الأجهزة المستخدمة بأقسام الدوريات

فئات الأجهزة					المكتبات
الإجمالي	حواسيب	هواتف	أجهزة تكييف	آلات التصوير	
2	1	0	1	0	مكتبة كلية الطب البشري
1	0	1	0	0	مكتبة كلية الهندسة
5	1	1	2	1	مكتبة كلية الزراعة
1	0	0	1	0	مكتبة كلية الدراسات العليا
2	1	0	1	0	المكتبة الآداب
11	3	2	5	1	الإجمالي

- تأتي أجهزة الحواسيب في المرتبة الثانية بعدد ثلاثة أجهزة، حيث يوجد أكبر عدد منها بمكتبة كلية الزراعة بعدد جهازي حاسوب، تليها مكتبة كلية الطب البشري بجهاز حاسوب واحد. ويتضح من الجدول أيضا ان عدد ثلاثة أقسام دوريات بالمكتبات- (كلية الطب، كلية الهندسة، كلية الدراسات العليا، والمكتبة الآداب)- لا توجد بها أجهزة حواسيب.

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

في حين ان أجهزة الهواتف تأتي في المرتبة الثالثة بعدد جهازين توفر في قسمي الدوريات بمكتبتي كلية الهندسة، وكلية الزراعة). وجاءت أجهزة (الآت التصوير) في المرتبة الأخيرة بعدد آلة تصوير واحدة توفرت بقسم الدوريات بمكتبة كلية الزراعة كما هو مبين في الجدول السابق. إما في ما يخص الفرش والإضاءة تبين من الزيارات الميدانية أن أرضية جميع اقسام الدوريات مغطاة بفرش جيد الى حد ما، عدا قسم الدوريات بمكتبة كلية الهندسة لا يوجد بها فرش، أما الإضاءة فإن أغلب أقسام الدوريات تتوفر فيها الإضاءة الطبيعية والصناعية .

### 3 القوي العاملة بأقسام الدوريات:

يعد العنصر البشري في المكتبات الجامعية عاملا مهما ومؤثرا في نجاح المكتبة بإعتباره الواجهة الحقيقية لما تقدمه من خدمات لمستفيديها. وكشفت الدراسة الميدانية فيما يخص القوي العاملة بأقسام الدوريات أن إجمالي عدد العاملين بها ثمانية موظفين، منهم عدد ستة إناث بنسبة 75%، وعدد ومنهم عدد اثنين ذكور بنسبة 25%، موزعون على أقسام الدوريات كما هي مبينه في الجدول التالي رقم(6):

جدول رقم (6) يوضح عدد القوي العاملة بأقسام الدوريات

الترتيب النسبي	النسبة المئوية	عدد العاملين			المكتبات
		المجموع	إناث	ذكور	
الثاني	0.52%	2	1	1	مكتبة كلية الطب البشري
الثالث	12.5%	1	1		مكتبة كلية الهندسة
الاول	37.5%	3	2	1	مكتبة كلية الزراعة
الرابع	12.5%	1	1		مكتبة كلية الدراسات العليا
الخامس	12.5%	1	1		المكتبة الآداب
	-	8	6	2	المجموع
	100%				النسبة

يتضح من الجدول السابق ان قسم الدوريات بمكتبة كلية الزراعة يأتي في المرتبة الأولى بعدد ثلاثة موظفين وبنسبة قدرها (37.5%)، تليها مكتبة كلية الطب البشري بعدد اثنين وبنسبة 25%، ثم مكتبات كلية الهندسة، كلية

#### أ. جمال أحمد حواص

الدراسات العليا وكلية الآداب بعدد موظفواحد، وبنسبة 12.5% لكل منها على التوالي.

وبتوزيع عدد القوى العاملة بأقسام الدوريات حسب مؤهلاتهم العلمية كما هو مبين في الجدول رقم سبعة، نلاحظ تفوق عدد العاملين المؤهلين في مجال المكتبات والمعلومات، وكان عددهم خمسة بنسبة 62.5% من عدد العاملين لأقسام الدوريات؛ وتليها فئة مؤهلات المتوسطة بعدد اثنين وبنسبة 25%، ويأتي حملة المؤهلات الجامعية الأخرى بعدد 1 بنسبة 12.5%.

#### جدول رقم (7) يوضح مؤهلات القوى العاملة بأقسام الدوريات

مؤهلات متوسطة	مؤهلات تخصصات جامعية أخرى	مؤهلات تخصص مكتبات ومعلومات	إسم المكتبة
-	-	2	مكتبة كلية الطب البشري
-	-	1	مكتبة كلية الهندسة
2	-	1	مكتبة كلية الزراعة
-	1	-	مكتبة الدراسات العليا
-	-	1	مكتبة كلية الآداب
2	1	5	المجموع
25%	12.5%	62.5%	النسبة

- فيما يتعلق بالدورات التدريبية التي تحصل عليها العاملون بأقسام الدوريات نلاحظ ان هناك ثلاثة مكتبات العاملون فيها تلقوا دورات تدريبية داخلية في مجال استخدام الحاسوب وتطبيقاته، وكان ذلك بمكتبات (كلية الطب البشري كلية الهندسة، كلية الزراعة).

#### 4 - الاختيار والتزويد

ينبغي على المكتبة الجامعية لكي تكون قادرة على أداء دورها بكفاية وفعالية أن تحصل على أوعية معلومات منها الدوريات بما يتلاءم واحتياجات البرامج الأكاديمية في التدريس والبحث وخدمة القراء  
لقد كشفت الدراسة الميدانية أن مسؤولية الاختيار بأقسام الدوريات تقع على أمين المكتبة غالبا أو على لجنة الاختيار بالكلية التابعة لها المكتبة، والجدول رقم (8) يبين مسؤولية اختيار الدوريات.

أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

جدول رقم (8) يوضح مسنولية عملية اختيار الدوريات

المكتبات	أمين المكتبة	لجنة خاصة بالكلية
مكتبة الطب البشري	×	√
مكتبة كلية الهندسة	×	√
مكتبة كلية الزراعة	√	×
مكتبة كلية الدراسات العليا	×	√
مكتبة كلية الآداب	×	×

يتضح من الجدول أعلاه أن أغلب أقسام الدوريات بالمكتبات موضوع الدراسة، يقوم باختيار الدوريات لها لجنة خاصة بالكلية يشترك فيها رؤساء الأقسام العلمية بالكلية، بالإضافة إلى مشاركة أعضاء هيئة التدريس، وأمين مكتبة الكلية، وكان هذا في ثلاث مكتبات (مكتبة الطب البشري، مكتبة كلية الهندسة، ومكتبة كلية الدراسات العليا)، حيث تقوم هذه اللجنة باختيار عناوين الدوريات بما يتلاءم واحتياجات برامج التدريس والبحث العلمي، وفي ذات السياق يقوم أمين المكتبة بتجميع هذه العناوين وتحويلها إلى عميد الكلية لاعتمادها وتحويله إلى الإدارة المختصة بالتوريد (إدارة المكتبات والنشر بالجامعة) لتوفير الدوريات المطلوبة، بينما في مكتبة كلية الزراعة يقوم أمين المكتبة باختيار احتياجات الكلية من الدوريات العلمية الزراعية، أما فيما يخص مكتبة كلية الآداب (بالقاطع ب) فإنها لم يكن لها أي دور في اختيار الدوريات- لأن مجموع الدوريات الموجودة بها حالياً (أثناء إجراء الدراسة) قد جلبت من إدارة المكتبات والنشر بالجامعة وعن طريق الإهداءات من بعض المؤسسات المختلفة ..

هذا ويلاحظ أن اقتناء الدوريات بجميع المكتبات رغم انه كان يتم عن طريق إدارة واحدة وهي (إدارة المكتبات والنشر بالجامعة)، إلا انه متوقف منذ أكثر من ثلاثين سنة. وتكشف للباحث من خلال الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية أن كل المكتبات تتحصل على بعض الدوريات الحديثة عن طريق الإهداء. من مؤسسات بحثية داخلية، وخارجية ذات علاقة بتخصصات الكليات.

## 5- مجموعات أقسام الدوريات

تعتبر مجموعات المكتبة الجامعية إحدى السمات التي تميزها من غيرها من المكتبات، فهي الاداة الرئيسية التي تعتمد عليها في تحقيق أهدافها، فكلما كانت المجموعات أكثر كفاءة وكفاية كانت المكتبة أكثر قدرة على اثبات فعاليتها وإيجابية وجودها في المجتمع الذي تخدمه.

### 1/5 التوزيع العددي

كشفت الدراسة الميدانية أن أقسام الدوريات تمتلك رصيذاً من الدوريات المتنوعة يبلغ ( 3900 دورية)، موزعة على المكتبات موضوع الدراسة كما هي مبينة في الجدول رقم (9)

#### جدول رقم (9) يوضح رصيذ مجموعات الدوريات

المكتبات	رصيذ الدوريات	النسبة	الترتيب النسبي
مكتبة كلية الطب البشري	669	17.2%	2
مكتبة كلية الهندسة	1736	44.5%	1
مكتبة كلية الزراعة	322	8.3%	5
مكتبة كلية الدراسات العليا	618	15.8%	3
المكتبة الآداب	555	14.2%	4
المجموع	3900	100%	—

من الجدول السابق يتبين أن مكتبة الهندسة تأتي في المرتبة الأولى من حيث مجموع الدوريات بعدد 1736 أي بنسبة 44.5%، في حين إن مكتبة كلية الطب البشري جاءت في المرتبة الثانية بعدد 669 بنسب 17.2%، وتليها مكتبة كلية الدراسات العليا بعدد (618) عنواناً وبنسبة قدرها (15.8%)، ثم مكتبة كلية الآداب بعدد (555) عنواناً وبنسبة قدرها (14.2%)، وتأتي مكتبة كلية الزراعة في المرتبة الأخيرة (322) عنواناً وبنسبة قدرها (8.3%).

### 2/5 التوزيع الموضوعي لمجموعات الدوريات:

نظراً للطابع التخصصي للدوريات المققتاة بالمكتبات موضوع الدراسة ولصعوبة توزيع رصيذ الدوريات علي فروع المعرفة المختلفة. لجأ الباحث الى

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

توزيع الدوريات وفقا لمجالين رئيسيين واسعين وهما مجال العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وضعت تحتها كل من مكتبة كلية الدراسات العليا ومكتبة كلية الآداب؛ والمجال هو العلوم البحتة والتطبيقية، وصنفت تحته مكتبات: كلية الطب البشري، وكلية الهندسة كما هي مبينة في الجدول التالي رقم (10).

#### جدول رقم (10) يوضح التوزيع الموضوعي لرصيد الدوريات

النسبة	الدوريات	المجال
30.1	1173	العلوم الإنسانية والاجتماعية
%69.9	2727	العلوم البحتة والتطبيقية
%100	3900	المجموع

ومن خلال الجدول السابق يتضح أن عدد الدوريات في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية بلغ عدد (2727) ونسبة (69.9%)، بينما الدوريات التي تغطي مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية كان عددها (1173) دورية بنسبة (30.1%)، أي أن هناك توفراً عديداً واضحاً بين المجالين، ويرجع ذلك لطبيعة الدوريات واهتماماتها العلمية، ولتميز معلوماتها بالحدثة في مجال العلوم البحتة والتطبيقية .

#### 3/5 التوزيع اللغوي:

كشفت الدراسة الميدانية أن الدوريات بالمكتبات موضوع الدراسة متوفرة باللغتين العربية والأجنبية، كما يوضحها الجدول رقم (11):

#### جدول رقم (11) يبين التوزيع اللغوي لرصيد الدوريات

النسبة	الرصيد	التوزيع اللغوي للدوريات
%14.5	566	الدوريات العربية
%85.5	3334	الدوريات الأجنبية
%100	3900	المجموع

نلاحظ من الجدول السابق أن هناك توفراً للدوريات الأجنبية بعدد (3334)، أي بنسبة 85.5%، في حين أن عدد الدوريات باللغة العربية يبلغ عدد ( 566 ) ونسبة 14.5% .

أما فيما يخص التوزيع اللغوي لرصيد الدوريات على مكتبات موضوع الدراسة، فإن الجدول التالي رقم (12) يوضحها:



## أ. جمال أحمد حواص

### جدول رقم (12) يبين التوزيع اللغوي لرصيد الدوريات بأقسام الدوريات

المكتبات	الدوريات العربية	النسبة	الدوريات الأجنبية	النسبة	إجمالي عدد الدوريات	النسبة
مكتبة كلية الطب البشري	9	1.6%	660	19.8%	669	27.86%
مكتبة كلية الهندسة	-	0.0%	1736	52.1%	1736	9.87%
مكتبة كلية الزراعة	42	7.4%	280	8.4%	322	13.41%
مكتبة كلية الدراسات العليا	210	37.1%	408	12.2%	618	25.74%
المكتبة الآداب	305	53.9%	250	7.5%	555	23.12%
المجموع	566	100%	3334	100%	3900	-

من الجدول السابق رقم (12) نجد ان مكتبة كلية الهندسة تحتل المرتبة الأولى في الدوريات الاجنبية بعدد (1736) وبنسبة قدرها (52.1%)، تليها مكتبة كلية الطب البشري بعدد (660) بما نسبته (19.8%)، ثم مكتبة كلية الدراسات العليا بعدد (408) وبنسبة (12.2%)، وتليها مكتبة كلية الزراعة بعدد (280) وبنسبة (8.4%)، واخيرا مكتبة كلية الآداب بعدد (250) وبنسبة قدرها (7.5%).

اما بالنسبة للدوريات العربية تأتي مكتبة كلية الآداب في المرتبة الأولى بعدد (305) وبنسبة قدرها (53.9%)، يليها مكتبة كلية الدراسات العليا بعدد (210) وبنسبة قدرها (37.1%)، ثم مكتبة كلية الزراعة في المرتبة الثالثة بعدد (42) وبنسبة قدرها (7.4%)، وتأتي مكتبة كلية الطب البشري في المرتبة الرابعة بعدد (9) دوريات وبنسبة قدرها (1.6%)، بينما مكتبة الهندسة لا تمتلك أي دوريات عربية.

### 4/5 التوزيع الزمني لرصيد الدوريات:

من خلال الزيارات الميدانية، وتدوين الملاحظات، تبين صعوبة حصر التوزيع الزمني للدوريات، لأسباب أهمها عدم اهتمام وانتظام هذه المكتبات بتدوين تاريخ ورود المجموعات ومن بينها الدوريات، فضلا عن توقف عملية التزويد لفترات طويلة.

### 6-التنظيم الفني للدوريات:-

المكتبة بلا عمليات فنية كبلد بلا خريطة تحدد معالمها، فلا قيمة لاي مكتبة تخلو من أشكال العمليات الفنية، حيث تتولي الإعداد والتجهيز للأوعية تمهيدا لعرضها علي جمهور المستفيدين وتشمل العمليات الفنية الإعداد للفهارس

### أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

بمختلف أنواعها وأشكالها ونظم التصنيف المختلفة وما تعده المكتبة من كشافات ومستخلصات وقوائم بيبليوغرافية وطريقة تنظيمها وعرضها علي الأرفف ... ومن هنا جاء اهتمام المكتبات بتلك العمليات لتقديم المساعدات اللازمة للمستفيدين للوصول لإمكان وجود المواد والمعلومات التي تحتويها وكذلك لخدمة أغراض الدراسة والبحث العلمي مع توفير وتنظيم المجموعات لكي تخدم المستفيدين منها .

#### 1/6 طرق تسجيل الدوريات

وكشفت الدراسة الميدانية فيما يتعلق بطرق تسجيل الدوريات بالمكتبات موضوع الدراسة كما في الجدول رقم ( 13 ) كالآتي:-

#### جدول رقم (13) يبين طريقة تسجيل مجموعات الدوريات بمكتبات موضوع الدراسة

المكتبات	يتم تسجيلها هجانيا موضوعيا	يتم تسجيلها هجانيا بعناوينها
مكتبة كلية الطب البشري	---	√
مكتبة كلية الهندسة	---	√
مكتبة كلية الزراعة	----	√
مكتبة كلية الدراسات العليا	√	---
المكتبة الآداب	√	---

- من الجدول السابق يتبين أن هناك مكتبات تقوم بتسجيل مجموعاتها من الدوريات هجانيا بالعنوان، وكان ذلك في مكتبات كل من: كلية الطب البشري- كلية الهندسة - كلية الزراعة، أما مكتبات كل من: الدراسات العليا - كلية الآداب - فهي تقوم بتسجيل مجموعات الدوريات بها موضوعيا.:

#### 2/6 فهرسة مجموعات الدوريات

كشفت الدراسة الميدانية بان أقسام الدوريات لا تقوم بفهرسة مجموعاتها وفق تقنيات الفهرسة المعروفة

### أ. جمال أحمد حواص

- أما فيما يتعلق بمدى توفر فهرس الدوريات ( كارديس ) بأقسام الدوريات كما يتبين من الجدول التالي رقم ( 14 ) فإن اغلب المكتبات يتوافر بها هذا الفهرس وكان ذلك في مكتبات ( كلية الهندسة - كلية الطب البشري - كلية الزراعة - الدراسات العليا )، بينما لا يتوافر هذا الفهرس بمكتبة كلية الآداب)

#### جدول رقم (14) يبين مدى توافر فهرس الدوريات ( كارديس ) بمكتبات موضوع الدراسة

المكتبات	مدى توافر فهرس الدوريات ( كارديس )
مكتبة كلية الطب البشري	√
مكتبة كلية الهندسة	√
مكتبة كلية الزراعة	√
مكتبة كلية الدراسات العليا	√
مكتبة الآداب	×

#### - 3/6 تصنيف مجموعات الدوريات

وكشفت الدراسة الميدانية فيما يتعلق بطرق تصنيف مجموعات الدوريات بمكتبات موضوع الدراسة بأنها لا تتبع أي نظام تصنيف من نظم التصنيف المعروفة، وإنما تقوم بترتيب مجموعات الدوريات علي الأرفف حسب الطرق التالية كما يبينها جدول رقم (15).

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

### جدول رقم (15) يبين طريقة ترتيب الدوريات بمكتبات موضوع الدراسة

طريقة ترتيب الدوريات علي الأرفف			المكتبات
ترتيب اخر	حسب عناوين الدوريات	حسب الموضوع	
×	✓	×	مكتبة كلية الطب البشري
×	×	✓	مكتبة كلية الهندسة
×	✓	×	مكتبة كلية الزراعة
×	×	✓	مكتبة الدراسات العليا
×	✓	×	مكتبة كلية الآداب

- يتضح من الجدول السابق أن هناك بعض المكتبات تقوم بترتيب مجموعات الدوريات علي الأرفف حسب الموضوع وكان ذلك في مكتبات (كلية الهندسة – الدراسات العليا)، بينما باقي المكتبات تقوم بترتيب مجموعاتها من الدوريات علي الأرفف حسب العناوين وكان ذلك في مكتبات (كلية الطب البشري – كلية الزراعة – كلية الآداب)
- مع العلم أن جميع أقسام الدوريات تتبع نظام الأرفف المفتوحة في عرض وتنظيم وترتيب مجموعاتها

### 7 – الخدمات التي تقدمها أقسام الدوريات

- كشفت الدراسة الميدانية من خلال جدول رقم (16) أن أقسام الدوريات بمكتبات موضوع الدراسة تقدم الخدمات التالية: -
- **خدمة الإعارة الداخلية:** تقوم جميع أقسام الدوريات بتقديم خدمة الإعارة الداخلية علي اعتبار أن هذا النوع من المطبوعات يمنع إعارته خارجيا بناء علي اللوائح والتشريعات الدولية المتعارف عليها بالخصوص
- **خدمة الإجابة عن الاستفسارات:** تقدم هذه الخدمة من خلال مكتبة كلية الآداب فقط
- **خدمة التصوير:** - تقدم هذه الخدمة أيضا من خلال مكتبة كلية الزراعة فقط

## أ. جمال أحمد حواص

- خدمة الكشف:- تقدم هذه الخدمة من خلال مكتبة كلية الآداب ومكتبة الدراسات العليا فقط  
خدمة الإحاطة الجارية: تقدم هذه الخدمة من خلال مكتبة كلية الآداب فقط  
جدول رقم (16) يبين الخدمات التي تقدمها أقسام الدوريات بمكتبات موضوع الدراسة

المكتبات	نوعية الخدمات		
	الإعارة الداخلية	الإجابة عن الاستفسارات	الكشف
مكتبة كلية الطب البشري	✓	×	×
مكتبة كلية الهندسة	✓	×	×
مكتبة كلية الزراعة	✓	×	×
مكتبة الدراسات العليا	✓	×	✓
مكتبة كلية الآداب	✓	✓	✓

### 8 استخدام الحاسب الآلي في أقسام الدوريات

كشفت الدراسة الميدانية فيما يتعلق بمدى استخدام الحاسب الآلي بأقسام الدوريات بمكتبات موضوع الدراسة، أن بعض هذه الأقسام تمتلك أجهزة حاسوب كما أشار إليها الجدول رقم (5) السابق ذكر وهذه الأقسام موجودة بمكتبات الكليات الآتية (كلية الطب البشري - كلية الزراعة - كلية الآداب) وقد لوحظ أن استخدام هذه الأجهزة كان في الجانب الإداري فقط، أي لا يتم استخدامها في ضبط الدوريات وتنظيمها الفني .

### 9 النتائج والتوصيات

#### 1 / 9 النتائج

- 1- غياب المسح الشامل لأقسام الدوريات وعدم وجود إحصائيات دقيقة عن محتويات هذه الأقسام
- 2- ضيق مباني أقسام الدوريات وعدم قدرتها علي استيعاب أعداد الرواد ومجموعات الدوريات.
- 3- غياب واضح للدوريات المحلية بما فيها الصحف المختلفة.
- 4- عدم حرص متخذي القرار بالجامعة والمسؤولين علي إدارة المكتبات علي اقتناء الدوريات وجودها بانتظام، بالرغم من أهميتها كمصدر للمعلومات

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

- للباحثين وأعضاء هيئة التدريس، إلا أن نسبة وجودها تعد ضئيلة جدا مقارنة بباقي المجموعات .
- 5- مالت مجموعات الدوريات نحو التخصص العام والتخصصات الدقيقة للكلية أكثر من مليها لإشباع الجانب التثقيفي والترفيهي .
- 6- لم تولى المكتبات قضية اختيار الدوريات ما تستحقه من اهتمام وعناية فلا توجد أدوات اختيار ملائمة وحديثة، كما لا توجد سياسة مكتوبة للاختيار والاستبعاد .
- 7- عدم الاهتمام بوضع الأسس للتبادل والإهداء كمصادر مساعدة للحصول علي الدوريات العلمية، حيث يلاحظ أن الإهداء لا يشكل مصدرا يمكن الاعتماد عليه كثيرا في الحصول علي الدوريات، لأن انتظام ورود واكتمال المجموعات من الشروط الأساسية التي تراعي عند الاقتناء .
- 8- لا يحرص المستفيدون علي المطالبة بحقهم في توفير المكتبة لما يحتاجون إليه في الدوريات وهذا الوضع دفع بكثير من المستفيدين وخاصة أعضاء هيئة التدريس والباحثين اللجوء إلي استخدام مكتبات أخرى تتيح وتوفر لهم ما يحتاجون إليه، وهذا كان سببا رئيساً في تدنى مستوى الإفادة مما يقدم من خدمات بأقسام الدوريات .
- 9- اغلب الدوريات المتوافرة حالياً بالمكتبات قديمة جدا وبعضها غير مكتمل والمتاح منها قليل وأحيانا غير متصلس بالإضافة إلي ان اغلب هذه الدوريات لا تحافظ علي العنصر الهام وهو الاستمرارية في الاشتراك وهذا الوضع لا يتلاءم مع متطلبات برامج البحث العلمي ولا يتناسب مع آمال وطموحات الباحثين بالجامعة ويرجع ذلك إلي:-
- أ- بالنسبة للدوريات المهداة عدم حرص جهة الإهداء علي إرسال أعداد الدوريات بصفة منتظمة .
- ب- صعوبة الحصول علي الأعداد المفقودة، إما لضياعها أو لاستبعادها أو لكثرة استعمالها وتشويها وتفتيت صفحاتها مع عدم وجود الصيانة المستمرة من تجليد وترميم وحفظ

## أ. جمال أحمد حواص

10 - غياب برامج التعاون بين أقسام الدوريات بالجامعة أومع المؤسسات البحثية الأخرى لغرض التبادل أوالإهداء بالرغم من أن هناك نسبة من الدوريات تأتي عن طريق الإهداء من بعض المؤسسات والمراكز البحثية وإن كان اغلبها علي هيئة أعداد متناثرة غير منتظمة، وهذا يتطلب وجود قواعد تحكم التعاون ويمكن من خلالها تنسيق التزويد في هذه المكتبات منعا للتكرار .

11- التذني في نسب الدوريات في جميع مكتبات لا يتناسب مع أعداد المستفيدين من طلبة وأعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا والباحثين الذين تخدمهم هذه المكتبات وبذلك فهي لا تلبي احتياجات المستفيدين منها .

12لم تلق الدوريات في المكتبات أي اهتمام في إعداد فهرسها، حيث يلاحظ ان جميع المكتبات لا تقوم بمعالجتها فنيا وإنما تقوم بعضها بتسجيلها في بطاقات جاهزة يعرف بـ ( بكارديس ) التي يتم فيها تدوين العناصر الوصفية للدورية من مؤلف وعنوان وبيانات النشر - كيفية الصدور والأعداد المتوفرة وغيرها .... كما تقوم أقسام الدوريات بترتيب مجموعاتها علي الأرفف حسب العنوان وبعض منها حسب الموضوع وهناك من يقوم بترتيبها عشوائيا دون أي نظام محدد، حيث نلاحظ ان الدوريات المجلدة ترتب في جهة وغير المجلدة في جهة أخرى .

13لوحظ ان هناك عجزاً كبيراً في الأدوات الببليوجرافية اللازمة لفهرسة الدوريات وتنظيمها فنيا وهذا الإهمال في إعداد الفهارس الخاصة بالدوريات مع عدم وجود أداة لضبط وحصر لمجموعات هذه الدوريات ( كالكشافات - القوائم الببليوجرافية ) أدى إلي فقدان هذه الدوريات لأهميتها، بل أصبحت عبئا علي بعض المكتبات حيث نجدها علي شكل كوم مخزنة أوفي صناديق لا يعرف عددها ولا مضمونها، مما أدى إلي إضعاف دور أحد الداعمات الأساسية للبحث العلمي .

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

14 عدم وجود فهارس موحدة للدوريات في جميع المكتبات علي الرغم من أهميتها في المكتبات الجامعية والتي تفيد في إرشاد الباحثين إلي المكتبات التي يمكن أن يجدوا فيها الدوريات التي تحتاجونها .

15 بالرغم من التطورات الهائلة في تكنولوجيا المعلومات إلا أن جميع أقسام الدوريات لم تستفيد من ذلك التطور سواء في الإجراءات الفنية أو الخدمات أو غيرها .

ومن خلال النتائج السابقة تبين لنا أن أقسام الدوريات بمكتبات جامعة طرابلس بناء علي واقعها الحالي لم تتجح في تحقيق أهدافها التي وضعت من أجلها كما لم تستطع أن تلبي احتياجات الباحثين والمستفيدين منها .

### 2/9 التوصيات

1- ضرورة اهتمام أمناء المكتبات بتأسيس أقسام للدوريات في جميع مكتبات الجامعة والعمل علي تحسين وتطوير الأقسام القائمة من حيث المساحة المخصصة لهذه الأقسام وأثاثها وتجهيزاتها والعاملين بها .

2- ضرورة العمل علي وضع سياسة علمية لاختيار الدوريات واقتنائها بما يناسب احتياجات وأغراض البحث العلمي بالجامعة وبما يتناسب مع بقية مجموعات المكتبات مع الاهتمام بوضع الأسس العلمية لعمليات التبادل والإهداء كمصادر مساعدة في الحصول علي الدوريات .

3- ضرورة اتباع أساليب التزويد التعاوني بأقسام الدوريات بجامعة طرابلس وتقسم الموارد، تفاديا للتكرارات .

4- الإسراع في إعداد خطة للضبط الببليوجرافيا للدوريات علي أسس موضوعية لتيسير مهمة الباحثين من الاستفادة القصوى من هذه الدوريات .

5- الاهتمام بإصدار الفهارس الموحدة للدوريات فهي الركيزة الأساسية لخطط التعاون فيما بين أقسام الدوريات بالمكتبات فضلا عن ما تقدمه من تعريف بمقتنيات عدد من المكتبات المتعاونة، وفي ذلك توفير لوقت وجهد الباحثين

6- ضرورة تطبيق تكنولوجيا المعلومات لما لها من أثر في دعم الاقتناء التعاوني وتيسير سبل التعريف بالدوريات، هذا بالإضافة إلي ما أتاحتها تكنولوجيا الاتصالات المعاصرة من تخطى الحواجز الجغرافية وزيادة



**أ. جمال أحمد حواص**

سرعة طلب الوثائق وتوفيرها للمستخدمين مع ضرورة الاشتراك في مرصد  
وبنوك المعلومات وقواعد البيانات العالمية.  
7- ضرورة العمل علي توفير الدوريات الالكترونية والاشتراك فيها .

## أقسام الدوريات في المكتبات الجامعية ودورها ...

### الهوامش:

- 1- شعبان عبد العزيز خليفة . المحاورات في مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات . ط2 . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1998. ص 34
- 2- برجس عزام . الدوريات: دراسة في أهمية الصحف والمجلات وأنواعها وكيفية استرجاع معلوماتها . - دمشق: دار طلاس للدارسات والنشر، 1990. ص ص 9-10 .
- 3-حشمت قاسم . مصادر المعلومات: دراسة لمشكلات توفيرها في المكتبات ومراكز التوثيق .- القاهرة: مكتبة غريب، دت . ص 12 .
- 4- ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم . مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق .- عمان: دار صفاء للنشر، 2000. ص 43.
- 5- ياسر يوسف عبد المعطي . خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات .- الكويت: دار الكتاب الحديث، 2005. ص ص 45 - 46.
- 6- حسان عبادة . مصادر المعلومات وتنمية المقتنيات في المكتبات ومراكز المعلومات .- عمان دار صفاء للنشر، 2004. ص ص 40 - 41 .
- 7- غالب عوض النوايسة . خدمات المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات .- عمان: دار صفاء للنشر، 20020. ص ص 124 - 125 .
- 8- حسان عبادة . مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات: مع الإشارة خاصة إلي الكتب المرجعية .- عمان: دار صفاء للنشر، 2003 . ص ص 46 - 47 .
- 9- نفس المرجع السابق . ص ص 72 - 73 .
- 10- نفس المرجع السابق . ص ص 78 - 79 .

**أ. جمال أحمد حواص**

- 11- عبد الحافظ محمد سلامة، وائل بومغلي . تطبيقات الحاسب في المكتبات ومراكز المعلومات .- عمان: دار الصفاء للنشر، 2002. ص 75 – 76 .
- 12- نفس المرجع السابق . ص 78 .
- 13- غالب عوض النوايسة . خدمات المستفيدين ...مرجع سبق ذكره، ص 126 .
- 14- احمد نافع المدادحة . الخدمات المكتبية والمعلوماتية للمستفيدين .- ط11 .- عمان: المعتز للنشر والتوزيع، 2009. ص 96.

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

أ. إبراهيم محمد سليمان  
قسم الإعلام  
كلية الآداب - الزاوية

### مقدمة:

إن طبيعة العصر الذي نعيش فيه، وما يتميز به من تقدم سريع في مجالات التطور العلمي والتكنولوجي، وتقدم في وسائل الاتصالات والتي واكبتها الزيادة الهائلة في المعرفة البشرية، وانفجار سكاني هائل مع نهاية القرن الماضي والذي أصبح فيه العالم مجتمعاً معلوماً. كل ذلك انعكس أثره على حياتنا الفكرية والثقافية، وجعل رجال التربية والتعليم يفكرون في استخدام وسائل الاتصال الجماهيري وتكنولوجيا المعلومات في تطوير التعليم. ولم تعد التربية الحديثة تقتصر في تدريسها على الألفاظ فقط، بل بدأت تستخدم الوسائل السمعية والبصرية التي تعددت وتنوعت نتيجة للتطور العلمي الهائل الذي شمل جميع أوجه الحياة، حيث لم يعد المدرس هو المصدر الرئيسي للمعرفة بل أضحت الطلاب يجدون مصادر أخرى متمثلة في القنوات الفضائية المختلفة. والتربية في العصر الحالي صارت قاسماً مشتركاً بين العديد من المؤسسات الاجتماعية، البيت، المدرسة، المسجد، التلفزيون، الراديو، الصحافة، وغيرها كلها اضحت مهتمة بغرس الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في الأفراد وتنميتها، وتنتظر إلى المتعلم على أنه عنصر أساسي وإيجابي في إحداث تعلم فعال. (1)

وأصبح الإعلام أداة لتعليم الناس أشياء ومعارف كان من الصعب الحصول عليها في مؤسسات التعليم النظامي. ولهذا فقد اهتمت الدول النامية بصفة خاصة بالدور التربوي لوسائل الإعلام التي أصبحت بالنسبة للأميين تعادل المدرسة بالنسبة للذين نالوا قسطاً من التعليم، وقد أدى تطور وسائل الإعلام في هذا العصر إلى إغراق الناس بالمعلومات، فخلف انطباعاً بأن الانتفاع بالمعرفة أصبح حقاً. (2) كما أن وسائل الإعلام تعد إحدى المؤسسات الاجتماعية، ولها وظائف حددها الاعلاميون تتمثل في التنقيف، والأخبار

## أ. إبراهيم محمد سليمان

والتعليم، والتسلية، ومساعدة النظام الاجتماعي، وبذلك يتحقق الإجماع أو الاتفاق بين أفراد الشعب الواحد عن طريق الإقناع، والترغيب، ولا ينكر دور الإعلام في التربية، فهي تلعب دور المدرسة حتى أنها تنافسها.<sup>(3)</sup>

وبدأت وسائل الإعلام المختلفة تمد المتعلم بكميات هائلة من المعارف وبطريقة مشوقة أثرت على طرق التدريس، والأساليب التي تتبعها المدرسة لحصول المتعلم على المعرفة، ذلك لأن الوسائل الإعلامية قد حشدت كادراً مؤهلاً يفوق كل ما تقدمه المدرسة، ومخطوط المناهج المدرسية، وبهذا نرى وسائل الإعلام المتطورة قد خلقت تحديات كبيرة للمدرسة وللфكر التربوي ينبغي مواجهتها بالآتي:<sup>(4)</sup>

1. أن تأخذ المدرسة بوسائل الإعلام المتطورة في عملية التدريس مثل استخدام الإذاعة المرئية التعليمية، وأشرطة التسجيل المرئي، وأشرطة الخيالة والحاسوب.

2. التعاون بين المدرسة ووسائل الأعلام المختلفة بحيث تقدم هذه الوسائل الإعلامية ما يخدم تحقيق أهداف التعليم.

3. أن تساهم المعاهد التربوية والجامعات في إجراء البحوث العملية حول وسائل الإعلام وأثارها التعليمية والنفسية بهدف تحسين وتطوير طرق الاستفادة منها.

4. تهيئة التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة بالخبرات التي تمكنهم من التميز بين ما تقدمه هذه المؤسسات واختيار أفضلها.

وقد ساعد إدخال التلفزيون في العملية التربوية في كثير من المجالات التربوية وفي أغلب دول العالم وذلك لغرض محو الأمية وتقديم البرامج الثقافية المتنوعة والتدريب على بعض المهن.

والإعلام التربوي مصطلح جديد نسبياً ظهر في أواخر السبعينات من القرن الماضي عندما استخدمته المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) للدلالة على التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية، وأساليب توثيقها وتصنيفها، والإفادة منها. ثم تطور مفهوم هذا المصطلح، وامتد ليشمل الواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة، والمتمثلة في السعي لتحقيق الأهداف العامة للتربية في المجتمع والالتزام بالقيم الأخلاقية.<sup>(5)</sup>

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

ويعد الإعلام التربوي خطوة أساسية باتجاه تحقيق ديمقراطية تعليمية. كما انه الخطوة الاولى نحو إعداد وتحقيق التوجيه التربوي المهني كمرحلة أولى في الطريق نحو التربية المستمرة المتصلة بأسباب الإنماء الاقتصادي والاجتماعي<sup>(6)</sup> كما أن الإعلام التربوي يمكن ان يوجه التلميذ نحو تحقيق الاختيار الدراسي أو المهني الواقعي والذي يكون نتيجة ربط منطقي بين الحاضر والمستقبل، حيث يكون هذا الاختيار متوافقاً مع إمكانياته وميوله واهتماماته، إذ أن الإعلام التربوي عبارة عن صيرورة تعمل على الدفع بالتلميذ إلى تكوين إطار مرجعي يساعده على اتخاذ القرارات الصحيحة والسليمة فيما يتعلق بمستقبله كلما تطلب الامر ذلك وفي مختلف المراحل الدراسية التي مر بها.<sup>(7)</sup> ويستمد الإعلام التربوي فلسفته من فلسفة المجتمع وسياسته في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فعلى المستوى السياسي نجد أن كثيراً من الأنظمة السياسية تعتمد على أجهزة إعلامها في تربية شعوبها وتعليمها وإقناعها بفلسفة النظام السياسي السائد.<sup>(8)</sup>

وتتحدد مشكلة هذه الدراسة بالإجابة على تساؤلها الأساسي التالي: ما مفهوم الإعلام التربوي وأهدافه ودوره في المجتمع؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة في بيان مفهوم الإعلام التربوي وأهدافه ودوره في المجتمع وأساليب الاستفادة منه في التعليم وذلك من خلال استعراض آراء بعض المفكرين ودراساتهم في هذا المجال. وتهدف هذه الدراسة للتعرف على الآتي:

- (1) مفهوم الاعلام التربوي.
  - (2) اهداف الإعلام التربوي ودوره في المجتمع.
  - (3) أساليب التعليم بالإعلام التربوي.
- وتعد هذه الدراسة من الدراسات المكتبية التي تعتمد على المصادر والمراجع، والدراسات السابقة ذات العلاقة بهذا الموضوع لغرض فهمه وتفسيره وتحليله وبالتالي الوصول إلى تحديد المعالم الرئيسة له.
- الإعلام التربوي:**

## أ. إبراهيم محمد سليمان

بداية وقبل الحديث عن الإعلام التربوي يجدر بنا أن نحدد بعض المفاهيم لبعض العلوم التي لها علاقة وطيدة بالإعلام التربوي مثل الاتصال، الإعلام والتربية، والتعليم، وبالتالي الوصول إلى مفهوم الإعلام التربوي والذي يعتبر الموضوع الأساسي لهذه الدراسة.

### الاتصال:

ليس هناك تعريف واحد شامل ومتفق عليه لمفهوم الاتصال ويرجع السبب في ذلك إلى أن الاتصال يتداخل في جميع مناحي الحياة. وأياً كانت الآراء فإن الأمر لا يخلو من تعاريف شاملة وقريبة من الواقع من ذلك مثلاً " إنه أسلوب لتبادل المعاني بين الأشخاص من خلال نظام متعارف عليه أو من خلال إشارات محدودة"<sup>(9)</sup>. والاتصال في الأساس عملية اجتماعية تعتمد على نسق كامل من الرموز، لا يتوقف عند حدود اللغة المنطوقة أو المكتوبة فحسب، بل يمتد إلى مجموعة الأفعال التي يأتيناها الإنسان في موقف معين من خلال الكلمات والإشارات والحركات والإيماءات واللوحات التعبيرية... الخ، وبالتالي فهو عملية اجتماعية تعتمد على التفاعل الاجتماعي بكل أبعاده. إن مفهوم الاتصال يشير إلى المشاركة في المعنى عن طريق رسائل مختلفة. تلك التي تنتقل بها الأفكار والآراء والمعلومات والاتجاهات داخل نسق اجتماعي معين وبين أطراف مؤثرة ومتأثرة.

### الإعلام:

الإعلام كلمة اتسع مدلولها بدرجة أصبح من الصعب وضع تعريف محدد له وذلك لاتساع هذا المفهوم وتداخله في كثير من المجالات، إلا أن الباحث اختار تعريف (سمير) للإعلام لملاءمته لهذه الدراسة حيث يرى بأنه هو كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة، وبما يسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور في الوقائع

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة<sup>(10)</sup> فالعملية الإعلامية هي عملية اجتماعية، تشمل كافة نواحي الحياة في المجتمع ومن ثم فإن أبسط تعريف للإعلام هو فن استقصاء الحقائق والمعلومات والأخبار ومعالجتها ونشرها على أوسع نطاق جماهيري وفي الوقت الملائم من خلال وسائل الإعلام الحديثة والمتنوعة.

### التربية:

للتربية تعريفات كثيرة وردت في مؤلفات التربويين نذكر منها الآتي: التربية هي: الجهد المقصود الذي يهدف إلى تشرب النشء لعناصر الثقافة والتكيف معها والتعديل فيها من أجل تحقيق التقدم وهذا يعني وبوضوح أن التربية ليست حكرًا على المدرسة من خلال التعليم النظامي داخل جدرانها، وإنما هي عملية يقوم بها المجتمع ككل سواء داخل المدرسة أو خارجها. والتربية كما تراها المنظمة العربية للثقافة والعلوم هي التنمية الشاملة بكل أبعادها البشرية والاقتصادية وهي باب الحضارات التكنولوجية والعلمية ومفتاحها والإنسان هو محور ذلك كله وسيلة وغاية.<sup>(11)</sup>

وعرفت أيضاً: إنها عملية تضم الأفعال والتأثيرات المختلفة التي تستهدف نمو الفرد في جميع جوانب شخصيته وتسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيف مع ما يحيط به، ومن حيث ما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوك وقدرات.<sup>(12)</sup> وبالتالي يمكن القول إن التربية هي عملية مستمرة بين الإنسان والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها وإنها عملية استخراج لإمكانات الفرد في إطاره الاجتماعي، وتكوين اتجاهاته وتوجيه نموه، وتنمية وعيه بالأهداف التي تسعى الجماعة إلى تحقيقها.

### التعليم:

يعرف (المقرم) التعليم بأنه نشاط تواصلية يهدف إلى إثارة دافعية المتعلم وتسهيل التعلم، ويتضمن النشاطات والقرارات التي يتخذها المعلم أو الطالب في الموقف التعليمي، كما أنه علم يهتم بدراسة طرائق التعليم وتقنياته بشكل ينظم مرافق التعلم التي يتفاعل معها الطلاب من أجل تحقيق الأهداف المنشودة.<sup>(13)</sup> والتعليم أيضاً هو تصميم معقود للمواقف التعليمية، وان عملية التعليم هي تلك



العملية التي يوجه بها المتعلم في مواقف تعليمية وتنمي لديه الاستعداد العقلي والنفسي لإكساب خبرات ومعارف ومهارات واتجاهات وقيم تتناسب وقدراته واستعداداته، ومن خلال وجوده في بيئة تعليمية تتضمن محتوى منهجاً ومعلماً ووسائل تعليمية لتحقيق الأهداف التربوية المستهدفة.

### العلاقة بين الإعلام والاتصال:

يشير (دليو) إلى أن هاتين الكلمتين قد تتقاطعان بحيث نجد البعض يستعمل إحدهما بدل الآخر. ولكنه من الخطأ المساواة بين المفهومين لأن الاتصال تواصل تفاعلي بالضرورة أما الإعلام حتى بمعناه الواسع الذي قد يتوفر فيه رد فعل المستقبل فلا يشترط ذلك أن الإعلام يعني أساساً المعطيات والأخبار والمعرفة، والاتصال يستلزم الحوار ووجود علاقات. وإذا كان مفهوم الإعلام يعبر عادة عن شيء ثابت (محتوى، حالة، وضعية) فالإتصال عبارة في الغالب عن عملية (علاقة). وقد يوصف الإعلام بأنه يشكل إحدى وظائف الاتصال الأساسية الثلاثة: الإعلام، التعليم، الترفيه. ومن ثم فقد يوجد إعلام دون علاقة اتصالية ولكن لا يمكن أن يكون هناك اتصال دون إعلام. ويبقى الشائع والغالب أن الاتصال أعم وأشمل من الإعلام.<sup>(14)</sup>

كما أن الإعلام وهو وحيد الاتجاه: نشرة أخبار، برنامج إذاعي أو تلفزيوني، أو ملصق، أو مطبوعة الخ... ينقل معلومة ويهدف إلى التأثير على الجمهور ولكنه لا يتأثر باستجاباتهم (على الأقل لحظة البث)، ولا يترك مجالاً لإرجاع الأثر إلا بشكل محدود من خلال البرامج واللقاءات المباشرة. ذلك ما يميز الاتصال عنه، فهو يتصف بالموجهة والتفاعل وتبادل التأثير.<sup>(15)</sup>

### العلاقة بين الإعلام والتربية:

الإعلام التربوي التخصصي هو ذلك الإعلام الذي يحرص على الاهتمام بجوانب الشبكة التربوية التعليمية المختلفة دون أن يهمل عناصر البنية الأساسية للتربية، والتي قد يؤدي إهمال أي منها إلى خلل واضح في عناصر منظومة التربية الأساسية.<sup>(16)</sup>

يرى (Cater Good) بأن الإعلام التربوي هو بيانات صحيحة وقابلة للاستخدام تتعلق بجميع أنواع فرص التدريب والمتطلبات التربوية الحالية

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

والمستقبلية، ويشمل ذلك محتويات المنهج، وظروف، ومشكلات الحياة الطلابية<sup>(17)</sup> ومن هنا يمكن القول إن الإعلام التربوي يهتم بتوجيه وسائل الإعلام نحو واجباتها التربوية الأمر الذي يفيد العملية التربوية والتعليمية.

ويعبر مفهوم الإعلام التربوي في كثير من الدراسات التربوية عن استخدام وسائل الإعلام في نقل الرسالة التعليمية إلى افق واسعة وأكثر عددا من المتلقين عبر أنماط التعليم المستمر، والتعليم المفتوح، كما أنه يعبر في بعض الدراسات التربوية الأخرى عن تضمين البرامج الإعلامية لأهداف وقيم تربوية والعمل على اتساق وتكامل رسالتي التربية والإعلام<sup>(18)</sup>.

إن الإعلام بوسائله المختلفة يعد وسطاً تربوياً بامتياز ومن أبرز التطبيقات العملية في مجال التعليم عن بعد والتعليم المستمر. إن التربية والإعلام يعتبران عملية واحدة في إطار أسس متشابهة بينهما، ومن خلال الإعلام التربوي يتم التواصل والتفاعل بتوظيف وسائل الاتصال وتقنياته الحديثة وبينهما علاقة قوية ومتينة حيث إنهما يعملان على خدمة أبناء المجتمع بمختلف شرائحه عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

ويؤكد (أبو معال) أن وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة دخلت في إطار الوسائل التعليمية التي تساعد في تعزيز المناهج الدراسية، بالإضافة إلى وظائفها التنقيفية، وأصبحت تعد من الوسائط التربوية الناجحة<sup>(19)</sup>.

والتربية والإعلام هما أيضاً أدواتان للتغيير إما لزرع القيم لدى المجتمع وإما للابتعاد عن عادات قديمة بالية، إذ تعد التربية عملية توجيه الأفراد نحو النمو بشكل يتمشى والخط الذي ارتضاه المجتمع لنفسه، والإعلام أيضاً عملية توجيه الأفراد بتزويدهم بالمعلومات، والأخبار، والحقائق الصحيحة في حدث معين، وهذا يعني أن التربية والإعلام لهما وشائج قوية وراضية مشتركة لأن التربية في جوهرها عملية اتصال وأن الإعلام بجوهره ومظهره عملية اتصال<sup>(20)</sup>.

إن الإعلام التربوي قد ظهر ليؤكد حقيقة العلاقة بين الإعلام والتعليم وليربط بين التربية وبين المؤثرات الاجتماعية، وليؤكد أن التربية تمارس تأثيراتها لا في المدرسة وحدها ولكن من خلال مؤسسات اجتماعية كثيرة ومتعددة وما يوجد فيها من وسائط ثقافية أخرى<sup>(21)</sup>.

### العلاقة بين التعليم والإعلام:

إن الهدف الأول للتعليم هو نقل تراث الأمة الاجتماعي من جيل إلى جيل وتنمية الجوانب المعرفية. ويتفق التعليم والإعلام في أن كليهما يهدف إلى تغيير سلوك الفرد، فبينما يهدف التعليم إلى تغيير سلوك التلميذ إلى الأفضل نجد الإعلام يهدف إلى تغيير سلوك الجماهير. كما أن التعليم والإعلام يعتبران عملية تفاهم، وعملية التفاهم هي العملية الاجتماعية الواسعة التي تبنى عليها المجتمعات. (22) وبالتالي يمكن القول إن هناك أرضية مشتركة بين التعليم والإعلام وبأن العملية التعليمية في بعض جوانبها عملية إعلامية وأن العملية الإعلامية أيضاً في بعض جوانبها عملية تربوية، فالتعليم والإعلام عنصران هامان من عناصر النظام الاجتماعي يجمع بينهما صفة، وهي أن كليهما عملية اتصال تتكون من العناصر الأساسية لهذه العملية والمتمثلة في المرسل والمستقبل، والرسالة، والأداة أو القناة.

وبقدر وجود اتفاق بين التعليم والإعلام هناك أيضاً بعض الفروق يمكن إيجازها في الآتي:

- جمهور التعليم يتميز بالتجانس حيث نرى التلاميذ في مختلف مراحل التعليم متجانسين من حيث السن والزمن والخبرات السابقة ومن حيث التحصيل.
- جمهور الإعلام يشمل كل المواطنين أو جزءاً منهم.
- التعليم يتميز بالمحاسبة على النتائج فالتلميذ مسئول عن نجاحه أما الإعلام فليست هناك محاسبة أو نتائج على المشاهدة إلا نادراً في برامج المسابقات.
- إن التعليم يهدف إلى استمرار التراث العلمي، والاجتماعي، والأدبي، والحضاري للأجيال القادمة والمتعاقبة، وتنمية قدراتهم، ومهاراتهم العقلية والبدنية. أما الإعلام فيهدف إلى التبصير، والتنوير، والإقناع لتحقيق التكيف والتفاهم المشترك بين الأفراد.

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

### مفهوم الإعلام التربوي:

يعد مصطلح الإعلام التربوي من المصطلحات التي ظهرت حديثاً حيث تم استخدامه في أواخر السبعينات من القرن الماضي كما اسلفنا ذلك. ولم يعالج موضوع الاعلام التربوي معالجة واضحة ومباشرة على الصعيد الدولي إلا في عام 1977م، عندما انعقدت الدورة السادسة والثلاثون للمؤتمر الدولي للتربية التي ركزت أعمال لجننتها الثانية على دراسة مشكلة الإعلام، وطبقاً للتوصية 71 الصادرة عن هذا المؤتمر اتخذ المكتب الدولي للتربية الإجراءات اللازمة لتنمية الإعلام التربوي. (23) وقد حددت التوصية المشار اليه مجالات الإعلام التربوي وحصرتها في: إنتاج وتسجيل ونقل الافكار والآراء والنظريات والحقائق والأنظمة والإحصائيات والأنشطة الثقافية والفنية وغيرها من المعلومات والبيانات المتصلة بالنظم والعملية التعليمية التي تسهم في تحسين نوعية التربية. (24)

ويرى (رجب) بأن الإعلام التعليمي ينحصر في الصحف والمجلات التي تصدر متجهة إلى المعلمين والطلاب وغيرهم من العملية التعليمية بالإضافة إلى ذلك البرامج التعليمية المسموعة والمرئية. أما مصطلح الإعلام التربوي فيشمل الواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة. (25)

ويؤكد (شرف الدين) أن الإعلام التربوي يظل مفهوماً أوسع وأشمل من مفهوم الإعلام التعليمي حيث إن مفهوم الإعلام التعليمي يصب اهتمامه على العملية التعليمية بشكل حصري، أما الإعلام التربوي فإنه يستوعب الإعلام التعليمي ويركز على دور التربية متضمناً الجانب التعليمي والإعلامي التربوي، ويركز اهتمامه على كل المؤسسات التي يكتسب منها الفرد مكونات شخصيته وسلوكه. (26) ويوضح (محمود) أن الإعلام التربوي يهتم بكل ما يتعلق بالنواحي التربوية من إعداد وتدريب وتطوير في المناهج والمقررات مع توظيف وسائل الإعلام وأجهزته المختلفة مباشرة وغير مباشرة لتحقيق الاهداف التربوية المختلفة. (27)

ويذهب (عبيد) إلى أن الإعلام التربوي هو مختلف أنواع مرافق المعلومات التي تكون اساساً في خدمة الطلبة والمعلمين والأساتذة، وأهمها المكتبات

المدرسية والوسائل التعليمية والمكتبات الجامعية، والتلفزيونات المدرسية والمكتبات العمومية ومراكز التوثيق وغيرها.<sup>(28)</sup> ويفسر (الضبع) الإعلام التربوي بأنه نقل المعلومات والمشاهد النقية من مكان أو زمان لآخر لتحقيق الأهداف التربوية عن طريق الكلمة المكتوبة أو المسموعة والمسموعة المرئية أو التخيلية أو المجسمة بصفة دورية.<sup>(29)</sup> في حين ترى نوال أنه استخدام وسائل الإعلام في تحقيق أهداف التعليم.<sup>(30)</sup> ويرى (الشاعر) أن الإعلام التربوي هو تسخير الامكانيات التقنية في علوم الاتصال لخدمة الأهداف التربوية.<sup>(31)</sup> ويعرفه (الدعليج) بأنه العلم الذي يطبق مبادئ التربية وفنونها على علوم الاتصال والمعلوماتية.<sup>(32)</sup>

ويوجد اختلاف واضح بين الإعلاميين والتربويين حول موقع الإعلام التربوي من علوم الإعلام والتربية، حيث أشارت بعض الدراسات مثل دراسة (ثروت كامل 1996 م) إلى أن الإعلام التربوي ينتمي إلى الدراسات الإعلامية، في حين رأت دراسات أخرى مثل دراسة (مصطفى رجب 1989م) أن الإعلام التربوي أقرب ما يكون إلى مجال أصول التربية، وتحديدًا فلسفة التربية، وذلك لان الإعلام التربوي يطرح العلاقة بين الإعلام والتربية من زاوية الالتزام التربوي تجاه محتوى الرسائل الإعلامية لوسائل الإعلام.

وفي هذا السياق يرى الباحث أننا لسنا في حاجة لمعرفة لمن تكون تبعية هذا العلم، للإعلام أم التربية بقدر حاجتنا إلى تكاتف جهود المؤسسات التربوية في المجتمع للمساهمة في تربية النشء على مبادئ الإسلام، وحب الوطن والولاء له، واكسابه المعايير والقيم الخلقية وتأسيس لديه القدوة المثالية. كذلك مساعدة الأفراد على فهم حقوقهم وواجباتهم، واحترام الآخر، ونقل تراث الأمة من جيل إلى جيل وتنمية الجوانب المعرفية وغيرها من القيم والمبادئ الحسنة التي تساهم في تشكيل سلوك الإنسان القادر على تحقيق التنمية، ومساعدته على تحقيق أهدافه..

ومن خلال التعريفات السابقة للإعلام التربوي يتضح أنه لا يوجد تعريف محدد للإعلام التربوي يتفق عليه الجميع بل هناك اختلافات كبيرة بين هذه التعريفات بحيث أصبح هذا المفهوم واسعاً وشاملاً ولعل السبب في ذلك يرجع

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

إلى حداثة هذا العلم واتساع مفهومه وتداخله في بعض العلوم الأخرى، وكذلك إلى الخلفية العلمية للباحثين.

ويرى الباحث أن مفهوم الإعلام التربوي قد تطور بتطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام وبأنه أصبح أوسع من ذي قبل حيث يمكن ان يكون مفهومه كالاتي: كل ما تبثه القنوات الفضائية مرئية أو مسموعة، والصحف والمجلات المقروءة، والإعلام الجديد (الفيديو، التويتري..) من برامج ومعلومات تفيد العملية التربوية والتعليمية لدى جميع شرائح المجتمع. وبهذا التعريف أصبحت كل هذه الأدوات الاتصالية في خدمة العملية التربوية طالما تقدم المفيد للجانب التربوي.

### اهداف الإعلام التربوي:

لقد حدد (الضبع) مجموعة من الاهداف للإعلام التربوي يمكن تلخيصها في التالي:<sup>(33)</sup>

- غرس روح العمل الثقافي.
- غرس وتنمية القيم الاجتماعية السليمة في نفوس الافراد.
- تحصين المواطن من الغزو الثقافي الضار بالمجتمع. وتبني القضايا التربوية والمنهجية ومعالجتها إعلامياً.
- استخدام الإعلام التربوي لخدمة المناهج الدراسية وتبسيطها.
- توعية افراد المجتمع بأهمية الإعلام ووظائفه.
- التركيز على التنمية الشاملة والمتوازية للأطفال والشباب.
- ترشيد عملية التعرض لوسائل الإعلام من خلال تنمية الفكر الاتصالي والفكر النقدي.
- زيادة الوعي الإعلامي وتنمية المهارات الإعلامية.
- تنمية الممارسات الإعلامية المتنوعة بإصدارات صحفية وإذاعية بصفة دورية.
- توضيح الأساليب التربوية الحديثة لأفراد المجتمع من خلال أجهزة الإعلام بصفة مستمرة.
- إكساب الشباب مهارات العمل الإعلامي (الصحفي، والإذاعي، والسينمائي).

## أ. إبراهيم محمد سليمان

كما حدد (رجب) مجموعة من الأهداف العامة للإعلام التربوي تتمثل في الآتي.<sup>(34)</sup>

- (1) تأكيد الالتزام الخلقي والتربوي في محتوى وسائل الاعلام.
  - (2) الاتجاه إلى تحقيق الضبط الاجتماعي عن طريق الإقناع.
  - (3) الارتقاء بجميع مجالات المعرفة الإنسانية.
  - (4) تبني برامج جادة فيما يتعلق بالأنشطة التعليمية.
  - (5) الإسهام في التنمية الشاملة.
  - (6) الارتقاء بمستوى برامج الترفية والتسلية.
- في حين يرى عبد السميع أن أهداف الإعلام التربوي تتمثل فيما يلي:<sup>(35)</sup>
- غرس القيم والمبادئ والمفاهيم الدينية والإيمانية في نفوس الأطفال.
  - نشر وتعميق الوعي التربوي والوطني بين الطلبة والمعلمين.
  - المساهمة في حل المشكلات في المجتمع وفي مقدمتها محو الامية.
  - ربط المؤسسات التعليمية مع مختلف شرائح المجتمع وخاصة الاسرة.
  - قياس اتجاهات الرأي العام وما تعبر عنه وسائل الإعلام ونقله للمدرسين.
  - توثيق العلاقة بين المهتمين بشؤون لتربية فكرياً وثقافياً.
  - تأكيد احترام العمل اليدوي لدى جميع الطلاب وأهمية التعليم الفني.

### دور الإعلام التربوي:

للإعلام التربوي دور كبير في خدمة المؤسسات التربوية داخل المجتمع. وقد حدد (السيد) دور الإعلام التربوي في مجال التربية والتعليم نلخص منها الآتي.<sup>(36)</sup>

- (1) التبصير بالمشكلات التي تواجه التعليم، وخدمة برامج التعليم النظامية وغير النظامية.
- (2) مساعدة الطلاب على اختيار تخصصاتهم الدراسية.
- (3) تشجيع مهارات الابتكار ومواهب الابداع بين التلاميذ من خلال برامج معدة لهذا الغرض.
- (4) تسليط الضوء على التجارب التعليمية الناجحة.
- (5) توجيه الوالدين لأفضل أساليب التربية، والرفع من قدر المعلم والاهتمام به.

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

- (6) التوعية بأهمية المرافق العامة وبحسن استخدامها والمحافظة عليها.
- (7) تعريف المواطنين بحقوقهم وواجباتهم.
- (8) المحافظة على التراث الوطني والاهتمام به.
- (9) نشر المعلومات والمعارف الخاصة بالدراسة والبحوث التربوية.
- (10) التمسك بالقيم الخلقية والإنسانية للمجتمع، والدعوة المستمرة للارتقاء بمستوى الذوق العام ولغة التخاطب واحترام الرأي الآخر.
- (11) حث المواطنين على حسن أداء الواجب وإتقان العمل.
- (12) أن شمولية برامج الإعلام التربوي وتعدد مجالاته الحيوية ذات ارتباط وثيق بالأهداف التربوية والإعلامية ومن خلالها تلقت التربية والإعلام لتحقيق أهداف التربية والتعليم بفاعلية.<sup>(37)</sup>

### اساليب التعليم في الاعلام التربوي:

#### أولاً\_ التعليم الذاتي:

يستخدم هذا البرنامج بديلاً للمعلم حيث يقوم المتعلم، بالاعتماد على ذاته وتبعاً لميوله ليكتسب المعلومات والمعارف والمهارات بصورة مستقلة عن المعلم، ذلك لأن التعليم الذاتي هو "النشاط الذي يتم عن طريق المتعلمين بتعليم أنفسهم بأنفسهم عن طريق التعليم المبرمج، أو أي مواد تعليمية أخرى لتحقيق أهداف واضحة دون تدخل المدرس.<sup>(38)</sup>

واستناداً لما سبق فإن المتعلم بحاجة ماسة إلى أدوات للتعليم تساعده على فهم الحقائق واستعراض المعلومات والتعامل معها.

ويظل التلفزيون من أهم الوسائل التي لها قدرة على تهيئة الخبرات التعليمية لمثل هذا الأسلوب من التعليم نظراً لإمكانية استخدام أشرطة التسجيل المرئي التي تساعد المتعلم على أن يدرس وفق قدراته الذهنية وأن يقرر متى وأين يبدأ ومتى ينتهي.<sup>(39)</sup> وبالتالي القضاء على مشكلة الفروق الفردية بين المتعلمين.

#### ثانياً\_ التعلم عن بعد:

هو نظام يعمل على إيصال العلم والمعرفة إلى كل فرد راغب فيه وقادر عليه مهما بعدت المسافة الجغرافية التي تفصل بينه وبين المؤسسة التعليمية. والغرض من التعليم عن بعد هو الآتي:



## أ. إبراهيم محمد سليمان

- إزالة محدودية الوقت الزماني والمكاني في إيصال فرص التعليم لمن يرغب في ذلك على اختلاف الأعمار والمستويات.
- تقديم خدمات تعليمية لشريحة معينة من الطلاب غير قادرة على المشاركة في التعليم من خلال أنظمة التعليم العادية.
- تقديم تربية مستمرة للكبار، في اكتساب مهارات جديدة، والرفع من مستوى مؤهلاتهم العلمية.<sup>(40)</sup> ولإنجاح هذا النوع من التعليم لا بد من الأخذ بوسائل الاتصال الحديثة كالمطبوعات عن طريق المراسلة، والإذاعة المدرسية واستخدام التلفزيون التعليمي التي تعد وتصمم وتنتج برامج تعليمية وفق أهداف وفلسفة الجامعة المفتوحة، بواسطة كوادر فنية، وتعليمية، وتربوية مهياً لهذا الغرض.

### ثالثاً\_ التعليم عبر الدوائر المفتوحة (البرنامج العام):

يبدأ الإرسال من المحطة الرئيسية (الأستوديو) حيث يتم التصوير بواسطة آلة التصوير ويصحبها لاقط الصوت، ومن ثم تمر الإشارة الضوئية والصوتية بأنظمة التحكم فتتحول إلى إشارات إذاعية بينما تقوم أجهزة أخرى لإرسالها عبر موجات من الأثير، وفي المقابل هناك أجهزة استقبال تلتقط هذه الموجات بواسطة (الإرسال الهوائي) فتتحول داخل الجهاز إلى صوت وصورة، وبه يتم الإرسال العام.<sup>(41)</sup>

ويقدم التلفزيون من خلال الإرسال العام برامج متنوعة، في شتى المجالات تجمع في مضامينها بين التعليم والترفيه والتسلية وتعديل في السلوك، والتي تعود بالنفع والفائدة على الفرد.

وبالتالي فإن هذا الجهاز يزود مشاهديه بموضوعات توسع مداركهم وتجعلهم يظهرون في مجتمعهم على درجة مقبولة من الثقافة في شتى فروع المعرفة<sup>(42)</sup>.

وقد صنفت منظمة اليونسكو سنة 1960 البرامج إلى الأنواع الآتية:  
الأخبار والترفيه والتثقيف والبرامج الخاصة أما الدراسات البرمجية الحديثة التي أجريت في سبعينات القرن العشرين فقسمت البرامج على النحو التالي<sup>(43)</sup>.

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

- (1) البرامج الإخبارية كنشرة الأخبار، والتعليقات وبرامج المناسبات، والبرامج الخاصة، والرياضية.
- (2) الإعلانات بأنواعها المختلفة.
- (3) البرامج التعليمية المتمثلة في التعليم الرسمي الخاص بالمدارس أو التعليم غير الرسمي كبرامج الأطفال والشباب وتعليم الكبار.
- (4) البرامج الترفيهية مثل برامج المنوعات والموسيقى، والدراما، والفكاهة والمسلسلات والألعاب المختلفة.
- (5) البرامج الفنية والأدبية والعلمية وتشمل الموسيقى والغناء والشعر والرقص، والأدب والعلم.
- (6) البرامج الموجهة للفئات التي تمثلها الأقليات.
- (7) البرامج الخاصة بالجمهير النوعية مثل برامج المرأة، والطفل، والزراعة، والشباب وغيرها.

### رابعاً\_ التعليم عبر الدوائر المغلقة:

- الدوائر المغلقة عبارة عن نظام يعمل على نقل الصوت والصورة بواسطة الكاميرا عبر الأسلاك إلى جهاز العرض في قاعة أو معهد آخر غير المكان الذي تتم فيه المحاضرة أو التجربة.
- وبالتالي فإن عملية نقل واستقبال البرنامج تتم عن طريق التوصيل وليس بالبحث حيث تتوافر فرض معرفة أثرها ونتائجها وردود أفعالها لدى المتعلمين وبذلك يتوافر قدر مناسب من التغذية الراجعة التي تؤدي إلى التحكم في البرامج.
- إن الدوائر المرئية المغلقة ينتشر استخدامها في كثير من الدول وفي مجالات مختلفة وخاصة في مجال التعليم ومن استخداماتها الآتي:
- نقل المحاضرات والندوات العلمية إلى أكبر عدد ممكن من المشاهدين.
  - تصوير العمليات الجراحية ونقلها بشكل مباشر وغير مباشر إلى قاعة التدريس.
  - نقل التجارب العلمية التي تجري في المختبرات من قبل خبراء إلى عدد كبير من المشاهدين

## أ. إبراهيم محمد سليمان

- تصوير العمليات الجراحية ونقلها مباشرة وغير مباشرة إلى قاعات التدريس.

- تنفيذ برامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

- تساهم في حل مشكلة النقص في الكفاءات المتخصصة.

### خامساً\_ الإذاعة المدرسية:

أضحت الإذاعة المدرسية جزءاً لا يتجزأ من مرافق المدرسة الحديثة، وتلعب دوراً هاماً في خدمة العملية التعليمية والتربوية من خلال العديد من الاهداف وذلك على النحو التالي:

• تسهل لإدارة المدرسة الاتصال بالعاملين والطلاب لابلاغهم بالتعليمات والقرارات الخاصة بالعملية التعليمية.

• تعد الإذاعة المدرسية أداة مهمة في تنظيم طوابير الصباح وفي فترة الاستراحة الطلابية حيث تقدم بعض الفقرات والمنوعات الثقافية والفنية والمسابقات الفكرية.

### سادساً\_ التلفزيون التعليمي:

يعد التلفزيون التعليمي من الأدوات الهامة في نشر العلم والمعرفة في العصر الحديث حيث يمكن عن طريقه ان تنتقل خبرة القلة من المعلمين والخبراء والأساتذة المتميزين إلى اعداد كبيرة من التلاميذ والطلاب في مراحل تعليمية مختلفة.

لقد بدأت استخدامات التلفزيون في التعليم في كثير من دول العالم منذ الخمسينيات من القرن الماضي، ثم انتشر هذا الاستخدام لدى الدول الأخرى وذلك لما قدمه التلفزيون من "الإيجابيات والفوائد ما فاقت السلبيات وساعد الأفراد في تعديل سلوكهم وربطهم بمجتمعاتهم أكثر من السابق مما أدى إلى اكتسابهم أنماطاً أقوى وأصلح من السلوك المعتدل الذي حقق الأهداف التربوية المطلوبة" (44)

وتنقسم البرامج التعليمية عن طريق التلفزيون إلى الأتي(45):

1) **التعليم الكلي والشامل:** وفيه يتحمل التلفزيون عبء التثقيف والتعليم بالكامل دون الاستعانة بجهة أخرى.

## الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

(2) **التعليم الأساسي:** وفيه يقوم التلفزيون بتقديم برامج بنسبة 70% من المعلومات الخاصة بالدرس، بينما تترك النسبة الباقية 30% متابعة مدرس الفصل الذي يقدم الدرس ويعطي التدريبات التطبيقية ويقوم بالمناقشة والإجابة عن استفسارات وأسئلة الطلاب.

(3) **التعليم الثانوي:** وبرامجها على عكس برامج (التعليم الأساسي) حيث يتحمل مدرس الفصل نسبة (70%) من المعلومات الخاصة بالمدرس، أي أن العبء الأكبر يقع على عاتق مدرس الفصل، في حين يقوم التلفزيون بتقديم (30%) من المعلومات متمثلة في عرض الأفلام العلمية عن تجارب والمؤيدة لكلام المدرس وشرحه. كما توجد برامج تعليمية مدرسية يبيتها التلفزيون في الفترة الصباحية وتلتقطها المدارس في قاعات الدرس وفق جداول خاصة تتيح للمدرسين النماذج والأنماط التي يريدون إيصالها إلى عقلية الطلاب فضلاً عن ذلك هناك برامج تعليمية منهجية تهدف إلى تقوية الطلاب في مختلف المراحل الدراسية وفي مواد مختارة، كالرياضيات الحديثة، والعلوم، واللغة العربية واللغات الأجنبية.

إن مثل هذه الوظائف تجعلنا نؤكد بأن التلفزيون يمتاز بعدة مزايا نذكر منها آلائي (46):

- يجمع التلفزيون بين الصوت والصورة والحركة الأمر الذي يساعد على تقريب المواضيع إلى الواقع.
- إمكانية استخدام أكثر من وسيلة تعليمية في الموضوع الواحد.
- إمكانية استخدام كثير من الطرق التعليمية في التدريس مثل المحاضرة المناقشة، حل المشكلات.
- إمكانية استخدام التلفزيون في برامج الجامعة المفتوحة، وكذلك التعليم عن بعد.
- التلفزيون يسمح للمتعلم بالجلوس في الصفوف الأولى التي تتيح له متابعة الدروس ومشاهدة التجارب الدقيقة والصورة مقربة جداً وبدون أي عناء أو كد.
- إمكانية التغلب على مشكلة نقص لمعلمين المؤهلين تأهيلاً عالياً.

## أ. إبراهيم محمد سليمان

- اعتماده على عنصر التشويق في عرض وتقديم الصورة وذلك لما يمتاز به من تقنيات حديثة مثل الخدع المتلفزة، الرسوم المتحركة في تبسيط المعلومات.
  - يوفر الوقت والجهد أثناء عملية التعليم والتعلم للمدرّس والمدرّس ذلك لأن البرنامج المرئي الذي لا تزيد مدة عرضه عن ثلاثين دقيقة يستطيع استيعاب مادة علمية مكتوبة على عدد من الصفحات يحتاج المتعلم ساعات طويلة لقراءتها، أما المدرس فإنه يقوم بأعداد درسه إعداداً جيداً ثم يسجله على شريط مرئي ثم يقوم بعرضه على التلاميذ وبالتالي يوفر الوقت لمناقشة تلاميذه وتقييم طريقته في التدريس.
  - يمتاز التلفزيون أيضاً بالفورية في تقديم المعارض والتجارب العلمية والمشاهد الحية، مثل مشاهدة طلبة الطب لبعض العمليات الجراحية أو التجارب العملية أثناء إجرائها.
  - أقل كلفة بالمقارنة بمجمل الرواتب، والمخصصات التي تنفق على التعليم العادي.
  - إمكانية تغطية الإرسال المتلفز لمناطق شاسعة، حتى وإن كانت في مناطق نائية، الأمر الذي يساعد على إيصال الدروس إلى الأماكن البعيدة وتغطية قاعدة عريضة منها.
  - إمكانية علاج مشكلة نقص المواد التعليمية، والمختبرات العلمية في بعض المدارس.
- ومن خلال هذا العرض السريع للتلفزيون ومزاياه يمكن القول إن الإمكانيات الهائلة التي امتاز بها، من شأنها أن تساعد على مواجهة مشكلات التعليم في زمن ازدهمت فيه أعداد المتعلمين في الفصول الدراسية، وقلت فيه أعداد المدرسين والأبنية المدرسية والوسائل التعليمية المختلفة. كما إنه أي التلفزيون، يمكن أن يدعم المنهج الدراسي وذلك من خلال ما يعرضه من تجارب علمية، ودروس تعليمية في مجال اللغة والعلوم والرياضيات والجغرافيا والتاريخ وغيرها، وبالتالي فهو يساعد على أن يتعلم المتعلم بصورة أفضل، وأن يتفاعل مع البيئة التعليمية لأنه سيشبع حاجاته ويتمشى مع قدراته.

### **الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع**

ومن جانب آخر، فهو يقدم للمدرس الفرصة الممتازة لكي يؤدي واجبه التربوي والتعليمي بصورة اسهل، وأن يكن نشاطه منظماً ومقتناً وفعالاً.

الهوامش:

- (1) إبراهيم أبوفروة، الإدارة المدرسية، (طرابلس: منشورات الجامعة المفتوحة، 1993م) ص28
- (2) السيد احمد مصطفى، الإعلام المتخصص، (بنغازي: منشورات، جامعة بنغازي، 1997م) ص 87
- (3) محمد منير، دراسات في التربية الإعلامية،(بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1995م) ص6.
- (4) حسين الطوجي، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم،(الكويت: دار العلم، 1978م) ص51.
- (5) محمد عطية أبوفودة، الإعلام التربوي مفهومه-- تعريفه، متاح على موقع منتديات الوزير التعليمية والأدبية والثقافية، تاريخ الاثاحة 2008/8/25م.
- (6) مصطفى رجب، الإعلام التربوي في مصر واقعه ومشكلاته،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م) ص 17.
- (7) إسماعيل الأعور، واقع الاعلام التربوي في مؤسسات التعليم بالجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة ( ورقلة: جامعة الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2004/2005م) ص27
- (8) احمد اسماعيل، الإعلام التربوي ودوره في التعليم والتربية،(عمان: دار كنوز المعرفة للنشر، 2008م) ص67.
- (9) السيد احمد مصطفى مصدر سابق، ص 83.
- (10) مصطفى بن محمد فلاتة، المدخل إلى التقنيات الحديثة في الاتصال والتعليم، ط3(الرياض: جامعة الملك، 1995م) ص 44.
- (11) سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام،(القاهرة: عالم الكتب، 1993م) ص22.
- (12) محمد هاشم الفالوقي، اتجاهات حديثة في التربية،(طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر، 1987م) ص 8.
- (13) عبدالله الرشدان و نعيم جعيني، المدخل إلى التربية والتعليم،(عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997م) ص14.

### الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع

- (14) سعد المقرم، مدخل إلى استراتيجيات التدريس، (غريان: جامعة الجبل الغربي، 2012م) ص 18
- (15) فضيل دليو، الاتصال مفاهيمه\_ نظرياته\_ وسائله، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003م) ص 18.
- (16) محمد منير، مصدر سابق، ص 12
- (17) محمد شرف الدين، مدخل إلى الإعلام المتخصص، (طرابلس: منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام سابقاً، 2008م) ص 87.
- (18) مصطفى رجب، مصدر سابق، ص 8.
- (19) إسماعيل الأعور، مصدر سابق، ص 35.
- (20) عبد الفتاح ابو معال، اثر وسائل الإعلام على الطفل، (عمان: دار الشروق للنشر، 1990م)، ص 158.
- (21) زيد بن زايد احمد، اسهام الإعلام التربوي في تحقيق الامن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، (مكة: جامعة ام القرى، 1429هـ)، ص 56.
- (22) مصطفى رجب، مصدر سابق، ص 17.
- (23) إسماعيل الأعور، مصدر سابق، ص 47.
- (24) مصطفى رجب، مصدر سابق، ص 7.
- (25) السيد احمد مصطفى' مصدر سابق، ص 81.
- (26) مصطفى رجب، مصدر سابق، ص 8.
- (27) محمد شرف الدين، مصدر سابق، ص 81.
- (28) محمود أدهم، الإعلام في مصر القديمة، (القاهرة: دار النهضة، 1990م)، ص 26.
- (29) عبد العزيز عبيد، الإعلام التربوي في مصطفى رجب، الإعلام التربوي في مصر، مصدر سابق، ص 35.
- (30) رفعت الضبع، الإعلام التربوي تأصيله وتحصيله، (عمان: دار الفكر، 2009م)، ص 16.



### أ. إبراهيم محمد سليمان

- (31) نوال محمد عمر، الإعلام التربوي، (القاهرة: الانجلو مصرية، 1986)، ص 11.
- (32) عبد الرحمن بن الشاعر، ص 17.
- (33) زايد بن زايد احمد، مصدر سابق، ص 50.
- (34) رفعت الضبع، مصدر سابق، ص 29.
- (35) مصطفى رجب، مصدر سابق، ص 17.
- (36) السيد احمد مصطفى، مصدر سابق، ص
- (37) مصطفى رجب، مصدر سابق، ص 17.
- (38) عبد الرحمن الشاعر، انتاج برامج التلفزيون التعليمية، (الرياض: مكتبة الملك فهد، 1415هـ)، ص 83.
- (39) فخر الدين القلا، التعليم عبر القمر الصناعي العربي، (تونس: المنظمة العبية للثقافة والعلوم، 1985 م)، ص 55.
- (40) ماجد أبو جابر، استخدامات تكنولوجيا التربية في نظام التعليم عن بعد، (تونس: المجلة العربية للتربية، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، ديسمبر 1992)، ص 54.
- (41) زكري يحيي لال، عليا عبدالله الجندي، مقدمة في الاتصال وتكنولوجيا التعليم، ط2 (الرياض: مكتبة العبيكان، 1995م)، ص 210.
- (42) عبد الرحمن الشاعر، مصدر سابق، ص 86.
- (43) إبراهيم إمام، الاتجاهات الترفيهية للبرامج الاذاعية والتلفزيونية، (القاهرة: مجلة الفن الاذاعي، العدد 85، سبتمبر 1979م)، ص 20.
- (44) محدد سيد فهمي، وفاء حافظ، تكنولوجيا الاتصال والخدمات الاجتماعية (بد- ن، 1991م)، ص 182.
- (45) يحيي بسيوني وآخرون، التلفزيون الاسلامي، ودوره في التنمية، (الرياض: دار الكتب للنشر والتوزيع، 1985م)، ص 47.

### **الإعلام التربوي مفهومه ودوره في المجتمع**

(46) إبراهيم محمد سليمان، مدى فاعلية البرامج التعليمية المتلفزة على التحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة، (الزاوية: مركز البحوث والدراسات العليا، جامعة السابع من ابريل سابقاً، 1999م)، ص26.

أ. زهرة الخياطي

## اللا واقع في كتابات الطاهر بن جلون

أ. زهرة محمد الخياط  
قسم اللغة الفرنسية  
كلية الآداب - الزاوية

### Résumé :

Notre travail sera consacré à l'étude du fantastique chez l'écrivain magrébin de langue française Tahar Ben Jelloun. Car c'est aujourd'hui, plus qu'étonnant de constater que rares sont les critiques ou chercheurs qui ont étudié ou même évoqué cet aspect fantastique de l'œuvre de Ben Jelloun .

Nous avons commencé notre travail par jeter la lumière sur l'histoire de la littérature magrébine de langue française, et la place primordiale qu'elle occupe dans la seine littéraire mondiale.

Cette étude est menée sur trois textes de Ben Jelloun, à savoir la prière de l'absent, l'enfant de sable, et La nuit sacrée . Ce choix n'est pas arbitraire , au vu de l'étendue de l'œuvre de l'auteur ,mais ces trois titres répondent au mieux à notre travail, sur le plan fantastique et la représentation de l'irréel.

Le Maghreb après l'influence de la culture arabe a été marqué par son contact avec l'occident , car sa vision du monde et ses habitudes ont été bouleversées, même si certaines données géopolitiques sont restées telles quelles, il s'est tout de même opéré une certaine interférence culturelle

Aujourd'hui, bien après les indépendances, nul ne peut ignorer l'impact de la civilisation occidentale sur les sociétés colonisées, et cela aussi bien sur le plan linguistique que social. Le colonisateur, faut-il le rappeler, avait deux desseins principaux : assimiler les « indigènes » (mission civilisatrice) et exploiter les ressources des pays colonisés .

Une telle politique, dans le Maghreb, ne s'est pas opérée sans heurts. Le maître et le dominé ont longtemps vécu à couteaux tirés, une crise permanente s'est instaurée entre eux .

Face à cette situation, des Maghrébins se sont mis à écrire et c'est en quelque sorte vers les années 1945, l'éclosion de la littérature maghrébine d'expression française, qui reste donc inséparable du phénomène colonial , c'est dans cette perspective que Jean Déjeux écrit qu' « on devait s'apercevoir assez vite qu'il s'agissait d'une littérature de dévoilement, de contestation et bientôt une littérature nationale de combat »<sup>(1)</sup>.

Les premiers romans maghrébins sont caractérisés par leur contenu folklorique . Ils sont surtout axés sur la description minutieuse de la vie quotidienne . « Ce type de roman , selon Abdelkébir Khatibi , correspond sur le plan politique à la période de l'expansion de l'impérialisme et sur le plan scientifique au développement des sciences sociales en particulier de l'ethnologie en tant qu'étude des cultures du monde colonisé et des sociétés archaïques »<sup>(2)</sup>

## أ. زهرة الخياطي

La littérature maghrébine d'expression française est aujourd'hui plus que jamais présente sur la scène littéraire mondiale . Elle est d'autant plus prolifique que des prix lui sont décernés à travers le monde (Tahar Ben Jelloun, Kateb Yacine, rachid Mimouni , etc ) et elle murit de jour en jour . Dans le cas marocain , elle semble être « dans l'état actuel des choses ,une brèche respiratoire, elle charrie des thèmes que les écrivains d'expression arabe taisent pour des raisons morales et religieuses »<sup>(3)</sup>

L'ailleurs évoqué par Tahar Ben Jelloun est en quelque sorte un ailleurs embrayeur qui lui permet de rendre compte du réel et de l'imaginaire du terroir dans un langage somptueux.

c'est ainsi qu'au merveilleux oriental, il semble associer le fantastique qu'il a hérité de ses prédécesseurs d'ailleurs . Et à un certain endroit, les deux genres sont si emmêlés qu'il est impossible de les dissocier . Cependant, c'est le fantastique qui domine largement, Ben Jelloun lui donne un cachet personnel, comme au reste, tous les auteurs fantastiques .

Le fantastique prend la couleur de sa terre d'origine , ses fonctions et son contenu ne sont ni statiques ni rigides comme la « table kantienne des catégories » , mais elles s'interprètent suivant les sphères culturelles .

C'est de ce genre et ces corollaires que relève l'univers imaginaire de Tahar Ben Jelloun dans la prière de l'absent , l'enfant de sable et la nuit sacrée .

La prière de l'absent est une œuvre entièrement fantastique, qui prend même par endroits, des allures de récit fantastique classique .

Quand à L'enfant de sable et La nuit sacrée , le fantastique ne s'étend pas à tout l'univers romanesque , il est intermittent et surtout mental, psychologique , comme dans la plupart des récits d'Edgard Poe .

L'enfant de sable et La nuit sacrée sont essentiellement des textes de l'intériorité, du rêve et de l'imagination . C'est l'ensemble de ces notions qui leur donnent leur beauté, et surtout leur cachet fantastique .

On ne peut étudier le champ du fantastique sans évoquer le merveilleux et l'étrange, selon Todorov. « on ne peut exclure d'un examen du fantastique le merveilleux et l'étrange , genres avec lesquels il se chevauche »<sup>(5)</sup>

En prenant appui sur ces univers fantastiques , nous nous sommes demandé s'il n'existe pas un inconscient du texte Jellounien ? existe-t-il un au-delà du texte ?

Nous avons utilisé dans ce travail l'approche psychanalytique . Approche à laquelle Ben Jelloun semble se prêter aisément. Parce qu'elle est la traduction d'un inconscient soit collectif, soit individuel. Mais aussi, comme l'a si bien dit J.Bellemin Noel , « les mots de tous les jours assemblés d'une certaine manière acquièrent le pouvoir de suggérer l'imprévisible, l'inconnu, et les écrivains sont des hommes qui, en écrivant, parlent à leur insu de choses qu'à

أ. زهرة الخياطي

la lettre « ils ne savent pas »<sup>(6)</sup> Une œuvre n'est rien d'autre que le foyer de l'inconscient.

La psychanalyse est donc un domaine qui nous a permis d'explorer les fantasmes, les désirs et les retombées des traumas subis par les personnages, voir de comprendre certains mécanismes de la société arabe (inconscient collectif).

L'objectif fondamental de la psychanalyse est de ramener à la surface de la conscience tout ce qui a été refoulé , celle-ci est une opération de « dé liaison », elle « sort le texte de son sillon »<sup>(7)</sup>, le met à nu en s'appuyant sur le rôle de l'inconscient dans la génération de l'œuvre , Or on constate que chez Ben Jelloun , l'inconscient est dans plusieurs cas à la base de la production du fantastique . Il est l'embrayeur du récit .

Nous allons procéder donc dans ce travail à des applications psychanalytiques sur son œuvre, en prenant pour matériaux de base les travaux effectués par Sigmund Freud, qui restent à notre avis, plus que jamais en vigueur. on a essayé de trouver une signification aux motifs fantastiques et psychanalytiques dans l'univers imaginaire de Ben Jelloun .

Ces thèmes nous ont permis de corroborer la « fantasticité » de son œuvre, car il s'agit, selon nos investigations, de motifs constants que l'on rencontre dans la littérature fantastique. Ils figurent parmi les motifs récurrents du fantastique et ils sont liés à l'inconscient.

Nous nous attacherons à démontrer que le fantastique Jellounien s'est déplacé du dehors vers l'intérieur, c'est à travers les rêves et l'imagination des personnages qu'il se produit . Ce déplacement vers le dedans est essentiellement dû au fait que dans le rêve et dans l'imagination tout est permis. Dans le premier, l'inconscient subvertit le réel et le rend méconnaissable .

Dans le second, le personnage crée les images les plus insolites, en se laissant guider par son imagination. Une manière d'échapper au réel. Le fantastique devient ainsi une descente vers les sous-sols de l'inconscient.

Cet engouement pour l'au-dedans dénote surtout le caractère moderne du fantastique Jellounien , aujourd'hui le fantastique n'a pas besoin de recourir au monstre ou au surnaturel, etc, pour naître , mais il se cantonne dans la plupart des cas à l'univers intérieur des personnages. D'où l'applicabilité évidente de la psychanalyse aux textes de Ben Jelloun .

La littérature fantastique est caractérisée par des motifs constants. On retrouve quasiment les mêmes types sous tous les cieux, au point que Jorge Luis Borges constate que « certains thèmes se répètent toujours . J'ai pu vérifier (...) que les textes même s'ils viennent d'époques et de pays différents, reprennent toujours les mêmes thèmes. »<sup>(8)</sup>

Chez Ben Jelloun, nous sommes en face d'un univers fantastique tantôt construit par les personnages eux-mêmes, tantôt inventé par le narrateur-(témoin) .



## أ. زهرة الخياطي

Le lecteur assiste à un va- et- vient entre le dedans et le dehors, entre le rêve et la réalité (déréalisée) . Les motifs se chevauchent, s'entremêlent pour finalement engendrer un univers mental et onirique dans lequel personnages et lecteur se retrouvent. Cependant, tout ne se limite pas à ce monde intérieur . Quelquefois, le quotidien est investi par le surnaturel.

Celui-ci, sans être consubstantiel au fantastique, occupe une place prépondérante dans l'œuvre de Ben Jelloun. Il est symbole de rupture avec un réel trop présent, trop lourd et répétitif . Il est transgression de la loi qui régit le quotidien .

Si dans plusieurs textes fantastiques français " le passage de l'univers normal à l'univers fantastique se fait par l'intermédiaire de la musique »<sup>(9)</sup>. Dans l'univers Jellounien l'apparition du surnaturel requiert un long protocole : on assiste à une propédeutique qui s'actualise dans des paroles prémonitoires ou dans des signes cosmiques .

Ces éléments sont les prodromes d'un évènement inquiétant et étrange . c'est l' " unheimlich " ou l'inquiétante étrangeté de Freud , qui s'exprime par la peur, l'angoisse et l'effroi <sup>(10)</sup>

Dans la prière de l'absent, c'est le narrateur lui-même qui annonce l'évènement insolite qui doit se produire après qu'on eu donné un nom à un nouveau né :

Ainsi cet enfant a été conçu pour être élu selon le nom, symbolique. Elu pour une vie tracée, pour un destin qui avance déjà vers la pierre, l'herbe, l'arbre magique et le cimetière .

(La prière ... p . 28)

Cette séquence capitale dans le déroulement ultérieur de l'histoire est marquée par une certaine poéticité qu'on peut appréhender au niveau des figures utilisées.

L'anaphore « élu », reprise deux fois, dénote une insistance sur l'événement à venir et en annonce la solennité et le caractère grandiose. C'est pourquoi la profération de ces mots revêt une tournure lyrique ; comme quoi l'étrange a des rapports très étroits avec la poésie, celle-ci fonctionne comme un élément catalyseur.

Par ailleurs, l'énumération de toutes les composantes originelles du récit (pierre, herbe, cimetière . ) finit par attirer l'attention du lecteur par sa gradation .

Ainsi donc, le cimetière, l'herbe , l'arbre et la pierre sont les éléments essentiels de l'aventure insolite qui surviendra par la suite. A travers eux se dégagent des symboles sexuels que nous éluciderons par les travaux de Freud de G. Durant et Mircea Eliade.

Le phallus est symbolisé par la pierre et l'herbe, alors que l'organe sexuel féminin peut se lire à travers le cimetière et l'arbre . Selon Freud, « l'appareil génital de la femme est représenté symboliquement par tous les objets dont la caractéristique consiste en ce qu'ils circonscrivent une cavité dans laquelle quelque chose peut être logé »<sup>(11)</sup>

On constate que ces deux éléments répondent parfaitement à ce critère. Le cimetière est naturellement un espace de

## أ. زهرة الخياطي

conservation. Il recèle des morts qui sont susceptibles d'être des sortes de fœtus logés dans le ventre de la terre.

Le cimetière est ainsi symboliquement assimilé à la femme, la terre joue également le même rôle. Mircea Eliade écrit avec pertinence que « l'image de la Terre recouvre parfaitement celle de la Mère ... la formation de l'embryon et l'enfantement répètent l'acte grandiose de la naissance de l'humanité, conçue comme une émergence de la plus profonde caverne-matrice chtonienne »<sup>(12)</sup>

On remarque que ce rapprochement entre la femme et la terre existe dans la plupart des cultures agraires, même dans les cultures les plus « évoluées ».

Le Coran dit à ce sujet : « Vos femmes sont pour vous comme des champs »<sup>(13)</sup>

Le symbole est en réalité pris en charge par un imaginaire collectif dont le travail a commencé depuis les temps primitifs. C'est-à-dire que cet imaginaire, tel que l'a dégagé Jung, n'est pas le résultat d'une expérience individuelle, mais il s'agit par contre d'un acquis, d'un « héritage commun de toute l'humanité »<sup>(14)</sup>

### **Entre le rêve et la réalité :**

L'être jellounien est pris dans un « tangage » entre l'imaginaire et le réel . Il n'arrive point à se situer . Le rêve est vécu comme le réel ,et vice-versa .L'onirique et le vécu sont confondus. Borges remarquera que , « dans le fantastique, cette amalgame du rêve et du quotidien est probablement le thème le plus riche »<sup>(15)</sup>.

C'est ajoute-t-il , « l'interférence des deux notions qui constitue le thème fantastique »<sup>(16)</sup>

Le personnage Jellounien est la plupart du temps un être désaxé, ayant perdu le contact avec la réalité immédiate à cause, sans aucun doute, de ses troubles psychiques.

Chez Ben jelloun, il arrive qu'une réalité soit prise pour un rêve, la scène vue est si proche de l'irréel que le personnage est tenté de la ranger dans l'illusion. Ainsi au cours de leur voyage, Yamna et ses compagnons ont fait une halte dans un village étrange appelé « village de l'attente ». Il s'agit d'individus-révoltés contre la Nature et Dieu, parce que dans un tremblement de terre , à Agadir, ils ont eu à perdre des êtres ou des objets chers .

Cette épisode est vécue comme un rêve ou une situation imaginée :

Il croyaient avoir inventé ou rêvé le village de l'attente, ils pensaient l'avoir imaginé à l'aide de quelques ingrédients pour échapper à l'ennui et à l'embarras ... (La prière de l'absent . p.218)

Sindibad a eu la même attitude après la naissance de l'enfant :

Il se peut que se soit des visions ... nous sommes victimes d'hallucinations ... ( La prière de l'absent. p. 51)

L'événement sort de l'ordinaire. La causalité est fantastique est si forte que le personnage transforme l'événement en rêve ou en vision . Aucune relation n'appartient à première

## أ. زهرة الخياطي

vue entre la cause et l'effet. Car l'événement est à considérer comme étant d'origine ouranienne .

Ce genre de confusion est très rare, sa réalisation doit éventuellement provenir du dernier seuil du sommeil, qui semble être « un terrain favorable à la confusion des images du rêve avec celle de la réalité »<sup>(17)</sup>

Pour peu qu'on analyse cette confusion, on se rendra compte qu'elle est intrinsèque aux personnages Jellouniens mêmes. Yamna et Sindibad sont des mystiques, des méditatifs . Or de pareilles personnes sont plus inclinés à la confusion que les êtres dits « anodins ». Si l'on en croit P. Saintyves, « ils n'apportent plus qu'une attention imparfaite aux indications de leurs sens et à la valeur objective des images qui s'offrent à eux dans la veille et le sommeil »<sup>(18)</sup>

C'est peut-être que cette raison que Borges demande à ce qu'on inclut les visions des mystiques musulmans dans la littérature fantastique<sup>(19)</sup>. Car le mysticisme est une forme de hiatus d'avec le monde alentour. Zahra le notifie bien au consul quand elle déclare dans une argumentation philosophique :

Moi j'ai renoncé, je suis une renoncée dans le sens mystique, un peu comme Al Hallaj.

.....

Je suis en rupture avec le monde ... ( La nuit sacrée...p.83)  
Mais le cas le plus fréquent est celui dans lequel le personnage est incapable de dire s'il a rêvé ou vécu un

événement bien déterminé. Dans son journal, Ahmed-Zahra écrit qu'on se baignant ,  
Un homme est venu, il a traversé la brume et l'espace et a posé sa main sur mon visage en sueur. (l'enfant de ... p.95) et plus tard, dans une lettre adressée à son correspondant anonyme, elle informe celui-ci qu'elle est encore sous le choc du rêve : « Etait-ce un rêve ? est-il réellement venu ?- l'homme qu'elle croit avoir vu-(l'enfant de sable. p.96) cette hésitation entre le rêve et la réalité s'explique par l'étrangeté de l'événement . L'homme du rêve est entrain de voler. Or cette locomotion aérienne, ce mouvement ouranien n'est pas le propre de l'homme. Il ya là un principe d'individuation, car le personnage du rêve présente une différence fondamentale par rapport aux êtres normaux. L'événement a quelque chose de merveilleux, dans la mesure ou le vol, en tant que « désir anthropologique inné de l'homme » est considéré comme thème merveilleux. Ce désir de voler, d'aller plus haut et de s'arracher de la Terre, nous le retrouvons dans « les rêves et la magie »<sup>(20)</sup>. C'est pourquoi il est omniprésent dans la figuration de l'art Islamique.  
Aussi, Zahra ne sait-elle comment prendre le rapt dont elle a été l'objet après l'enterrement du père :  
Etait-ce une apparition, une image, un morceau de rêve , un laps de temps échappé à la vingt-septième nuit. (La nuit sacrée. p. 95)

أ. زهرة الخياطي

Cet enlèvement ainsi que nous l'avons évoqué, ressemble à ceux que l'on rencontre dans les contes merveilleux « classiques », c'est-à-dire le moment où un antihéros kidnappe la princesse. Au reste cette analogie est corroborée par les propos mêmes de Zahra :

Je fus enlevée comme dans les contes anciens.(La nuit ... p.38)

Mais ici nous sommes en face d'une imbrication du fantastique et du merveilleux.

Car l'introversion du rêve et de la réalité est classée parmi les thèmes fantastiques<sup>(20)</sup>

Cette osmose est la preuve irréfutable que le fantastique est le fantastique est loin d'être un genre autonome. Au dire de Todorov, « il est à la limite du merveilleux et de l'étrange »<sup>(21)</sup>

L'incapacité du personnage de se situer entre le rêve et la réalité n'intervient que lorsque survient un fait étrange qui bouleverse la conscience. Avec les événements étranges ou « décousus », il parvient difficilement à se situer dans le temps. Zahra a connu un tel état quand elle a passé une nuit dans le village des enfants :

En me réveillant le matin, j'étais incapable de faire la différence

entre les rêves et les visions. (La nuit sacrée .p.44)

Quoi qu'il en soit, il s'agit d'un personnage pour qui le réel et l'imaginaire sont une même entité. Il les a réduits au

même dénominateur depuis que son corps a été dévié de sa trajectoire :

J'avais décidé de renoncer à distinguer le réel de l'imaginaire...

(La nuit sacrée .p. 44 )

Cet aveu montre bel et bien que Zahra est un psychotique, car, chez elle, il y a rupture entre matière et esprit. Un tel état était considéré au 19<sup>ème</sup> comme le tout premier stigmate de la folie. <sup>(22)</sup>

De même que « l'homme primitif » croit aux histoires extraordinaires, à certain contes, de même le troubadour aveugle prend ses rêves pour des réalités. Le premier évolue dans un « monde (...) où les puissances invisibles interviennent constamment dans le cours des phénomènes, où rien n'est donc impossible au point de vue physique »<sup>(23)</sup>, tandis que le second se meut dans un univers onirique qui est en fait, la transposition d'une réalité qu'il porte dans son inconscient. Il s'agit là, à notre avis, d'une forme de merveilleux individuel sous-tendu par les processus primaires .

C'est pour ainsi souligner que le merveilleux – tout comme le fantastique – change perpétuellement de forme <sup>(24)</sup>. Il se renouvelle, s'élargit, se rétrécit au grés du temps et de l'espace.

En réalité, ainsi que l'a si bien dit ben jelloun lui-même, à propos de La nuit sacrée, « tout se mélange ... A tel point



أ. زهرة الخياطي

qu'on ne sait plus si l'héroïne est entrain de rêver sa vie ou elle l'a vécue »<sup>(25)</sup>

Ces propos de l'auteur s'applique à La prière de l'absent et à L'Enfant de sable aussi, romans dans lesquels à la fin, rêver c'est vivre , vivre c'est rêver . Il est impossible de faire la distinction entre les deux .

### **Conclusion :**

Au terme de cette recherche consacrée aux motifs fantastiques, force est de constater que la thématique fantastique jellounienne est peu ou prou une reprise des motifs fantastiques classiques . Mais il innove au niveau de l'esthétique. Car dès l'instant qu'un thème quelconque est exploité dans un milieu bien déterminé, il épouse sa couleur. C'est pourquoi nous n'hésitons pas à parler d'un fantastique magrébin.

Par ailleurs, considérer le surnaturel comme un motif pourrait paraitre insolite dans une étude sur le fantastique, nous sommes partis du simple fait que, aujourd'hui, en ce début de siècle, il ne suffit plus de faire intervenir le surnaturel pour créer le fantastique qui dort aujourd'hui dans les gestes anodins et incongrus. Mais ce constat ne veut point dire que nous sous-estimons sa place dans l'œuvre de Ben jelloun

Il est même indispensable dans le déclenchement du récit, et il fait constamment appel aux processus primaires. Car il est inséparable de la psyché individuelle et collective .

**Références :**

- (1) Jean Déjeux, Littérature magrébine de langue française, Ed. Naaman, 1977, p. 12
- (2) Abdelkébir khatibi, Le roman magrébin, SMER Rabat, 1970, p.28
- (3) Lahcen Mouzouni, Le roman marocain de langue française, Publisud, 1987, p. 26
- (4) Tzvetan Todorov, Introduction à la littérature fantastique, Seuil, 1970, p.49
- (5) Jean-Bellemin Noel, Psychanalyse et littérature, PUF, Paris, 1978, p.7
- (6) André Green, La déliaison, LITTERATURE n° 3, p.38
- (7) Maria Esther Vázquez, Borges : Images, dialogues et souvenirs, seuil, p.123
- (8) Max Milner, Le diable dans la littérature française, José Corti, pp.473-474
- (9) Sigmund Freud, Essais de psychanalyse appliquée, Gallimard, 1933, p.163
- (10) Freud, Introduction à la psychanalyse, Petite bibliothèque , Payot, p.14
- (11) Mircea Eliade, Mythes, rêves, et mystères, Gallimard, p.225
- (12) Cité par M.Eliade, op.cit. ,p.247
- (13) Coran , Sourate El Bakara , aya :221.d'après kaloun

أ. زهرة الخياطي

- (14) Edward Glover, Feud ou Jung ?, PUF, Paris, 1954 , p.14
- (15) J. B. Noel, op.cit. ,p.81
- (16) Cité par M.E. Vázquez, op.cit . ,p.123
- (17) Pierre Saintyves, En marge de la légende dorée, Ed. Laffont, 1987, p.510
- (18) Id. Ib.
- (19) M.E . Vázquez, op. cit . ,p.130
- (20) Roger Caillois, op.cit . , p. 38
- (21) Vladimir Propp, Morphologie du conte, Seuil, 1970, p. 47
- (22) T . Todorov , op.cit., p.121
- (23) Lucien Levy-bruhl, La mythologie primitive, PUF, 1963 , p. 289
- (24) Marc Soriano, Les contes de Perrault, Gallimar, 1977, p.289
- (25) Interview in JEUNE AFRIQUE, n°1394.

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

د . سالم ادم جمعة حسن  
قسم اللغة الفرنسية  
كلية الآداب - الزاوية

### Introduction

Le point que nous distinguons dans ce parcours scientifique est L'intégration de proverbes dans l'enseignement/apprentissage du FLE en Libye. Nous nous proposons d'étudier l'importance d'utiliser des proverbes français et libyens afin d'améliorer les conditions d'apprentissage du français langue étrangère en Libye, c'est-à-dire d'explorer la coté culturelle de la vie quotidienne de l'apprenant libyen. Commencer à enrichir les méthodes actuellement utilisées en Libye par des contenus culturels locaux qui pourraient attirer l'attention des apprenants à l'enseignement/apprentissage du FLE, voire faciliter la compréhension et l'acquisition des cours en utilisant les proverbes français et libyens comme un moyen valorisant l'échange des informations aux apprenants de FLE.

Si, en Libye comme ailleurs, le choix d'étudier la langue française procède de motivations diverses, politique, économique, sociale et/ou scientifique, il apparaît toutefois qu'un apprenant libyen recherche soit un « plus » linguistique ou culturel, soit une prise de conscience identitaire. Cette quête est héritée de l'Histoire, de la

د . سالم ادم جمعة حسن

mémoire collective libyenne, et constitue aussi un défi dans la mesure où, pour mieux défendre son identité, l'apprenant Libyen devra s'ouvrir, tout au long de son apprentissage, à la langue-culture étrangère, qui servira de référence. Comment, alors, peut-il y avoir avantage pour l'apprenant Libyen en situation d'apprentissage de français langue étrangère à exploiter la langue-culture d'origine?

C'est dans cette vision que nous allons orienter notre étude selon la façon suivante: d'abord, nous exposons les principaux éléments traitants la cercle de ce genre d'enseignement: définir le terme de la culture et de l'interculturelle, ensuite, nous élaborerons ultérieurement un cadre théorique de référence qui sera basé sur deux notions essentielles : celle de méthodologie de langue étrangère, perspective interculturelle et celle de situation d'apprenants.

Ce cadre de référence nous aidera non seulement à préciser les définitions et la terminologie dont nous nous servirons mais aussi à encadrer l'expérimentation et mettre en valeur l'importance d'utiliser les proverbes dans le système éducatif d'enseignement/apprentissage de FLE dans ce pays.

### **Enseignement/apprentissage de FLE et perspective culturelle:**

Nous préconisons donc un programme d'étude qui veille à concilier langues- cultures maternelle et étrangère, une approche interculturelle qui vise à faciliter la formation de français par des éléments culturels bien connus chez

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

l'apprenant libyen. De ce fait, l'utilisation des proverbes libyens pourrait répondre/déterminer ces besoins pédagogiques. C'est dans ce sens que M. De Carlo (1998 :57)<sup>1</sup> propose d'observer au moins trois critères lors du choix ou de la mise en place du matériel de classe :

- (- La pertinence, pour vérifier s'il contient au moins un élément déjà connu par l'élève, s'il peut lui suggérer quelque chose d'« autre » ou éveiller une connaissance par contiguïté;
- La performativité, pour déterminer les limites de temps imparties, prévoir le degré de participation et la qualité de la réception ;
- L'exploitabilité, afin d'établir jusqu'où aller dans la proposition des activités, en tenant compte de la variété des exercices, de l'utilité à l'intérieur du programme, de la motivation des élèves.)

Puisque la culture sert en général à connaître l'autre et à se connaître soi-même, la prise de conscience et la valorisation de sa propre identité culturelle devrait amener à un sentiment de sympathie envers l'étranger, que chacun reconnaît comme membre de la société humaine, au-delà de son « étrangeté ». D'où l'importance de trouver un équilibre entre les deux langues-cultures d'origine et étrangère et ce, nécessite d'entreprendre une démarche interculturelle. La diversité culturelle englobe les deux langues-cultures et cette vision-là qui serait mieux appropriée pour dépasser un

---

<sup>1</sup>Carlo De M., *L'interculturel*, Clé International, 1998

د . سالم ادم جمعة حسن

nombre important de handicaps dus à la confrontation des deux langues-cultures en apparence très opposées. Elargir l'aspect culturel dans les méthodes actuellement utilisées en Libye jusqu'à qu'elles couvrent l'aspect culturel de contexte sociale libyen, cette démarche pourrait répondre aux besoins pédagogiques actuellement appliqués dans presque le monde entier. L'apprenant quand il étudie la langue française en introduisant sa culture dans une partie importante aux méthodes françaises. Cette opération non seulement lui facilite l'apprentissage mais, elle lui donne l'assurance et la confiance de bien s'intéresser à la langue française et de tout ce qu'il apprend, étant donné qu'il est en contact à sa culture, il apprend sur le vif, avec enthousiasme.

#### **La culture:**

La culture est un élément principale dans l'enseignement/apprentissage de FLE. La plupart des experts pédagogiques mettent en évidence son rôle dans tous les étapes de la formation des langues étrangères.

"Définition de culture:2

Etymologie<sup>3</sup> : du latin cultura, culture, agriculture, dérivé du verbe colere, habiter,cultiver. La culture est l'ensemble des connaissances, des savoir-faire, des traditions, des coutumes, propres à un groupe humain, à une civilisation. Elle se transmet socialement, de génération en génération et

---

<sup>3</sup><http://www.toupie.org/Dictionnaire/Interculturalite.htm>

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

non par l'héritage génétique, et conditionne en grande partie les comportements individuels. La culture englobe de très larges aspects de la vie en société : techniques utilisées, mœurs, morale, mode de vie, système de valeurs, croyances, rites religieux, organisation de la famille et des communautés villageoises, habillement... Exemples : culture occidentale, culture d'entreprise... On distingue généralement trois grandes formes de manifestation de la culture: l'art, le langage et la technique. Au niveau individuel, la culture est l'ensemble des connaissances acquises par un être humain, son instruction, son savoir".

Par conséquent, il est évident que l'aspect culturel joue un rôle primordiale en couvrant presque la plupart de la vie privée de l'apprenant, ainsi, utiliser cet aspect dans l'enseignement/apprentissage du FLE aide l'apprenant de cette langue à mieux comprendre et réduit la durée de l'explication des sujets dans la classe. Dès que le professeur est proche de la culture de l'apprenant les cours seront faciles à exécuter. Tous les cours qui sont en situation d'abonnement directe avec le contexte culturel de l'apprenant auront plus d'avantage à être bien saisis, soit pour la durée de l'explication pour l'enseignant ou soit par la compréhension pour l'étudiant. Pour ces raisons et d'autres, issu notre proposition indique que les méthodes actuellement appliquées donnent une espace à la culture de l'apprenant.



د . سالم ادم جمعة حسن

### **Interculturalité:**

Définition d'interculturalité

Le terme de l'interculturalité est apparue comme un élément principale sans laquelle l'opération d'apprentissage n'aurait pas le succès de s'exécuter. De cette raison, nous définissons ce terme afin de savoir ses influences sur le domaine de FLE: Etymologie<sup>4</sup>: de interculturel, composé du latin inter, entre, parmi, avec un sens de réciprocité et deculturel, issu du latin cultura, culture, agriculture, dérivé du verbe colere, habiter, cultiver. L'interculturalité est l'ensemble des relations et interactions entre des cultures différentes, générées par des rencontres ou des confrontations, qualifiées d'interculturelles. Impliquant des échanges réciproques, elle est fondée sur le dialogue, le respect mutuel et le souci de préserver l'identité culturelle de chacun. L'interculturalité peut prendre des formes plus ou moins intenses, et constitue une expérience souvent enrichissante. Avec ou sans la barrière de la langue qui peut être un obstacle aux échanges, ces rencontres avec l'Autre sont aussi l'occasion d'une réflexion sur soi-même et sur le monde et peuvent être à l'origine du métissage culturel.

Après avoir exposé certains aspects de l'interculturalité, il est clair que le programme de proverbe vise chez

---

<sup>4</sup><http://www.toupie.org/Dictionnaire/Interculturalite.htm>

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

l'apprenant libyen la promotion d'une compétence interculturelle lui permettant non seulement d'interpréter et de mettre en relation des langues-cultures distinctes mais aussi de comprendre des variations socialement différentes d'une culture à une autre. Ce qui permettrait de mieux gérer les difficultés et les entraves propres au domaine de l'interculturel, comme le précise Dr. Gaouaou Manaa<sup>5</sup>"

'La didactique du FLE s'efforce de préparer l'apprenant à des interactions multiples et à prendre conscience de l'existence d'autres groupes sociaux, d'autres peuples, d'autres cultures. Voulant lui faire acquérir des compétences interculturelles, elle le prépare à des interactions multiples. L'apprenant du FLE est appelé aujourd'hui à acquérir des compétences qui se manifestent dans l'interaction sociale. Cette interaction opère constamment une mise en adéquation entre l'objectif linguistique et l'objectif culturel"

De même que le développement de proverbes dans le système de FLE assure la réciprocité culturelle c'est-à-dire qu'un individu en train d'apprendre une langue étrangère mobilise non seulement des connaissances culturelles de sa culture- langue maternelle et des compréhensions de la culture-langue étrangère, mais, il ne cesse pas d'apprendre

---

<sup>5</sup>Dr. GaouaouManaa, La quête d'une nouvelle approche avec les autres cultures, Synergies Algérie n4, 2009pp. 209-216.

د . سالم ادم جمعة حسن

une culture nouvelle, des modes de vivre, comprendre les comportements individuels, augmenter son capital de connaissances et d'informations nouvelles, il serait **plonger** dans une immense dimension, celle de l'interculturel.

### **Méthodologies de langue étrangère, perspective interculturelle:**

Il est indispensable de tenir compte de la formation de la conception, de l'attitude et de l'efficacité de l'apprentissage d'une langue étrangère lors de la mise en place d'une méthode d'enseignement/apprentissage de langue. La présence de deux cultures- maternelle et étrangère- favorise une démarche interculturelle capable d'équilibrer l'implication de ces deux cultures dans la constitution d'une méthodologie quelconque. Choisir et préciser des contenus linguistico-culturels, en vue d'enseignement/apprentissage d'une langue-culture étrangère, est en effet une entreprise minutieuse dépendant à la fois des finalités visées, du public et ses spécificités tant sociale, linguistique que culturelle, de la philosophie éducative et idéologique dominante dans la société cible, des traditions didactiques et des théories de référence. A la présence de chaque verbe utilisé dans l'apprentissage va tracer bien sur un héritage culturelle soit de la culture de l'apprenant ou celle de la langue cible à apprendre qui font par leurs ponctualités un métissage culturel souple qui va orienter l'esprit et la vision vers des perspectives claires déterminent cette opération pédagogique de la

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

formation de FLE. Avec les proverbes on voyage d'une société à l'autre, proposer une grille ou des critères qui soient universels ou locales ; mieux vaut donc de relativiser ces critères et de leur assigner une flexibilité susceptible de favoriser la particularité de tout public-apprenant.

### **Objectifs d'utiliser les proverbes libyens et français:**

Les objectifs de cette recherche peuvent être résumés comme effectuer des démarches pédagogiques qui aident à l'amélioration de l'enseignement/ apprentissage du français en Libye;

Mettre en évidence des programmes éducatifs bien expérimentés d'une approche interculturelle dans l'enseignement/ apprentissage du FLE ;

Fournir des outils pédagogiques susceptibles de valoriser la pénétration du contexte culturel libyen dans l'enseignement/ apprentissage du FLE.

### **Situatio**

#### **net**

#### **public**

D'abord, la création d'un programme pédagogique d'enseignement/apprentissage de FLE se compose de certains sélection de proverbes français et libyens. En d'autres termes, l'animation d'un recueil de proverbes connus en France et d'autres en Libye, ce genre d'apprentissage adapté au niveau niveau A2 (niveau "intermédiaire". L'utilisation des proverbes aide les apprenants à bien comprendre toutes les formations et les

د . سالم ادم جمعة حسن

cours, notamment les matières de compétences orale et écrit. Etant donné que les proverbes aident à faire les descriptions usuelles dans la vie quotidienne de l'apprenant surtout, à l'animation de conversations simples. De plus, utiliser ces locutions qui sont riches du sens dans des divers aspects culturels de la société et comprendre des phrases isolées par exemple pourraient simplifier l'acquisition de français, comme par exemple: les informations personnelles, shopping, travail, famille.. pouvoir communiquer lors d'activités simples et courantes ne nécessitant qu'un ensemble de renseignements élémentaires sur des sujets familiers. Ainsi que, pouvoir décrire l'environnement vécu, et évoquer des sujets répondants aux besoins immédiats de l'apprenant. De ce fait, il est possible d'établir des comparaisons en travaillant sur les deux aspects culturels de ces proverbes français et libyens, autrement que, des types de locutions qui contiennent des nouvelles, contes, récits, récits de vie, et extraits autobiographiques, ces locutions ont été composées et échangées d'une génération à une autre, ce sont comme des souvenirs qui font partie de la mémoire collective de la société libyenne. C'est pourquoi, il est possible de mettre d'autres idées en parallèle, afin de comparer ces proverbes dans plusieurs sociétés, comme le précise Olga Théophanous<sup>6</sup>,

---

<sup>6</sup>Théophanous, « Le proverbe comme entre-deux : Aspects linguistiques et interculturels » Collès *et al.*,

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

" le proverbe est un type de texte qui incarne bien un double mouvement entre l'identité et l'universalité ".

Egalement, ce programme d'étude pourrait comprendre aussi, (le niveau intermédiaire et avancé).

### **Outils de programme:**

Les propositions pédagogiques sont des esquisses qui demandent une organisation administrative et également au niveau des contenus. D'abord, il faut respecter un principe de comparabilité entre langue-culture maternelle et étrangère ; c'est-à-dire qu'à chaque proverbe en langue-culture française devrait correspondre un autre en langue-culture maternelle. C'est dans ce sens que l'on pourrait présenter un contenu de cours qui veille non seulement à préserver l'authenticité de la langue- culture étrangère mais qui, en plus, mette en valeur la langue-culture maternelle.

De fait, les processus de comparaison, d'analogie, de contact, de complémentarité et d'interaction entre cultures sont rendus opérationnels grâce à la prise en compte de différentes connaissances et acquis préalables en langue-culture maternelle lors de la mise en place d'une méthode de FLE à inspiration interculturelle. D'ailleurs, les éléments choisis comme support pédagogique devraient, autant que possible, être exploitables dans au moins à un

---

*Didactique du FLE et de l'interculturel*, E.M.E., 2007, pp. 109-

د . سالم ادم جمعة حسن

triple but : linguistique, culturel, communicatif et interculturel, de même qu'ils devraient être adaptés ou adaptables aux différents aspects de la spécificité du public destinataire. Ce programme serait destiné à un public adolescent, niveau B1, selon les caractères suivants:

**Programmes Linguistiques:**

- Enrichir le vocabulaire des apprenants.
- Observer la structure des proverbes et les traits /thèmes communs.

Mettre en pratique les compétences linguistiques des apprenants en

utilisant le texte littéraire comme ressource pédagogique.

Cet objectif

linguistique pourrait être :

- Analyser le/les discours du conteur,
- Etudier le vocabulaire culturellement chargé en arabe et en français,
- Utiliser et réutiliser les adjectifs qualificatifs,
- Etudier les formules et les expressions d'opinion,
- Argumenter, donner son avis et apprécier,
- Utiliser la coordination, la conjonction, les phrase simple et complexe, les conjonctions de la cause et de la conséquence.
- Travailler sur la dimension textuelle : les chaînes de référence,

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

anaphores et pronoms et les temps verbaux.

### **Programmes Culturels:**

Cet objectif culturel, visant à faire surgir les représentations culturelles de part et d'autre, pourrait être basé, selon la nature et le contenu du proverbe,

sur :

- La famille
- Les relations homme/femme et parents/enfants
- Les aspects juridiques ou religieux (jurisprudences)  
les relations interindividuelle, la vie en société,
- Les cérémonies : la naissance, le baptême, le mariage, etc.
- Les aspects de la vie quotidienne
- Les normes et codes sociaux
- Les grandes fêtes et manifestations nationales
- Les rituels d'invitation, de réception, de fêtes, de célébration de réussite, de mariage, de promotion, d'anniversaires, etc.

### **Programmes Communicatifs:**

Mettre d'autres idées en parallèle, afin de savoir le fonctionnement de proverbe et son utilisation dans la vie quotidienne. La discussion de différents phénomènes, aspects, représentations, etc. en liaison avec le « message » que véhicule le proverbe et en rapport avec la culture-langue de l'apprenant et la culture-langue



د . سالم ادم جمعة حسن

étrangère. De même, exprimer des sentiments concernant la préférence, l'encouragement, l'admiration, l'enthousiasme, etc.

A travers ce parcours scientifique, les significations des proverbes français se perçoivent également dans les caractéristiques de la culture de l'apprenant, voire, il est possible qu'un proverbe peut engendrer plusieurs synonymes dans différentes langues.

Au cours de cette situation d'apprentissage, les élèves découvrent le sens puis les aspects formels de proverbes de différentes langues ensuite, les cultures et explorer la variété des de toutes ces notions.

### **Programme d'activité:**

D'abord, pour mettre en terme nos travaux et en pratique, les proverbes français et libyen pourront mettre en évidence la culture de la langue française c'est-a-dire l'utilisation de ces proverbes dans plusieurs disciplines de la vie quotidienne rends l'enseignement/apprentissage de français plus fine voire très efficace, comme elle précise, Martin Cotin (2008 :357), nous pouvons prendre appui sur « des sujets comme la rue, la nourriture, le transport, le paysage, etc. sont abordables en recourant à la photo, l'art, le graphisme, la TV ». Ensuite, nous montrerons la possibilité de l'exploitation de ces proverbes en classe de langue en faisant intervenir des variables culturelles.

---

<sup>7</sup>Martin Cotin (2008 :357),

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

Toutes les catégories des proverbes sont possibles et se prêtent à un traitement dans une approche interculturelle : la nature, l'Homme, le voyage, conditions et milieux sociaux, les relations humaines, la nourriture, logique des actions, etc.

Nous proposons un ensemble de proverbes à titre illustratif dans les deux collections suivantes :

C'est en forgeant qu'on devient 8forgeron.

Les jours se suivent et ne se ressemblent pas.

Qui ne risque rien n'a rien.

Un tiens vaut mieux que deux tu l'auras.

Les petits ruisseaux font les grandes rivières.

L'habit ne fait pas le moine.

Rira bien qui rira le dernier.

Vouloir, c'est pouvoir.

Point de nouvelles, bonnes nouvelles.

Petit à petit, l'oiseau fait son nid.

L'appétit vient en mangeant.

Charité bien ordonnée commence par soi-même.

Après la pluie, le beau temps.

La nuit, tous les chats sont gris.

On reconnaît l'arbre à ses fruits.

Mieux vaut tard que jamais.

Qui sème le vent récolte la tempête.

---

<sup>8</sup>Les proverbes à travers le monde 46 pages © ÉL1O5D/4iL6 Mai 2006

د . سالم ادم جمعة حسن

Un de perdu, dix de retrouvés.  
Il n'y a pas de fumée sans feu.  
Les bons comptes font les bons amis.

### **Proverbes en français<sup>9</sup>**

« À bon chat, bon rat » animal  
« À cheval donné, on ne regarde pas la bride » animal  
« Après la pluie le  
beau temps » météo  
« Qui fait le malin tombe dans  
le ravin » morale  
« Qui part à la chasse, perd sa  
place » conduite  
« Qui vole un œuf, vole  
un bœuf » animal  
« Rira bien qui rira le  
dernier » conduite  
« Tel père,  
tel fils »  
famille  
« Une hirondelle ne fait pas le

---

<sup>9</sup>Cf. Montreynaud F., Pierron A., Suzzoni F., Dictionnaire de proverbes et dictons, Le Robert, 1993.

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

printemps » animal

« Celui qui roule doucement n'a pas tort, celui qui

oule vite aura des

remord

s. »

conduit

te

« Vouloir, c'est

pouvoir.» conduite

« On ne vend pas la peau de l'ours avant de

l'avoir tué » animal

« Quand le chat n'est pas là, les souris

dansent » animal.

Voir le livre (Musrati Mustafa, *Les proverbes populaires libyens*, )

**Proverbes en Libye**<sup>10</sup>

أسأل عن الجار قبل الدار

« Cherche le voisin avant la

maison » morale

Lorsque l'on cherche une maison à acheter ou à louer, il faut avant tout se

renseigner de celui qui deviendra son voisin. Un

mauvais voisin peut transformer une maison paradis

en un enfer.

---

<sup>10</sup>Musrati Mustafa, *Les proverbes populaires libyens*, Tripoli, Al-dar Jamahiriya, 2000.

د . سالم ادم جمعة حسن

حمره و جرایه و ماتاكلش فى الشعير

« Rouge et rapide mais ne mange  
d'orge » conduite

Il s'agit d'un cheval doté des deux qualités  
suprêmes : « rouge » et

« rapide », mais hélas ne peut pas manger d'orge  
parce qu'il coûte cher. Le

proverbe dit d'une personne qui aimerait avoir une  
« belle chose » sans faire suffisamment des efforts et  
dépenser pour l'avoir.

أسأل مجرب و ما تسألش طبيب

« Demande à celui qui a déjà couru l'expérience et  
ne demande à un

médecin » morale

Lorsque l'on est malade, on peut aller chez le médecin  
mais mieux vaut

encore de demander à quelqu'un qui a déjà eu la  
même maladie. Le proverbe dit pour quelqu'un qui fait  
face à un problème mais ne sait pas comment en sortir, il  
incite à demander conseil auprès des personnes qui ont  
déjà eu l'expérience avec le même problème.

غاب القط العب يا فار

« Lorsque le chat est absent, le rat joue librement »  
animal

Dit d'une personne (un subordonné) qui fait ce qui lui  
plait lorsqu'une autre (de puissant) n'est plus présente.

اللى فات مات

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

« Ce qui est passé est mort » morale

Dit à une personne qui vit dans les remords du passé pour l'inciter à penser à l'avenir au lieu de pleurer ou de se torturer à cause de quelque chose qui est déjà passé. Se dit spécialement pour quelqu'un à cause d'un différend au passé est en mauvais terme avec une autre personne.

كل بلاد و عزاها

« A chaque pays, sa façon de condoléance » conduite

Dit de quelqu'un qui agit différemment de ce qui est de coutume dans

une société donnée et dans un contexte social précis ; il faut donc interpréter cette maladresse comme une façon d'agir, dans un contexte pareil, propre à la société à laquelle appartient cette personne.

اللى يستنى خير من اللى يتمنى

« Celui qui attend est meilleur que celui qui espère » morale

Pour dire il vaut mieux faire des efforts et être patient pour obtenir

quelque chose que d'espérer sans bouger et sans patience.

يد وحده ما تصفّقش

« Une main seule n'applaudit pas » morale.

Proverbe relativement universel incitant à la solidarité et à la coopération

د . سالم ادم جمعة حسن

اللي يشيل قربه تقطر علي ضهرة

« Celui qui tient une « girba55 » au-dessus de son dos goutte sur lui» conduite.

Pour dire toute personne est responsable de ses propres actes, aucune autre personne n'en partage la responsabilité.

الجمال ما يشوف ش فى عوج رقبتة

« Le dromadaire ne voit pas que son cou est tordu » animal/ conduite. Dit d'une personne qui ne voit que les torts des autres alors que lui-même en a tellement.

En effet, il est possible de travailler sur des proverbes libyens par des diverses manières. Traduire des proverbes soit mot à mot, ou soit par l'interprétation du sens puis expliquer le sens pour qu'il soit compréhensible en français, ensuite, entraîner les apprenants afin qu'ils puissent différencier entre la forme et le contenu. Jouer sur les différences de sens de chaque proverbe est une étape importante pour maîtriser la traduction. Ainsi que, le bon savoir de la différence culturelle entre la langue cible et la langue maternelle, est une démarche nécessaire. L'enseignant doit rendre compte de ces points/éléments culturels et linguistiques, sinon, l'apprenant se trouve dans une situation ambiguë et il n'arrive pas à distinguer le bon sens.

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

Nous exposons certains proverbes libyens qui pourraient attirer la passion des apprenants, ainsi, pour motiver leurs désirs en utilisant quelques origines culturelles venants de leur héritage sociale et de leur vie vécue. La traduction de ces proverbes est à mot à mot, comme une première étape, puis il y aura, une interprétation au niveau de sens, si la traduction aurait des significations compréhensibles en français, sinon, l'enseignant doit passer à la traduction de sens pour que le proverbe soit visible en français et en arabe pour les proverbes français. Nous limitons nos traductions à mot à mot:

. الفار الزرباز من سعد القطوس \*11

La souris qui bouge, est une chance au chat

اللي واخذ على طعامك ، وين يشبكك يجوع

Celui qui aime tes nourritures, quand il t'aura vu, il aura faim.

ما يحبها شبح .... جابوهله عروس

Il ne l'aime guère la voir ils la font venir pour une épouse.

اللي يحب روحه ، يقعد بروحه<sup>12</sup>

Celui qui n'aime que soi, resterait tout seul

حوت يأكل حوت وقليل الجهد يموت

Les poissons se mangent entre eux, et celui qui a moins d'effort mourra

<sup>11</sup><http://www.lakii.com/vb/a-42/a-322746>

<sup>12</sup><http://www.lakii.com/vb/a-42/a-322746>



د . سالم ادم جمعة حسن

اللى يكثر و فلوسه - تشيان مرته ويضيق حوشه

Celui qui ses argents augmentent, sa femme se laide et sa maison diminue.

الربيع من فم الباب بيان

Le printemps se voit de l'entrée de la porte

ضحك الجمل فى عمره مرة انفلق شاربه

Une fois que le chameau a ri ses lèvres sont déchirées.

يا مزوق من بره شنو حالك من داخل

Ayant peint à l'extérieur, quel est ton état à l'intérieur.

عام يجزوا البقر 13

L'an quand on rase tond les vaches

على قد بساطك مد رجلك

Selon ton tapis tends tes pieds

اطول من ليلة بلا عشى

Plus longue serait une nuit sans sans dîner

كل شاة معلقة من كراعها

Chaque brebis est attachée par sa patte

لا تدير ديرهم .... و لا تنهاهم على ما يديرو

Ne fais pas comme leurs actes, et de ne pas les déconseiller de ce qu'ils font

خانب وفى ايده شمعه

Un voleur portant en sa main une bougie

.شاوره وماتعباش عليه

Consulte-le et ne compte pas sur lui

كل ايد تمسح علي وجهها

Toute main efface sur son face.

<sup>13</sup><http://www.lakii.com/vb/a-42/a-322746>

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

كل سفرة اتعلمك احداقة

Chaque voyage tu t'enseigne une intelligence

المتغطى بالايام عريان

Celui que se couvre par les jours, est nu.

14..كبر خبزك ينباع

Grandis tes pains, ils se seront vendus

زيتنا في دقيقنا

Nos huiles dans nos farines

اش حالك يا جاري انت افادارك و نفداری

Bonjour mon voisin, tu es chez toi et moi je suis chez

moi

اللى ما يقتل يسمن

Ce qui ne tue pas, nous fait grossir

أسأل عن الجار قبل الدار

Cherche le voisin avant l'habitation

القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود

Le sous blanc serait utile au jour noir

اللى ما ياكل بيده ما يشبع

Celui qui ne mange pas par son Sueur ne se comble

jamais \*

\*اللى ما يعرف الصقر يشويه

Celui qui ne connait pas l'aigle, il le grille

هي هنا واصياحها فلوادي<sup>15</sup>

Elle est (ici) -ci et ses échos à la vallée

<sup>14</sup><http://www.lakii.com/vb/a-42/a-322746>

<sup>15</sup> د. الطيب على الشريفو من الامثال الشعبية و الحكم فى ليبيا 2004- ص 8 و 19 و 43 و 216 و

د . سالم ادم جمعة حسن

أتغرب واكذب

On s'exile et on ment<sup>16</sup>

الباب اللي ايجيك منه الريح سده وستريح

Ferme la porte d'où vient le vent et sois tranquille

اللي خـصاف سلم

Celui qui a eu peur se sauver

اللي يبي الورد يتحمل شوكة

Celui qui veut les fleurs supporte ses épines

!! باب النجار مخلو

La porte de menuisier est toujours arrachée

تشوف مصايب الناس تهون عليك مصيبتك<sup>17</sup>

Lorsque tu vois les malheurs des gens, les tiens seront réduits.

Voir le livre de Al taieb, De certains proverbes populaires et des raisons libyens, 2004, p, 8, 19, 35, 43, 216,388. Et les sitographies, <http://www.lakii.com/vb/a-42/a-3227>

### Activité 1:

Cette activité encourage l'apprenant a bien comprendre et savoir les significations de chaque proverbe au fur et à mesure, l'étudiant pourrait dessiner des limites de sens de chaque proverbe d'une coté et il essaie de créer des relations qui pourraient s'exister entre autres d'une autre côté. En fait, dans ce repérage, nous pourrions réaliser cet

<sup>16</sup><http://www.lakii.com/vb/a-42/a-322746>

<sup>17</sup> د. الطيب على الشريفو من الامثال الشعبية و الحكم فى ليبيا 2004- ص 8 و 19 و 35 و 388 و

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

objectif :

Essayez de trouver la bonne signification des proverbes suivants :

proverbe	signification	corrigée
1- Après la pluie, le beau temps .	a- Pour dire toute personne est responsable de ses propres actes, aucune autre personne n'en partage la responsabilité.	1 I
2-« Celui qui attend est meilleur que celui qui espère » .	b- Dit d'une personne (un subordonné) qui fait ce qui lui plait lorsqu'une autre (de puissant) n'est plus présente.	2 F
3.- « Cherche le voisin avant la maison »	c- Proverbe relativement universel incitant à la solidarité et à la coopération.	3 E
4- « Lorsque le chat est absent, le rat joue librement ».	d- C'est la volonté qui nous permet de réussir.	4 B
5- « Celui qui tient une « girba » au dessus de la tête goutte sur lui »	e- Lorsque l'on cherche une maison à acheter ou à louer, il faut avant tout se renseigner de celui qui deviendra son voisin.	5 A

د . سالم ادم جمعة حسن

6- « Une main seule n'applaudit pas » .	f- Pour dire il vaut mieux faire des efforts et être patient pour obtenir quelque chose que d'espérer sans bouger et sans patience.	6 C
7- Vouloir c'est pouvoir.	i- Le bonheur succède souvent au malheur.	7 D

**Activité 2:**

Regroupez les proverbes suivants par trait et/ou thème commun. Puis essayez de trouver la bonne signification:

- 1- « Plus le cœur grandit, moins les paroles sont utiles» amour
- 2- «Bons nageurs sont à la fin noyés  
» La nature humaine.
- 3- « Après la pluie le beau temps » météo
- 4- « Qui fait le malin tombe dans le ravin » morale
- 5- «Une main lave l'autre» morale
- 6- « Qui vole un œuf, vole un bœuf » animal
- 7- « Rira bien qui rira le dernier » conduite
- 8- « Tel père, tel

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

filis »

famille

9- « Une hirondelle ne fait pas  
le printemps » animal

10- « Celui qui roule doucement n'a pas tort,  
celui qui roule vite aura des

remor

ds. »

condu

ite

Conduite	Animal	Famille	Morale	<u>Meteo</u>	La nature humaine	Amour
----------	--------	---------	--------	--------------	-------------------------	-------

Corrigée

Conduite	Animal	Famille	Morale	Météo	La nature humaine	Amour
7 – 10	6- 9	8	4	3	2	1

د . سالم ادم جمعة حسن

### Activité 3<sup>18</sup>:

Egalement, nous pourrions réaliser d'autre repérages, comme celui que nous avons élu d'une série des travaux sur le net (adresse **au-dessous**) ou il y aurait divers activités qui pourraient déterminer notre objectif de recherche, ainsi que celle-ci, qui se concentre à l'utilisation diverse d'un sujet ou d'un mot:

Autour du mot –amour

Questions:

1) Le cœur des amoureux s'enflamme et \_\_\_\_\_ d'amour.

brûle

sèche

casse

2) Arthur et Isabelle s'aiment beaucoup. Ils \_\_\_\_\_ le parfait amour.

trouvent

filent

cherchent

3) Bernard est un homme juste. Il \_\_\_\_\_ la justice.

méprise

déteste

aime

4) N'osant lui avouer, Ferdinand \_\_\_\_\_ d'

<sup>18</sup>[http://www.francaisfacile.com/cgi2/myexam/liaison.php?liaison=\\_expression\\_](http://www.francaisfacile.com/cgi2/myexam/liaison.php?liaison=_expression_)

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

amour platonique pour Madeleine.

languit

meurt

fleurit

5) Cécile est très romantique. Elle \_\_\_\_\_  
toujours du grand amour.

tombe

file

rêve

6) L'adolescence est la période privilégiée pour voir  
\_\_\_\_\_ le premier amour.

s'éveiller

s'endormir

s'éloigner

7) On dit que l'amour n'a pas d'âge et qu'il est  
\_\_\_\_\_.

muet

sourd

aveugle

8) L'amour pour son \_\_\_\_\_ est à la base  
d'une vie charitable.

prochain

lointain

voisin

9) Antoine est très nerveux. Il va \_\_\_\_\_ son  
amour à Diane.



د . سالم ادم جمعة حسن

[ ] déclamer

[ ] déclarer

[ ] réciter

10) Pour l'amour du \_\_\_\_\_, donnez-moi une aumône, demandait le mendiant.

[ ] démon

[ ] ciel

[ ] paradis

REPONSES:

1. brûle

2. filent

3. aime

4. languit

5. rêve

6. s'éveiller

7. aveugle

8. prochain

9. déclarer

10. ciel

**Quatriè**

**me**

**activité**

Les apprenants peuvent travailler en petits groupes sur la rédaction d'un commentaire portant sur la comparaison ou la confrontation de deux proverbes français et libyen. Ensuite, chacun des groupes peut, sous le pilotage de l'enseignant, exposer ce qu'il aura écrit

## أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

devant les autres. On peut envisager des discussions et des commentaires sur les différentes productions écrites.

### **Conclusion:**

En somme, cet approfondissement de l'intégration de proverbes français et libyens dans le programme d'enseignement/apprentissage du FLE en Libye est une démarche pourrait soutenir les situations d'apprentissage du FLE dans les universités libyennes. Il est devenu très claire de mettre l'accent sur l'importance de prise en compte à la fois de la culture maternelle et de la culture étrangère par la mise en place d'un programme ou d'une méthode d'enseignement/ apprentissage de FLE représentant des thèmes vécues de l'environnement social de l'apprenant. Egalement, il est nécessairement important d'appuyer sur le fait que l'apprentissage de la langue française ne se substitue pas à des valeurs et à des composantes culturelles propres à l'apprenant, Mais il faudrait concevoir tout programme d'enseignement/apprentissage doit interpréter une perspective de réciprocité entre les deux cultures concernées. L'utilisation des proverbes consiste d'une part à remettre en question du choix et de l'usage traditionnel dans la vie quotidienne, et d'autre part, apprendre à repérer les procédés linguistiques et iconiques des stéréotypes. Prendre conscience de sa propre culture maternelle est aussi important que la culture des autres, enfin, cette relation de réciprocité et

د . سالم ادم جمعة حسن

d'égalité pourraient enrichir voire améliorer les conditions d'enseignement/apprentissage de FLE en Libye. Ce travail est un des débats sur l'importance de la pénétration de la culture de toutes ses formes à l'enseignement/apprentissage de FLE. Il est évident que ce point a été traité par un nombre important ou presque la majorité des chercheurs de FLE dans le monde entier. Etant donné que chaque pays a une personnalité spécifique culturelle, je considère que les enseignants de FLE de chaque pays se chargent à qualifier les particularités culturelles et sociaux de leurs sociétés, voire, doivent traiter en déterminant les méthodes de FLE afin que le français soit accessible pour tous les éléments participants dans (à) l'opération d'apprentissage de cette langue. Enfin, cette étude n'était qu'un pas vers d'autres recherches qui vise à favoriser l'enseignement de FLE en Libye.

### Références

Roche, S. (2001). Tout a une fin sauf le saucisson qui en a deux et autres

proverbes du monde entier, Paris : Éditions Albin Michel.

Montreynaud F., Pierron A., Suzzoni F., Dictionnaire de proverbes et dictons, Le Robert, 1993.

Martin Cotin (2008 :35<sup>1</sup>),<sup>1</sup>Les proverbes à travers le monde  
46 pages © ÉL105D/4iL6 Mai 2006

## S

أدماج الأمثلة الشعبية الفرنسية والليبية في تعليم اللغة الفرنسية

i  
t  
o  
g  
r  
a  
p  
h  
i  
e

<http://amttales.ifrance.com/amttale/hikame1.html>

Proverbes

<http://pagesperso-orange.fr/proverbes/proverbe.htm>

Citations du monde

<http://www.citations-monde.com/index.php>

Proverbes créoles

<http://antanlontan.chez-alice.fr/proverbe.htm>

Proverbes français en jeux (lignes 146 à 181)

[http://www.francaisfacile.com/cgi2/myexam/liaison.php?liaison=\\_expression\\_](http://www.francaisfacile.com/cgi2/myexam/liaison.php?liaison=_expression_)

Dictionnaire des citations

[www.dicocitations.com/proverbes.htm](http://www.dicocitations.com/proverbes.htm)

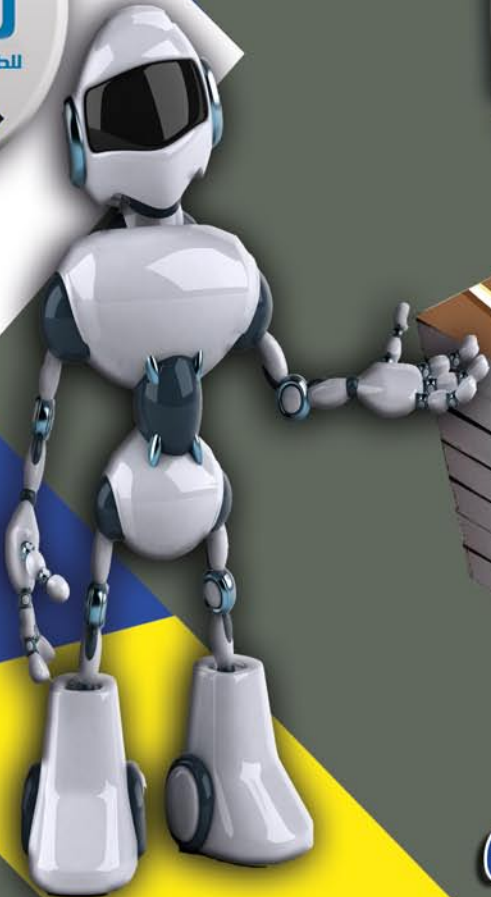
[http://www.francaisfacile.com/cgi2/myexam/liaison.php?liaison=\\_expression\\_](http://www.francaisfacile.com/cgi2/myexam/liaison.php?liaison=_expression_)

<http://www.lakii.com/vb/a-42/a-322746>

د . سالم ادم جمعة حسن

# دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان VISION ADVERTISING COMPANY

## 2018



0925031603

e-Mail: [sahelalhrarai@gmail.com](mailto:sahelalhrarai@gmail.com)

vision